

معالم المدینستین

تالیف

العلامہ ذوالسید مرثضی العسکری

المجلد الاول

معالم المدرستين

بحوث ممهدة لتوحيد كلمة المسلمين

مكتبة دار الفکر
بمكة المكرمة
١٤٢٠ هـ

المجلد الاول

بحوث المدرستين في الصحابة والأئمة

تأليف

العلامة السيد مرتضى العسكري

قسم الدراسات الاسلامية

زيتون ملأ بالعلم

مجلسنا تعلمك ليصحتنا قلوبنا تروى

بإهداء من

مجلسنا تعلمك ليصحتنا قلوبنا تروى

بإهداء من

مجلسنا تعلمك ليصحتنا قلوبنا تروى



الكتاب: معالم المدرستين - المجلد الأول

المؤلف: العلامة السيد مرتضى العسكري

الناشر: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة

الطبعة الثانية: ١٤٠٦ هـ. ق

التوزيع: مؤسسة البعثة؛ طهران، شارع سمية. الهاتف: ٨٢١١٥٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة على أشرف خلقه وسيد أنبيائه محمد وآله الميامين وعترته الطاهرين الطيبين مع اللعنة على أعدائهم أجمعين. وبعد: إنه لمن دواعي المسرة أن تقوم المكتبة العامة التي أسسها فقيد الاسلام الراحل العظيم سماحة آية الله العظمى السيد عبدالله الشيرازي - قدس الله نفسه الزكية - في مدينة مشهد المقدسة - وهي إحدى المؤسسات الاسلامية والعلمية التي أسسها سماحته في البلاد الاسلامية المختلفة - بنشر هذا الكتاب القيم والسفر النافع الذي يبحث في طياته أسلوباً علمياً مرضياً في المقارنة بين معالم المدرستين: مدرسة أهل البيت - عليهم السلام - الذين أنزل الله تعالى فيهم قوله الحق: «أنا يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً»، والمدرسة الأخرى التي أسسها الآخرون.

ومكتبة آية الله العظمى الشيرازي العامة إذقامت بنشر هذا الكتاب العلمي النافع تزامناً مع الذكرى السنوية الاولى لوفاة الراحل العظيم سيدنا المؤسس، لتدعو الله تعالى لمؤلف هذا الكتاب سماحة آية الله العلامة السيد مرتضى العسكري دوام التأييد للاستمرار في الافادة والافاضة وللمؤسسة البعثة المحترمة والتي لها قصب السبق في هذا المجال التوفيق المستمر لخدمة مدرسة الاسلام العليا.

والأمل بالله تعالى وطيد في أن تكون هذه الخطوة الايجابية نموذجاً للخطوات المتعاقبة دون انقطاع تبياناً من الباطل، ونبراساً لمن يريد السير على نهج الاسلام الصحيح وطريقه القويم. وتبقى هذه ونظائرها ذخيرة نافعة للفقيد الراحل - رحمه الله تعالى - وماهي إلا حسنة من الحسنات التي كان يصبو إليها ويحققها في حياته وسيلقى أجرها وخيرها بعد وفاته.

والسلام على عباد الله الصالحين

مشهد المقدسة - ليلة الاول من محرم الحرام / ١٤٠٦

. مكتبة آية الله العظمى الشيرازي العامة .

الاهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليك يا ايام العصر ورحمة الله وبركاته
سيدي يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
اليك اهدي هذا المجهود الضئيل.

«يا ايها العزيز مستنا واهلنا الضر وجئنا ببضاعة
مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا ان الله يجزي
المتصدقين».

ايها الجواد الكريم اشفع لنا عند الله ليغفر لنا ذنوبنا
ويكشف عنا وعن قومنا الضر انه ارحم الراحمين.

صغير خدامكم

مرتضى العسكري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ
أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أَزْوَاجُ
الْأَلْبَابِ.

الزمر ١٧-١٨

مقدمة الطبعة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الانبياء
وافضل المرسلين محمد وآله الطاهرين وعلى اصحابه الميامين من
الآن الى قيام يوم الدين.

وبعد منعني المرض في الطبعة الاولى من كتابة البحوث
اللازمة في مقدمة الكتاب وبعد أن خفت وطأته نوعاً ما
والحمد لله انجزت قسماً من البحوث الهامة وقدمتها امام
الكتاب، مع يسير من الاضافات اللازمة في اصل الكتاب
وعاقني المرض - أيضاً - عن التنظيم والتعبير كما ينبغي.

هذا عذري لاهل العلم والمعرفة في ما يجدونه فيها من
خلل ونقص. واني حين أقدم الكتاب الى الملائمة الاسلامي
الكريم ارجو ان يقرؤوه بتجرد علمي وينبهوني الى ما فيه من
خطأ يلزم الانسان غير المعصوم، أخذ الله بأيدينا جميعاً الى
ما فيه الخير والصواب.

المؤلف

مخطط بحوث الكتاب

بحوث تمهيدية تُبين منشأ الخلاف بين مدرستي الامامة والخلافة وتنقسم بحوث الكتاب بعدها إلى قسمين:

القسم الاول - بحوث مصادر الشريعة الاسلامية لدى المدرستين وسبل الوصول اليها وعليها تبنى العقيدة الاسلامية واحكامها وتشمل البحوث الخمسة الآتية:
أ - بحوث المدرستين في الصحبة والصحابة.

ب - بحوث المدرستين في الامامة والخلافة وهما من سبل الوصول الى الشريعة الاسلامية وتكوين الرؤية الصحيحة للاسلام.

ج - بحوث المدرستين في مصادر الشريعة الاسلامية وببحث كيفية اتخاذ مدرسة الخلفاء الاجتهاد والعمل بالرأي من مصادر الشريعة الاسلامية في عداد كتاب الله وسنة رسوله (ص) وبها يتم بحث مصادر الشريعة الاسلامية وسبل الوصول اليها لدى مدرسة الخلفاء.

د - قيام الامام الحسين (ع) ضد الانحراف عن سنة الرسول بسبب الاجتهاد والعمل بالرأي.

هـ - تمكن ائمة اهل البيت (ع) من عادة سنة الرسول الى المجتمع بعد قيام الامام الحسين، وتمكن مدرستهم من نشر سنة الرسول (ص) بعد ذلك، وبهذا يتم بحث مصادر الشريعة الاسلامية وسبل الوصول اليها لدى مدرسة اهل البيت وتتم بذلك بحوث الاسس الفكرية لدى المدرستين.

القسم الثاني - في بيان انواع نشاط اتباع المدرستين الفكري والسياسي والاجتماعي ويشمل الابواب الاربعة الآتية انشاء الله تعالى:

أ - انتشار افكار مدرسة الخلافة من ايران وقيام دول اتباعهم فيها.

ب - حملة المغول على البلاد الاسلامية وتقويضهم الخلافة العباسية ببغداد.

ج - انتشار التشيع في القسم التابع لبلد الكوفة من ايران خاصة ونشاط سكانه في نشر افكار مدرسة اهل البيت (ع) وقيام دول اتباعهم فيه.

د - افتراءات على مدرسة اهل البيت (ع).

بحوث تمهيدية

شرع الله للانسان بمقتضى ربوبيته من الدين ما ينظم حياته و يسعده و يوصله الى درجة الكمال الانساني وهداه بواسطة انبيائه اليه وسماه الاسلام^١. كما سن لجميع مخلوقاته انظمة تتناسب و فطرتهم و توصلهم الى درجة الكمال في وجودهم و هداهم الى السير بموجبها الهاميا او تسخيريا^٢.

وكان النوع الانساني كلما توفي رسول من رسل الله في امة منه قام اصحاب الطول والسلطان من تلك الامة بتحريف ما يخالف هوى انفسهم من شريعة نبيهم او كتمانهم ثم ينسبون ما لديهم من الشريعة المحرفة الى الله ورسوله^٣.

(١) قال الله سبحانه وتعالى: «ان الدين عند الله الاسلام» آل عمران / ١٩ وقال: «ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه». آل عمران / ٨٥.

(٢) قال الله سبحانه وتعالى: «سبح اسم ربك الاعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى والذي اخرج المرعى فجعله غثاء احوى». الاعلى / ١-٦

وقال: ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى. طه / ٥٠

وقال سبحانه: واوحى ربك الى النحل ان اتخذى من الجبال بيوتاً... النحل / ٦٨.

وقال سبحانه: والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامرهم. الاعراف / ٥٤

(٣) قال الله سبحانه: وان منهم لفريقاً يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب، ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون. آل عمران / ٧٨. وقال افتطمعون ان يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون. البقرة / ٧٥.

وراجع الآيات: البقرة / ٤٢ و ١٤٦ و ١٥٩ و ١٧٤. وآل عمران / ١٨٧ والنساء / ٤٦، والمائدة / ١٢ -

ثم يجدد الله دين الاسلام بارسال نبي جديد ينسخ بعض الشعائر والطقوس التي لامسها التحريف. ولما ارسل الله خاتم انبيائه محمد (ص) بالقرآن انزل فيه اصول الاسلام من عقائد واحكام في آيات محكمة واوحى اليه تفصيل ما انزل في القرآن ليبين للناس ما نزل اليهم^١ فعلمهم الرسول شرائع الاسلام من كيفية ركعات الصلاة وتعدادها، وما يسكون عنه في الصوم وشرائطه؛ والطواف واشواطه وبدايته ونهايته. الى غيرها من احكام واجبة ومستحبة ومحرمة، فتكون منها لدى المسلمين الحديث النبوي الشريف، وكذلك جعل الله تجسيد الاسلام في سيرة رسول الله (ص) وأمر الناس باتباعه في قوله تعالى:

«لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة» الاحزاب / ٢١. وسمي مجموع السيرة والحديث النبوي في الشرع الاسلامي بالسنة وامرنا الله ورسوله باتباع سنة الرسول^٢.

وهكذا اكمل الله تبليغ الاسلام اليينا في القرآن والسنة النبوية، وتوفي الرسول (ص) بعد ان اخبر امته وحذرهما بانه يجري في هذه الامة ما جرى في الامم السابقة حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة وأنه لودخل من الامم السابقة احدهم في جحر نصب لدخل من هذه الامة احدهم كذلك في جحر نصب^٣.

* * *

وكان من أمر التحريف في هذه الامة أن الله سبحانه وتعالى حفظ القرآن من

(١) قال سبحانه: «وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون» النحل / ٤٤.
(٢) امر الله في آية: «كان لكم في رسول اسوة حسنة» الاقتداء بسيرة الرسول (ص)، وفي آية: «ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا» الحشر/٧، أمر بالعمل بحديث الرسول (ص): والسنة عبارة عنها.

(٣) تجد تفصيل الاحاديث الواردة في هذا الشأن في البحث الخامس من البحوث التمهيدية بالجزء الثاني من (مائة وخمسون صحابي مختلف). وراجع - أيضا - نصوص الاحاديث في المصادر التالية:
أ - اكمال الدين للصدوق ص ٥٧٦ وروى المجلسي عنه في البحار (٣/٨)
وفي تفسير الآية «التركيب طبقا عن طبقا» في كل من:
مجمع البيان للطبرسي.
وجلاء الازهان لكازر.

ب - صحيح البخاري، كتاب الانبياء، باب ما ذكر عن بني اسرائيل (ح/٣).
ج ١٧١/٢ و كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب قول النبي (ص) «لتتبعن سنن من كان

أن تناله يد التحريف وقال: «انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون» وقال: «لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه».

وأما السنة التي رويت لنا سيرة وحديثا في روايات كثيرة فان الله لم يحفظها من التحريف كما يتضح ذلك جليا في اختلاف الروايات النبوية التي بأيدي جميع المسلمين اليوم ولتعارض بعضها مع بعض. وأدى الاختلاف في الحديث الشريف الى أن يهتم بعض العلماء بمعالجتها والفواكتبا أمثال:

تأويل مختلف الحديث^١ وبيان مشكل الحديث^٢ وبيان مشكلات الآثار^٣.

ومن جراء اختلاف الاحاديث اختلف المسلمون في فهم القرآن وتشتمت كلمتهم أبد الدهر؛ أضف اليه وجودهم في بيئات مختلفة، ومعاشرتهم اهل الآراء والملل والنحل الاخرى، كل ذلك أدى الى اختلاف رؤيتهم للاسلام، وبادر بعضهم الى تأويل الايات الكريمة والصحيح مما بأيديهم من الحديث الشريف وفقا لرأيهم ورؤيتهم للاسلام؛ وأدى بهم ذلك الى القطيعة في ما بينهم وعدم استماع بعضهم آراء الاخرين، والى تكفير بعضهم البعض الاخر، ثم هاجمت قوى الكفر الغازية بلاد

قبلكم...» الحديث (ح ١ و ٢) ج ١٧٦/٤.

وفتح الباري بشرح البخاري (١٧/٦٣ و ٦٤).

ج - وصحيح مسلم بشرح النووي (١٦/٢١٩) كتاب العلم.

د - صحيح الترمذي (٩/٢٧ - ٢٨) و ١٠/١٠٩.

هـ - سنن ابن ماجة (ح ٣٩٩٤).

و - مسند الطيالسي (ح ١٣٤٦) و (٢١٧٨).

ز - مسند احمد (٢/٣٢٧ و ٣٦٧ و ٤٥٠ و ٥١١ و ٥٢٧) و (٣/٨٤ و ٩٤) و (٤/١٢٥ و ٢١٨/٥).

و (٣٤٠).

ح - ومجمع الزوائد (٧/٢٦١) عن الطبراني.

ط - كنز العمال ١٢٣/١١ عن الطبراني في الاوسط والحاكم في المستدرك.

ي - في تفسير الآية (ولا تكونوا كالذين تفرقوا) من سورة آل عمران في الدر المنثور للسيوطي عن

المستدرك للحاكم.

(١) الف ابن قتيبة عبدالله بن مسلم (ت ٢٨٠هـ) أو (٢٧٦هـ) تأويل مختلف الحديث.

(٢) الف ابن فورك محمد أو حسين (ت ٤٤٦ أو ٤٠٦هـ)، بيان مشكل الحديث.

(٣) الف ابو جعفر أحمد بن محمد الازدي المعروف بالطحاوي (ت ٣٣١ أو ٣٣٢هـ) بيان مشكلات

الاسلام والمسلمين بأفتك سلاح هدام حين حاربت الاسلام بسلاح الفكر المستورد من بلادهم والتي اعدّها ونظّمها المبشرون المستشرقون من النصارى واليهود ووجهها دعاء افكارهم في بلادنا باسم (الاسلام المتطور حسب حاجة العصر) وسلط الغزاة الكفرة الأضواء على خريجي مدارس المستشرقين في بلادنا ونوهوا بأسمائهم ودفعوهم الى الواجهة باسم المصلحين للاسلام ومنوري الفكر والتقدميين، فكان في الهند منهم السير سيد احمد مؤسس جامعة على كرة الاسلامية وفي مصر أحمد لطفي السيد استاذ الجيل، وقاسم أمين نصير المرأة، وفي العراق علي الوردى استاذ علم الاجتماع^١، وفي غيرها غيرهم، وكان افتك سلاح بأيدي هؤلاء ما تذرعوها به في حرب الاسلام باسم تعريف الاسلام وتعريف الشخصيات الاسلامية مثل ما فعل السير سيد احمد حين كتب تفسير القرآن حسب زعمه، وكل محاولات هؤلاء واساتذتهم المستشرقين ترمي الى شيء واحد وتستهدفه، وهو ما قاله احدهم «لا يقتل الدين الا بسيف الدين» وفي سبيل تحقيق هذه الخطة يفسرون القرآن ويشرحون الحديث النبوي الشريف ويكتبون سيرة الرسول والائمة، يحاولون في كل ما يعملون ان يجردوا الجميع من الاتصال بالغيب، واراها على انها من طبيعة البشر، ثم يلوحون من طرف خفي وأحيانا يصرحون جليا أن كل فرد منهم وكل شيء من الاسلام كان متناسبا مع زمانه وكان تقديما في عصره ونافعا للبشر في حينه اما اليوم فنحن بحاجة الى تطوير الاسلام وتجديده ليطلق مقتضيات العصر وحاجة اهله، وهؤلاء مع سلاحهم هذا الخفي اثره على الكثير اضر على الاسلام والمسلمين من بعض السياسيين العملاء للغزاة الكفرة في بلادنا والذين نصبوهم حكاما لبلاد المسلمين بما قاموا به في الحرب الفكرية من تحريف لحقائق الاسلام باسم تعريف الاسلام أحيانا والاسلام المتطور الملبي لحاجات العصر آونة أخرى^٢، من كل ما ذكرنا يظهر جليا أن المسلمين في هذا اليوم وبعد كل ما مر على الاسلام من تيارات فكرية بحاجة شديدة الى دراسات مستفيضة لا قوال الفرق الاسلامية وتمحيص مآلديها خلافاً لما يراه بعض المسلمين الغيارى الذين يرون السكوت عن كل ذلك أولى حفظاً لوحدة

(١) هؤلاء من دعاة الحضارة الغربية في البلاد الاسلامية ومهدمي الاعراف الاسلامية ومخالفني أحكامها.

(٢) ان أفضل بيان لهذا المكر كتاب أجنحة المكر الثلاثة، تأليف عبدالرحمن حسن جنبكة الميداني، من سلسلة أعداء الاسلام، ولنا بعد بعض المؤاخذات على الكتاب.

المسلمين! ولست أدري كيف يتم ذلك مع وجود الخوارج^١ الذين بنيت اصول عقائدهم على تكفير عامة المسلمين و أنهم هم وحدهم المسلمون وما عداهم مشركون وعلى التبيري من الخليفة عثمان و الامام علي و أم المؤمنين عائشة و طلحة و الزبير و من كان معهم ثم لعن أولئك و لعن جميع المسلمين.

كيف يتم ذلك و في المسلمين من تتوق نفسه الى زيارة قبر الرسول الاكرم (ص) و أئمة المسلمين و التبرك بها و الاستشفاع و التوسل بهم الى الله، و فيهم من يرى كل ذلك شركا لله و خروجا على الاسلام و بدعة محرمة و بذلك يرون أن جميع المسلمين بعد القرن الثالث الهجري الى اليوم مشركون و قد هدموا مساجد المسلمين التي بنيت في طريق غار حراء و أمثاله من الاماكن المتبركة الى جانب تهديمهم قبور أئمة المسلمين و أمهات المؤمنين و عم الرسول و ابن الرسول و صحابته و شهداء أحد؟!؟

ولا يفعل مثل ذلك مع اليهود و توراتهم و النصراني و بيعهم و كنائسهم و فيها ما فيها من الصليبان و تماثيل عيسى و مريم عليهما السلام و هم يعلنون ان عيسى ربهم و ان الله ثالث ثلاثة معاذ الله و انما يعاهدون و لا يقال لهم انتم مشركون.

ثم ان المسائل المذكورة و نظائرها ليست مسائل تخص الفرد المسلم مثل اسبال اليدين في الصلاة الذي تراه مدرسة اهل البيت و المالكية خلافا للاحناف و الحنابلة الذين يرون وجوب التكتيف و مثل الاختلاف في غسل الرجلين او مسحهما في الوضوء مما يتيسر للفرد المسلم ان يعمل بموجب ما ثبت لديه حكمه اجتهادا او تقليدا و يستطيع الفرد الاخر المخالف له في الرأي - أيضا - ان يعمل بموجب ما ثبت لديه حكمه و يمكن لهما مع ذلك ان يعيشا في وفاق في مجتمع اسلامي واحد و انما هي مما يبني المجتمع عليها، فاما أن يبني المجتمع على هذه العقيدة و تزول تلك أو يبني على تلك و تزول هذه.

وهي ليست بعد قضايا سياسية غير دينية يمكن التغاضي عنها حفظا لوحدة المسلمين، و ان نشر ملايين النسخ من أمثال كتاب «وجاء دور المجوس» باسماء مستعارة و غير مستعارة و انفاق بعض الحكومات على أمثالها لتنسب الى أمة كبيرة من المسلمين الخروج عن الاسلام و انفاقها ملايين الملايين في نشر دعايتها في آلاف المعاهد و المساجد و المدارس بجميع أقطار الارض: أن ما عداهم من المسلمين مشركون بالاضافة

(١) منتشرون في الجانب الشرقي من جزيرة العرب و شمال أفريقيا و لهم دولة قائمة في عمان، و يسمون اليوم بالاباضية.

الى ايفاد آلاف المبعوثين كذلك الى جميع أقطار الارض لنشر دعايتها من جانب واحد، ان كل ذلك لم يكن بدافع سياسي غير ديني.

كما أنها ليست من قضايا أوجدها الاستعمار لايجاد التفرقة بين المسلمين ليحسن السكوت عليها، بل هي قضايا كانت قائمة ومنتشرة في المجتمع الاسلامي منذ عصر امام الحنابلة أحمد (ت ٢٤٠ هـ) وعصر الشيخ ابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ) من أتباع مدرسته بل وقبلها وبعدهما الى اليوم، وان قتل مئات الالوف من المسلمين وحرقت مكاتبهم في شتى العصور ومختلف البلاد خير دليل على ما نقول، فهي اذن مما يستفاد منها سياسيا من قبل تلك الحكومة او ذلك الاستعمار، متى ماشاءت تلك أو شاء هذا، في ما اذا لم تعالج، ثم انها كما ذكرنا عقائد راسخة والسكوت عنها على مضمض لن يحقق وحدة بين المسلمين ولا تقاربا ولا تفاهما، بل يعمق الجرح ويوسع شقة الخلاف ويطيل أمدها. ولزيد التوضيح واقامة الدليل على ما بينت، أذكر بعض مشاهداتي من آثار مسائل الخلاف بين ابناء الامة الاسلامية في ما يأتي:

بعض ما شاهدت من آثار الخلاف بين ابناء الامة الاسلامية

اعتمدت في ما اشرت اليه آنفا من تكفير المسلمين بعضهم البعض الاخر وما ساذكره منها في ما يأتي مع انواع من استدلالهم بالاضافة الى ما ورد في الكتب المطبوعة الى مشاهداتي في اسفاري الى البلاد الاسلامية واجتماعي بعلماء فرق المسلمين ومفكرهم وابناء شعوبهم وخاصة في سفراتي العشر لحج بيت الله الحرام.

في السفارة الاولى

وكان مما رأيت في سفري الاول للحج على عهد الملك عبدالعزيز آل سعود: ان ركبنا - ركب الحاج العراقي - عندما بلغ مدينة الرماح من بلاد الحكومة السعودية، مكثنا فيها اربعا وعشرين ساعة واشترطنا جميعا في اداء الفرائض جماعة بمسجدهم ولما دنت ساعة الرحيل اجتمع علينا لفييف من اهالي المدينة يشاهدون رحيلنا فحضر حشدهم من بداعليه انه كان من ذوى معرفتهم، وخطب فيهم وأشار الى افراد الحاج وقال «هؤلاء مشركون» وقال ايضا «هؤلاء عيبكون على الحسن والحسين» ثم اشار اليي وقال: «هذا مطوعمهم لو يطيح بيدي اذبحوا والطع دموا» فانبرى له احد الحجاج وقال «لماذا نحن مشركون نحن حججنا بيت الله، زرنا قبر النبي...» فاذا به يرعد ويزبد ويقول له: «اشركت، لو يجي ابو ابوسعود ما يحامي عنك. ويش محمد: محمد رجلا مثلي» اى لا يستطيع الملك بسلطته ولا يستطيع جده سعود ان ينجيك مني. واى شيء كان محمدا محمد كان رجلا مثلي وقد مات وانتهى اثره.

فارتعد الحاج العراقي وقال: ماذا أقول؟ ماذا أقول؟ فقال له: قل ما هو ضار الا الله، ما هو نافع الا الله، فردد الحاج ما لقنه اياه، فانبرى له حاج عراقي آخر وقال له:

«محمد رجالاتك؟» فاكد قوله ثانية وقال: «محمد رجالاتك مثلي، مات» فقال له الحاج «محمد نزل عليه القرآن و ينزل عليك القرآن؟» فلم يجر جوابا، وبادرنا ركوب السيارات وتحركت بنا.

و كان في ركبنا حاج يحمل جواز سفر سعودي و يسكن العراق، فلما بلغنا الحدود وشاهده موظف الجوازات السعودي، انهره وقال له مستهزئا و مستنكرا: تترك بلاد الاسلام و تسكن بلاد الشرك فأخذ الحاج السعودي يتذلل له و يتخشع و يدعوه و يطلب جوازه حتى ارجع اليه جوازه!!!

في السفرة الثانية:

كان علماء العراق يومذاك يحملون هم إعادة الأحكام الاسلامية إلى المجتمع، يوقظون أبناء الأمة الاسلامية في سبيل المطالبة بها، في مساجدهم واحتفالاتهم ومهرجاناتهم ويعارضون السلطة في تشريعاتها قوانين مخالفة للأحكام الاسلامية، وكنا نتسم أخبار تحركات المسلمين في هذا السبيل في أي مكان كان، نؤيد ثورة الجزائر ضد فرنسا وندعم الثورة الفلسطينية بكل ما أوتينا من حول وقوة ونستطلع أخبار الثورة الأريترية ضد الأحباش ونرى من لوازم نجاح المعركة في سبيل إعادة الأحكام الاسلامية توعية المسلمين في هذا السبيل ثم تكاتفهم وتعاونهم في هذا الصدد ونسيان مسائل الخلاف في ما بينهم.

ولما نشبت المعركة الاسلامية في إيران بين سلطة الطاغوت وعلماء المسلمين يومذاك بدءاً بمعركتهم من المدرسة الفيضية في الجامعة الاسلامية الكبرى بقم في اليوم الخامس والعشرين من شوال سنة ١٣٨٢هـ، استبشرنا بها خيراً وحشدنا كل طاقاتنا لمساعدتها وجندنا أنفسنا لخدمتها، فقام علماء العراق بكل ما أوتوا من حول وقوة بتأييدها، جزاهم الله جميعاً خيراً.

وكنت ممن أقام الحفلات التأسيسية وأقمت ثلاث ليالٍ حفلة تأسيسية كبرى في بغداد، ألقى فيها خطاب توجيهية توضح أبعاد المعركة الاسلامية في إيران وآثارها ومغزاها.

في مثل هذا الظرف سافرت الى الحج وانا احمل معي شعارا واطروحة، شعارى الدعوة لتوحيد كلمة المسلمين في سبيل إعادة حياة اسلامية في البلاد الاسلامية واطروحتي النهضة الاسلامية المتمثلة بالنهضة الاسلامية التي بدت طلائعها في ايران من

قبل علماء المسلمين، وكنت أبذل الجهد في شرح دوافعها لقادة المسلمين ومفكرهم واستنهاضهم لمساعدتها وبيان ان معركة المسلمين في سبيل اعادة الاحكام الاسلامية واحدة وانه اذا نجحت المعركة في اى بلد اسلامي فانه ستنتشر آثارها الى غيرها و يعم المسلمين خبرها، وكلي أمل ورجاء أني سوف اجد اذنا صاغية لما أعرض من مأساة المسلمين في ايران مع بيان وحدة القضية ووحدة المصير.

اجتمعت في هذه السفارة بقيادة الاخوان المسلمين في سوريا وسعيد رمضان بمكة ومحمد آدم، رئيس الثورة الاريترية في موقف عرفات ومثقي الفلسطينيين في الاردن وبيت المقدس ومحرمي الصحف الاسلامية وعلماء المسلمين وخطبائهم وقادة الحركات الاسلامية امثال ابي الحسن الندوى وأبي الاعلى المودودي رئيس الجماعة الاسلامية بباكستان يومذاك الى غيرهم.

بدأت عملي في المدينة بالمساهمة في كتابة المناشير التي كانوا يُعدونها للتوزيع على الحجيج، فأجريت تعديلات على صيغ المناشير، شرحنا فيها أبعاد النهضة الاسلامية في إيران وتبين ظلم حكومة الطاغوت وعمالتها لدول الكفر، نستنهض فيها المسلمين لاعانة أبناء الأمة الاسلامية في إيران، ورجحت توزيعها ليلة العيد على الحجاج في المشعر الحرام، غير أنني بوغت مساء السابع من ذي الحجة في مكة المكرمة بأن الشيخ المسؤول عن توزيعها وزع بعضها في الحرم المكي الشريف فألقي القبض عليه وزج في السجن وحجزت النشرات كافة. فاجتمعنا نحن علماء العراق وإيران يوم العيد بولي العهد فيصل، يومذاك، نطلب منه اطلاق سراح الموقوف والنشرات المحجوزة، فاغتنمت الفرصة وقلت إن حكومتكم رفعت شعار تنفيذ أحكام القرآن في هذا البلد، وعليه يقتضي أن تُعينوا المسلمين الذين يجاهدون في سبيل تطبيق أحكام القرآن في بلادهم ويصدمون بحكومات بلادهم الذين يريدون تنفيذ أحكام الكفر، وأن تجعلوا من البلد الحرام ملجأً للمشردين منهم وتساعدوهم في شرح ظلامتهم لآخوانهم الحجيج، وذلك هو مصداق قوله تعالى: « ليشهدوا منافع لهم ». ثم ذكرت قيام علماء المسلمين في الجامعة الاسلامية الكبرى بقم وأسهب في شرح أبعاد النهضة الاسلامية الطالعة بإيران، وواجب قادة المسلمين خاصة الحكومة السعودية تجاهه، وختمت حديثي بشرح قضية العالم الذي وزع نشرات التظلم على المسلمين وتوقيفه، وجرت حول ذلك بيننا مناقشات، أدت إلى إطلاق سراح الموقوف.

ونشرت الصحف بعد اداء المناسك ورجوعنا الى مكة دعوة للحضور في المسجد الهندي بمكة مساء الجمعة للاستماع الى خطبة الاستاذ المودودي فحضرنا الاحتفال بعد صلاة العشاء والتقى الاستاذ المحاضر خطبة^١ ذكر فيها ثمانية امور تلزم المسلمين لاعادة الحياة الاسلامية الى المجتمع وتقدمت بعده خلف المذيع وخطبت معلقا على خطابه وقلت:

ان المسلمين في نهضتهم اليوم بحاجة الى ثلاثة امور:

اولاً - ان المسلمين بعد مضي اربعة عشر قرنا من بعثة الرسول الاكرم (ص) والظروف التي مرت عليهم بحاجة الى دراسة موضوعية مستوعبة لكيفية استنباط الاحكام من مصادر الشريعة الاسلامية ودراية الحديث وفقه السنة وترك البقاء على تقليد العلماء السلف في كل ذلك .

ثانياً - ان الغزاة الكفرة لبلاد الاسلام - المستعمرين - استطاعوا ان يشتموا كلمة المسلمين وبذلك استطاعوا ان يقضوا على كل حركة اسلامية في اى مكان تظهر، ثم شرحت ثورة الجزائر ضد الفرنسيين والاريتيريين ضد الاحباش وعلماء ايران ضد الطاغوت العميل واسهبت في شرحه واستنهضت همم المسلمين لمساعدتهم .
وذكرت ثالثاً اننا اليوم بحاجة الى ايمان كايمان ابي ذر وعمار وسمية وشرحت ماتحملوا من الاذى في ارض مكة التي نحن عليها في سبيل الاسلام .

* * *

وفي المدينة المنورة بلغ عميد الجامعة الاسلامية الشيخ عبدالعزيز بن باز خبر لقاءتي بالوفود الاسلامية وان احد علماء بغداد، من وصفه كذا وكذا، فظنني من اتباع مدرسة الخلفاء ورغب أن ازور الجامعة الاسلامية بالمدينة وكانت جديدة التأسيس وارسل الينا من سيارات الجامعة ما حملتنا اليها مع بعض علماء بغداد ومثقفها ووجهائها وكان اساتذتها قد اجتمعوا في بهو كبير بانتظارنا واستقبلونا فيه واحتشد على نوافذ البهو فريق من الطلاب لمشاهدتنا ولما استقر بنا الجلوس بدأت بعد حمد الله والثناء عليه بتقديم تحايا علماء المسلمين في العراق لهم وتهانيهم بتأسيسهم الجامعة الاسلامية في

(١) كان قد اعدّها ليلقيها في ندوات رابطة العالم الاسلامي التي دعي للاشتراك في جلسات تأسيسها، ولما لم يسمح له بذلك ألقاها في ذلك المسجد.

المدينة المنورة ثم قلت:

ان رسول الله (ص) لما حل بهذا البلد المبارك بدأ بعقد التآخي بين المسلمين المهاجرين والانصار، وبنى على ذلك التآخي مجتمعه الاسلامي المجيد وانتم بوجود طلبة من خمس واربعين دولة عندكم تستطيعون ان تقتدوا به وتقدموا هذه الخدمة الجليلة للاسلام والمسلمين. والمسلمون اليوم بأمس الحاجة اليها فانهم في شتى اصقاع الارض ابتلوا بالاستعمار - الغازي الكافر - منهم من يئن تحت وطأته مباشرة ومنهم من يسيطر عملاؤه عليهم وبدؤا اليوم يجاهدون الاستعمار وعملاءه فهذي الجزائر يجاهد مسلموها فرنسا ويجري عليهم... وفي اريتيريا يجاهد ثوارها هيلاسيلاسي امبراطور الحبشة ويجري عليهم... وعلماء المسلمين في ايران يجاهدون الطاغوت وسيده المستعمر و يكافحون لطرده اقسى استعمار كافر على وجه الارض لاعادة الاحكام الاسلامية الى البلد الاسلامي وجري عليهم كذا وكذا...

قلت هذا بعد ان أفضت الحديث عن مآسي التفرقة بين المسلمين وضربت الامثال لذلك وأتممت الحديث وجاء دور مضيفي الشيخ بن باز للحديث - وكان قد أنبى باني من أتباع مدرسة اهل البيت وكان ضريرا لا يبصر - فاذا به يتنحج ثم يقول بالحرف الواحد: «انتم مشركون أسلموا ثم اطلبوا من المسلمين أن يتحدوا معكم». فثار الدم في عروقي واشتركت معه في نقاش طويل وذكره خارج عن الصدد^١.

* * *

استمعت في سفراي الى الحج الى خطباء الجمعة والجماعة في مكة والمدينة واشتركت في النقاش احيانا مع الخطباء بين صلاتي المغرب والعشاء بمسجد الخيف وحضرت ندوات رابطة العالم الاسلامي بمكة مستمعا واجتمعت في اسفارى بعلماء مصر وخاصة الازهر الشريف وسائر بلاد المسلمين في لبنان وبلاد الخليج والهند وباكستان وكشمير وغيرها وطارحتهم سمعت احيانا ما لا يصلح نقله اليوم وادركت من خلال مطارحاتي مع مفكري المسلمين وعلمائهم وقادتهم - ولا ينبك مثل خبير - انه لن يتحقق اى تقارب او تفاهم بين المسلمين دون تدارس مسائل الخلاف والبحث عن

(١) انما اشرت الى احاديثي في هذه السفارة ليعلم مدى اخلاصي للشعار الذي كنت ارفعه والاطروحة التي كنت اطرحها وحيانا كان الالم يعصر قلبي حين التحدث والدمع ينحدر من عيني. واذا بي أجابه تلك المجابهة الفظة من هذا الشيخ.

منشئها ثم المبادرة الى علاجها واذا كان لا بد لنا من معرفة منشأ الخلاف في مسائل
 الخلاف من اجل علاجها فسنذكر في ما يأتي امثلة منها ثم نختم البحوث بما ينبغي ان
 نعمله في سبيل علاج مسائل الخلاف بحوله تعالى.

بعض صفات الله جل اسمه ومنشأ الخلاف حولها

في المسلمين من يرى أن الله:
خلق آدم على صورته^١. وأن له أصابع^٢ وساقا^٣ وقدماء.
وأنه يضع قدمه يوم القيامة على نار جهنم أو على جهنم فتقول قط، قط، قط^٤.
وأن له مكانا، وأنه ينتقل من مكان إلى مكان، وذلك لما رووا: أن رسول الله

قال:

«كان ربنا قبل أن يخلق خلقه في عماء—أي ليس معه شيء—ما تحته هواء،
وما فوقه هواء، وما ثم، خلق عرشه على الماء^٥».

(١) صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، باب بدء السلام.
صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير الحديث ٢٨،
وكتاب البر، باب النبي عن ضرب الوجه الحديث ١١٥، وارشاد الساري ج ١٠/٤٩٠، ومسند أحمد ج ٢/٢٤٤
و ٢٥١، و ٣٦٥ و ٣٢٣ و ٤٢٤ و ٤٦٢ و ٥٦٩.

(٢) صحيح البخاري، تفسير سورة الزمرج ٢/١٢٢ و كتاب التوحيد، باب قول الله: لما خلقت بيدي
ج ٤/١٨٦ و باب وجوه يومئذ ناظرة ج ٤/١٩٢.

صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، الحديث: ١٩، ٢١، ٢٢.

(٣) صحيح البخاري، تفسير قوله تعالى «يوم يكشف عن ساق» من سورة ن والقلم، الآية ٤٣.

(٤) صحيح البخاري، تفسير سورة ق، وكتاب التوحيد، باب أن رحمة الله قريب من المحسنين، ج

١٩١/٤

والترمذي، كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في خلود أهل الجنة وأهل النار
وصحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها

الضعفاء، الحديث: ٣٥ و ٣٦ و ٣٧ و ٣٨.

(٥) سنن ابن ماجه، المقدمة، باب في ما انكرت الجهمية الحديث رقم ١٨٢.



وأنه قال:

أن عرشه على سماواته كهكذا، وقال بأصابعه مثل القبة عليه، وانه ليئط به
أطيظ الرجل بالراكب^١.

وانه قال: ينزل الله في آخر الليل الى السماء الدنيا فيقول من يسألني فأستجيب
له ومن يسألني فأعطيه...^٢.

وأنه قال: ينزل في ليلة النصف من شعبان الى السماء الدنيا فيغفر...^٣.

وانه قال عن يوم القيامة:

يقال لجهنم هل امتلأت وتقول: هل من مزيد فيضع الرب تبارك وتعالى قدمه
عليها فتقول: قط قط.

وفي رواية:

فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع رجله فتقول قط قط فهناك تمتلئ ويزوى
بعضها الى بعض^٤.

سنن الترمذي، تفسير سورة هود، الحديث الاول وفيه العناء - أى ليس معه شيء، ومسنند أحمد
ج ١١/٤ و ١٢.

(١) سنن أبي داود، كتاب السنة، باب في الجهمية، رقم الحديث ٤٧٢٦.

وسنن ابن ماجة المقدمة باب في ما أنكرت الجهمية.

وسنن الدارمي، كتاب الرقائق، باب في شأن الساعة ونزول الرب تعالى

وراجع كتاب التوحيد لمحمد بن عبد الوهاب (ت ١٢٠٦ هـ) ومنهاج السنة.

(٢) صحيح البخاري. كتاب التهجيد، باب الدعاء والصلاة في آخر الليل، وكتاب التوحيد باب قوله

تعالى «يريدون أن يبدلوا كلام الله»، وكتاب الدعوات باب الدعاء نصف الليل.

صحيح مسلم، كتاب الدعاء، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل.

وسنن أبي داود، كتاب السنة، باب في الرد على الجهمية، الحديث رقم ٤٧٣٣

سنن الترمذي، كتاب الصلاة، باب ماجاء في نزول الرب الى السماء الدنيا كل ليلة ج ٢/٢٣٣ و ٢٣٥

وكتاب الدعوات، باب حدثني الانصاري ج ١٣/٣٠.

وسنن ابن ماجة، كتاب اقامة الصلاة، باب ماجاء في أي ساعات الليل أفضل، الحديث رقم ١٣٦٦.

وسنن الدارمي، كتاب الصلاة، باب ينزل الله الى السماء الدنيا.

وموطأ مالك، كتاب القرآن، باب ٣٠.

ومسنند أحمد ج ٢/٢٦٤، ٢٦٧، ٢٨٢، ٤١٩، ٤٣٣، ٤٨٧، ٥٠٤، ٥٢١ ج ٣/٣٤، ج ٤/١٦

(٣) سنن الترمذي، أبواب الصوم، باب ماجاء في ليلة النصف من شعبان

سنن ابن ماجة، كتاب اقامة الصلاة، باب ماجاء في ليلة النصف من شعبان مسند أحمد ج ٢/٤٣٣.

(٤) تكلتا الروايتان عن الصحابي أبي هريرة في تفسير سورة ق من صحيح البخاري، ج ٣/١٢٨ وفي باب

←

حول رؤيته:

رووا ان رسول الله (ص) يرى ربه يوم القيامة.
فقد قال (ص): ياتيني/ المؤمنون للشفاعة بعد اياء الانبياء من الشفاعة.
«فأنطلق فأستئذن على ربي فيؤذن لي فاذا رأيت ربي وقعت ساجدا — الى
قوله — ثم أشفع فيحد لي حدا فأدخلهم الجنة ثم أرجع فاذا رأيت ربي وقعت ساجدا...»
الحديث ١.

وأنه قال:

أن الله تبارك وتعالى ينزل يوم القيامة الى العباد ليقضي بينهم ٢.
وأنه قال:

انكم سترون ربكم عيانا ٣.

وأن المسلمين يرون ربهم يوم القيامة كما يرون القمر لا يضامون في رؤيته ٤.
وأن الله يقول يومئذ:

من كان يعبد شيئاً فليتبّع، فمنهم من يتبع الشمس ومنهم من يتبع القمر ومنهم
من يتبع الطواغيت وتبقى هذه الامة فيها منافقوها فيأتيهم الله في غير الصورة التي يعرفون
فيقول: أنار بكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فاذا أتانا ربنا
عرفناه، فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم فيقولون: أنت ربنا
فيتبعونه... ٥.

→ «وجوه يومئذ ناضرة» من كتاب التوحيد منه، ج ٤/١٩١.

وعن أنس حديث القدم في باب قول الله تعالى وهو العزيز الحكيم «سبحان ربك...» من كتاب
التوحيد منه ج ٤/١٢٩.

وراجع سنن الترمذي، كتاب الجنة، باب ماجاء في خلود اهل الجنة واهل النار ج ١٠/مسند
احمد ٢/٣٩٦.

(١) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى «لما خلقت بيدي» ج ٤/١٨٥ وفي باب
قول الله تعالى «وجوه يومئذ ناضرة» بتفصيل أو في راجع ج ٤/١٩٠ منه.

(٢) سنن الترمذي، كتاب الزهد، باب ماجاء في الرياء والسمعة.

(٣) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى «وجوه يومئذ ناضرة» ج ٤/١٨٨.

(٤) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى «وجوه يومئذ ناضرة» وكتاب الصلاة،
باب فضل صلاة العصر و باب وقت العشاء الى نصف الليل وكتاب التفسير باب سورة ق.
صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب فصل صلاتي الصبح والعصر والحفاظة عليها.

(٥) صحيح البخاري، باب قول الله تعالى «وجوه يومئذ ناضرة» ج ٤/١٨٨ وراجع تفسير سورة ق منه
ج ٣/١٢٨. صحيح مسلم، كتاب الايمان، باب اثبات رؤية المؤمنين في الآخرة لربهم.

وفي رواية:

حتى اذا لم يبق الا من كان يعبد الله من برّ وفاجر أتاهم رب العالمين في أدنى صورة من التي رأوه فيها فيقال: ماذا تنظرون، تتبع كل أمة ما كانت تعبد، قالوا... نحن ننتظر ربنا الذي نعبد. فيقول أنار بكم فيقولون لانشرک بالله شيئاً مرتين أو ثلاثاً... فيقول هل بينكم وبينه علامة فتعرفونه بها فيقولون الساق فيكشف عن ساق (ثم يسجدون) ^١. ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة، فقال أنار بكم فيقولون أنت ربنا ^٢.

في الجنة

وأنه قال عن المؤمنين في الجنة:

ما بينهم وما بين أن ينظروا الى رهم الا رداء الكبر على وجهه في جنة عدن ^٣.

وأن أهل الجنة اذا دخلوها يقول الله تبارك وتعالى:

تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب اليهم من النظر الى رهم عزوجل ^٤.
وأن رسول الله (ص) قال:

بيننا أهل الجنة في نعيمهم اذ سطع لهم نور، فرفعوا رؤوسهم، فاذا الرب قد أشرف عليهم من فوقهم فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة!! قال:
وذلك قول الله «سلام قولاً من رب رحيم» قال: فينظر اليهم وينظرون اليه فلا يلتفتون الى شيء من النعيم، ماداموا ينظرون اليه حتى يحتجب عنهم ويبقى نوره وبركته ^٥.

(١) ما بين القوسين ملخص من لفظ الحديث في السجدة.

(٢) صحيح مسلم كتاب الايمان، باب معرفة طريق الرؤية الحديث: ٢٩٩ واللفظ منه.

وصحيح البخاري في تفسير سورة النساء، باب قوله ان الله تعالى لا يظلم مثقال ذرة (ج ٣/٨٠) واللفظ فيه مختصر، وكذلك في كتاب التوحيد منه، باب قول الله تعالى وجوه يومئذ ناضرة (ج ٤/١٨٩).

لو تفضل الرءون رهم ووصفوا لنا صورة رهم التي رأوه عليها وساقه التي هي علامة بينهم وبين رهم لكان ذلك فضلاً منهم كبيراً يشكرون عليه ويحمدون.

(٣) صحيح البخاري كتاب التوحيد باب قول الله تعالى وجوه الى رهم... (ج ٤/١٩١).

وفي صحيح مسلم كتاب الايمان باب اثبات رؤية المؤمنين في الآخرة رهم، الحديث: ٢٩٦.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الايمان، باب اثبات رؤية المؤمنين في الآخرة رهم، الحديث ٢٩٧.

(٥) سنن ابن ماجه، كتاب المقدمة، باب في ما انكرت الجهمية الحديث ١٨٤.

وأنه قال... أكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشيا ثم قرأ رسول الله (ص) «وجوه يومئذ ناظرة الى ربهم ناظرة»^١.

وان رسول الله (ص) اخبر وقال ان اهل الجنة يزورون الله عزوجل و يبرز لهم عرشه و يتبدي لهم في روضة من رياض الجنة ولا يبقى في ذلك المجلس احد الا حاضره الله عزوجل محاضرة حتى انه يقول للرجل منكم: «الا تذكر يا فلان يوم عملت كذا وكذا» فيقول يا رب افلم تغفر لي، فيقول «بلى...» ثم ننصرف الى منازلنا فتلقانا ازواجنا فيقلن اهلا ومرحبا لقد جئت وان بك من الجمال والنور والطيب افضل مما فارقتنا عليه فنقول انا جالسنا اليوم ربنا عزوجل ومحققنا ان ننقلب بمثل ما انقلبنا^٢.

* * *

نكتفي بايراد ما أوردنا من الاحاديث الكثيرة الوفيرة في صفات أعضاء الله ورؤية العباد ربه يوم القيامة لاننا بصدد ضرب المثل لبيان منشأ الخلاف ولسنا بصدد الاحصاء وندرس في ما يأتي الخلاف حول تأويل هذه الاحاديث.

الخلاف على تأويل تلكم الاحاديث

في المسلمين من يؤمن بظواهر تلكم الاحاديث و يرى الايمان بها ايمانا بالله ودليلا على القول بتوحيده تعالى. و يسمون من يؤولها الى غير معنى الجسمية: بمعطلة الصفات، أي معطلة صفات الله.

وقد دون مسلم تلك الاحاديث في كتاب الايمان من صحيحه والبخارى في كتاب التوحيد من صحيحه.

وألف ابن خزيمة كتابا سماه «التوحيد واثبات صفات الرب عزوجل التي وصف بها نفسه في تنزيله وعلى لسان نبيه نقل الاخبار الصحيحة نقل العدول عن العدول من غير قطع في اسناد ولا جرح في ناقلي الاخبار الثقات»^٣. وهذا فهرس بعض أبواب الكتاب كما جاء في آخره:

(١) سنن الترمذي، كتاب صفة الجنة باب رؤية الرب، ج ١٠/١٨ - ١٩.

(٢) سنن الترمذي ابواب صفة الجنة باب ما جاء في سوق الجنة (ج ١٠/١٦).

سنن ابن ماجه كتاب الزهد باب صفة اهل الجنة الحديث: ٤٣٣٦ ص: ١٤٥١.

(٣) هو الحافظ الكبير امام الائمة محمد بن اسحاق بن خزيمة (ت: ٣١١هـ)، استاذ البخارى ومسلم في

الحديث، طبع الكتاب سنة ١٣٧٨هـ. نشر مكتبة الكليات الازهرية بميدان الازهر في القاهرة.

راجع ترجمة المؤلف في مقدمة الكتاب.

أبواب كتاب ابن خزيمة

ص

٦	اثبات النفس لله
١٠	اثبات وجه لله
١٩	باب ذكر صورة ربنا جل وعلا
٤٢	باب ذكر اثبات العين لله جل وعلا
٤٤	باب اثبات السماع والرؤية لله جل وعلا
٥٣	باب اثبات اليد
٨٠	باب ذكر اثبات الرجل لله عز وجل
١٦٧	باب ذكر البيان أن الله عز وجل ينظر إليه جميع المؤمنين
١٧٨	باب ذكر البيان أن جميع المؤمنين يرون الله يوم القيامة مخليا به
	والف الامام الحافظ عثمان بن سعيد الدارمي (ت ٢٨٠هـ) في الرد على الجهمية ومن ابوابه:
	باب استواء الرب على العرش وارتفاعه الى السماء وبينوته من الخلق.
	باب النزول ليلة النصف من شعبان.
	باب النزول يوم عرفة
	باب نزول الرب يوم القيامة للحساب
	باب نزول الله لاهل الجنة
	باب الرؤية ^١ .

وألف الذهبي كتاب (العلو العال للعلي الغفار)^٢ أورد فيه الايات والاحاديث التي يفهمون منها أن مكان الله في العلو المكاني، ثم ذكر أقوال الصحابة والتابعين والعلماء والمحدثين في تأييد ذلك .

(١) ط. ليدن سنة ١٩٦٠م.

(٢) الامام الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ) نشر المكتبة

السلفية في المدينة المنورة، باب الرحمة، ط. الثانية سنة ١٣٨٨هـ.

منشأ الخلاف حول بعض صفات الله ورؤيته

في المسلمين من درسنا آراءهم في صفات الله المذكورة وفيهم من يتلوف في ردتلهم الاقوال، قول الله تعالى: «لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار». ويقول: ان قول الله «وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة» أي الى أمر ربها ناظرة «أي منتظرة وذلك مثل قوله تعالى في حكاية قول اولاد يعقوب لا بيهم» واسأل القرية التي كنا فيها «أي وأسأل أهل القرية» قدر (امر) في تلك الاية وفي هذه الاية (أهل) وهكذا تؤول سائر الايات التي ظاهرها يدل على أن الله تبارك وتعالى جسم. ويسمون اهل تلك الاقوال بالمجسمة والمشبهة أي الذين يشبهون ربهم بمخلوقاته ويقولون انه جسم.

ويروون عن الامام جعفر بن محمد الصادق انه قال: من زعم ان الله فوق العرش فقد صير الله محمولا ولزمه أن الشئ الذي يحمله أقوى منه، ومن زعم أن الله في شئ، أو على شئ أو يخلو منه شئ أو يشغل به شئ، فقد وصفه بصفة المخلوقين والله خالق كل شئ، لا يقاس بالقياس ولا يشبه بالناس، لا يخلو منه مكان، ولا يشغل به مكان^١.

يستشهدون بقول الامام علي (ع):

ان الله لا ينزل ولا يحتاج أن ينزل وانما يقول ذلك من ينسبه الى نقص وزيادة وكل متحرك يحتاج الى من يحركه أو يتحرك به فاحذروا في صفاته من أن تقضوا له على حد تحذونه بنقص أو زيادة أو تحريك أو تحرك أو زوال أو استنزال أو نهوض أو قعود^٢. وقال الراوى للامام علي بن موسى الرضا:

انا روينا ان الله عزوجل قسم لموسى الكلام ولمحمد الرؤية فقال ابوالحسن - الرضا - فمن المبلغ عن الله عزوجل الى الثقلين الجن والانس «لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار ولا يحيطون به علما وليس كمثل شئ ليس محمدا (ص) قال: بلى، قال: فكيف يجيى رجل الى الخلق جميعا فيخبرهم انه جاء من عند الله وانه يدعوهم الى

(١) راجع الكافي ج ١ / كتاب التوحيد

والتوحيد للصدوق

والبهار للمجلسي ج ٤ ط الجديدة. كتاب التوحيد

(٢) الكافي باب ابطال الرؤية.

التوحيد للصدوق.

البهار للمجلسي ج ٤ باب نبي الرؤية.

الله بأمر الله و يقول «لا تدركه الابصار... الايات ثم يقول انا رأيت به بعيني واحطت به علما وهو على صورة البشر اما تستحون: ما قدرت الزنادقة ان ترميه بهذا ان يكون يأتي عن الله بشيء ثم يأتي بخلافه من وجه آخر.

قال الراوى فانه يقول: «ولقد رآه نزلة اخرى» فقال ابوالحسن ان بعد هذه الاية ما يدل على ما رأى حيث قال: ما كذب الفؤاد ما رأى، يقول ما كذب فؤاد محمد (ص) ما رأته عيناه ثم اخبر بما رأى يقول ما كذب فؤاد محمد (ص) ما رأته عيناه ثم اخبر بما رأى فقال: لقد رأى من آيات ربه الكبرى آيات الله عزوجل غير الله وقد قال: «ولا يحيطون به علما» فاذا رآته الابصار فقد احاطت به العلم ووقعت المعرفة، فقال ابوقرة فتكذب بالروايات فقال ابوالحسن (ع) اذا كانت الروايات مخالفة للقرآن كذبت بها...^١



وهكذا بين ائمة اهل البيت تفسير الآيات التي فيها شبهة رؤية الله وتجسيمه وكشفوا عن المقصود عن الساق واليد والعرش ونظائرهما في الآيات الكريمة وان الله خلق آدم على صورته في الحديث^٢ وتركنا ايرادها لاننا لسنا بصدد ايراد ادلة المدرستين واستقصاء ادلتها في ما ارتأيا بل اردنا ان نورد امثلة مما ورد من الاحاديث المتعارضة في صفات الله لدى المدرستين وان احاديث كل مدرسة تؤول آيات القرآن باتجاهها الخاص، وانه هكذا نشأ الخلاف حول صفات الله ثم ندرس في ما يأتي منشأ الخلاف في بعض صفات الانبياء بحوله تعالى:

(١) توحيد الصدوق ط. تهران سنة ١٣٨٧ هـ ق ص ١١١ - ١١٢ واحاطت به العلم اى احاطت به

الابصار علما وقد اوردنا الحديث موجزا

(٢) يراجع بشأن صفات الله كتب الكافي للشيخ الكليني والتوحيد وعيون اخبار الرضا للشيخ

الصدوق.

الخلاف في صفات الانبياء وما خصهم الله بها ومنشؤها

يرى البعض حول صفات الانبياء:

ان التبرك بآثار الانبياء وإتخاذ قبورهم محلا للعبادة شرك .
وأن البناء على قبورهم في حد الشرك .
وأن الاحتفال بأيام مواليدهم و مواليد الاولياء معصية و بدعة محرمة .
وأن التوسل الى الله بغيره في حد الشرك ، والاستشفاع برسول الله (ص) بعد وفاته مخالف للشرع الاسلامي .
ويستدل مخالفوهم بما يأتي :

أ - التبرك بآثار الانبياء

يستدلون في مشروعية التبرك بآثار الانبياء بما تواتر نقله في جميع كتب الحديث أن الصحابة تبركوا برسول الله (ص) وآثاره في حياة الرسول (ص) بمباشرة ، و دعوته بذلك ، وتبركوا - أيضا - بآثاره بعد وفاته ، وفي ما يأتي بعض ما يستدلون به :

التبرك ببصاق النبي

في صحيح البخارى عن سهل بن سعد في باب ما قيل في لواء النبي (ص) من كتاب المغازي^١ ان رسول الله (ص) قال يوم خيبر لا عطين هذه الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم

ايهم يعطاها فلما اصبح الناس غدوا على رسول الله (ص)، كلهم يرجوان يعطاها فقال:
 اين علي فقيل: هويا رسول الله يشتكي عينيه، فارسل فأتي به... ولفظه في كتاب
 الجهاد والسير^١ (فأمر فدعي له فبصق في عينيه فبرأ مكانه حتى كأنه لم يكن به شيء...)
 الحديث.

وفي لفظ مسلم بن الاكوع بصحيح مسلم:

قال فأتيت عليا فجئت به اقوده وهو ارمد حتى اتيت به رسول الله (ص) فبصق
 في عينيه فبرأ واعطاه الراية... الحديث^٢.

التبرك بوضوء النبي

في صحيح البخارى عن انس بن مالك قال: رأيت رسول الله (ص) وحانت
 وقت صلاة العصر فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه فأتى رسول الله (ص) بوضوء فوضع
 رسول الله في ذلك الاناء يده وامر الناس ان يتوضأوا منه فرأيت الماء ينبع من تحت
 اصابعه حتى توضوا من عند آخرهم^٣.

التبرك بنخامة النبي

روى البخارى في صلح الحديبية عن عروة بن مسعود قال عن رسول الله (ص)
 واصحابه.

والله ماتنخم رسول الله (ص) نخامة الا وقعت في كف رجل منهم فذلك بها
 وجهه وجلده وانه اذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه^٤.

التبرك بشعر النبي (ص)

روى مسلم في صحيحه:

(١) باب دعاء النبي الى الاسلام ج ٢/١٠٧.

(٢) صحيح مسلم كتاب الجهاد والسير الحديث ١٣٢.

(٣) صحيح البخارى كتاب الوضوء باب التماس الوضوء اذا حانت الصلاة ج ١/٣١.

(٤) صحيح البخارى كتاب الشروط / باب (الشروط في الجهاد والمصالحة مع اهل الحرب وكتابة
 الشروط).

وكتاب الوضوء منه باب البزاق والمخاط ونحوه... ٣٨/١ وباب استعمال فضل وضوء الناس... ٣٣/١

وميسند احمد ٤/٣٢٩، ٣٣٠.

ان رسول الله (ص) اتى منى وحلق رأسه بعد ان رمى ونحر «ثم جعل يعطيه الناس».

وفي رواية اخرى:

انه دعا الحالق فحلقه فاعطاه ابا طلحة فقال: اقسمه بين الناس^١.

وروى ايضا عن انس قال:

لقد رأيت رسول الله (ص) والحلاق يحلقه واطاف به اصحابه. فما يريدون ان

تقع شعرة الا في يد رجل^٢.

وفي ترجمة خالد باسد الغابة:

ان خالد بن الوليد كان له الاثر المشهور في قتال الفرس والروم، وافتتح

دمشق، وكان في قلنسوته التي يقاتل بها شعر من شعر رسول الله (ص) يستنصر به و

ببركته، فلا يزال منصورا.

وفي ترجمته — ايضا — باسد الغابة والاصابة ومستدرك الحاكم واللفظ له:

ان خالد بن الوليد فقد قلنسوة له يوم اليرموك فقال اطلبوها، فلم يجدوها ثم

طلبوها فوجدوها واذا قلنسوة خلفة فقال خالد اعتمر رسول الله (ص) فحلق رأسه وابتدر

الناس جوانب شعره فسبقتهم الى ناصيته فجعلتها في هذه القلنسوة فلم اشهد قتالا وهي

معي الا رزقت النصر^٣.

وروى البخاري:

انه كان عند ام سلمة زوج النبي (ص) شيء من شعر النبي فاذا اصاب انسانا

(١) صحيح مسلم كتاب الحج

(باب: بيان ان السنة يوم النحر ان يرمى ثم ينحر ثم يحلق، والابتداء في الحلق بالجانب الايمن من راس

المحلق) (ح / ٣٢٣) و (ح / ٣٢٦).

وراجع الحديث ٣٢٤ و ٣٢٥ منه في سنن ابي داود بكتاب المناسك باب

ابن سعد ١٣٥/١ ومسند احمد ١١١/٣، ١٣٣ و ١٣٧ و ١٤٦ و ٢٠٨ و ٢١٤ و ٢٣٩ و ٢٥٦ و ٢٨٧ و ٤٢/٤

ومغازي الواقدي ص ٤٢٩

(٢) صحيح مسلم كتاب الفضائل باب قرب النبي (ص) من الناس وتبركهم به الحديث ٧٤ ص

١٨١٢

(٣) المستدرك للحاكم كتاب معرفة الصحابة كتاب مناقب خالد ج ٣/٢٩٩ واللفظ له وبترجمة خالد

في اسد الغابة والاصابة وموجز الخبر بمنخب كنز العمال بهامش مسند احمد ١٧٨/٥ تاريخ ابن كثير ج ٧/١١٣.

عين أرسلوا اليها قدحا من الماء تغمس الشعر فيه فيداوى من أصيب^١ .
وفي صحيح البخاري وغيره:

قال عبدة لان تكون عندي شعرة منه — أي النبي — أحب الي من الدنيا وما فيها^٢ .

التبرك بسهم النبي (ص)

روى البخاري في صلح الحديبية وقال:

«نزل الرسول (ص) بجيشه في أقصى الحديبية على ثمذ قليل الماء يتبرضه الناس تبرضا فلم يلبثه الناس حتى نزحوه وشكوا لى رسول الله (ص) العطش فانتزع سهما من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه فوالله ما يزال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه^٣ .

التبرك بموضع كف النبي (ص)

في ترجمة حنظلة من الاصابة ومسند احمد ما موجزه:

قال حنظلة دنا بي جدي الى النبي (ص) فقال ان لي بنين ذوي لحي ودون ذلك وان ذا أصغرهم فادع الله له فمسح رأسه وقال: بارك الله فيك أو بورك فيه، قال الراوي فلقد رأيت حنظلة يؤتى بالانسان الوارم وجهه أو البهيمة الوارمة الضرع فيتفل على يديه و يقول: باسم الله و يضع يده على رأسه و يقول على موضع كف رسول الله (ص) فيمسحه عليه وقال الراوي فيذهب الورم^٤ .

وفي لفظ الاصابة: و يقول باسم الله و يضع يده على رأسه موضع كف رسول الله فيمسحه عليه ثم يمسح موضع الورم فيذهب الورم.

* * *

كان انتشار البركة من رسول الله (ص) الى من حوله كانتشار الضوء من

(١) أوردناه ملخصا من صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب ما يذكر في الشيب، ج ٤/٢٧.
(٢) صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب الماء الذي يغسل به شعر الانسان ج ١/٣١. ومسند أحمد ٣٢٩/٤ و ٣٣٠. وسيرة ابن هشام.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الشروط، (باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب و كتابة الشروط ج ٢/٨١ وراجع كتاب المغازي منه، باب غزوة الحديبية، وراجع طبقات ابن سعد ج ٣/٢٩، و باب ذكر علامات بعد نزول الوحي ج ١/١ ق ١/١١٨، ومغازي الواقدي ص ٢٤٧.

(٤) مسند أحمد ٦٨/٥ وتفصيله بترجمة حنظلة بن حذيم بن حنيفة التيمي في الاصابة وفي لفظه، وأورد

الشمس والشذى من الزهر، لا ينفك عنه ايما حل، في صغره وكبره، سفره وحضره ليله ونهاره، سواء أكان في خباء حليلة السعدية رضيعا، أم في سفره الى الشام تاجرا أم في خيمة أم معبد مهاجرا، أم في المدينة قائدا وحاكما، وما أوردناه أمثلة من أنواعها وليس من باب الاحصاء فان احصائها لا يتيسر للباحث، وفي ما أوردناه الكفاية لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد. وندرس بعد هذا في مايلي مسألة الاستشفاع برسول الله (ص) ثم ندرس منشأ الخلاف في جملة ميزات رسول الله على سائر الناس ان شاء الله تعالى:

ب - الاستشفاع برسول الله (ص)

يستدل القائلون بمشروعية التوسل برسول الله (ص) والاستشفاع به في كل زمان بأن ذلك وقع برضا من الله قبل ان يخلق النبي وفي حياته و بعد وفاته وكذلك يقع يوم القيامة وفي ما يأتي الدليل على ذلك:

أ - التوسل بالنبي قبل أن يخلق:

روى جماعة منهم الحاكم في المستدرک من حديث عمر بن الخطاب (رض) أن آدم لما اقتترف الخطيئة قال: (يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي، فقال الله وكيف عرفت محمدا ولم أخلقه؟ قال يارب لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت قوائم العرش مكتوب عليها «لا اله الا الله محمد رسول الله» فعرفت لم تضيف الى اسمك الا أحب الخلق اليك فقال الله تبارك وتعالى صدقت يا آدم انه لا أحب الخلق الي اذ سألتني بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك).

وذكره الطبراني وزاد فيه «وهو آخر الانبياء من ذريتك»!

وأخرج المحدثون والمفسرون في تفسير الاية «ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين».

ان اليهود من اهل المدينة وخيبر اذا قاتلوا من يليهم من مشركي العرب من



الخبر أيضا بأسناد اخرى.

(١) مستدرک الحاكم كتاب التاريخ في اخر كتاب البعث، ج ٢/٦١٥ ومجمع الزوائد ٨/٢٥٣ وتحقيق

النصرة للمراغي (ت: ٨١٦هـ)، ص ١١٣ - ١١٤. وهو الذي نقله عن الطبراني.

الايوس والخزرج وغيرهما قبل أن يبعث النبي كانوا يستنصرون به عليهم ويستفتحون لما يجدون ذكره في التوراة فيدعون على الذين كفروا ويقولون: «اللهم انا نستنصرك بحق النبي الامي الا نصرتنا عليهم» أو يقولون «اللهم ربنا انصرنا عليهم باسم نبيك...^١ فينصرون فلما جاءهم كتاب من عند الله وهو القرآن مصدق لما معهم وهو التوراة والانجيل وجاءهم ما عرفوا وهو محمد (ص) ولم يشكوا فيه كفروا به لانه لم يكن من بني اسرائيل.^٢

ج - التوسل بالنبي في حياته.

روى احمد بن حنبل والترمذي وابن ماجه والبيهقي عن عثمان بن حنيف ان رجلا ضرير البصر أتى النبي (ص) فقال ادع الله ان يعافيني، قال ان شئت دعوت وان شئت صبرت فهو خير لك، قال فادعه، قال فأمره ان يتوضأ فيحسن وضوءه و يدعوه بهذا الدعاء:

«اللهم اني أسالك واتوجه بنبيك محمدني الرحمة يا محمداني توجهت بك الى ربي في حاجتي لتُقضى لي، اللهم شفعه في»^٣ صححه البيهقي والترمذي.
التوسل بالنبي بعد وفاته

روى الطبراني في معجمه الكبير من حديث عثمان بن حنيف.
ان رجلا كان يختلف الى عثمان بن عفان (رض) في حاجة له فكان لا يلتفت اليه ولا ينظر في حاجته فلقى ابن حنيف فشكا اليه ذلك، فقال عثمان بن حنيف انت

(١) يظهر من الروايات أنهم كانوا يدعون بأمثال هذه الادعية مما فيه التوسل بالنبي الى الله جل اسمه.

(٢) تواترت الروايات بالمضمون الذي أوردناه في كل من:

دلائل النبوة للبيهقي ص ٣٤٣ - ٣٤٥ وتفسير الاية ٨٩ من سورة البقرة وتفسير محمد بن جرير الطبري ج

٣٢٤/١ - ٣٢٨ وتفسير النيسابوري بهامشه ج ٣٣٣/١.

والحاكم بتفسير الاية ٨٩ بسورة البقرة من كتاب التفسير بمستدركه ج ٢٦٣/٤ وتفسير السيوطي عن

دلائل النبوة لابي نعيم وتفسير محمد بن عبد حميد وتفسير ابي محمد عبدالرحمن بن أبي حاتم بن ادريس الرازي وتفسير ابوبكر محمد بن ابراهيم المنذر النيسابوري.

(٣) مسند أحمد ١٣٨/٤. وسنن الترمذي، كتاب الدعوات ج ٨٠/١٣ - ٨١ وسنن ابن

ماجة، كتاب اقامة الصلاة والسنة فيها، باب ماجاء في صلاة الحاجة الحديث ١٣٨٥ ص ٤٤١ وابن الاثير بسنده بترجمة عثمان بن حنيف من اسد الغابة والبيهقي برواية صاحب تحقيق النصرة عنه. تحقيق النصرة/١١٤.

وأوردنا لفظ امام الخنابلة أحمد لان المنكرين للشفاعة من أتباع الشيخين ابن تيمية وابن عبدالوهاب من

أتباع ابن حنبل.

المیضاة فتوضأ ثم ائت المسجد فصل ركعتين ثم قل:

اللهم اني اسألك وأتوجه اليك بنبينا محمد (ص) نبي الرحمة، يا محمد اني اتوجه بك الى ربي فتقضي حاجتي وتذكر حاجتك . فانطلق الرجل فصنع ما قال له ثم أتى باب عثمان بن عفان فجاءه البواب فأخذ بيده، فادخله على عثمان فأجلسه معه على الطنفسة فقال: ما حاجتك؟ فذكر حاجته فقضاها له ثم قال له ما ذكرت حاجتك حتى كانت الساعة وقال ما كان لك من حاجة فاذا كرها^١.

الاستشفاع بالعباس عم النبي (ص)

في صحيح البخاري أن عمر بن الخطاب (رض) كان اذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبدالمطلب فقال: اللهم انا كنا نتوسل بنبينا فتسقيننا وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا، قال فيسقون^٢.
كان الاستشفاع بالعباس لانه عم رسول الله (ص) وليس لصفة أخرى فيه.

* * *

مع وجود هذه الاحاديث من سنة الرسول (ص) لا ينبغي أن يكون ثمة خلاف في مسألة صفات الانبياء وخاصة خاتم الرسل المذكورة وما فضلهم الله بها، وخصهم على سائر الناس، وفي ما يأتي سند ذكر بعض مانراه سببا للخلاف في صفات خاتم الرسل خاصة.

منشأ الخلاف حول صفات رسول الله (ص)

مع صراحة النصوص المتواترة المذكورة آنفا حول بعض صفات الانبياء كيف نشأ الخلاف حولها؟

الجواب انا اذا انعمنا النظر في روايات حجة اخرى رويت في انتقاص شأن الانبياء وانتشرت في كتب الحديث مما تنزل منزلة الأنبياء عن مستوى سائر الناس

(١) تحقيق النصرة ص ١١٤ - ١١٥. رواه عن الطبراني في معجمه الكبير.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الاستسقاء، باب سؤال الناس الامام الاستسقاء اذا قحطوا. وكتاب فضائل أصحاب النبي، باب مناقب العباس بن عبدالمطلب.

صحيح البخاري ١٢٤/١ و ٢٠٠/٢.

وسنن البيهقي، كتاب صلاة الاستسقاء، باب الاستسقاء بمن ترجى بركة دعائه، ج ٣/٣٥٢.

تكوّن للمعتقد بصحتها رؤية خاصة تناقض محتوى الاحاديث الآنفة ولئلا يطول بنا المقام نقتصر في ما يأتي بالاشارة الى بعض ما روى بشأن خاتم الأنبياء وأفضل المرسلين صلى الله عليهم وسلم، ففيه كفاية لمن اراد ان يتدبر ويتبصر، منها:

١ - مارواه البخارى في صحيحه وقال:

ان رسول الله (ص) قبل ان ينزل عليه الوحي قدم الى زيد بن عمرو بن نفيل سفرة فيها لحم فأبى ان يأكل منها ثم قال: اني لا آكل الا مما ذكر اسم الله عليه^١ إذا فان زيدا كان في الجاهلية افضل من رسول الله يتجنب من امر الجاهلية ما لا يتجنبه رسول الله (ص).

٢ - روى البخارى ومسلم:

ان رسول الله (ص) لما جاءه جبرائيل بآيات «اقرأ باسم ربك الذي خلق الى قوله - علم بالقلم» رجع النبي (ص) الى بيته ترجف بوادره وقال لخديجة اني خشيت على نفسي فقالت له خديجة: ابشر، كلا فوالله لا يخزيك الله أبداً وانطلقت به الى ورقة بن نوفل وكان امرأاً تنصر في الجاهلية فاخبره رسول الله (ص) خبر ماراه. فقال ورقة: هذا الناموس الذي أنزل على موسى.... الحديث^٢.

إذا فان ورقة النصراني كان أدري بالوحي وجبرائيل من رسول الله الذي خوطب بالوحي ومن كلام ورقة اطمأن النبي بمصيره. والا فانه كان يريد أن يلقي بنفسه من حالق جبل. حسب مارواه ابن سعد في طبقاته وقال أيضاً ان رسول الله (ص) قال: ان الأبعد يعني نفسه لشاعر او مجنون لا تحدث بها عني قريش ابداً^٣.

(١) البخارى كتاب الذبائح، باب ما ذبح على النصب والاصنام ج ٣/٢٠٧ ومسند احمد ٢/٦٩ و ٨٦. وزيد بن عمرو بن نفيل كان ابن عم الخليفة عمر ووالد زوجته، ورد ذكره في ترجمة ابنه سعيد في الاستيعاب ٢/٤.

(٢) صحيح البخارى: باب بدء الوحي، الجزء ١/٣ وتفسير سورة اقرأ وصحيح مسلم: كتاب الايمان باب بدء الوحي الحديث ٢٥٢، ومسند احمد ٦/٢٢٣ و ٢٣٣. والبوادر: اللحمية بين المنكب والعنق تضطرب عند الفزع. وقد لخصنا الخبر.

و ناقشنا روايات بعثة النبي الواردة في كتب الحديث والسيرة والتفسير وذكرنا عللها في الجزء الرابع من «نقش أئمة» وهو سلسلة دراسات عن أثر أئمة أهل البيت (ع) في احياء الاسلام نشر منها سبعة أجزاء باللغة الفارسية وأوردنا الخبر الصحيح في ذلك، والحمد لله.

(٣) طبقات ابن سعد ج ١/١٢٩ - ١٣٠ وخبر البعثة بتاريخ الطبري.

٣ - روى البخارى ومسلم وقالوا:

ان رسول الله كان يغضب فيلعن و يسب و يؤذى من لا يستحقها ودعا الله ان يجعلها لمن بدرت منه اليه زكاة و طهوراً^١.

٤ - وروى ايضا وقالوا:

ان بعض اليهود سحر رسول الله حتى يخيل اليه انه يفعل الشيء وما فعله^٢.

٥ - روى مسلم:

ان رسول الله مر بقوم يلحقون النخل فقال: لولم تلقحوها لصلح فتركوا تلقيحها فخرج شيصا فقال: أنتم أعلم بامور دنياكم^٣.

٦ - وروى ايضا: ان رسول الله استمع الى غناء جوار من الانصار فنهروا

ابوبكر^٤.

٧ - روى مسلم:

ان رسول الله رفع عائشة على منكبه لتنظر الى الحبشة الذين يلعبون في المسجد

فنهروا عمر^٥.

وفي رواية الترمذي:

اذ طلع عمر فانفض الناس فقال رسول الله (ص) اني لأنظر الى شياطين الجن

والانس قد فروا من عمر^٦.

وفي رواية:

(١) صحيح البخارى كتاب الدعوات، باب قول النبي (ص) من آذيته. وصحيح مسلم كتاب البر

والصلة باب من لعنه النبي (ص) وليس له أهلاً.

(٢) صحيح البخارى كتاب بدء الخلق باب صفة إبليس وجنوده وكتاب الطب باب هل يستخرج

السحر وباب السحر وكتاب الادب باب ان الله يأمر بالعدل وكتاب الدعوات باب تكرير الدعاء وصحيح

مسلم باب السحر.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الفضائل باب وجوب امثال ما قاله شرعا دون ما ذكره من معاش

الناس... وسنن ابن ماجه باب تلقيح النخل.

(٤) صحيح البخارى: كتاب فضائل اصحاب النبي، باب مقدم النبي واصحابه المدينة وكتاب

العيدين باب سنة العيدين لأهل الاسلام وصحيح مسلم كتاب صلاة العيدين، باب الرخصة في لعب يوم العيد.

(٥) صحيح مسلم: كتاب صلاة العيدين، باب الرخصة في اللعب الذى لامعصية فيه في ايام العيد.

الحديث ١٨ و ١٩ و ٢٠ و ٢١ و ٢٢.

(٦) سنن الترمذى ابواب المناقب، باب مناقب عمر.

ان جارية سوداء ضربت بالدف وغنت بين يدي رسول الله (ص) بعد رجوعه من احدى غزواته فدخل عمر فالقت الدف تحت استها ثم قعدت عليها فقال رسول الله (ص) ان الشيطان ليخاف منك يا عمر^١.

٨ - روى البخاري ومسلم في صحيحهما:

عن عائشة أن النبي سمع رجلا يقرأ في المسجد فقال: رحمه الله أذكرني كذا وكذا آية أسقطتها من سورة كذا^٢.

* * *

رأينا في مامر أن زيد بن عمرو بن نفيل ابن عم الخليفة عمر كان أتقى لله من رسوله يمتنع من أكل ما ذبح على الانصاب والاصنام بينما ياكله رسول الله. وأن ورقة بن نوفل النصراني يدرك أن الذي جاء الى رسول الله (ص) هو جبرائيل ورسول الله لم يعرفه، وخشي ان يكون اصابه مس من الجن وان آيات سورة اقرأ هي من سجعهم.

وان سحر اليهود اثر في رسول الله (ص) فكان يرى انه يفعل الشيء وما فعله. وانه أسقط من القرآن آيات نسيها حتى قرأها بعض الصحابة. وأنه أمر بعدم تلقيح النخيل ليصلح فلما أصبح شيصا قال لهم أنتم أعلم بامور دنياكم مني.

وأنه استمع الى غناء جوار من الانصار وكرهها أبوبكر وقال في شأن عمر ان الشيطان ليفر منك

* * *

ان تلكم الاحاديث وامثالها تثبت ان رسول الله كان دون زيد في الجاهلية وبعد الاسلام كان ورقة النصراني أدري بالوحي وجبرئيل من رسول الله وان أبابكر وعمر كانا أكثر تجنباً من الله واللغو من رسول الله (ص) وأن الصحابي الذي قرأ من القرآن ما كان قد أسقطه الرسول منه كان أقوى ذاكرة من رسول الله (ص) وأن رسول الله كسائر الناس لا يعصمه الله من عبث اليهود وسحرهم وأنه يغضب و يلعن و يسب

(١) سنن الترمذي: ابواب المناقب، باب مناقب عمر. ومسنند احمد ج ٥/٣٥٣.

وقد ناقشنا هذه الاحاديث وذكرنا عللها في الجزء ٢ و ٣ و ٤ و ٥ من كتاب (نقش ائمة) والحمد لله.

(٢) صحيح البخاري، باب قول الله «وصل عليهم»، وكتاب الشهادات باب شهادة الاعمى ونكاحه، وصحيح مسلم، كتاب فضائل القرآن، باب الامر بتعهد القرآن.

من لا يستحق^١.

ومن آمن بصحة الاحاديث المذكورة آنفا تتكون له رؤية تناقض محتوى الأحاديث التي أشرنا إليها فيما خصّ الله به خاتم أنبيائه وميزه عن سائر الناس بفضائل جمة وحق للرجل ذي معرفة السعوديين أذن أن يقول «محمد رجالاتي مات».

أضف الى هذه الاحاديث التي كونت رؤية تناقض تلك الفضائل ما فعله الخليفة الصحابي عمر بن الخطاب واجتهاده في قطعه الشجرة التي بويع تحتها رسول الله (ص)^٢. وتفصيل الخبر في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١/٥٩.

وينقض جميع الاحاديث التي تنقص من منزلة رسول الله (ص) ما أخبر عنه الامام علي عن رسول الله في خطبته القاصعة حيث قال:

ولقد قرن الله به صلى الله عليه وآله من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره، ولقد كنت أتبعه أتباع الفصيل إثر أمه، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً و يأمرني بالاعتداء به ولقد كان يجاورني كل سنة بجراء فأراه ولا يراه غيري ولم يجمع يومئذ في الاسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وخديجة وأنا ثالثهما أرى نور الوحي والرسالة وأشم ريح النبوة ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه صلى الله عليه وآله. فقلت يا رسول الله ماهذه الرنة؟ قال هذا الشيطان أيس من عبادته^٣.

ولست أدري كيف لم يكن الرسول (ص) يعرف نفسه وعلى كتفه خاتم النبوة التي يعرفه بها كل من شاهده من أهل الكتاب^٤.

(١) لما كانت احاديث مدرسة الخلفاء تكوّن رؤية تنزل من مستوى الرسول الاكرم (ص) عن مستوى الانسان العادى وخاصة في مثل الخبر المخلوق في قصة الغرائيق التي بيتنا زيفها في الجزء الرابع من (نقش ائمه) ويمكن من خلالها القاء الشبهات في الوصي والقرآن استندالمستشرقون من مبشري النصرارى في دراساتهم للاسلام الى احاديث مدرسة الخلفاء وتركت احاديث مدرسة اهل البيت ظهيرياً.

(٢) شفاء الصدور، ص ٢٧، وهي شجرة بيعة الرضوان في صلح الحديبية.

(٣) نهج البلاغة، شرح محمد عبده، الخطبة رقم ١٩٢.

(٤) صحيح البخاري: كتاب المناقب والمرضى والأدب، وصحيح مسلم: كتاب الفضائل، وسنن أبي داود، كتاب اللباس، والترمذي: كتاب المناقب ومسنند أحمد ج ٢/٢٢٣ و ٣/٤٣٤ و ٤٤٢ و ٤/١٩٥ و ٥/٣٥ و ٧٧ و ٨٢ و ٨٣ و ٩٠ و ٩٥ و ٩٨ و ١٠٤ و ٣٤٠ و ٣٤١ و ٣٥٤ و ٤٣٨ و ٤٤٢ و ٤٤٣ و ٦/٣٢٩.

وتنقضها أيضا الروايات التي ذكرت دلائل النبوة التي صدرت منه وله قبل أن يبعث مثل ماتم له في سفرته الاولى الى الشام مع عمه أبي طالب والثانية في تجارة خديجة وأخبار الرهبان بأمر بعثته وتضليل سحابة له مما علمه جميع من كان معه في السفرتين وانتشرت أخبارها في كتب الحديث والسير^١.

وأخبار أهل الكتاب بظهوره قبل أن يبعث وخبره في التوراة^٢.

وتسليم الشجر والحجر عليه قبل بعثته^٣.

كيف كان لا يعرف نفسه وقد بشر به عيسى بن مريم (ع) كما أخبر تعالى عنه بقوله «ومبشر ابني يأتي من بعدي اسمه أحمد» الصف/٦.

كيف لا يعرف نفسه وأهل الكتاب كانوا «يعرفونه كما يعرفون أبناءهم» البقرة/١٤٦، الانعام/٢٠.

يعرفون «الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل» الاعراف / ١٥٧.

(١) طبقات ابن سعد، ط. اوربا ج ١/١ ق ٧٦/١ و ٩٨ و ٩٩ و ١٠٩ و ٨٣ و ١٠١ و ٧٣ و ١٠٠ منه، والجزء الثالث ق ١٥٣/١.

ومارواه البخاري في آخر كتاب بدء الوحي من اخبار هرقل عن ظهوره.

وسنن الترمذي كتاب المناقب باب ماجاء في بدء النبوة ج ١٣/١٠٦.

وسيرة ابن هشام ج ١/١٩٤ و ٢٠٣ و راجع أيضا: ٢٣١ و ٢٣٩ و ٢٥١ منه.

(٢) صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب كراهية النحب في الاسواق، ج ٢/١٠ وكتاب التفسير، باب تفسير سورة الفتح، وكتاب فضائل القرآن، الباب الاول.

طبقات ابن سعد، ط. اوربا ج ١/١٢٣ وق ١٧/٢ و ٨٧ و ٨٩ وسنن الترمذي كتاب المناقب، الباب الاول.

سنن الدارمي، المقدمة، الباب الاول ومسند أحمد ١٧٤/٢ و ٤٦٧/٣، طبقات ابن سعد ج ١/١ ق ٦٤/١ و ١٠٣ و ١٠٤ و ١٠٦ و ١٠٨ و ١١١.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب نسب النبي، الحديث: ٢، ص ١٧٨٢ ومسند أحمد ٨٩/٥ و ٩٥ و ١٠٥.

ومسند الطيالسي، الحديث ٧٨١.

وطبقات ابن سعد، ج ٨/١٧٩.

وتسليم الشجر عليه في:

سنن الدارمي، المقدمة، الباب رقم ٣.

وطبقات ابن سعد، ج ٨/١٧٩.



سيأتي في بحوث مصادر الشريعة الاسلامية من هذا الكتاب محاولات السلطات الاسلامية برفع مقام الخلافة في أنظار المسلمين على مقام النبوة ونذكر هنا منها مثالا واحدا من سيرة الحجاج بن يوسف الثقفي والي الخليفة عبدالملك على العراق حيث خطب في الكوفة فذكر الذين يزورون قبر رسول الله (ص) بالمدينة، فقال: «تبا لهم! انما يطوفون بأعواد ورمة بالية! هلا طافوا بقصر أمير المؤمنين عبدالملك! ألا يعلمون أن خليفة المرء خير من رسوله^١.



وان الذي نجده من اتجاه بعض المسلمين في القرون المتأخرة من تهوين أمر الرسول (ص)، ان هو الا نتيجة لتلك المحاولات مدى القرون سواء في ما رووا من روايات تحط من قدر رسول الله (ص) أم ما أولوا من آيات القرآن وغير ذلك مما فعلوا في توجيه المسلمين الى ما أرادوا. ومنها ما رأوا في الاحتفال بذكرى ميلاد الرسول^٢ كما سنذكره في ما يأتي:

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١٥/٢٤٢، وراجع الكامل للمبرد ط. النهضة بمصر، ص

(٢) افتي الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، الرئيس العام لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد في السعودية في صحيفة الشرق الاوسط بتاريخ ١٩٨٤/١٢/٣ تحت عنوان «حكم الاحتفال بالمولد النبوي وغيره من الموالد» وقال:

«لا يجوز الاحتفال بمولد الرسول (ص) ولا غيره لان ذلك من البدع المحدثه في الدين...»

الخلافا حول الاحتفال بذكرى الانبياء وذكرى عباد الله الصالحين

يستدل من يرى استحباب الاحتفال بذكرهم بأن جل مناسك الحج احتفال
بذكرى الانبياء والاولياء كما سندكر أمثلة منها فيما يأتي:
أ - مقام ابراهيم:
قال سبحانه وتعالى:

«واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى...» (البقرة / ١٢٥).

وفي صحيح البخاري^١ ما ملخصه:

ان ابراهيم واسماعيل عليهما السلام لما كانا بينان البيت: جعل اسماعيل يأتي
بالحجارة وابراهيم يبني حتى اذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه وهو
بيني واسماعيل يناوله الحجارة.

وفي رواية بعدها حتى ارتفع البناء وضعف الشيخ على نقل الحجارة فقام على
حجر المقام فجعل يناوله الحجارة.

* * *

ان الله سبحانه أمر الناس كما هو واضح أن يتبركوا بموطئ قدمي ابراهيم (ع)

(١) صحيح البخاري: كتاب الانبياء، باب يزفون النسلان في المشي، ج ٢ / ١٥٨ و ١٥٩.

في بيته الحرام و يتخذوا منه مصلى احياء لذكرى ابراهيم وتخليداً وليس فيه شيء من أمر
الشرك بالله جل اسمه.

ب - الصفا والمروة :

قال الله سبحانه :

«ان الصفا و المروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن

يطوف بهما» (البقرة / ١٥٨)

وروى البخارى ما ملخصه :

ان هاجر لما تركها ابراهيم عليه السلام مع ابنها اسماعيل بمكة ونفذ ماؤها
وعطشت وعطش ابنها وجعل يتلوى فانطلقت الى جبل صفا كراهية أن تنظر اليه
فقامت عليه تنظر هل ترى أحدا، فلم تر أحدا، فهبطت من الصفا حتى اذا بلغت الوادي
سعت سعي الانسان المجهود حتى جاوزت الوادي ثم أتت المروة فقامت عليها ونظرت
هل ترى أحدا، فلم تر أحدا، فعلت ذلك سبع مرات.

قال ابن عباس، قال النبي (ص) فذلك سعي الناس بينها... الحديث^١.

* * *

جعل الله السعي بين الصفا والمروة من مناسك الحج احياء لذكرى سعي
هاجر بينها و احتفالا بعملها هاجر واستحباب الهرولة في محل الوادي الذي سعت فيه
هاجر سعي الانسان المجهود احياء لذكرى هرولتها هناك .

ج - رمي الجمار:

روى أحمد والطيالسي في مسنديهما عن رسول الله (ص) أنه قال:

«ان جبريل ذهب بابراهيم الى جمرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع
حصيات فساخ، ثم أتى الجمرة الوسطى فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات فساخ،
ثم أتى الجمرة القصوى فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات فساخ...^٢.

هكذا جعل الله احياء ذكرى رمي ابراهيم الشيطان والاحتفال بذكره من

(١) صحيح البخاري: كتاب الانبياء، باب يزفون النسلان في المشي، ج ١٥٨/٢، وراجع معجم

البلدان، مادة زمزم، بذكر تاريخ اسماعيل من تاريخ الطبري وابن الاثير.

(٢) مسند أحمد ٣٠٦/١، وقريب منه في ١٢٧ و مسند الطيالسي الحديث ٢٦٩٧، وراجع مادة الكعبة

من معجم البلدان وتاريخ ابراهيم واسماعيل من تاريخ الطبري وابن الاثير.

مناسك الحج.

د - الفدية:

قال الله سبحانه في قصة ابراهيم واسماعيل:

«فبشرناه بغلام حليم»، «فلما بلغ معه السعي قال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى، قال يا ابيت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين»، «فلما أسلما وتله للجبين»، «وناديناه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزي المحسنين»، «ان هذا هو البلاء المبين»، «وفديناه بذبح عظيم» (الصفات / الآيات ١٠١ - ١٠٧).

* * *

وكذلك جعل الله احياء ذكر فداء ابراهيم ابنه اسماعيل وارسال الله الكباش فدية له و الاحتفال بها من مناسك الحج ، و أمر الحجاج بالفدية في منى اقتداء بإبراهيم واحتفالاً بذكر موقفه من طاعة الله .

* * *

في مقام ابراهيم انتشرت البركة من قدمي ابراهيم عليه السلام الى موطن قدميه . و امر الله باتخاذ مسجداً في بيته الحرام وجعله الله احياءاً لذكره .
وفي ما يأتي نذكر انتشار البركة من آدم (ع) أبي البشر.
انتشار البركة من آدم عليه السلام والاحتفال بذكره

وفي بعض الأخبار أن الله جل اسمه تاب على آدم عصر التاسع من ذي الحجة بعرفات ثم أفاض به جبرائيل عند المغيب الى المشعر الحرام و بات فيه ليلة العاشر يدعوا لله و يشكره على قبول توبته ثم أفاض منه صباحا الى منى وحلق فيه رأسه يوم العاشر اشارة لقبول توبته وعتقه من الذنوب فجعل الله ذلك اليوم عيداً له ولذريته وجعل كل ما فعله آدم أبداً الدهر من مناسك الحج لذريته يقبل توبتهم عصر التاسع بعرفات و يذكرون الله ليلاً بالمشعر الحرام و يحلقون رؤوسهم يوم العاشر بمنى ، ثم أضيف الى هذه المناسك ما فعله بعد ذلك ابراهيم واسماعيل و هاجر وتم بها مناسك الحج للناس . اذا فان أعمال الحج كلها تبرك بتلك الازمنة والامكنة التي حل بها عباد الله الصالحون أولئك وكلها احتفال بذكرهم أبداً الدهر وفي ما يأتي نضرب مثالا لانتشار الشؤم الى المكان من المكين .

انتشار الشؤم الى المكان من المكين

روى مسلم أن رسول الله (ص) عام تبوك نزل بالناس الحجر عند بيوت ثمود فاستقى الناس من الابار التي كان يشرب منها ثمود فعجنوا منها ونصبوا القدور باللحم فأمرهم رسول الله (ص) فاهرقوا القدور وعلفوا العجين الابل ثم ارتحل بهم حتى نزل بهم على البئر التي كانت تشرب منها الناقة ونهاهم أن يدخلوا على القوم الذين عذبوا، قال أني أخشى أن يصيبكم مثل ما أصابهم فلا تدخلوا عليهم^١.

وفي لفظ مسلم: ولا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم الا أن تكونوا باكين، حذرا أن يصيبكم مثل ما أصابهم ثم زجر وأسرع حتى خلفها.

وفي لفظ البخاري: ثم قنع رأسه وأسرع السير حتى أجاز الوادي.

وفي رواية أخرى بمسند أحمد وتقنع بردائه وهو على الرحل^٢.

منشأ الشؤم والبركة في المكان

من اين نشأ شؤم بلاد ثمود وآبار ثمود وانتشر اليها عدا أنه نشأ من قوم ثمود؟ وانتشر منهم الى بلادهم وآبارهم وبقي فيها الى عصر خاتم الانبياء والى ما شاء الله، و من أين نشأ فضل بئرناقة صالح؟ عدا ما كان من شرب ناقة صالح منها وانتشر الفضل منها الى البئر وبقي فيها الى عصر خاتم الانبياء والى ما شاء الله.

وليست ناقة صالح وبئرها بأكرم على الله من اسماعيل وبئر زمزم بل كذلك جعل الله البركة في زمزم من بركة اسماعيل أبدالدهر.

وكذلك شأن انتشار البركة مما يفيضه الله على عباده الصالحين في أزمنة خاصة

مثل بركة يوم الجمعة.

بركة يوم الجمعة

في صحيح مسلم:

«أن الله خلق آدم يوم الجمعة وأدخله الجنة يوم الجمعة...»^٣

(١) أورده مسلم باختصار في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، باب لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم... الحديث: ٤٠، واللفظ لمسند أحمد ج ١١٧/٢، صحيح البخاري، كتاب المغازي باب نزول النبي (ص) الحجر.

(٢) مسند أحمد ج ٦٦/٢.

(٣) صحيح مسلم: كتاب الجمعة، باب فضل الجمعة، الحديث: ١٧ و ١٨.

هذا وغيره مما أفاضه الله على عباده الصالحين في يوم الجمعة خلد البركة في يوم الجمعة أبد الدهر.

البركة في شهر رمضان

وكذلك الشأن في بركة شهر رمضان فقد قال سبحانه «شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان» (البقرة / ١٨٥).
وقال سبحانه:

«انا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر، ليلة القدر خير من ألف شهر...» (القدر).

إذاً فقد انتشرت البركة من ليلة القدر التي أنزل فيه القرآن على خاتم أنبياء الله الى جميع أزمنة شهر رمضان وتخلدت البركة في ذلك الشهر من تلك الليلة الى أبد الدهر.

* * *

بعد انتهائنا من الإشارة الى رجحان الاحتفال بذكرى أصفياء الله نوكد أننا نقصد من الاحتفال بذكر أصفياء الله — مثلاً — قراءة سيرة رسول الله (ص) الصحيحة غير المنحرفة في ليلة ميلاده وإطعام الطعام في سبيل الله وإهداء ثوابه لرسول الله (ص) مع الاجتناب من القيام بأعمال ابتدعتها بعض المتصوفة. ونشير في ما يأتي إشارة عابرة الى الخلاف حول مسألة البناء على القبور واتخاذها محلاً للعبادة.

الخلاف حول البناء على قبور الانبياء واتخاذها محلاً للعبادة

استدل قسم من المسلمين بتحريم البناء على القبور بروايات أهمها ما يأتي:
أ - عن علي قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة، فقال أيكم
ينطلق الى المدينة فلا يدع بها وثناً الا كسره ولا قبراً الا سواه ولا صورة الا لطخها؟ فقال
(رجل): أنا يا رسول، فانطلق فهاب أهل المدينة، فرجع، فقال علي: أنا أنطلق يا رسول
الله، قال فانطلق، فانطلق ثم رجع، فقال يا رسول الله لم أدع بها وثناً الا كسرتة ولا قبراً
الا سويتة، ولا صورة الا لطختها.

وقد تكرر ورود هذا الحديث في كتب الحديث واكتفينا بايراد أتم لفظ منه^١

علة الحديث:

اولاً - مر علينا أن رسول الله (ص) زار قبر أمه وبكى وأبكى من حوله
وكانت أمه قد توفيت في السنة السادسة من عمره الشريف بالمدينة المنورة وعلى هذا فقد
زار الرسول قبر أمه بعد نيف وأربعين سنة حين هاجر الى المدينة المنورة، وأن أثر قبر أمه
عند ذلك كان ماثلاً للعيان والا لما عرف قبرها، واذا كان الحكم الاسلامي، هو تسوية
القبور فلم يأمر النبي (ص) بهدم قبر أمه عند ذلك .

ثانياً - ان أهل المدينة بعد أن أسلم بعضهم أرسل لهم الرسول (ص) بادئ
ذي بدء مصعب بن عمير يعلم من أسلم منهم ماورد من الاسلام يوم ذلك ولما وفدوا الى

(١) مسند أحمد ٨٧/١ و ٨٩، ٩٦، ١١٠، ١١١، ١٢٨، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٥، ١٥٠، ومسند

الطيالسي، الحديث: ٩٦، ١٥٥.

الحج حضر المسلمون منهم العقبة و بايعوا رسول الله سرا ولم ينتشر الاسلام بينهم حتى هاجر الرسول اليهم وتبعه بعد ثلاث أو اكثر الامام علي، وقصة وروده المدينة بعد ذلك مشهورة.

وتدرج الرسول في بسط حكمه على المدينة بعد ان عاهد يهود قريضة والنظير وبني قينقاع ودخل أهل المدينة كلهم في الاسلام متدرجا. فتي كان ارسال النبي الامام عليا من تشييع جنازة الى المدينة ليهدم الاصنام و يسوى القبور و يلطخ الصور كالحاكم الذي لا راد لامره. اصف اليه ان محتوى الخبر: ان المرسل الاول ذهب وهم في تشييع الجنازة ورجع خائبا ثم ارسل النبي الامام عليا بعده وهم لا يزالون في تشييع الجنازة، فكيف يتم ذلك؟.

ثالثاً - وفي بقية الحديث ان الامام عليا قال لابي الهياج الاسدي: ابعثك فيما بعثني رسول الله (ص) امرني أن أسوي كل قبر واطمس كل صنم^١.

ولا يكون ارسال الامام أبي الهياج الاسدي في امر الآ في عصر خلافته، وعليه يتجه هذا السؤال: ان في عصر خلافة الامام علي وبعد الفتوحات الاسلامية في زمن الخلفاء الثلاثة قبله، الى أي بلد بعث الامام علي أبا الهياج لتهديم القبور وطمس الاصنام؟

واخيرا في كلا الخبرين أمر من الرسول والامام علي ان صح الخبران بتهديم قبور المشركين في بلد الشرك، وكيف يدل ذلك على انتشار هذا الحكم الى قبور المسلمين ووجوب تهديمها؟.

ب - روى عن النبي (ص) أنه قال: اللهم لا تجعل قبوري وثنا لعن الله قوما اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد^٢.

وفي الرواية الثانية شخص الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد وقال: قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد^٣.

(١) مسند أحمد ١/٨٩ و ٩٦.

(٢) مسند أحمد ج ٢/٢٤٦.

(٣) مسند أحمد ج ٢/٢٨٥.

علة الحديث :

إن بني اسرائيل بعد أن ساروا من مصر وعبروا البحر و جازوا التيه و بلغوا فلسطين أصبح لهم بيت عبادة وهو « بيت المقدس » لم يكن لهم بيت عبادة غيره . و في عصر سليمان أصبح لسليمان الملك النبي بلاطا يسمى هيكل سليمان ، فأين كانت قبور أنبيائهم التي اتخذوها ؟ و إن بيت المقدس و بلده تحت أنظار المسلمين و العرب قبل عصر رسول الله (ص) و ما بقي من قبور أنبيائهم قبر الخليل و موسى بن عمران لم نر و لم نسمع و لم يكتب أحد أن اليهود اتخذوها و ثنا و على فرض أن قبرا اتخذ و ثنا فإنه لا يصدق على احترام القبر و زيارة القبر فإن اتخاذه و ثنا يعني أن يستقبل القبر كما تستقبل الكعبة في الصلوات ، فأين هذا من ذلك ؟

* * *

ليس مورد الشك في كل ما ذكرناه وما سنذكره بعد هذا أحاديث رسول الله (ص) معاذ الله، وإنما البحث يجري حول رواة الاحاديث الذين لم يعصمهم الله من الخطأ والسهو والنسيان.

أدلة من رأى جواز اتخاذ مقابر الأنبياء محلاً للعبادة

يستدل من يرى صحة اتخاذ مقابر الانبياء محلاً للعبادة بان الطائفتين حول الكعبة يطوفون حول حجر اسماعيل و يتمسحون بجداره وفيه قبر اسماعيل و امه هاجر فقد روى ابن سعد في طبقاته :

ان اسماعيل لما بلغ عشرين سنة توفيت امه هاجر وهي ابنة تسعين سنة فدفنها اسماعيل في الحجر.

وان اسماعيل توفي بعد ابيه فدفن في الحجر مما يلي الكعبة مع امه هاجر. وفي رواية بعدها :

قبر اسماعيل تحت الميزاب بين الركن والبيت^١

وروى ابوبكر الفقيه عن النبي (ص) انه قال :

ما من نبي هرب من قومه الا هرب الى الكعبة يعبد الله فيها حتى يموت.

(١) لخصنا روايات ابن سعد الثلاثة من طبقاته ج ١/٢٥ ط اروبا

وان قبر هود وشعيب وصالح في مابين زمزم والمقام وان في الكعبة قبر ثلثا ثمانية
 نبي ومابين الركن اليماني الى الركن الاسود قبر سبعين نبياً^١
 ويستدلون على صحة البناء على القبر بالاضافة الى ما سبق بان قبور رسول
 الله (ص) والخليفتين ابي بكر وعمر في بناء مسقف منذ ان توفوا الى يومنا الحاضر.
 ويستدلون ايضاً بقوله تعالى: «واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى» البقرة الآية
 .١٢٥

وقوله تعالى في ما أخبر عن قصة اصحاب الكهف «قال الذين غلبوا على امرهم
 لنتخذن عليهم مسجداً» الكهف ٢١.

* * *

هكذا كان اختلاف الاحاديث في بناء القبور أو بالاحرى اختلاف فهم
 الاحاديث منشأ هذا الخلاف.
 وفي ما يأتي نذكر الخلاف حول البكاء على الميت ومنشؤه:

(١) مختصر كتاب البلدان تأليف ابوبكر أحمد بن الفقيه الهمداني (ت ٣٤٠هـ) ط. بريل بليدن سنة

الاختلاف في البكاء على الميت ومنشؤه

كان البكاء على الميت وخاصة الشهيد من سنة الرسول (ص) فقد روى البخاري في صحيحه:

ان النبي نعى زيدا وجعفرا وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم وقال: «أخذ الراية زيد فأصيب ثم أخذ جعفر فأصيب ثم أخذ ابن رواحة فأصيب، وعيناه تذرطان...»^١.

وفي ترجمة جعفر من الاستيعاب واسد الغاية والاصابة وخبر غزوة موته من تاريخ الطبري وغيره ماملخصه:

لما اصيب جعفر واصحابه دخل رسول الله (ص) بيته وطلب بني جعفر فشمهم ودمعت عيناه فقالت زوجته اسماء بابي وامي ما يبكيك ابلغك عن جعفر واصحابه بشيء؟ قال نعم اصابوا هذا اليوم، قالت اسماء فقامت اصيح واجمع النساء ودخلت فاطمة وهي تبكي وتقول واعماه، فقال رسول الله (ص) على مثل جعفر فلتبك البواكي.

بكاء الرسول على ابنه ابراهيم

وفي صحيح البخاري:

قال انس: دخلنا مع رسول الله (ص)... و ابراهيم يجود بنفسه فجعلت عينا

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل اصحاب النبي باب مناقب خالد بن الوليد ج ٤/٢٠٤.

رسول الله تذر فان فقال له عبدالرحمن بن عوف (رض) وانت يا رسول الله! فقال يا ابن عوف انها رحمة ثم اتبعها باخرى فقال ان العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول الا ما يرضي ربنا وانا بفراقك يا ابراهيم لمحزونون.

وفي سنن ابن ماجه: «فانكب عليه وبكى»^١

بكاء الرسول (ص) على حفيده

في صحيح البخاري ان ابنة النبي (ص) ارسلت اليه: ان ابنا لي قبض فاتنا، فقام ومعه سعد بن عباد بن عباد ورجال من اصحابه فرفع الى رسول الله (ص) ونفسه تتقعقع ففاضت عيناه، فقال سعد يا رسول الله ما هذا؟ فقال هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده وانما يرحم الله من عباده الرحماء^٢.

ندب الرسول (ص) إلى البكاء على عمه حمزة

لما سمع رسول الله (ص) بعد غزوة أحد، البكاء من دور الانصار على قتلاهم ذرفت عيننا رسول الله وبكى، وقال: لكن حمزة لابواكي له. فسمع ذلك سعد بن معاذ واسيد بن حضير، فرجع الى نساء بني عبد الاشهل فساقهن الى باب رسول الله (ص) فبكين على حمزة، فسمع ذلك رسول الله (ص) فدعا لهن ورددهن، فلم تبك امرأة من الانصار بعد ذلك الى اليوم على ميت الا بدأت بالبكاء على حمزة ثم بكت على ميتها^٣.

(١) صحيح البخاري كتاب الجنائز، باب قول النبي (ص): انا بك لمحزونون ج ١/١٥٨ واللفظ له. وصحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب رحمته بالصبيان والعيال، الحديث ٦٢. وسنن ابن ماجه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في النظر الى الميت، الحديث ١٤٧٥. وطبقات ابن سعد ط، أوروبا، ج ١/١٠٨٨. و مسند احمد ج ٣/١٩٤.

(٢) تتقعقع: اي تضطرب روحه لها صوت وحشرجة كصوت الماء اذا ارتقى في القرية الخالية. صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب قول النبي (ص) «يعذب الميت ببعض بكاء اهله عليه واللفظ له، وكتاب المرضى، باب عيادة الصبيان، ج ٤/٣.

وصحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب البكاء على الميت، الحديث ١١، ص: ٦٣٦.

وسنن ابي داود، كتاب الجنائز، باب البكاء على الميت، الحديث ٣١٢٥ و ٣١٢٦.

وسنن النسائي، كتاب الجنائز، باب الامر بالاحتساب والصبر.

ومسند احمد، ج ٢/٣٠٦ و ج ٣/٨٣ و ٨٨ و ٨٩.

(٣) اوردناه من ترجمة حمزة في طبقات ابن سعد ط. دار صادر بيروت ١٣٧٧ ج ٣/١١، واكثر تفصيلا منه في مغازي الواقدي ج ١/٣١٥ - ٣١٧ وبعده امتاع الاسماع ١/١٦٣. ومسند احمد ٢/٤٠ و تاريخ الطبري. وأورده ابن عبد البر بما يجاز بترجمة حمزة من الاستيعاب و باختصار ايضا ابن الاثير بترجمته من الاسد.

بكى الرسول على قبر أمه وأبكى من حوله
 زار رسول الله (ص) قبر امه فبكى وابكى من حوله^١
 أمر الرسول بإرسال الطعام لأهل المصاب
 لما جاء نعي جعفر قال النبي (ص) اصنعوا لاهل جعفر طعاما فانه قد جاءهم
 ما يشغلهم^٢.

عين الرسول أيام الحداد على الميت
 تواتر عن النبي انه عين حداد المرأة على غير زوجها ثلاثا وعلى زوجها فكما قال
 الله اربعة اشهر وعشرا^٣ (البقرة / ٢٢٤).

(١) سنن النسائي كتاب الجنائز باب زيارة قبر المشرك
 سنن ابي داود كتاب الجنائز باب زيارة القبور الحديث ٣٢٣٤.
 سنن ابن ماجه كتاب الجنائز باب ماجاء في زيارة قبور المشركين.
 (٢) سنن ابن ماجه، كتاب الجنائز، باب ماجاء في الطعام يبعث الى اهل الميت، ص ٥١١، الحديث
 ١٦١٠ و ١٦١١.
 وفي سنن الترمذي، ج ٤/٢١٩، ابواب الجنائز، باب ماجاء في الطعام يصنع لاهل الميت وقال هذا
 حديث حسن صحيح.
 سنن ابي داود، كتاب الجنائز، باب صنعة الطعام لاهل الميت الحديث: ٣١٣٢. مسند احمد ١/٢٠٥،
 ٣٧٠/٦.

(٣) البخارى كتاب الجنائز باب حداد المرأة على غير زوجها ١/١٥٤.
 وكتاب ٢٣ الطلاق باب تحد المتوفى عنها زوجها اربعة اشهر وعشرا ٣/١٨٩ و باب ٦٨ الكحل للحادة
 و باب القسط للحادة عند الطهر و باب تلبس الحادة ثياب العصب و باب والذين يتوفون منكم و يذرون أزواجاً
 ٣/١٨٩ - ١٩٠ و صحيح مسلم كتاب الطلاق باب وجوب الاحداد في عدة الوفاة و تحريمه في غير ذلك الا ثلاثة
 ايام ج / ١٤٨٦ و ١٤٨٧، ١٤٩٠، ١٤٩١ ص ١١٢٤ و ١١٢٥ و ١١٢٦ و ١١٢٧ و ١١٢٨.
 و سنن ابي داود كتاب الطلاق باب حداد المتوفى عنها زوجها ح / ٢٢٩٩
 و باب فيما تجتنبه المعتدة في عدتها ح / ٢٣٠٢.
 و سنن الترمذي كتاب الطلاق واللعان باب ماجاء في عدة المتوفى. عنها زوجها ٥/١٧١ - ١٧٤ و
 سنن النسائي كتاب الطلاق باب عدة المتوفى عنها زوجها و باب الاحداد و باب سقوط الاحداد عن الكتابية
 المتوفى عنها زوجها.

و باب ترك الزينة للحادة المسلمة دون اليهودية والنصرانية و باب ما تجتنب الحادة من الثياب المصبغة
 و باب الخضاب للحادة.

و سنن ابن ماجه كتاب الطلاق باب هل تحد المرأة على غير زوجها (ح / ٢٠٨٥ - ٢٠٨٧)

منشأ الخلاف حول البكاء على الميت

مر في ماسبق أن رسول الله (ص) بكى على المتوفى قبل أن يتوفى وبعده، خاصة الشهيد وانه امر بالبكاء على الشهيد وبكى على قبر امه وابكى من حوله، وامر بصنع الطعام لاهل الميت وعين حداد المرأة على غير الزوج ثلاثاً. اذن فالبكاء على المتوفى والحداد عليه وصنع الطعام لاهله من سنة الرسول فهاهو منشأ الخلاف والنهي عن البكاء على الميت؟ نرجع ايضاً الى صحيح البخارى ومسلم فنجد حديث المنع عن البكاء من الخليفة عمر (رض).

الخليفة عمر يروى ان رسول الله (ص) نهى عن البكاء وأم المؤمنين عائشة تستدرك عليه.

في صحيح البخارى ومسلم، عن ابن عباس: لما أن اصيب عمر دخل صهيب يبكي ويقول: واأخاه! وا صاحباه! فقال عمر: يا صهيب اتبكي وقد قال رسول الله «ان الميت ليعذب ببكاء اهله عليه» فقال ابن عباس. فلما مات عمر ذكرت ذلك لعائشة.

فقالت رحم الله عمر والله ما حدث رسول الله (ص) ان الله ليعذب المؤمن ببكاء اهله عليه ولكن رسول الله (ص) قال ان الله ليزيد الكافر عذاباً ببكاء اهله عليه وقالت حسبكم القرآن «ولا تزرر وازرة وزر اخرى» قال ابن عباس (رض) عند ذلك: «والله هو اضحك وابكى»^١.

وفي صحيح مسلم: ذكر عند عائشة ان ابن عمر يرفع الى النبي «ان الميت يعذب في قبره ببكاء اهله عليه» فقالت:

انما قال رسول الله «انه ليعذب بخطيئته أو بذنبه وان اهله ليكون عليه».

وسنن الدارمي كتاب الطلاق باب ١١

وموطأ مالك كتاب الطلاق ح / ١٠١، ١٠٥

وطبقات ابن سعد ٤/ق ٢٧/١، ٢٨، ٢٨/٨ و ٧٠/٨

ومسند احمد ٥/٨ و ٣٧/٦، ١٨٤، ٢٤٩، ٢٨١، ٢٨٦، ٢٨٧، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٦٩، ٤٠٨،

٤٢٦.

ومسند الطيالسي (ح/ ١٥٨٧، ١٥٨٩، ١٥٩١).

(١) صحيح البخارى، كتاب الجنائز، باب قول النبي (ص) يعذب الميت ببكاء اهله عليه ج ١٥٥/١ -

١٥٦، وصحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب الميت يعذب ببكاء اهله عليه، الحديث: ٢٣، ص ٦٤٢.

وفي رواية قبله:

ذكر عند عائشة قول ابن عمر: الميت يعذب ببكاء اهله عليه فقالت: رحم الله ابا عبد الرحمن سمع شيئاً فلم يحفظه انما مرت جنازة يهودى على رسول الله وهم يبكون عليه فقال «انتم تبكون وانه ليعذب»^١.

قال الامام النووي (ت ١٧٧ هـ) في شرح صحيح مسلم عن روايات النهي عن البكاء المروية عن رسول الله (ص) «وهذه الروايات من رواية عمر بن الخطاب ابنه عبد الله رضي الله عنهما وانكرت عائشة ونسبتها الى النسيان والاشتباه عليهما وانكرت ان يكون النبي (ص) قال ذلك^٢.

ويظهر من الحديث الاقبي أن منشأ الخلاف كان اجتهاد الخليفة عمر في النهي عن البكاء في مقابل سنة الرسول بالبكاء، فقد ورد في الحديث أنه:
مات ميت من آل الرسول (ص) فاجتمع النساء يبكين عليه فقام عمر ينهاهن ويطردهن فقال رسول الله (ص) دعهن يا عمر فان العين دامعة والقلب مصاب والعهد قريب^٣.

وفي صحيح البخارى:

كان عمر (رض) يضرب فيه بالعصا ويرمي بالحجارة ويحشي بالتراب^٤.

* * *

هكذا كان منشأ الخلاف في شأن البكاء على الميت، الاحاديث المتعارضة الواردة بشأنه في كتب الصحاح ولعل اجتهاد الخليفة عمر (رض) في المنع كان منشأ

(١) صحيح مسلم، كتاب الجنائز باب الميت يعذب ببكاء الله اهله عليه الحديث ٢٥ والحديث ٢٧ وقريب منه لفظ الترمذي في كتاب الجنائز. باب ماجاء في الرخصة في البكاء على الميت، وسنن ابي داود، كتاب الجنائز، الحديث ٣١٢٩.

(٢) شرح النووي بهامش صحيح مسلم ط. المطبعة المصرية ١٣٤٩ هـ ج ٢٢٨/٦ باب الميت يعذب ببكاء اهله عليه.

(٣) سنن النسائي كتاب الجنائز باب الرخصة في البكاء على الميت. ابن ماجه كتاب الجنائز باب ماجاء في البكاء على الميت الحديث ١٥٨٧ ص: ٥٠٥.

مسند احمد ٢/١١٠، ٢٧٣، ٣٣٣، ٤٠٨، ٤٤٤.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب البكاء عند المريض، ج ١/١٥٨، وقوله «يضرب فيه» أى يضرب لاجل المنع من البكاء.

للاحاديث المروية في منع البكاء على الميت.

فقد رووا غير ما ذكرنا بعض الحديث في تأييد اجتهاد الخليفة الصحابي عمر،
ولامجال في هذه العجالة لبيان علل تلك الاحاديث وفي ما ذكرنا الكفاية في معرفة منشأ
الخلاف في شأن البكاء والذي نحن بصددده.

* * *

الى هنا استعرضنا امثلة من مسائل الخلاف التي كان منشؤها اختلاف
الاحاديث في كل منها ونذكر في ما يأتي آيات من كتاب الله نشأ الخلاف حول
تاويلها بحوله تعالى:

آيات من كتاب الله نشأ الخلاف حول تأويلها

من امثلة ما نشأ الخلاف حولها خلاف في تأويل بعض آيات من كتاب الله
المجيد نذكر امثلة منها في ما يأتي:

حكم غير الله ودعاء غير الله:

قال الشيخ محمد بن عبدالوهاب مؤسس المذهب الوهابي في كتابه (الاصول
الثلاثة وادلتها) ص ٤ منه:
«اعلم رحمك الله انه يجب على كل مسلم ومسلمة تعلم هذه الثلاث مسائل
والعمل بهن^١»

الاولى: ان الله خلقنا...

الثانية: ان الله لا يرضى ان يشرك معه في عبادته احد، لا ملك مقرب ولا نبي
مرسل والدليل قوله تعالى «وان المساجد لله فلا تدع مع الله احدا» (الجن آية ١٨)^٢.
وقال في ص ٥ منه:

«ان الحنيفية ملة ابراهيم ان تعبد الله وحده مخلصا له الدين وبذلك امر جميع
الناس وخلقهم لها كما قال تعالى «وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون» ومعنى يعبدون

(١) كذا ورد في الاصل.

(٢) رسالة الاصول الثلاثة ط. مطبعة المدني ٢٩٥ شارع رمسيس بالقاهرة سنة ١٣٨٠ هـ ورساله الدين
وشروطها ايضا طبع فيها وكذلك استدلوا بقوله تعالى: «قل ادعوا الذين زعمتم من دونه، فلا يملكون كشف الضر
عنكم ولا تحويلا» (الاسراء / ٥٦) وآيات أخرى نظيرها.

يوجدوني واعظم ما امر الله به التوحيد وهو افراد الله بالعبادة واعظم ما نهى عنه الشرك وهو دعوة غيره معه... الى قوله في ص ٨ منه والدليل قوله تعالى «وان المساجد لله...» وقال في ص ٤٦ منه «القاعدة الرابعة: ان مشركى زماننا اغلظ شركا من الاولين لان الاولين يشركون فى الرخاء ويخلصون فى الشدة ومشركوا زماننا شركهم دائما فى الرخاء والشدة والدليل قوله تعالى: (فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون) العنكبوت آية ٦٥.

وقال فى ص ٨ من رسالته (الدين وشروط الصلاة) ١ ما ملخصه: العبادة لها انواع كثيرة منها الدعاء الدليل قوله تعالى «وان المساجد لله...» وورد فى رسالة «شفاء الصدور» التى اصدرته دار الافتاء العامة فى الرد على رسالة الجواب المشكور ص ٣ (رفعوا الى خليفة زعماء دعوة التوحيد والذين ازاحوا غياهب الشرك عن هذه البلاد - اى عن مكة المكرمة والمدينة المنورة - وطهروها من ادراجه وقضوا على كل اثر له...)^٢.

* * *

يقصدون بدعاء غير الله او مع الله ان يقول المسلم مثلا يا رسول الله. للتوسل به الى الله او يدعو غيره من اولياء الله كذلك وادلتهم كلها تدور حول قوله تعالى «لا تدعوا مع الله» ونظائرها مما نهى الله عن الدعاء مع الله او غير الله. وقال مخالفوهم ما اشبه الليلة بالبارحة وما اشبه هذا الاستدلال باستدلال الخوارج فى تكفير من رضى بالتحكيم فى صفين بامثال قوله تعالى:

«ان الحكم الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون» (يوسف ٦٧)^٣

وقوله: «افغير الله ابتغى حكما وهو الذى نزل اليكم الكتاب» (الانعام ١١٤) وكان بداية ذلك فى معركة صفين عندما امر معاوية برفع القرائين على الرماح ودعوة جيش العراق الى قبول حكم القرآن وانخداع اكثرية قراء جيش العراق بذلك واجبارهم الامام عليا بترك القتال وقبول دعوة معاوية بالتحكيم ثم تعيين معاوية من

(١) رسالة الاصول الثلاثة ط. مطبعة المدنى ٢٩٥ شارع رمسيس بالقاهرة سنة ١٣٨٠ - ورسالة الدين وشروطها ايضا طبع فيها بلا تاريخ.

(٢) رسالة شفاء الصدور. ط. الاولى مؤسسه النور للطباعة والتجليد.

(٣) نكرر قولنا: باننا لسنا بصدد احصاء ادلة الطرفين فى البحث وانما نأتى بامثلة منها.

قبله عمرو بن العاص حكما واجبار جيش العراق الامام عليا على تعيين ابي موسى الاشعري حكما من قبله فلما اجتمع الحكمان وخذع عمرو بن العاص ابا موسى وقال له نخلع عليا ومعاوية ونترك الأمر للناس ليختاروا لهم اماما وسبق ابو موسى عمروا بالكلام وقال: انا اخلع عليا ومعاوية عن الأمر ليختار المسلمون لهم اماما ثم خطب بعده ابن العاص وقال: انه خلع صاحبه كما رأيتم وانا انصب صاحبي للامامة فتنازعا وتسابا وافترقا، بعد هذا ادرك من قبل التحكيم من جيش العراق بخطأهم ونادوا بشعار: «لا حكم الا لله» وقالوا: انا كفرنا بقبولنا التحكيم وتبنا الى الله ويجب على الباقي ان يعترفوا بالكفر ثم يتوبوا مثلنا ومن لم يفعل فاولئك هم الكافرون.

وهكذا كفروا اولا من اشترك في تلك الحوادث من عائشة وعثمان وعلي وطلحة والزبير ومعاوية وعمرو بن العاص ومن تبعهم؛ ثم شمل حكمهم بالكفر عامة المسلمين وسموا انفسهم بالشراة ووضعوا سيوفهم قروناً طويلاً على عواتقهم يقتلون بها المسلمين ويقتلون^١ وصدق رسول الله حيث اخبر عن الخوارج وقال: يقتلون اهل الاسلام ويدعون اهل الاوثان لئن ادركتهم لاقتلنهم قتل عاد^٢ وفي احاديث اخرى لاقتلنهم قتل ثمود^٣.

جواب مخالفين في المسألتين

يقول في جواب هؤلاء واولئك مخالفوهم بان القرآن يفسر بعضه بعضا واذا كان قد ورد في القرآن قوله تعالى: «ان الحكم الا لله» فقد ورد فيه ايضا قوله تعالى: «فان جاؤوك فاحكم بينهم او اعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط» المائدة ٤٢.

(١) راجع اخبار يوم صفين في تاريخ الطبرى وابن الاثير وابن كثير ثم اخبار الخوارج فيها وفي غيرها من كتب التاريخ.

(٢) كان ذلك عندما بعث ابن عم الرسول علي من اليمن بذهبية الى الرسول فقسمها بين اربعة من المؤلفه قلوبهم فتغضبت قريش والانصار فقالوا: يعطيه صناديد اهل نجد ويدعنا قال: انما أتألفهم فاقبل رجل... مخلوق الرأس فقال: يا محمد اتق الله فقال النبي (ص): فن يطع الله اذا عصيته أيا مني على اهل الارض ولا تأمنوني، فلما ولي قال النبي (ص) ان من ضنضى هذا قوما يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الاسلام مروق السهم من الرمية يقتلون اهل الاسلام... الحديث صحيح البخارى كتاب التوحيد باب قول الله تعالى بعرج الملائكة... ج ٤/١٨٨ وصحيح مسلم كتاب الزكاة باب ذكر الخوارج وصفاتهم الحديث ١٤٣ ص ٧٤١.

(٣) صحيح مسلم الحديث ١٤٤ و ١٤٥ و ١٤٦.

فقد حول نبيه في هذه الآية ان يحكم بين اهل الكتاب وفي آية اخرى امر بان يتخذوا حكما من الناس بقوله تعالى «وان خفتم شقاق بينها فابعثوا حكما من اهله وحكما من أهلها إن يريدوا اصلاحا يوفق الله» النساء ٣٥.

ولامنافاة بين الآيتين فان الآية الاولى عندما اثبتت (الحكم) لله لم تثبت له حكما محدودا مثل ما للقضاة في المحاكم بان لهم أن يحكموا بين الناس بموجب القوانين المرعية وانه ليس لهم ان يعينوا حاكما من قبلهم وانما ذلك لذي سلطة أعلى، وعلى هذا فليس للقضاة (الحكم) مطلقا وانما لهم أن يحكموا بين الناس فحسب ولكن الله له ان يحكم بين الناس بموجب حكمه وله ان يأذن لغيره بالحكم اي له ان يعين حاكما على أي جهة في ملكه فله الحكم مطلقا وعلى هذا فان الانبياء بحكم الله يحكمون حين يحكمون وكذلك الإثنان اللذان يحكمان بين الزوجين - اذا فان حكم اولئك الحكام اذا حكموا بموجب ما امر الله ليس حكم ما سوى الله ولا حكم غير الله ولا حكم دون الله ولا حكم مع الله وانما هو حكم بامر الله وحكم باذن الله.

وكذلك الشأن بالنسبة الى بعض الايات الاخرى التي تثبت بعض الصفات لله فانها لا تثبت لها محدودة بحد وانما تثبت لها مطلقا. مثل اثبات صفة الملك لله تعالى.

صفة الملك لله

لامنافاة في اثبات صفة الملك لله في قوله تعالى: «ولله ملك السموات والارض وما بينهما واليه المصير» (المائدة ١٨) وقوله تعالى «لم يتخذ ولد ولا شريك له في الملك» الاسراء ١١١ والفرقان ٢، وامثالهما وبين قوله تعالى:

وما ملكت ايمانكم «النساء ٣ و ٢٤ و ٢٥ و ٣٦ وآيات اخرى مثلها لانه سبحانه وتعالى يقول: «قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير». (آل عمران/ ٢٦).

اذأ فان الله تعالى حين يُملك عبده لم يملك العبد عندئذ مع الله، ولم يملك غير الله ولا سوى الله ولا دون الله، وانما العبد وما يملك لمولاه، وان تملك العبد باذن الله من أجل مصاديق «الملك لله» اي ان ملك الله ليس محدودا كملك عبده الذي يحد بحدود مشيئة الله واذن الله ولا حول للعبد ان يتصرف في ما خوله الله باكثر مما حدد الله له في التصرف من زمان ومكان وسيطرة وكذلك الشأن في صفة الخالقية.

الخالق والمحيي.

كذلك شأن صفة «الخالق» و«المحیی» فانه سبحانه وتعالى «خالق كل شيء» الانعام ١٠٢ و «هل من خالق غير الله» فاطر ٣٨ وقال تعالى «الا له الخلق والامر» الاعراف ٥٤ وقال تعالى «وهو الذي يحيي ويميت» المؤمنون ٨٠ وقال «فالله هو الولي وهو يحيي الموتى» الشورى ٩ ولا منافاة بين هذا وبين ان يأذن لعيسى بن مريم ان يخلق ويحيى كما قال سبحانه مخاطبا اياه «واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيه فيكون طيرا باذني. وتبرئ الاكهم والابرص وتخرج الموتى باذني» المائدة ١١٠ وقوله تعالى عن لسان عيسى «اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وابريء الاكهم والابرص واحي الموتى باذن الله.» الانعام ٤٩. فان الله سبحانه حين يخلق ليس كالالة الصانعة لا يحول عن عمله ولا يزول جلا عن ذلك وليس كالبحر حين يعمل لا يستطيع ان يهب قدرة العمل لغيره. بل انه قادر ان يخلق الحياة انسانا كان او حيوانا من طريق اللقاح بين الزوجين ويستطيع ان يخلقه بيديه دون اب ولا ام مثل آدم و يقدر كذلك ان يأذن لعيسى فيخلق باذنه والخالق في كل ذلك هو الله تعالى. وكذلك شأن الاحياء فانه قادر على ان يحيى الموتى بلا واسطة يوم القيامة وقادر على ان يهب الاحياء لرسوله عيسى بن مريم (ع) فيحيى الموتى باذنه. وقادر على ان يجعل الاحياء في ضرب بعض بقرة بني اسرائيل الصفراء بميتهم المقتول فيحيا المقتول ويخبرهم عن قاتله. وان عيسى بن مريم حين خلق الطير واحيا الموتى كان الخلق والاحياء باذن الله وعلى هذا فان عيسى حين خلق الطير واحيا الموتى لم يخلق مع الله ولم يحيى مع الله ولم يخلق ولم يحيى غير الله ولا دون الله وانما خلق واحيا باذن الله.

الولي والشفيع

وكذلك شأن صفة الولي والشفيع فانه لا منافاة في شأن الشفاعة بين قوله تعالى: «ام اتخذوا من دون الله شفعاء قل اولو كانوا لا يملكون ولا يعقلون. قل الله الشفاعة جميعا له ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون» الزمر: ٤٣، ٤٤ وقوله

(١) اشارة الى الايات ٦٧ - ٧٣ من سورة البقرة.

«مالك من دونه من ولي ولا شفيع افلا تتذكرون» السجدة / ٤ وقوله «ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع» الانعام / ٥١ وقوله «وذكربه ان تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع» الانعام / ٧٠.

وبين قوله تعالى:

أ — «ما من شفيع الا من بعد اذنه» يونس / ٣.

ب — «من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه» البقرة / ٢٥٥.

وقوله «يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا» طه / ١٠٩

وقوله «ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له...» سبأ / ٢٣.

وقوله «لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهداً» مريم / ٨٧.

وقوله «ولا يشفعون الا لمن ارتضى» الانبياء / ٢٨

فانه تعالى حين يأذن لعباده الصالحين ان يشفعوا كانت الشفاعة لله فأذن لهم

ان يشفعوا فالشفيع عندئذ ليس دون الله وكذلك شأن الولي فان قوله تعالى:

— الولي —

ان الله له ملك السموات والارض يحيى ويميت ومالككم من دون الله من ولي

ولانصير» التوبة / ١١٦.

الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض ومالككم من دون الله من ولي

ولانصير البقره / ١٠٧.

وقوله: افحسب الذين كفروا ان يتخذوا عبادي من دوني اولياء، انا اعتدنا

جهنم للكافرين نزلاً. الكهف / ١٠٢.

هذه الاقوال لاينا في قوله تعالى

«انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة و يؤتوا الزكاة

وهم راعون» المائدة / ٥٥.

لامنافاة بينها وليس شركا ان نقول: الله ولينا ورسوله ومن يقيم الصلاة و يؤتي

الزكاة في الركوع من المؤمنين، لان الولاية لله وهو الذي اعطى هذه الولاية لهما كما

اعطى للوالد الولاية على ولده.

* * *

في كل الصفات المذكورة صح ان يقال: الله، هو الحاكم والمالك والشفيع

والولي... وصح — ايضاً — ان يقال لمن منح من عبده هذه الصفات: المالك والحاكم

والشفيع والولي وان اوضح مثال لما قلنا المورد الآتي:

من يتوفى الأنفس

قال تعالى: الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي انفسهم النحل/ ٢٨

وقال: تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم النحل/ ٣٢

وقال: توفته رسلنا وهم لا يفرطون الانعام / ٦١

وقال: قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون السجدة

١١/

وقال: الله يتوفى الانفس حين موتها — الزمر / ٤٢

فمن قال ان الملائكة تتوفى الانفس حين موتها باذن الله لم يكذب ولم يشرك ،
ومن قال ملك الموت عزرائيل يتوفى الانفس حين موتها باذن الله لم يكذب ولم يشرك ،
ولا منافاة بين القولين وبين القول بان الله يتوفى الانفس حين موتها، وفي كل هذه
الحالات لم يتوفى الانفس غير الله ولا مع الله بل ان الله هو الذي توفاهها^١ وكذلك الشأن
بالنسبة الى الصفات الاخرى المذكورة سابقا.

دعوة الرسول والتوسل به الى الله

بناء على ما بينا بان كلا من الحاكم والمالك والشفيع والخالق والمحيي والمميت
والولي اذا كان باذن الله فليس ثمة غير الله ولا دون الله ولا مع الله. بناء على ذلك فان
دعوة النبي (ص) في التوسل به الى الله — ايضاً — اذاً كان باذن الله فليس ثمة دعاء غير
الله ولا دون الله ولا مع الله وليس من مصاديق ما نهى الله عنه في قوله تعالى: «ولا تدعوا
مع الله احدا» وقد مر بنا في الحديث المروي بمسند احمد وسنن الترمذي وابن ماجه
ورواية البيهقي والتي صححوها بان رسول الله (ص) علم الصحابي الضرير ان يدعو بعد
الصلاة ويقول «اللهم اني اسألك وأتوجه بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد اني توجهت بك
الى ربي في حاجتي لتقضى لي اللهم فشفعه لي»^٢

(١) هذا الاستدلال مستفاد من قول الامام علي، برواية الصدوق عنه في باب الرد على الثنوية
والزنادقة بكتاب التوحيد.

(٢) راجع مصادره في باب الاستشفاع برسول الله في حياته من هذه المقدمة.

فقضى الله حاجته وشفع رسوله فيه وشفاه وان هذه النوع من التوسل من مصاديق قوله تعالى (وابتغوا الى ربكم الوسيلة) المائدة — ٣٥.

* * *

الى هنا استعرضنا بعض مسائل الخلاف وأشرنا الى ما كان ظاهرا من منشأ مسائل الخلاف وفي مايلي ندرس الباعث الحقيقي لما نشأ من خلاف بادئ ذي بدء.

الباعث الحقيقي لما نشأ من خلاف بادئ ذي بدء

لقد ذكرنا في ماسبق امثلة من منشأ الاختلاف في الاحاديث وفي تأويل آيات من الكتاب العزيز ونرى وراء كل ذلك باعثن حقيقيان نشأ منها مسائل الخلاف بادئ ذي بدء ثم قلد الخلف السلف في ما ارتأوا بعد ذلك، أولهما ما حكى الله سبحانه عما جرى من ابليس حين لم يسجد لآدم بقوله:

«قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي أستكبرت ام كنت من العالين، قال: انا خير منه... سورة ص ٧٥—٧٦.

و «قال لم اكن لاسجد لبشر خلقتة من صلصال من حمأ مسنون الحجر ٣١ و

٣٣:

ان ابليس عبد الله وحده لا شريك له عمر الملائكة ثم لم يخضع لآدم صفي الله في عصره واستهان به فكان من أمره ما كان، اما الناس الذين استكبروا واستهانوا بانبياء الله واصفيائه بعد ذلك فاليكم امثلة من امرهم في ما يأتي:

في عصر خاتم الانبياء:

روى ابن حجر في ترجمة ذي الخويصرة رأس الخوارج من الاصابة عن انس،

قال:

كان في عهد رسول الله (ص) رجل يعجبنا تعبه واجتهاده وقد ذكرناه لرسول الله (ص) فلم يعرفه فوصفناه بصفته فلم يعرفه فبيننا نحن نذكره اذ طلع الرجل علينا فقلنا هو هذا قال: انكم لتخبروني عن رجل ان في وجهه لسعة من الشيطان فاقبل حتى وقف عليهم ولم يسلم فقال له رسول الله (ص) انشدك الله، هل قلت حين وقفت على المجلس ما في القوم احد افضل مني او خير مني؟ قال: اللهم نعم! ثم دخل يصلي فقال

رسول الله (ص) من يقتل الرجل... الحديث وفي آخر الحديث قال (ص) لو قتل ما
اختلف من امتي رجلا...^١

في الامم السابقة:

قال قوم نوح لنبيهم نوح:

«ما نراك الا بشرا مثلنا... وما نرى لكم علينا من فضل» هود ٢٧. وقالوا
«ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم» المؤمنون ٢٤. وقال قوم نوح وعاد وشمود
لرسلهم:

«ان انتم الا بشر مثلنا...» ابراهيم ٩

وقالوا لنبيهم («ما هذا الا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما
تشربون») المؤمنون ٣٣

وكان جواب الانبياء لامهم في هذا الاعتراض والاستهانة بهم ما اخبر الله عنه
وقال:

«قالت لهم رسلكم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من
عباده» ابراهيم ١١ - ١٢.

* * *

ان ابليس لا يرى فضلا لصفي الله ونبيه آدم على نفسه فلا يخضع له و يقول عنه
انه بشر.

وقوم نوح وعاد وشمود لا يرون لانبيائهم من فضل عليهم و يقولون لانبيائهم ان
انتم الا بشر مثلنا.

و ذو الخويصرة رأس الخوارج يقول لجمع فيهم رسول الله ما في القوم افضل مني
او خير مني.

(١) راجع ترجمة ذي الخويصرة من الاصابة.

وذو الخويصرة التيمي حرقوص بن زهير اصل الخوارج قال لرسول الله عندما كان يقسم قسما يارسول
الله اعدل فقال له ويحك من يعدل اذالم اعدل وقال فيه: ان له اصحابا يحقر احدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه
مع صيامهم، يرقون من الدين كمروق السهم من الرمية - راجع ترجمة ابن الخويصرة في اسد الغابة وتفصيل
قول رسول الله فيه وفي الخوارج وقتال الامام علي اياهم في صحيح مسلم باب ذكر الخوارج وباب التحريض
على قتل الخوارج وباب الخوارج شر الخلق والخليقة.

والسعفة: قروح تخرج في الوجه والرأس ويكون المعنى اثر ضربة الشيطان في وجهه.

و يقول الرجل ذو المعرفة من السعوديين: «محمد رجالا مثلي مات»
 اذا فان الباعث الاول للاستهانة باصفياء الله هو الاستكبار.

والباعث الثاني: لاستهانة اصفياء الله وخاصة في الامة الاسلامية مدى القرون، حاجة السلطات الحاكمة على المسلمين الى اراءة حياة القدوات الانسانية من الانبياء والاصفياء بما لا يناقض حياتهم الغارقة في الشهوات والمنهمكة في اتباع هوى النفس، و كان من اثر العاملين الاول والثاني أن أولت آيات من الذكر الحكيم الى ما يبين صدور المعاصي من انبياء الله واصفيائه ووضعت روايات في انغماسهم في الملاهي والشهوات و احيانا استفادوا من الاخبار الاسرائيلية في ذلك مثل مارووا عن داود وزوجة أوريا^١ الى غيرها والكثير من امثالها التي رووها في سيرة الانبياء؛ وقد مر بنا امثلة مما رووا في سيرة افضل الانبياء وخاتمهم محمد (ص)، وفي هذا السبيل، سبيل تهوين امر انبياء الله واصفيائه وعدم وجود ميزة لهم عن سواهم أولوا آيات من الكتاب العزيز المصرحة بمعجزات الانبياء مثل خلق عيسى (ع) من الطين طيرا باذن الله ونظائره، ووضعت روايات تتفق وما يروجونه من عدم وجود ميزة لاصفياء الله عن سواهم من البشر.

وفي مقابل تلك الاحاديث وتأويلات آيات كتاب الله بدافع العاملين المذكورين أنفا نجد في كتب التفسير والحديث والسيرة احاديث اخرى تدل على ميزات اصفياء الله فأمن بها طائفة من المسلمين واولت آيات كتاب الله بما يوافق تلك الاحاديث وانتج ذلك لكل طائفة منها رؤية خاصة لصفات الله وصفات انبيائه وعن العرش والكرسي وسائر المعارف الاسلامية تناقض رؤية الطائفة الاخرى وكل طائفة آمنت بما لديها بما يبلغ به الى تكفير من يخالفه في الرأي. وان ما وقع من التفرقة مدى القرون كان من اثر ما ذكرناه، اما العلاج فسنذكره بحوله تعالى في الخاتمة الآتية:

(١) راجع اخبار سيرة النبي داود (ع) في تاريخ الطبرى وغيره.

خلاصة وخاتمة

شرع الله للانسان الاسلام نظاما مناسبا مع فطرته وهداه بواسطة انبيائه وكان كلما توفي نبي وغيرت امته شريعته جدد الله دينه برسال نبي جديد واقتضت حكمته ختم الشرائع بشريعة خاتمهم فحفظ اصول الاسلام بحفظ القرآن من الزيادة والنقصان ابد الدهر، وجعل بيان الاحكام وشرحه في سنة رسوله (ص) ولم يحفظها مثل القرآن من الزيادة والنقصان، ولم يعصم رواته عن السهو والنسيان، ولم يعصم نساخ كتب الحديث من الخطأ والزلل، ومضى على رواية سنة الرسول (ص) اربعة عشر قرنا وتداول المسلمون من روايات سنة الرسول (ص) سيرة وحديثا ما تعارض بعضه مع بعض الشيء الكثير مع وجود المجمل والمبين والعام والخاص فيها والعوامل الخارجة المؤثرة في رواية الحديث والتي أشرنا اليها سابقا فاختلفت اجتهادات المجتهدين في ترجيح بعضها على بعض مضافا الى اجتهاداتهم الخاصة في مختلف معارف الاسلام واحكامه، فتعصب كل لآرائه فتكونت لكل فرقة رؤية خاصة للاسلام أولت بموجبها آيات متشابهات في كتاب الله الكريم وحملت عليها آيات محكمات أخرى.

* * *

وهكذا انقسم المسلمون الى فرق ومذاهب، ومضت عليهم قرون طويلة كفر خلالها المسلمون بعضهم البعض الاخر، وقتلت من خالفها في الرأي أحيانا وهدمت ديارهم! فكيف يمكن توحيد كلمة المسلمين مع وجود هذه المفارقات؟ ووجود مسائل الخلاف بينهم مما أوردنا أمثلة منها في ماسبق. لا، لن يتم التقارب بين المسلمين هكذا

ومع بقائهم على تقليد اجتهادات السلف ولا بد للمسلمين من أن تبدي كل طائفة منهم مآلديها من رؤى للاسلام وتأويل للقرآن و حديث مروى واجتهادات للسلف نشأ منها الخلاف على شرط أن يتم ذلك باسلوب الدعوة الى الحق والبحث العلمى الرصين ودون الركون الى السباب والشائم والافتراء انتصاراً لرأيها وطائفها أعاذنا الله من ذلك ثم الاستماع بتجرد الى مآلدى الطوائف الاخرى كذلك، والحقيقة بنت البحث.

والسبيل الصحيح للوصول الى ذلك أن يتبادر علماء المسلمين الى تلك الدراسات بتجرد علمى بحت ثم تعرض نتائج تلك الدراسات على الاندية العلمية الاسلامية الكبرى مثل الجامع الازهر الشريف فى القاهرة والجامعة الاسلامية فى المدينة المنورة ورابطة العالم الاسلامى فى مكة المكرمة والجامع الاسلامى الكبرى فى النجف الاشرف وقم وخراسان والقيروان والزيتونة لبحثها وتمحيصها، ثم لتنشر بعد ذلك حكومات البلاد الاسلامية ماتمخض عنه دراسات تلك الجامعات على المسلمين كافة ليتسنى لجميع المسلمين لمن اراد منهم ان يفهم رأى البعض الآخر تفهما واعياً لالبس فيه ولا غموض ولا نيز وله بعد ذلك ان يتقبل رأى غيره بقبول حسن او يعذر اخاه المسلم فى ما اتخذ له من رأى وهكذا يتيسر للمسلمين ان يتفهم بعضهم البعض الآخر ويتقاربوا ويوحدوا جهودهم فى ما يصلح لهم^١.

ومن الضرورى فى هذا السبيل أن يبدأ بالبحث عن مصادر الشريعة الاسلامية

(١) لقد شرحت ضرورة القيام بدراسات مقارنة لسنة الرسول بتجرد علمى بحت لعلماء المسلمين وكتابتهم ومفكرهم بمصر والحجاز والشام ولبنان والهند وباكستان والعراق وغيرها سواء فى الجامعات الاسلامية والاندية العلمية بها اوفى اجتماعى مع العلماء على الفراد واستعنت الله وقمت منذ نيف وخمسين سنة بهذه الدراسات ولما كانت ام المؤمنين عائشة اكثر من تحدثت عن سيرة الرسول الاكرم (ص) بين امهات المؤمنين واهل البيت وجميع الصحابة وكان اكثر الباحثين مسلمين وغير مسلمين من المستشرقين وتلاميذهم يتعرفون على سيرة الرسول (ص) من خلال الاحاديث المروية عنها ولن تتسير دراسة سيرة الرسول دون الدراسة العلمية لمجموعة الاحاديث المروية عنها بتجرد علمى بحت، لهذا اضطررت الى دراسة احاديثها دراسة مقارنة وطبعت الجزء الاول منها ولما يطبع الجزء الثانى منها ورأيت خلال دراساتى من الاختلاف فى اخبار السيرة واخبار العصر الاسلامى الاول ما اكرهنى على نشر بعض دراساتى باسم (خسون ومائة صحابى مختلق) وقصدي من هذه التسمية ان أنبه العلماء الى ما فى اخبار العصر الاسلامى الاول من عظيم الاختلاق وطبع منها فلان ترجم فيها ثلاثة وتسعون صحابياً مختلقاً ونيف سبعون راوياً للحديث مختلقون - أيضاً - اسندت اليهم روايات فى الفتوح والردة وغير ذلك مختلقة جمعياً وكتبت مقدمة لهذه الدراسة مجلدى عبدالله بن سبأ وبقى نشر المجلد الثالث من (خسون ومائة صحابى مختلق) والثالث من عبدالله بن سبأ والى الله أشكو ما لاقيت من الارجاف فى هذا السبيل.

وكيفية أخذ المسلمين منها وسبل الوصول الى السنة النبوية وللوصول الى هذا الهدف الجليل قمت مستعينا بالله تعالى الى تأليف هذا الكتاب على المنهج التالي:
منهج البحث في الكتاب:

• اوردنا في ما سبق امثلة من مسائل الخلاف ومنشأ الاختلاف والباعثان اليها وبقي لنادرس جذور الخلاف والاختلاف وسندرسها في ابواب القسم الاوّل من هذا الكتاب ليدرسها المصلحون الغيارى على الاسلام والمسلمين و ينسقوا جهودهم في ضوء معرفتها في تقريب ابناء الامة الاسلامية وتوحيد كلمتهم ضد أعداء الاسلام ان شاء الله تعالى.

وفي هذا الصدد لما كان جميع طوائف المسلمين ينتهون الى مدرستين^١ مدرسة الامامة ومدرسة الخلافة بحثت في الكتاب:

اولا: عن رأي المدرستين في الصحابة وعدالتهم، لانهم من سبل الوصول الى سنة الرسول (ص). وترى مدرسة الخلافة أنهم جميعا عدول لا يتطرق الشك في عدالة أي واحد منهم و يؤخذ الحديث من جميعهم، وترى المدرسة الاخرى أن في الصحابة البر التقي الذي يؤخذ منه الحديث وفيهم من وصمه الله في كتابه بالنفاق وقال: «ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم» التوبة ١٠١.

وهكذا درست أدلة الطرفين في هذا الباب بتجرد علمي ثم بحثت عن رأي المدرستين في الامامة والخلافة وأدلتها في ما ارتأيا لان الخلفاء الاربعة الاوائل لدى احدهما من سبل الوصول الى الشريعة الاسلامية وتروي في حقهم عن الرسول أنه قال: «خذوا بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي وعضوا عليها بالنواجذ»، ثم أنها تتخذ من اجتهاداتهم مصدرا للشريعة الاسلامية^٢.

وكذلك الائمة الاثنا عشر لدى (مدرسة أهل البيت) فانهم يرونهم من سبل الوصول الى الشريعة الاسلامية و يأخذون منهم كل ما يروون عن الرسول (ص) من أحكام بلا تردد فلا بد مع هذا من تمحيص أدلة الطرفين في هذا السبيل.

ثانيا: درست بحوث المدرستين في مصادر الشريعة الاسلامية بكل أمانة علمية، وختمت البحوث بذكر بعض أنواع نشاط المدرستين الثقافي والسياسي

(١) سيأتي بيانه في بداية البحوث ان شاء الله تعالى.

(٢) يأتي بحثها مفصلا في باب (بحوث المدرستين في مصادر الشريعة الاسلامية) ان شاء الله تعالى.

والاجتماعي وآثارها على المجتمع الاسلامي.

ثالثاً: أوردت في الاخير بعض ما افتري به على مدرسة أهل البيت (ع) وحاولت القيام بتمحيصه، وهاهي البحوث أعرضها على الملائمة الاسلامي الكريم راجيا أن ينظروا فيها بتجرد علمي و ينبهوني الى أخطائي في سبيل نشر المعرفة الاسلامية وتيسير التقارب والتفاهم بين المسلمين ان شاء الله تعالى.

«قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين».

القسم الاول

بحوث المدرستين في مصادر الشريعة الاسلامية

توطئة

في تاريخ الفكر الاسلامي نجد انقساماً بيناً بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله بين مدرستين متعارضتين، مدرسة السلطة الحاكمة بعد الرسول حتى آخر الخلفاء العثمانيين^١ ومدرسة اهل البيت حتى الامام الثاني عشر، ولم يزل الخلاف قائماً بين خريجي المدرستين وأتباعهما من المسلمين ولا يزال كذلك حتى عصرنا الحاضر والى ماشاء الله.

وفي مايلي من هذا البحث نسمي المدرسة الاولى بمدرسة الخلفاء، والآخرى بمدرسة اهل البيت ونبدأ بذكر منشأ الخلاف بينها ثم نورد أمثلة من وجوه الخلاف إن شاء الله تعالى.

منشأ الخلاف:

تتفق المدرستان في القرآن الكريم، وتلتزمان بما أحله وحرمه وفرضه وندب اليه، وتختلفان في تأويله وخاصة متشابه آياته أشد الاختلاف، ثم تختلفان في الامور الثلاثة التالية:

أ) في الصحابة.

(١) انما حددنا مدرسة السلطة الحاكمة بآخر الخلفاء العثمانيين ومدرسة اهل البيت بالامام الثاني عشر من أئمة اهل البيت، لان مدرسة الخلفاء تلتزم بشرعية حكومة الخلفاء بعد النبي وتسميهم بخلفاء النبي، وتلتزم مدرسة اهل البيت بأحقية الائمة الاثني عشر في الحكم وتسميهم اوصياء النبي، ولهذا سمينا الاولى بمدرسة الخلفاء والثانية بمدرسة اهل البيت.

(ب) في الامامة والخلافة وهما من سبل الوصول الى مصادر الشريعة الاسلامية
 (ج) في مصادر الشريعة الاسلامية بعد القرآن.

وسندرس بحوث المدرستين في كل منها بعد دراسة المصطلحات الواردة في بابه
 في اول الباب ونبدأ هنا بدراسة المصطلحات المشتركة في جميع أبواب الكتاب
 أولا ، ثم بدراسة كيفية تدوين معاجم اللغة العربية ثانيا

اللغة العربية والمصطلحات الإسلامية

أولاً: تعريف المصطلحات وهي:

أ) لغة العرب.

ب) المصطلح الشرعي أو المصطلح الإسلامي.

ج) مصطلح المشرعة أو مصطلح المسلمين.

ونسمة الأول أحياناً بـ «تسمية العرب»، والثاني بـ «تسمية الشارع»

والثالث بـ «تسمية المسلمين» ونقول:

أ) لغة العرب

إنَّ جَلَّ الألفاظ العربية التي نستعملها اليوم، كانت شائعة في معانيها قبل

الإسلام وبعد الإسلام حتى اليوم، مثل: الأكل والنوم والليل والنهار.

ومن تلكم الألفاظ ماورد في لغة العرب في معان متعددة، مثل لفظ: غنم،

الذي كان في البدء بمعنى كسب الغنم، ثم استعمل أيضاً في لغة العرب بمعنى الفوز

بالشيء بلا مشقة ثم استعمل في الإسلام في الفوز بالشيء مطلقاً، سواء أكان الفوز

بمشقة أم من دون مشقة.

وقد يرد لفظ عند قبيلة بمعنى وعند أخرى بمعنى آخر مثل: «الاثلب» فإنه في

لغة أهل الحجاز: الحجر، وفي لغة تميم: التراب^١.

وفي عصرنا يستعمل لفظ: «المبسوط» ويراد به عند العراقيين المضروب،

ولدى الشاميين واللبنانيين: المسرور، وفي مثل هذه الحالة يجب أن نقول مثلاً:

(١) تهذيب اللغة للازهري، ط / القاهرة، سنة: ١٣٨٤ هـ، ج ٩١/١٥.

«الاثلب» في لغة تميم بمعنى كذا، وفي لغة الحجازيين بمعنى كذا، وكذلك الامر في «المبسوط».

ب) المصطلح الشرعي أو المصطلح الاسلامي

عند ما بعث الله خاتم أنبيائه صلى الله عليه وآله، استعمل بعض الالفاظ العربية في غير معانيها الشائعة لدى العرب، مثل: «الصلاة» التي كانت تستعمل في مطلق «الدعاء»، واستعملها رسول الله صلى الله عليه وآله، في عبادة خاصة لها قراءات خاصة مقارنة بأفعال خاصة من قيام وركوع وسجود، مما لم تكن معروفة لدى العرب، وهذا ما نسميه بـ «المصطلح الشرعي أو الاسلامي» سواء في ذلك أغير المعنى اللغوي للفظ مثل «الصلاة»، أم جاء الشارع الاسلامي بلفظ جديد في معنى جديد، مثل: «الرحمن» صفة لله تعالى.

ويعرف «المصطلح الشرعي» بورود اللفظ في معناه في القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف، وبدون ذلك لا يوجد المصطلح الشرعي. إذا فالمصطلح الشرعي: ما استعمله الشارع في معنى خاص وبلغ الرسول صلى الله عليه وآله ذلك.

ج) مصطلح المشرعة أو «تسمية المسلمين»

من الالفاظ ماهي شائعة في معان خاصة بها لدى المسلمين عامة مثل: «الاجتهاد» و «المجتهد» الشائعين لدى عامة المسلمين في الفقه والفقهاء، وكان اللفظان في لغة العرب بمعنى بذل الجهد في طلب الامر، وباذل الجهد، واستعملوا بنفس المعنى اللغوي في حديث الرسول صلى الله عليه وآله كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال:

«فضل العالم على المجتهد مائة درجة»، أي على المجتهد في العبادة^٢.

وفي ما روي عن سيرته صلى الله عليه وآله، وقيل:

«كان رسول الله يجتهد في العشر الاواخر ما لا يجتهد في غيره»^٣.

(١) مادة: جهد، من نهاية اللغة، لابن الاثير.

(٢) مقدمة سنن الدارمي، باب فضل العلم والعالم، ح - ٣٢، ج ١/١٠٠.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الاعتكاف، باب الاجتهاد في العشر الاواخر من شهر رمضان، ح - ١١٧٥.

ولم يرد «الاجتهاد» و «المجتهد» بمعنى: الفقه والفقهاء، في القرآن الكريم ولا الحديث النبوي الشريف، ونسبي هذا النوع من التسمية بـ «عرف المشرعة» و «تسمية المسلمين».

ومن هذا النوع من التسمية ما لا يكون شائعاً لدى عامة المسلمين بل يكون شائعاً لدى بعضهم، مثل كلمة: «صوم زكريا» المستعمل لدى بعض المسلمين في الصوم مع الالتزام بالصمت والامتناع عن التكلم، وهذا النوع من المصطلح ينبغي أن نسميه باسم البلد الشائع فيه، فنقول: هذا اصطلاح المسلمين من اهل بغداد، أو اصطلاح المسلمين في القاهرة مثلاً، ولا يصح أن نسميه بـ «اصطلاح المسلمين» أو «عرف المشرعة» أو «تسمية المسلمين» مطلقاً وبدون تقييد.

وكذلك الامر بالنسبة الى التسمية الشائعة لدى أهل مذهب من المذاهب الاسلامية أو لدى فرقة تنتمي الى الاسلام.

مثل: «الشاري» و «المشرك» لدى الخوارج، و «الشاري» عندهم بمثابة المجاهد عند كافة المسلمين، و «المشرك» عندهم: جميع المسلمين و كل من لا ينتمي الى الخوارج.

ومثل: «الرافضي» الذي ينزبه بعض أتباع مدرسة الخلفاء بعض أتباع مدرسة اهل البيت عليهم السلام.

و «الناصي» عند أتباع مدرسة اهل البيت عليهم السلام، الذي يسمون به: كل من يبغض الائمة من اهل البيت عليهم السلام.

وفي مثل هذه الحالة، نسمي الاول: بـ «اصطلاح الخوارج» والثاني: بـ «اصطلاح مدرسة الخلفاء» والثالث: بـ «اصطلاح مدرسة اهل البيت عليهم السلام».

وبناءً على ما ذكرنا، فاذا ورد لفظ «الناصي» لدى أتباع مدرسة الخلفاء لا ينبغي أن نفهم منه أعداء اهل البيت عليهم السلام، وكذلك اذا ورد لفظ «الشاري» عند غير الخوارج لا نفهم منه ما اصطلاح عليه الخوارج.

د: الحقيقة والمجاز

اذا شاع استعمال اللفظ في معناه بحيث لم يتبادر الى ذهن السامع عند استماع

الكلمة غير ذلك المعنى، مثل لفظ: «الاسد» الذي يفهم منه: الحيوان المفترس، لا غير.

و مثل لفظ: «الصلاة» التي لا يفهم منها لدى المسلمين غير: القيام بالاعمال الخاصة المقرونة بأذكار خاصة.

في مثل هذه الحالة، يوصف «الاسد» بأنه حقيقة في الحيوان المفترس، و «الصلاة» بأنها حقيقة في الاعمال المخصوصة ويسمى الاول: بـ «الحقيقة اللغوية» والثاني بـ «الحقيقة الشرعية».

وقد يستعمل لفظ «الاسد» ويقصد به: الرجل الشجاع، ويقال: رأيت أسداً يتكلم في المسجد. وهذا الاستعمال يسمى استعمالاً مجازياً ويقال: استعمل «الاسد» مجازاً في الرجل الشجاع، ولا بدّ عند ذلك من وجود قرينة في الكلام أو في المقام يدل على انه لم يقصد من «الاسد» المعنى الحقيقي، مثل قولك هنا: «يتكلم في المسجد» فان الاسد لا يتكلم، وهذه قرينة على أن القائل لم يقصد الحيوان المفترس وانما قصد رجلاً شجاعاً.

ثانياً: كيفية تأليف مجاميع اللغة العربية

عندما قام علماء اللغة العربية بتدوين اللغة العربية في القرنين الثاني والثالث الهجريين، سجّلوا أمام كل لفظ ما وجدوا له من معنى، منذ العصر الجاهلي الى زمانهم سواء أكان ذلك المعنى شائعاً عند أهل اللغة أم في الشرع الاسلامي، أو لدى المسلمين غير أن فقهاء المسلمين، بذلوا جهداً مشكوراً مدى القرون في تحديد المصطلحات الاسلامية الفقهية وتعريفها، مثل مصطلح الصلاة والصوم والحج وغيرها، فأصبحت المصطلحات الاسلامية الفقهية معروفة لدى جميع المسلمين، ولما لم يبذل نظير ذلك الجهد في تعريف المصطلحات الاسلامية غير الفقهية، أصبح بعض المصطلحات، غير معروف لدى المسلمين، أهى من نوع الاصطلاح الشرعي أم من نوع تسمية المسلمين واصطلاح التشريعة؟ وأدّى ذلك الى اللبس والغموض في ادراك المفاهيم الاسلامية وأحياناً في معرفة بعض الاحكام الشرعية نظير ما وقع في لفظ الصحابي، والصحابة، كما سندر سهما في مايلي.

معالم المدرستين

القسم الاول

البحث الاول

بحوث المدرستين في الصحبة والصحابة-

الفصل الاول: تعريف الصحابي لدى المدرستين
الفصل الثاني: عدالة الصحابة لدى المدرستين
الفصل الثالث: خلاصة بحث الصحابة لدى المدرستين

معالم المدرستين - القسم الاول

البحث الاول

الفصل الاول

تعريف الصحابي لدى المدرستين

تعريف الصحابي لدى المدرستين

تعريف الصحابي في مدرسة الخلفاء:

قال ابن حجر في مقدمة الاصابة، الفصل الاول في تعريف الصحابي:

«الصحابي من لقي النبي صلى الله عليه وآله مؤمناً به ومات على الاسلام، فدخل في من لقيه من طالت مجالسته له او قصرت، ومن روى عنه أو لم يرو، ومن غزا معه أو لم يغزو ومن رآه رؤية ولو لم يجالسه ومن لم يره لعارض كالعمى^١».

وذكر في «ضابط استفاد من معرفته صحبة جمع كثير» قال: «انهم كانوا في الفتوح لا يؤمرون إلا الصحابة».

«وانه لم يبق بمكة ولا الطائف أحد في سنة عشر إلا أسلم وشهد مع النبي حجة الوداع» و«انه لم يبق في الاوس والخزرج أحد في آخر عهد النبي صلى الله عليه وآله إلا دخل في الاسلام» و«ما مات النبي صلى الله عليه وآله وأحد منهم يظهر الكفر»^٢.

وإذا راجع باحث أجزاء كتابنا «خمسون ومائة صحابي مختلف» يرى مدى تسامحهم في ذلك ومبلغ ضرره على الحديث.

(١) الاصابة ١/١٠.

(٢) المصدر السابق ص ١٦ وقبله ص ١٣.

تعريف الصحابي بـدرسة أهل البيت

الصاحب وجمعه: صحب، وأصحاب، وصحاب، وصحابة^١ و«الصاحب: المعاشر^٢ والملازم^٣» «ولا يقال إلا لمن كثرت ملازمته»^٤، وان المصاحبة تقتضي طول لبثه^٥.

وبما أن الصحبة تكون بين اثنين، يتضح لنا أنه لا بد أن يضاف لفظ «الصاحب» وجمعه «الصحب و...» الى اسم ما في الكلام، وكذلك ورد في القرآن في قوله تعالى «يا صاحبي السجن» و«أصحاب موسى»، وكان يقال في عصر الرسول صلى الله عليه وآله «صاحب رسول الله» و«أصحاب رسول الله» مضافاً الى رسول الله صلى الله عليه وآله كما كان يقال: «أصحاب بيعة الشجرة» و«أصحاب الصفة» مضافاً الى غيره، ولم يكن لفظ الصاحب والاصحاب يوم ذلك أسماءً لأصحاب الرسول (ص)، ولكن المسلمين من أصحاب مدرسة الخلافة تدرجوا بعد ذلك على تسمية أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله بالصحابي والاصحاب، وعلى هذا فإن هذه التسمية من نوع تسمية المسلمين ومصطلح المتشعبة.

كان هذا رأي المدرستين في تعريف الصحابي.

ضابطةهم لمعرفة الصحابي ومناقشتها

بالإضافة الى ما ذكرنا عرّف مترجمو الصحابة بمدرسة الخلفاء ضابطة لمعرفة الصحابي كما نقلها ابن حجر في الاصابة وقال:

«ومما جاء عن الائمة من الاقوال المجملة في الصفة التي يعرف بها كون الرجل صحابياً وان لم يرد التنصيص على ذلك، ما أورده ابن أبي شيبة في مصنفه من طريق لا بأس به: أنهم كانوا في الفتوح لا يؤمرون الا الصحابة»^٦.

والرواية التي جاءت من طريق لا بأس به بهذا الصدد هي التي رواها الطبري وابن عساكر بسندهما عن سيف عن أبي عثمان عن خالد وعبادة قال فيها: «وكانت الرؤساء تكون من الصحابة حتى لا يجدوا من يحتمل ذلك»^٧.

١ و ٢) راجع لسان العرب، مادة «صحب».

٣ و ٤ و ٥) مفردات الراغب، مادة «صحب».

٦) الاصابة ١/١٣.

٧) الطبري ط. اوربا ١/٢١٥١.

وفي رواية اخرى عند الطبري عن سيف قال:
 «ان الخليفة عمر كان لا يعدل أن يؤمر الصحابة اذا وجد من يجزي عنه في
 حربه فان لم يجد في التابعين باحسان، ولا يطمع من إنبعت في الرواة في
 الرئاسة...»^١.

مناقشة ضابطة معرفة الصحابي

ان مصدر الروايتين هو سيف المتهم بالوضع والزندقة^٢.
 وسيف يروي الضابطة عن أبي عثمان، وأبو عثمان الذي يروي عن خالد
 وعبادة في روايات سيف، تخيله سيف يزيد بن أسيد الغساني وهذا الاسم من
 مختلفات سيف من الرواة^٣.
 ومهماتكن حال الرواة الذين رووا هذه الروايات و كائنا من كان، فان الواقع
 التاريخي يناقض ما ذكروا.

فقد روى صاحب الاغانى وقال:

«أسلم امرؤ القيس على يد عمرو وولاه قبل أن يصلي لله ركعة واحدة»^٤.
 وتفصيل الخبر في رواية بعدها عن عوف بن خارجة المري قال:
 والله اني لعند عمر بن الخطاب (رض) في خلافته إذ أقبل رجل أفحج^٥ أجلح
 أمعريتخطى رقاب الناس حتى قام بين يدي عمر فحياه بتحية الخلافة.
 فقال له عمر: فمن أنت؟
 قال أنا امرؤ نصراني، أنا امرؤ القيس بن عدي الكلبي، فعرفه عمر، فقال له:
 فما تريد؟

قال: الإسلام.

فعرضه عليه عمر، فقبله ثم دعا له برمح فعقد له على من أسلم بالشام من

(١) الطبري ط. اوربا ١/٢٤٥٧ - ٢٤٥٨.

(٢) راجع ترجمة سيف في أول الجزء الاول من كتاب عبدالله بن سبأ.

(٣) راجع مخطوطة «رواة مختلفون» و كتاب عبدالله بن سبأ ط. بيروت سنة ١٤٠٣ هـ ج ١/١١٧.

(٤) الاغانى ط. ساسي ١٤/١٥٨.

(٥) الافحج: من تدانت صدور قدميه وتباعد عقباه، والأجلح: الذي انحسر شعره عن جانبي رأسه.

والامعز: القليل الشعر.

قضاة^١ فادبر الشيخ واللواء يهتز على رأسه...» الحديث^٢.
ويخالفه - أيضاً - ما في قصة أمير علقمة بن علاثة الكلبي بعد ارتداده،
وقصته كما في الأغاني والإصابة^٣ بترجمته مايلي:

أسلم علقمة على عهد رسول الله وأدرك صحبته ثم ارتد على عهد أبي بكر
فبعث أبو بكر إليه خالد ففرّ منه.

قالوا ثم رجع فأسلم.

وفي الإصابة:

شرب الخمر على عهد عمر فحدّه فارتدّ ولحق بالروم فأكرمه ملك الروم، قال
له: أنت ابن عمّ عامر بن الطفيل، فغضب وقال: لا أراني أعرف إلا بعامر؛ فرجع
وأسلم.

وفي الأغاني والإصابة واللفظ للأول:

لما قدم علقمة بن علاثة المدينة وكان قد ارتد عن الإسلام، وكان لخالد ابن
الوليد صديقاً فلقية عمر بن الخطاب (رض) في المسجد في جوف الليل وكان عمر
(رض) يشبه بخالد فسلم عليه وظن أنه خالد.

فقال له: عزلك؟

قال: كان ذلك.

(١) قضاة قبائل كبيرة، منهم قبائل حيدان وبهاء وبلي وجهينة، ترجمتهم في جمهرة أنساب ابن حزم
٤٤٠ - ٤٦٠ وكانت ديارهم في الشحر ثم في نجران ثم في الشام فكان لهم ملك ما بين الشام والحجاز إلى
العراق، راجع مادة قضاة، معجم قبائل العرب ٩٥٧/٣.

(٢) الاغاني ط. ساسي ١٤/١٥٧، وأوجزه ابن حزم في جمهرة أنساب العرب ص ٢٨٤.

(٣) ترجمته في الإصابة ٢/٤٩٦ - ٤٩٨ والاغاني ط. ساسي ١٥/٥٦ وقصة تنافر علقمة وعامر في
الاغاني ١٥/٥٠ - ٥٥، وفي جمهرة ابن حزم ص ٢٨٤.

(٤) وقعت منافرة بين علقمة وعامر ذكرها الاخباريون، قال في الاغاني ط / ساسي ١٥/٥٠: ان
علقمة كان قاعداً ذات يوم ببول، فبصر به عامر فقال لم أركاليوم عورة رجل أقبح...

فقال علقمة: أما والله ما وثبت على جاراتها ولا تنازل كناتها، يعرض بعامر...

فقال عامر: والله لأنا أكرم منك حسباً وأثبت منك نسباً...

فقال علقمة: لأنا خير منك ليلاً ونهاراً.

فقال عامر: لأنا أحب إلى نسانك... إلى آخر القصة في الأغاني.

وترجمة علقمة في الإصابة ولذلك أنف علقمة من ان يكرم لأنه ابن عم عامر ويشتهر ذلك عنه.

قال: والله ما هو إلا نفاسة عليك وحسداً لك.
فقال له عمر: فما عندك معونة على ذلك؟
قال: معاذ الله، ان لعمر علينا سمعاً وطاعة وما نخرج إلى خلافه.
فلما أصبح عمر (رض) أذن للناس فدخل خالد وعلقمة.
فجلس علقمة إلى جنب خالد، فالتفت عمر إلى علقمة فقال له:
ايه يا علقمة أنت القائل لخالد ما قلت؟
فالتفت علقمة إلى خالد، فقال:
يا أبا سليمان أفعلتها؟
قال: ويحك! والله ما لقيتك قبل ما ترى، واني أراك لقيت الرجل.
قال: أراه والله.
ثم التفت إلى عمر (رض) فقال:
يا أمير المؤمنين! ما سمعت إلا خيراً.
قال: أجل، فهل لك أن أوليك حوران؟
قال: نعم.
فولاه إياها فمات بها، فقال الحطيئة يرثيه... الحديث.
وزاد في الإصابة:

فقال عمر: لأن يكون من ورائي على مثل رأيك أحب إلي من كذا وكذا.

كان ما نقلناه هو الواقع التاريخي غير أن علماء مدرسة الخلفاء استندوا إلى ما
رووا واكتشفوا مما رووا ضابطة لمعرفة صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وأدخلوا
في عداد الصحابة مختلقات سيف بن عمر المتهم بالزندقة مما درسناه في كتابنا «خمسون
ومائة صحابي مختلق».

بعد دراسة رأي المدرستين في تعريف الصحابي، ندرس في ما يلي أمر عدالة
الصحابة لدى المدرستين.

معالم المدرستين - القسم الاول

البحث الاول

الفصل الثاني

عدالة الصحابة لدى المدرستين

عدالة الصحابة لدى المدرستين

رأي مدرسة الخلفاء في عدالة الصحابة

ترى مدرسة الخلفاء أن الصحابة كلهم عدول وترجع إلى جميعهم في أخذ معالم دينها.

قال إمام أهل الجرح والتعديل الحافظ ابوحاتم الرازي^١ في مقدمة كتابه: «فأما أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فهم الذين شهدوا الوحي والتنزيل، وعرفوا التفسير والتأويل، وهم الذين اختارهم الله عز وجل لصحبة نبيه صلى الله عليه وآله ونصرته، وإقامة دينه، وإظهار حقه، فرضيهم له صحابة، وجعلهم لنا أعلاماً وقدوة، فحفظوا عنه صلى الله عليه وآله ما بلغهم عن الله عز وجل، وما سنَّ وشرع، وحكم وقضى وندب وأمر ونهى وحظر وأدب، ووعوه وأتقنوه ففقهوا في الدين وعلموا أمر الله ونهيه ومراده بمعينة رسول الله صلى الله عليه وآله ومشاهدتهم منه تفسير الكتاب وتأويله، وتلقفهم منه واستنباطهم عنه، فشرّفهم الله عز وجل بما منّ عليهم وأكرمهم به من وضعه إياهم موضع القدوة، فنفي عنهم الشك والكذب والغلط والريبة والفخر واللمز وسماهم عدول الأمة فقال عز ذكره في محكم كتابه: «وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس»، ففسر النبي صلى الله عليه وآله عن الله عز ذكره قوله «وسطاً» قال: «عدلاً». فكانوا عدول الأمة، وأئمة الهدى،

(١) هو أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي المتوفى سنة ٣٢٧ هـ وكتابه هذا «تقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل» ط / حيدرآباد سنة ١٣٧١ هـ نقلنا ما أورده من ص ٧-٩ منه.

وحجج الدين، ونقله الكتاب والسنة.

ونذب الله عز وجل إلى التمسك بهديهم والجرى على منهاجهم والسلوك لسبيلهم والافتداء بهم فقال: «ومن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى» الآية^١.
 ووجدنا النبي صلى الله عليه وآله قد حض على التبليغ عنه في أخبار كثيرة ووجدناه يخاطب أصحابه فيها، منها أن دعاهم فقال: «نصر الله إمرأاً سمع مقالتي فحفظها ووعاها حتى يبلغها غيره». وقال صلى الله عليه وآله في خطبته: «فليبلغ الشاهد منكم الغائب»، وقال: «بلغوا عني ولو آية وحدثوا عني ولا حرج».

ثم تفرقت الصحابة رضي الله عنهم في النواحي والأمصار والثغور، وفي فتوح البلدان والمغازي والإمارة والقضاء والأحكام، فبث كل واحد منهم في ناحيته والبلد الذي هوبه ما وعاه وحفظه عن رسول الله صلى الله عليه وآله^٢ وأفتوا في ما سئلوا عنه مما حضرهم من جواب رسول الله صلى الله عليه وآله عن نظائرها من المسائل، وجرّدوا أنفسهم مع تقدمه حسن النية والقربة إلى الله تقدّس اسمه لتعليم الناس الفرائض والأحكام والسنن الحلال والحرام، حتى قبضهم الله عز وجل رضوان الله ومغفرته ورحمته عليهم أجمعين».

وقال ابن عبد البر في مقدمة كتابه الاستيعاب^٣:

«ثبتت عدالة جميعهم» ثم أخذ بإيراد آيات واحاديث وردت في حق المؤمنين منهم نظير ما أوردناه من الرازي.

وقال ابن الاثير في مقدمة اسد الغابة^٤:

«... إن السنن التي عليها مدار تفصيل الأحكام ومعرفة الحلال والحرام إلى غير ذلك من أمور الدين إنما ثبتت بعد معرفة رجال أسانيدهم وروايتهم، وأولهم والمقدم

(١) ترى مدرسة اهل البيت ان المقصود من كل ذلك المؤمنون منهم كما نصت الآية عليه وسيأتي مزيد بيانه ان شاء الله تعالى.

(٢) ستري في ما يأتي ان شاء الله ان مدرسة الخلافة منعت نشر حديث الرسول وخاصة كتابته الى رأس المائة من الهجرة!

(٣) الاستيعاب في اسماء الاصحاب للحافظ المحدث ابي عمرو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي ٣٦٣ - ٤٦٣ هـ وقد نقلنا من نسخة هامش الاصابة ص ٢.

(٤) اسد الغابة في معرفة الصحابة لابي الحسن عز الدين علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري المعروف بابن الاثير (ت ٦٣٠ هـ) ج ١/٣.

عليهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فاذا جهلهم الانسان كان بغيرهم أشدّ جهلاً وأعظم إنكاراً، فينبغي أن يعرفوا بأنسابهم وأحوالهم...
والصحابا يشاركون سائر الرواة في جميع ذلك إلا في الجرح والتعديل فانهم كلهم عدول لا يتطرق إليهم الجرح...»
وقال الحافظ ابن حجر في الفصل الثالث: في بيان حال الصحابة من العدالة من مقدمة الاصابة^١:

«اتفق أهل السنة على أنّ الجميع عدول ولم يخالف في ذلك إلا شذوذ من المبتدعة...»

وروى عن ابي زرعة انه قال:

«إذا رأيت الرجل ينتقص احداً من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فاعلم أنه زنديق وذلك أنّ الرسول حق، والقرآن حق، وما جاء به حق، وإنما أدى ذلك إلينا كله الصحابة، وهؤلاء يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم اولى وهم زنادقة»^٢.
كان هذا رأي مدرسة الخلفاء في عدالة الصحابة، وفي مايلي رأي مدرسة أهل البيت في ذلك:

رأي مدرسة أهل البيت في عدالة الصحابة

ترى مدرسة أهل البيت تبعا للقرآن الكريم: أن في الصحابة مؤمنين أثنى عليهم الله في القرآن الكريم وقال في بيعة الشجرة مثلاً: «لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً» الفتح / ١٨. فقد خص الله الثناء بالمؤمنين ممن حضروا بيعة الشجرة ولم يشمل المنافقين الذين

(١) الاصابة في تمييز الصحابة للحافظ شهاب الدين احمد بن علي بن محمد الكناي العسقلاني الشافعي المعروف بابن حجر (٧٧٣ - ٨٥٢ هـ) وقد رجعنا الى ط المكتبة التجارية سنة ١٣٥٨ هـ بمصر ج ١/١٧ - ٢٢.

(٢) الاصابة ج ١/١٨ و ابوزرعة هو عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد قال ابن حجر في تقريب التهذيب ج ٢/٥٣٦ الترجمة ١٤٧٩: امام حافظ ثقة مشهور من الطبقة الحادية عشرة من الرواة مات سنة اربع وستين ومأتين وروى عنه من اصحاب الصحاح مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه.

اقول: لست أدري ماذا يقول الامام ابوزرعة في حق المنافقين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه

حضروها مثل عبد الله بن أبي وأوس بن خولى^١.

وكذلك تبعاً للقرآن ترى فيهم منافقين ذمهم الله في آيات كثيرة مثل قوله تعالى «ومن حولكم من الاعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم» التوبة / ١٠١.

وفيهم من أخبر الله عنهم بالافك، أي من رموا فراس رسول الله صلى الله عليه وآله بالافك^٢ - نعوذ بالله من هذا القول - وفيهم من أخبر الله عنهم بقوله «واذراوا تجارة اولهوا انفضوا اليها وتركوك قائماً» - الجمعة / ١١ - وكان ذلك عندما كان رسول الله قائماً في مسجده يخطب خطبة الجمعة.

وفيهم من قصد اغتيال رسول الله في عقبه هرشى عند رجوعه من غزوة تبوك^٣ أو من حجة الوداع^٤.

وان التشرف بصحبة النبي صلى الله عليه وآله ليس أكثر امتيازاً من التشرف بالزواج بالنبي صلى الله عليه وآله، فان مصاحبتن له كانت من أعلى درجات الصحبة، وقد قال الله تعالى في شأنهن: «يانساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيراً، ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحاً نؤتها أجرها مرتين واعتدنا لها رزقاً كريماً يانساء النبي لستن كأحد من النساء...» الاحزاب / ٣٠ - ٣٢.

وقال في اثنتين منهما: «ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير» الى قوله تعالى «ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلن يغنيا عنها من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين، وضرب

(١) راجع خبر بيعة الشجرة = بيعة الرضوان في مغازي الواقدي وخطط المقرئزي.

(٢) اشارة الى قصة الافك التي نزلت في شأنها الايات (١١ - ١٧) من سورة النور في براءة ام المؤمنين عائشة عما رميت به كما روتها هي، او في براءة مارية عما رميت به على قول غيرها كما في ج ٢ من احاديث ام المؤمنين عائشة.

(٣) مسند أحمد ٣٩٠/٥ و ٤٥٣ و راجع صحيح مسلم ١٢٢/٨ - ١٢٣ باب صفات المنافقين ومجمع الزوائد ج ١١٠/١ و ج ١٩٥/٦ و مغازي الواقدي ج ١٠٤٢/٣ و امتاع الاسماع للمقرئزي ص ٤٧٧ وفي تفسير «هو بما لم ينالوا به» الاية ٧٤ من سورة التوبة بتفسير الدر المنثور للسيوطي ج ٣/٢٥٨ - ٢٥٩.

(٤) ورد في احاديث الشيعة ان ذلك كان عند مرجعه من حجة الوداع وبمناسبة واقعة غدیر خم بأرض الجحفة، راجع البحان ط المكتبة الاسلامية بطهران سنة ١٣٩٢ ج ١٧/٢٨.

الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة... ومريم ابنة عمران...» التحريم من أول السورة إلى آخرها.

ومنهم من أخبر عنهم الرسول صلى الله عليه وآله في قوله عن يوم القيامة: «وانه يُجاء برجال من امتي، فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول يا رب أصحابي، فيقال انك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح: «وكننت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم» فيقال ان هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم^١.»
وفي رواية: «ليردن علي ناس من أصحابي الحوض حتى عرفتهم اختلجوا دوني فأقول: أصحابي فيقول لا تدري ما أحدثوا بعدك^٢».

وفي صحيح مسلم: «ليردن علي الحوض رجال ممن صاحبتني حتى اذا رأيتهم رفعوا الي اختلجوا دوني فلاقولن أي رب أصحابي، فليقالن لي انك لا تدري ما أحدثوا بعدك^٣».

ضابطة لمعرفة المؤمن والمنافق

لَمَّا كَانَ فِي الصَّحَابَةِ مَنْافِقُونَ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ، وَقَدْ أَخْبَرَنِيهِ بِأَنَّ عَلِيًّا لَا يُحِبُّهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلَا يَبْغُضُهُ إِلَّا مَنْافِقٌ كَمَا رَوَاهُ الْإِمَامُ عَلِيُّ (ع) وَأُمُّ الْمُؤْمِنِينَ

(١) البخاري تفسير سورة المائدة (باب) أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك، وتفسير سورة الانبياء، والترمذي أبواب صفة القيامة، باب ما جاء في شأن الحشر وتفسير سورة طه.

(٢) البخاري، كتاب الدعوات، باب في الحوض وابن ماجه، كتاب المناسك، باب الخطبة يوم النحر، الحديث ٥٨٣٠ وراجع مسند أحمد ج ٤٥٣/١ وج ٢٨/٣ وج ٤٨/٥.

(٣) صحيح مسلم كتاب الفضائل، باب اثبات حوض نبينا الحديث ٤٠.

(٤) الامام علي ابن عم الرسول أبي طالب بن عبد المطلب ولد في جوف الكعبة كما رواه الحاكم في المستدرک ج ٤٨٣/٣ والمالك في الفصول المهمة والمغازي الشافعي في المناقب والشبلنجي في نور الابصار ص ٦٩ وكانت ولادته في ١٣ رجب سنة ثلاثين من عام الفيل وبايعه المهاجرون والانصار سنة ٣٥ وضربه ابن ملجم المرادي ليلة التاسعة عشرة من شهر رمضان سنة ٤٠ للهجرة في محراب مسجد الكوفة وتوفي في يوم ٢١ منه، روى عنه اصحاب الصحاح ٥٣٦ حديثاً، راجع ترجمته في الاستيعاب واسد الغابة والاصابة و ص ٢٧٦ من جوامع السيرة، وروايته في المنافقين في صحيح مسلم ج ٦١/١ «باب الدليل على ان حب الانصار وعلي من الايمان وبغضهم من علامات النفاق» وصحيح الترمذي ج ١٣/١٧٧، باب مناقب علي، وسنن ابن ماجه الباب الحادي عشر من مقدمته، وسنن النسائي ج ٢/٢٧١، باب علامة المؤمن و باب علامة المنافق من كتاب

ام سلمة^١، وعبدالله بن عباس^٢، وأبوذر الغفاري^٣ وانس بن مالك^٤ وعمران بن حصين^٥، وكان ذلك شائعاً ومشهوراً في عصر رسول الله صلى الله عليه وآله، قال أبوذر: ما كنا نعرف المنافقين إلا بتكذيبهم الله ورسوله والتخلف عن الصلوات والبغض لعلّي بن ابي طالب^٦.

وقال ابوسعيد الخدري: انا كنا لنعرف المنافقين — نحن معاشر الانصار —

ببغضهم علي بن ابي طالب^٧.

الايمان وشرائعه وخصائص النسائي ص ٣٨، ومسند احمد ج ١/٨٤ و ٩٥ و ١٢٨ وتاريخ بغداد ج ٢/٢٥٥ و ج ٨/٤١٧ و ج ١٦/٤٢٦، وحلية الاولياء لابي نعيم ج ٤/١٨٥ وقال حديث صحيح متفق عليه، وتاريخ الاسلام للذهبي ج ٢/١٩٨، وتاريخ ابن كثير ج ٧/٣٥٤، وبترجمته في كل من الاستيعاب ج ٢/٤٦١ واسد الغابة ج ٤/٢٩٢ وكنز العمال ج ١٥/١٠٥ والرياض النضرة ج ٢/٢٨٤.

(١) ام سلمة هند ابنة ابي أمية بن المغيرة القرشي المخزومي كانت قبل رسول الله عند ابي سلمة بن عبد الاسد المخزومي اسلمها قديماً وهاجرا الى الحبشة ثم الى المدينة ولما جرح ابوسلمة بأحد وتوفي سنة ثلاث من الهجرة تزوجها رسول الله وكانت مصيبة، وتوفيت بعد قتل الحسين سنة ستين.

روى عنها اصحاب الصحاح ٣٧٨ حديثاً. راجع ترجمتها وترجمة زوجها بأسد الغابة وجوامع السيرة ص ٢٧٦ وتقريب التهذيب ٢/٦١٧.

وحديثها في شأن المنافقين في صحيح الترمذي ج ١٣/١٦٨، ومسند احمد ج ٦/٢٩٢، والاستيعاب ج ٢/٤٦٠، بطرق متعددة وتاريخ ابن كثير ج ٧/٣٥٤، وكنز العمال ط الاولى ٦/١٥٨.

(٢) عبدالله ابن عم النبي عباس بن عبدالمطلب: ولد قبل الهجرة بثلاث سنين وتوفي سنة ثمان وستين بالطائف وروى عنه اصحاب الصحاح ١٦٦٠ حديثاً، ترجمته بأسد الغابة والاصابة وجوامع السيرة ص ٢٧٦.

(٣) ابوذر جندب أو بريد بن جنادة أو عبدالله أو السكن أو غير ذلك: تقدم اسلامه وتأخرت هجرته فشهد ما بعد بدر من غزوات رسول الله توفي منفيّاً بالرَبْذَة سنة اثنتين وثلاثين من الهجرة روى عنه اصحاب الصحاح ٢٨١ حديثاً ترجمته في التقريب ج ٢/٤٢٠ وجوامع السيرة ص ٢٧٧ والجزء الثاني من عبدالله بن سبأ.

(٤) انس بن مالك بن النضر الانصاري الحزرجي: روى هو أنه خدم النبي عشر سنين، كان يخلق ذراعيه بخلوق للعبة بياض كانت به، وكان ذلك من دعاء الامام علي عليه لكتمانه الشهادة بحديث الغدير ان يضربه الله بيبضاء لا توارها العمامة، اشار اليه في الاعلاق النفيسة ص ١٢٢ وتفصيله بشرح نهج البلاغة ٤/٣٨٨ وتوفي في البصرة بعد التسعين، روى عنه اصحاب الصحاح ٢٢٨٦ حديثاً، ترجمته بأسد الغابة والتقريب وجوامع السيرة ص ٢٧٦، وروايته في شأن المنافقين بكنز العمال ط الاولى ج ٧/١٤٠.

(٥) ابونجيد عمران بن حصين الحزاعي الكعبي: اسلم عام خيبر وصحب الرسول وقضى بالكوفة، وتوفي بالبصرة سنة ٥٢؛ روى عنه اصحاب الصحاح ١٨٠ حديثاً، وروايته بشأن المنافقين بكنز العمال ط الاولى ج ٧/١٤٠، ترجمته في التقريب ج ٢/٧٢ وجوامع السيرة ص ٢٧٧.

(٦) مستدرك الصحيحين ج ٣/١٢٩ وكنز العمال ج ١٥/٩١.

(٧) ابوسعيد سعد بن مالك بن سنان الحزرجي الخدري: شهد الخندق وما بعدها مات بالمدينة سنة

وقال عبد الله بن عباس: إنا كنا نعرف المنافقين على عهد رسول الله ببغضهم
علي بن أبي طالب^١.

وقال جابر بن عبد الله الانصاري: ما كنا نعرف المنافقين إلا ببغض علي بن
أبي طالب^٢.

لهذا كله ولقول رسول الله صلى الله عليه وآله في حق الامام علي:
«اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»^٣.

فهم محتاطون في أخذ معالم دينهم من صحابي عادى علياً ولم يواله، حذراً من
أن يكون الصحابي من المنافقين الذين لا يعلمهم إلا الله.

ثلاث او اربع او خمس وستين وقيل سنة اربع وسبعين وروى عنه اصحاب الصحاح ١١٧٠ حديثاً ترجمته باسد
الغابة ج ٢٨٩/٢ والتقريب ٢٨٩/١ وجوامع السيرة ص ٢٧٦ وحديثه في شأن المنافقين في صحيح الترمذي
ج ١٦٧/١٣ و حلية ابي نعيم ج ٢٨٤/٦.

(١) في تاريخ بغداد ج ١٥٣/٣ قال كانوا عند ابن مسعود فتلى ابن عباس «يعجب الزراع ليغيب بهم
الكفار» قال علي بن ابي طالب ثم قال انا كنا نعرف ... الحديث.

(٢) جابر بن عبد الله بن عمرو الانصاري السلمي: صحابي ابن صحابي شهد بيعة العقبة مع ابيه وشهد
١٧ غزوة مع النبي وصفين مع الامام علي ومات بالمدينة بعد السبعين وروى عنه اصحاب الصحاح ١٥٤٠
حديثاً ترجمته باسد الغابة ج ٢٥٦/١ - ٢٥٧ والتقريب ج ١٢٢/١ وجوامع السيرة ص ٢٧٦ وروايته في شأن
المنافقين في الاستيعاب ج ٤٦٤/٢ والرياض النضرة ج ٢٨٤/٢ وفي تاريخ الذهبي ج ١٩٨/٢ ولفظه «ما كنا
نعرف منافقي هذه الامة» وفي مجمع الزوائد ج ١٣٣/٩ ولفظه «ما كنا نعرف منافقين معشر الانصار...».

(٣) صحيح الترمذي ج ١٦٥/١٣ باب مناقب علي، وسنن ابن ماجه باب فضل علي الحديث المرقم

.١١٦

وخصائص النسائي ص ٤ و ٣٠ ومسنند أحمد ج ٨٤/١ و ٨٨ و ١١٨ و ١١٩ و ١٥٢ و ٣٣٠ و
ج ٢٨١/٤ و ٣٦٨ و ٣٧٠ و ٣٧٢ ج ٣٠٧/٥ و ٣٤٧ و ٣٥٠ و ٣٥٨ و ٣٦١ و ٣٦٦ و ٤١٩ و ٥٦٨ ومستدرک
الصحيحين ج ١٢٩/٢ و ٩/٣ والرياض النضرة ج ٢٢٢/٢ - ٢٢٥ و تاريخ بغداد ج ٣٧٧/٧ و ج ٢٩٠/٨ و
ج ٣٤٣/١٢ ومصادر اخرى كثيرة.

معالم المدرستين - القسم الاول

البحث الاول

الفصل الثالث

خلاصة بحث الصحابة لدى المدرستين

خلاصة بحث الصحابة لدى المدرستين

الصحابي وعدالته في مدرسة الخلافة

ترى مدرسة الخلفاء أن الصحابي من لقي النبي صلى الله عليه وآله مؤمناً به ولو ساعة من نهار ومات على الإسلام. وأنه لم يبق بمكة والطائف أحد سنة عشر إلا من أسلم وشهد مع النبي صلى الله عليه وآله حجة الوداع. وأنه لم يبق في الأوس والخزرج أحد في آخر عهد النبي صلى الله عليه وآله إلا دخل في الإسلام. وأنهم «كانوا في الفتوح لا يؤمرون إلا بالصحابة» وبهذه القاعدة عدوا جمعاً في عداد الصحابة ممن برهنا في كتابنا «خمسون ومائة صحابي مختلف» أنهم مختلفون لم يكن لهم وجود في التاريخ. وترى أن جميع الصحابة عدول لا يتطرق اليهم الجرح ومن انتقص أحدا منهم فهو من الزنادقة، ثم يلتزمون بصحة كل ما رواه من سمي في اصطلاحهم بالصحابي، ويأخذون من جميعهم معالم دينهم.

الصحابي في مدرسة أهل البيت

ترى مدرسة أهل البيت أن لفظ الصحابي ليس مصطلحاً شرعياً، وإنما شأنه شأن سائر مفردات اللغة العربية، و«الصاحب» في لغة العرب بمعنى الملازم والمعاشر

ولا يقال الا لمن كثرت ملازمته، والصحبة نسبة بين اثنين ولذلك لا يستعمل
 الصحاب وجمعه الاصحاب والصحابة في الكلام الا مضافا كما ورد في القرآن الكريم
 «يا صاحبي السجن» و «أصحاب موسى» وكذلك كان يستعمل في عصر الرسول
 صلى الله عليه وآله ويقال: صاحب رسول الله، وأصحاب رسول الله مضافا الى رسول
 الله صلى الله عليه وآله، أو مضافا الى غيره مثل قولهم «أصحاب الصفة»، لمن كانوا
 يسكنون صفة مسجد الرسول صلى الله عليه وآله، ثم استعمل الصحابي بعد رسول الله
 صلى الله عليه وآله بلا مضاف اليه وقصد به اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله
 وصار اسما لهم، وعلى هذا فان «الصحابي» و «الصحابة» من اصطلاح المتشعبة
 وتسمية المسلمين وليس اصطلاحا شرعيا.

أما عدالتهم: فان مدرسة اهل البيت ترى تبعا للقرآن الكريم ان في الصحابة
 منافقين مردوا على النفاق، ورموا فراش رسول الله صلى الله عليه وآله بالافك، وحاولوا
 اغتيال رسول الله صلى الله عليه وآله، واخبر عنهم الرسول انهم يوم القيامة يختلجون
 دون رسول الله صلى الله عليه وآله، فينادي اصحابي اصحابي، فيقال له انك لا تدري
 ما احدثوا بعدك، لم يزالوا مرتدين على اعقابهم منذ فارقتهم.

وان منهم مؤمنين اثني الله عليهم والرسول صلى الله عليه وآله في احاديثه،
 وانهم المقصودون في ما ورد من الثناء في القرآن والحديث، وقد عين النبي صلى الله
 عليه وآله العلامة الفارقة بين المؤمن والمنافق حب الامام علي وبغضه، ومن ثم فانهم
 ينظرون في حال الراوي فان كان ممن قاتل الامام علياً او الائمة من اهل البيت
 وعاداهم فانهم لا يلتزمون باخذ ما يروي امثال هؤلاء صحابيا كان او غير صحابي.
 كان هذا رأي المدرستين في تعريف الصحابي وعدالته، وفي ما يلي بحوثها في
 الامامة والخلافة.

معالم المدرستين

القسم الأول

البحث الثاني

بحوث المدرستين في الامامة

الفصل الأول: الواقع التاريخي للخلافة في صدر الاسلام

الفصل الثاني: بحوث مدرسة الخلفاء في الامامة

الفصل الثالث: بحوث مدرسة أهل البيت (ع) في الامامة

الفصل الرابع: خلاصة بحث الامامة لدى المدرستين

معالم المدرستين - القسم الاول

البحث الثاني

الفصل الاول

الواقع التاريخي للخلافة في صدر الاسلام

ينبغي لنا قبل الشروع في دراسة رأي المدرستين في الامامة والخلافة أن ندرس
الواقع التاريخي لاقامة الخلافة في صدر الاسلام، فنقول:

الواقع التاريخي للخلافة في صدر الاسلام

بُدىء الخلاف في أمر الحكم في الاسلام يوم وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله عقد لواء بيده لمولاه وابن مولاه أسامة ابن زيد لحرب الروم، وأمره على جيش لم يبق أحد من وجوه المهاجرين الاولين والانصار الا انتدب فيه، فيهم أبوبكر، وعمر بن الخطاب، وأبو عبيدة، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد... فعسكر بالجرف - موضع على ثلاثة أميال من المدينة -، فتكلم قوم وقالوا يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الاولين، فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله غضباً شديداً، وخرج معصبا، عليه قطيفة، فصعد المنبر وقال: «ما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة، ولقد طعنتم في اماره أبيه قبله. وأيم الله ان كان للامارة خليفاً، وان ابنه من بعده لخليق للامارة» ثم نزل، وجاءه الذين يخرجون مع أسامة يودعونهم ويمضون الى المعسكر. وثقل رسول الله صلى الله عليه وآله وجعل يقول: «انفذوا بعث أسامة» فلما كان يوم الاحد اشتد برسول الله صلى الله عليه وآله وجعه.

وفي يوم الاثنين أمر أسامة الجيش بالرحيل، فجاءهم الخبر أن رسول الله صلى

الله عليه وآله يموت، فأقبل أسامة وعمر وأبو عبيدة الى المدينة^١.

أمر كتابة وصية رسول الله صلى الله عليه وآله

روى ابن عباس وقال:

لما حضر النبي صلى الله عليه وسلم وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب قال: «هلم أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده»، قال عمر: ان النبي غلبه الوجع وعندكم كتاب الله، فحسبنا كتاب الله، واختلف أهل البيت فمنهم من يقول ما قال عمر، فلما أكثروا اللغظ والاختلاف قال: «قوموا عني، لا ينبغي عندي التنازع»^٢.

وفي رواية: بكى ابن عباس حتى خضب دمه الحصباء فقال: اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه، فقال: «آتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً»، فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي التنازع فقالوا هجر رسول الله صلى الله عليه وسلم...^٣.

وفي رواية فكان ابن عباس يقول، أن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغظهم^٤.

موقف الخليفة عمر في وفاة الرسول صلى الله عليه وآله

توفي رسول الله صلى الله عليه وآله نصف النهار يوم الاثنين وأبو بكر غائب بالسنع، وعمر حاضر، فاستأذن عمر ودخل عليه مع المغيرة بن شعبة، وكشف الثوب عن وجهه، وقال عمر: واغشياه ما أشد غشي رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال

(١) أوردتها ملخصة من طبقات ابن سعد ط. بيروت ج ٢/١٩٠ - ١٩٢ وراجع بقية مصادره في باب بعث أسامة من عبد الله بن سبأ ج ١.

(٢) البخاري، كتاب العلم، باب كتابة العلم.

(٣) البخاري، باب جوائز الوفد من كتاب الجهاد، وباب اخراج اليهود من جزيرة العرب، وفي صحيح مسلم، كتاب الوصية، باب ترك الوصية، وراجع سائر مصادر الخبر ونصوه في أول خبر السقيفة في حديث غير سيف من كتاب عبد الله بن سبأ ط. ٥ بيروت، سنة ١٤٠٣ هـ، ج ١/٩٨ - ١٠٢.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب كراهية الخلاف، وباب قول المريض قوموا عني من كتاب المرضى، وفي باب مرض النبي من كتاب المغازي، وبآخر باب ترك الوصية من كتاب الوصية من صحيح مسلم وسائر مصادره في كتاب عبد الله بن سبأ ١/١٠١.

المغيرة: مات والله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر: كذبت ما مات رسول الله صلى الله عليه وآله، ولكنك رجل تحوسك فتنة، ولن يموت رسول الله حتى يُفني المنافقين^١.

أخذ عمر يقول: ان رجالا من المنافقين يزعمون أن رسول الله توفي، ان رسول الله ما مات ولكنه ذهب الى ربه كما ذهب موسى عن قومه وغاب أربعين ليلة، والله ليرجعن رسول الله فليقطعن أيدي رجال وأرجل من يزعمون أنه مات^٢، من قال انه مات علوت رأسه بسيفي، وانما ارتفع الى السماء^٣.

فتلي عليه في المسجد «وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم»^٤.

وقال العباس بن عبد المطلب: ان رسول الله قد مات واني رأيت في وجهه ما لم أزل أعرفه في وجوه بني عبد المطلب عند الموت، وقال: هل عند أحدكم عهد من رسول الله صلى الله عليه وآله في وفاته فليحدثنا، قالوا: لا، فقال: اشهدوا أيها الناس ان أحداً لا يشهد على رسول الله بعهد عهد اليه في وفاته...^٥.

فما زال عمر يتكلم حتى ازبد شذقاه^٦، حتى جاء الخليفة أبوبكر من السنح وتلا: «وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل — الآية» فقال عمر: هذا في كتاب الله؟ قال: نعم، فسكت عمر^٧.

(١) مسند أحمد ٢١٩/٦ وسائر مصادره في عبد الله بن سبأ ج ١/١٠٢ - ١٠٣.

(٢) تاريخ الطبري ط. اروبا ١/١٨١٨.

(٣) تاريخ أبي الفداء ١/١٦٤.

(٤) رواه ابن سعد في طبقاته ج ٢ ق ٥٧/٢، وفي كنز العمال ج ٤/٥٣ رقم الحديث ١٠٩٢، وابن كثير في ج ٥/٢٤٣ من تاريخه. ورواه الاميني في غديره عن شرح المواهب للزرقاني ج ٨/٢٨١. وراجع ابن ماجه الحديث: ٦٢٧، والآية: ١٤٤ من سورة آل عمران.

(٥) رواه ابن سعد في طبقاته ج ٢/٥٧/٢. وابن كثير في تاريخه ج ٥/٢٤٣، وفي السيرة الحلبية ج ٣/٣٩٠ - ٣٩١، وكنز العمال ج ٤/٥٣، الحديث: ١٠٩٢، والتمهيد للباقلاني ص ١٩٢ - ١٩٣.

(٦) أنساب الاشراف ج ١/٥٦٧، وابن سعد ج ٢/٥٣/٢، وكنز العمال ج ٤/٥٣، تاريخ الخميس ج ٢/١٨٥، والسيرة الحلبية ج ٣/٣٩٢.

(٧) الطبقات لابن سعد ج ٢ ق ٥٤/٢، والطبري ١/١٨١٧ - ١٨١٨، وابن كثير ج ٥/٢٤٣، والسيرة الحلبية ج ٣/٣٩٢، وابن ماجه، الحديث: ١٦٢٧، وان هذه الآية التي قرأها على عمر هي التي كان ابن ام مكتوم قد قرأها عليه قبل ذلك. وكان التشكيك في موت الرسول يوم وفاته من خصائص الخليفة عمر بن الخطاب، فان أصحاب السير والمؤرخين لم يذكروا هذا التشكيك عن غيره.

السقيفة وبيعة أبي بكر

اجتمعت الانصار في سقيفة بني ساعدة، وتبعهم جماعة من المهاجرين، ولم يبق حول رسول الله الا أقاربه، وهم تولوا غسله وتكفينه وهم: علي والعباس، وابناه الفضل وقثم، واسامة بن زيد، وصالح مولى رسول الله، وأوس بن خولى الانصاري^١.

السقيفة برواية الخليفة عمر

قال: انه كان من خبرنا حين توفى الله نبيّه، ان الانصار اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة وخالف عنا علي والزبير ومن معها فقلت لابي بكر: انطلق بنا الى اخواننا الانصار، فانطلقنا حتى أتيناهم، فاذا رجل مزمل، فقالوا هذا سعد بن عبادة يوعك، فلما جلسنا قليلا، تشهد خطيبهم فأثنى على الله ثم قال: أما بعد فنحن أنصار الله، وكتيبة الاسلام، وأنتم معشر المهاجرين رهط... فأردت أن أتكلم، فقال أبو بكر على رسلك، فتكلم هو، والله ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري الا قال مثلها أو أفضل قال: ما ذكرت فيه من خير له أهل، ولن يعرف هذا الامر الا لهذا الحي من قريش، هم أوسط العرب نسبا ودارا، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيهما شئتم، فأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة فلم أكره مما قال غيرها، فقال قائل من الانصار: إنا جديلهما المحكك وعذيقها المرجب، منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش، فكثرت اللفظ، وارتفعت الاصوات، حتى فرقت من الاختلاف، فقلت: أبسط يدك يا أبا بكر، فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون ثم بايعته الانصار ونزونا على سعد بن عبادة الى قوله:

فمن بايع رجلا على غير مشورة من المسلمين فلا يُبايع هو ولا الذي بايعه تفرقة أن يقتلا^٢.

روى الطبري^٣ في ذكر خبر السقيفة وبيعة أبي بكر وقال:

(١) راجع النص لابن سعد في الطبقات: ج ٢ / ق ٧٠/٢، وفي البدء والتاريخ قريب منه. وكثر العمال ج ٤/٥٤ و ٦٠، وهذه عبارته: «ولي دفنه وأجنانه أربعة من الناس» ثم ذكر ما أوردناه، والعقد الفريد ٦١/٣ وقريب منه نص الذهبي في تاريخه: ٣٢١/١ و ٣٢٤ و ٣٢٦.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب رجم الحبلى من الزنا (١٢٠/٤)

(٣) نقلنا هذا الخبر ملخصا من تاريخ الطبري في ذكره حوادث بعد وفاة الرسول، وما كان من غير الطبري أشرنا اليه في الخامس، وقد أوردنا تفصيل الخبر في كتاب «عبد الله بن سبأ» الجزء الاول.

اجتمعت الانصار في سقيفة بني ساعدة، وتركوا جنازة الرسول يغسله أهله، فقالوا: «نولي هذا الامر بعد محمد، سعد بن عباد، وأخرجوا سعدا اليهم وهو مريض...».

فحمد الله وأثنى عليه، وذكر سابقة الانصار في الدين وفضيلتهم في الاسلام، واعزازهم للنبي وأصحابه وجهادهم لاعدائه، حتى استقامت العرب، وتوفي الرسول وهو عنهم راض، وقال: استبدوا بهذا الامر دون الناس فأجابوه بأجمعهم: أن قد وفقنا في الرأي، وأصبنا في القول ولن نعدوا ما رأيت نوليك هذا الامر، ثم انهم تبادوا الكلام بينهم، فقالوا: فإن أبت مهاجرة قريش؟ فقالوا نحن المهاجرون، وصحابة رسول الله الأولون، ونحن عشيرته، وأولياؤه، فعلام تنازعونا هذا الأمر بعده؟ فقالت طائفة منهم: فإننا نقول إذا: منا أمير ومنكم أمير، فقال سعد بن عباد: هذا أول الوهن^١.

سمع أبو بكر وعمر بذلك، فأسرعا إلى السقيفة مع أبي عبيدة بن الجراح وانحاز معهم أسيد بن حضير^٢ وعويم بن ساعدة^٣ وعاصم بن عدي^٤ من بني العجلان^٥.

(١) الطبري في ذكره لحوادث سنة ٥١١ هـ، ج ٤٥٦/٢ ط. اوربا ج ١/١٨٣٨ عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري، وابن الاثير ١٢٥/٢ وتاريخ الخلفاء لابن قتيبة ج ١/٥ قريب منه وأبو بكر الجوهري في كتابه السقيفة ج ٢ من ابن أبي الحديد في خطبة «ومن كلام له في معنى الأنصار».

(٢) ورد اسمه في سيرة ابن هشام ٣٣٥/٤، وأسيد بن حضير بن سماك بن عتيك بن رافع بن امرئ القيس ابن زيد بن عبد الأشهل بن الحرث بن الحخرج بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري الأشهلي، شهد العقبة الثانية وكان ممن ثبت في أحد، وشهد جميع مشاهد النبي وكان أبو بكر لا يقدم أحداً من الأنصار عليه. توفي سنة ٢٠ أو ٢١ هـ فحمل عمر نعشه بنفسه، الاستيعاب ج ١/٣١ - ٣٣ والاصابة ج ١/٦٤.

(٣) عويم بن ساعدة بن عائش بن قيس بن النعمان بن زيد بن أمية بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري الاوسي، شهد العقبة وبدر وما بعدها، وتوفي في خلافة عمر وبترجته في النبلاء انه كان أخا الخليفة عمر. وقال عمر على قبره: «لا يستطيع أحد من أهل الأرض أن يقول: أنا خير من صاحب هذا القبر». الاستيعاب ج ٣/١٧٠ والاصابة ج ٣/٤٥ وأسد الغابة ج ٤ ص ١٥٨.

(٤) عاصم بن عدي بن الجد بن العجلان بن حارثة بن ضبيقة بن حرام البلوي العجلاني، حليف الأنصار وكان سيد بني عجلان، شهد أحداً وما بعدها، توفي سنة ٤٥ هجرية، الاستيعاب ج ٣/١٣٣، والاصابة ج ٢/٢٣٧ وأسد الغابة ج ٣/٧٥.

(٥) ابن هشام ٤: ٣٣٩.

تكلّم أبوتكر - بعد أن منع عُمر عن الكلام - وحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر سابقه المهاجرين في التصديق بالرسول دون جميع العرب، وقال: «فهم أول من عبد الله في الأرض وآمن بالرسول وهم أولياؤه، وعشيرته، وأحقّ الناس بهذا الأمر من بعده، ولا ينازعهم ذلك إلا ظالم»، ثم ذكر فضيلة الأنصار، وقال: «فليس بعد المهاجرين الأولين عندنا بمنزلتكم، فنحن الأمراء. وأنتم الوزراء».

فقام الحباب بن المنذر، وقال: «يا معشر الأنصار أملكوا عليكم أمركم فإن الناس في فيئكم، وفي ظلكم، ولن يجترىء مجترىء على خلافكم ولا تختلفوا، فيفسد عليكم رأيكم، وينتقض عليكم أمركم. فان أبي هؤلاء إلا ما سمعتم، فنا أمير ومنهم أمير».

فقال عمر: هيهات! لا يجتمع اثنان في قرن... والله لا ترضى العرب أن يؤمروكم ونبيها من غيركم. ولكن العرب لا تمتنع أن تولى أمرها من كانت النبوة فيهم، وولي أمورهم منهم. ولنا بذلك على من أبي الحجة الظاهرة، والسلطان المبين من ذا ينازعنا سلطان محمد وإمارته، ونحن أولياؤه وعشيرته^١ إلا مدل بباطل أو متجانف لإثم أو متورط في هلكة.

فقام الحباب بن المُنذِر^٢ وقال: يا معشر الأنصار املكوا على أيديكم ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر، فإن أبوا عليكم ما سألتهم، فاجلوهم عن هذه البلاد، وتولوا عليهم هذه الأمور، فأنتم والله أحقّ بهذا الأمر منهم، فإنه بأسيا فكم دان لهذا الدين من لم يكن يدين به. انا جُذَيْلُهَا الْمُحَكِّكُ^٣

(١) لما سمع علي بن أبي طالب هذا الاحتجاج من المهاجرين قال: احتجوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة، النهج وشرحه ج ٢ في الصفحة الثانية منه.

(٢) الحباب بن المنذر بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري شهد بدرًا وما بعدها، وتوفي في خلافة عمر، الاستيعاب ج ١/٣٥٣ والإصابة ج ١/٣٠٢ وأسد الغابة ١/٣٦٤. ونسبه في جبهة ابن حزم ص ٣٥٩.

(٣) جُذَيْلُهَا، تصغير الجذل: أصل الشجرة والمحكك عود ينصب في مبارك الإبل لتتمرس به الإبل الجري.

وَعُدَّتْهَا الْمَرْجَبُ^١ أما والله لو شئتم لتُعِيدُنَا جَذْعَةَ^٢. قال عُمَرُ: إِذَا يَقْتُلِكَ اللَّهُ.
قال: بل إِيَّاكَ يَقْتُلُ.

فقال أبو عُبَيْدَةَ: «يا معشر الأنصار إنكم كنتم أول من نصر وآزر، فلا تكونوا أول من بَدَّلَ وَغَيَّرَ».

فقام بَشِيرُ بْنُ سَعْدِ الْخَزْرَجِيِّ أَبُو نَعْمَانَ بْنُ بَشِيرٍ، فقال: «يا معشر الأنصار إنا والله لئن كنا أولي فضيلة في جهاد المشركين، وسابقة في هذا الدين ما أردنا به إلا رضا ربنا، وطاعة نبينا، والكدح لأنفسنا، فما ينبغي لنا أن نستطيل على الناس بذلك، ولا نبتغي به من الدنيا عرضاً، فإن الله ولي النعمة علينا بذلك، ألا إن محمداً صلى الله عليه وسلم من قريش، وقومه أحقُّ به، وأولى، وأيم الله لا يراني الله أنازعهم هذا الأمر أبداً، فاتقوا الله، ولا تخالفوهم، ولا تنازعوهم.»

فقال أبو بكر: هذا عُمَرُ وهذا أبو عُبَيْدَةَ فأيهما شئتم فبايعوا، فقالا: «والله لا نتولى هذا الأمر عليك»^٣ الخ.

«وقام عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وتكلم فقال: «يا معشر الأنصار إنكم وإن كنتم على فضل، فليس فيكم مثل أبي بكر وعمر وعلي»^٤. وقام المُنْذِرُ بْنُ الْأَرْقَمِ فقال: ما ندفع فضل من ذكرت، وإن فيهم لرجلاً لو طلب هذا الأمر لم ينازعه فيه أحد — يعني علي بن أبي طالب»^٥.

«فقال الأنصار أو بعض الأنصار: لا نبايع إلا علياً»^٥.

«قال عُمَرُ: فكثرت اللفظ وارتفعت الأصوات حتى تَخَوَّفْتُ الاختلاف فقلت ابسط^٦ يدك لأبايعك»^٧ فلما ذهب ليبايعاه سبقها إليه بَشِيرُ بْنُ سَعْدٍ فبايعه فناداه

(١) وعذيق تصغير العذق وهي النخلة، والمرجب ما جعل له رجة وهي دعامة تبتنى من الحجارة حول النخلة الكريمة إذا طالت وتخوفوا عليها أن تنعقر في الرياح العواصف.

(٢) أعدت الأمر جذعاً أي جديداً كما بدأ، وإذا طفت حرب بين قوم فقال بعضهم إن شئتم أعدناها جذعة أي: أول ما يبدأ فيها.

(٣) لم نسجل هنا بقية الحوار وتعليقنا عليه طلباً للاختصار.

(٤) رواه اليقوي بعد ذكر ما تقدم في ص ١٠٣ ج ٢ من تاريخه والموفقيات للزبير بن بكار، ص ٥٧٩.

(٥) في رواية الطبري ج ٣ ص ٢٠٨ (وط — اروبا ج ١/١٨١٨) عن إبراهيم، وابن الأثير ١٢٣/٢ «أن الأنصار قالت ذلك بعد أن بايع عمر أبا بكر».

(٦) قد قال عمر لأبي بكر أبسط يدك لا بايعك.

(٧) عن سيرة ابن هشام ٣٣٦/٤ وجميع من روى حديث الفلثة، راجع بعده حديث الفلثة في ذكر رأي

الحياب بن المُنذر: يا بَشير بن سَعْد عَقَّتْ عَقاقِي! أَنْفَسْتُ على ابن عمِّك الامارة، فقال: لا والله ولكني كرهت أن أنزع قوماً حقاً جعله الله لهم. ولما رأت الأوس ما صنع بَشير بن سَعْد وما تدعو إليه قُرَيْش وما تطلب الخَزْرَج من تأمير سَعْد بن عبادة، قال بعضهم لبعض، وفيهم أسيد ابن حُضَيْر و كان أحد الثُقَباء: والله لئن وليتها الخَزْرَج عليكم مرّة لزالتم عليهم بذلك الفضيلة ولا جعلوا لكم معهم فيها نصيباً أبداً فقوموا فبايعوا أبا بَكْرٍ!

فقاموا إليه فبايعوه فانكسر على سَعْد بن عبادة وعلى الخَزْرَج ما كانوا أجمعوا له من أمرهم... فأقبل الناس من كل جانب يبايعون أبا بكر و كادوا يطؤون سَعْد بن عبادة.

فقال أناس من أصحاب سَعْد: اتقوا سَعْداً لا تطؤوه.

فقال عُمر: اقتلوه قتله الله.

ثم قام على رأسه فقال: لقد هَمَمْتُ أن أطأك حتى تَنذُر عُضُوك. فأخذ قَيْسُ بن سَعْد بلحية عُمر فقال: والله لو حَصَصْتُ منه شعرة ما رجعت وفي فيك واضحة.

فقال ابوبكر: مهلاً يا عُمر الرفق ها هنا أبلغ.

فأعرض عنه عُمر^٢.

وقال سَعْد: أما والله لو أن بي قُوّة ما أقوى على النهوض لسمعت مِنِّي في أقطارها وسككها زئيراً يُججِرُك وأصحابك، أما والله إذا لألحقنك بقوم كنت فيهم تابِعاً غير متبوع، احمِلوني من هذا المكان. فحملوه فأدخلوه داره^٣.

وروى أبوبكر الجَوْهَرِيُّ: «أن عمر كان يومئذ — يعني يوم بويج أبوبكر — مُحْتَجِزاً يُهْرول بين يدي أبي بكر ويقول: ألا إنَّ الناس قد بايعوا أبا بَكْرٍ!» الخ.

عمر في بيعة أبي بكر.

(١) وفي رواية أبي بكر في سقيفته: لما رأت الأوس أن رئيساً من رؤساء الخَزْرَج قد بايع قام أسيد بن حُضَيْر وهو رئيس الأوس فبايع حسداً لسعد ومنافسة له أن يلي الأمر. راجع شرح النهج ج ٢/٢ في شرحه «ومن كلام له في معنى الانصار».

(٢) إن هذا الموقف يوضح بجلاء جماع سياسة الخليفين من شدة ولين.

(٣) الطبري: ص ٤٥٥ — ٤٥٩، وط، اوروبا ١/١٨٤٣ «وتندر عضوك» كذا ورد ويعني تسقط اعضاؤك.

(٤) في كتابه السقيفة، راجع ابن أبي الحديد: ١/١٣٣. وفي ٧٤ منه بلفظ آخر.

«بايع الناس أبا بكر وأتوا به المسجد يبايعونه فسمع العباس وعليّ التكبير في المسجد ولم يفرغوا من غسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم».

فقال عليّ: ما هذا؟

قال العباس: ما رؤي مثل هذا قط!! ما قلت لك؟!.

النذير

وجاء البراء بن عازب فضرب الباب على بني هاشم وقال:

يا معشر بني هاشم! بويع أبو بكر.

فقال بعضهم لبعض: ما كان المسلمون يحدثون حدثاً نغيب عنه ونحن أولى

بمحمد!!.

فقال العباس: فعلوها وربّ الكعبة!

وكان عامة المهاجرين وجلّ الأنصار لا يشكّون أن علياً هو صاحب الأمر بعد

رسول الله صلى الله عليه وآله.

وكان المهاجرون والأنصار «لا يشكّون في عليّ».

روى الطبري: «أن أسلم أقبلت بجماعتها حتى تضايق بهم السكك فبايعوا

أبا بكر فكان عمر يقول:

ما هو إلا أن رأيت أسلم فأيقنت بالنصر»^١.

فلما بويع أبو بكر أقبلت الجماعة التي بايعته تزفة زفاً إلى مسجد رسول الله صلى

الله عليه وسلم فصعد على المنبر - منبر رسول الله (ص) - فبايعه الناس حتى أمسى،

وشغلوا عن دفن رسول الله حتى كانت ليلة الثلاثاء^٢.

(١) ابن عبد ربه في العقد الفريد ٣: ٦٣، وأبو بكر الجوهري في كتابه السقيفة برواية ابن أبي الحديد عنه في ج ١/١٣٢ ويروى تفصيله في ٧٤ منه والزيبر بن بكار في الموقيات كما يروي عنه ابن أبي الحديد في شرح التهجد ٢ في شرحه «ومن كلام له في معنى الأنصار».

(٢) الموقيات للزيبر بن بكار ص ٥٨٠.

(٣) الطبري ج ٢/٤٥٨. وط. أوروبا ١/١٨٤٣ وفي رواية ابن الأثير ٢/٢٢٤ «وجاءت أسلم فبايعت» وقال الزيبر بن بكار في الموقيات برواية النهج ج ٦/٢٨٧ «فقوي بهم أبو بكر» ولم يعيّن متى جاءت أسلم ويقوى الظن أن يكون ذلك يوم الثلاثاء. وقال المفيد في كتابه «الجمال» ان القبيلة كانت قد جاءت لتمتار من المدينة (الجمال ص ٤٣).

(٤) الموقيات، ص ٥٧٨، والرياض النضرة ١/١٦٤، وتاريخ الخميس ج ١/١٨٨.

الْبَيْعَةُ الْعَامَّةُ

«ولما بويح أبو بكر في السَّقِيفَةِ و كان في الغد جلس أبو بكر على المنبر، فقام عُمرُ فتكلّم قبل أبي بكر فحمد الله وأثنى عليه.. وذكر أنّ قوله بالأمس لم يكن من كتاب الله ولا عهداً من رسوله ولكنه كان يرى أن الرسول سيُدبِر أمرهم ويكون آخرهم» ثم قال:

«وإنّ الله قد أبقى فيكم كتابه الذي به هدى رسوله، فان اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه له وإن الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثاني اثنين إذ هما في الغار فقوموا فبايعوه».

فبايع الناس أبا بكر بيعة العامة بعد بيعة السَّقِيفَةِ.

وفي البخاري: «وكان طائفة منهم قد بايعوه قبل ذلك في سَقِيفَةِ بني سَاعِدَةَ، وكانت بيعة أبي بكر العامة على المنبر». قال أنس بن مالك: «سمعت عُمر يقول لأبي بكر يومئذ إصعد المنبر، فلم يزل به حتى صعد المنبر فبايعه الناس عامة» . ثم تكلم أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

«أما بعد أيها الناس فاني قد وليت عليكم ولست بخيركم فان أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني... إلى قوله: - أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم، قوموا إلى صلاتكم رحمكم الله^١».

بعد بيعة أبي بكر العامة

«توفي رسول الله يوم الإثنين حين زاغت الشمس فشغل الناس عن دفنه^٢».

شُغِلَ الناس عن رسول الله بقية يوم الإثنين حتى عصر الثلاثاء، شغل الناس

(١) ابن هشام، ٣٤٠/٤. والطبري، ٢٠٣/٣ (وط. اوروبا ١/١٨٢٩) وغيون الأخبار لابن قتيبة، ٢٣٤/٢. والرياض النضرة، ١٦٧/١. وابن كثير، ٢٤٨/٥. والسيوطي في تاريخ الخلفاء: ٤٧. وكنز العمال، ١٢٩/٣، الحديث: ٢٢٥٣، والحليّة ٣/٣٩٧، وذكر البخاري في صحيحه ص ١٦٥ من ج ٤ كتاب البيعة عن أنس، خطبة عمر باختلاف يسير.

ومن ذكر خطبة أبي بكر فقط، أبو بكر الجوهري في كتابه السقيفة حسب رواية ابن أبي الحديد عنه، ١٣٤/١، وصفوة الصفوة، ٩٨/١.

(٢) طبقات ابن سعد ج ٢. ق ٢ ص ٧٨ ط ليدن.

بخطبِ السَّقِيفَةِ. ثمَّ بِيَعَةِ أَبِي بَكْرٍ الْأُولَى ثُمَّ بِيَعَتِهِ الْعَامَّةَ وَخُطْبَتَهُ وَخُطْبَةَ عَمْرٍ حَتَّى صَلَّى مِثْرًا.

قالوا: «فلما بويح أبو بكر أقبل الناس على جهاز رسول الله يوم الثلاثاء»^١ «ثم دخل الناس يُصَلِّونَ عَلَيْهِ»^٢ «وَصَلَّى عَلَى رَسُولِ اللَّهِ بِغَيْرِ إِمَامٍ. يدخل عليه المسلمون زُمرًا زُمرًا يُصَلِّونَ عَلَيْهِ»^٣.

دفن رسول الله ومن حضر دفته

«وَلِيَّ وَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ فِي قَبْرِهِ هَوْلَاءَ الرَّهْطِ الَّذِينَ غَسَلُوهُ: الْعَبَّاسُ وَعَلِيٌّ وَالْفَضْلُ وَصَالِحٌ مَوْلَاهُ. وَخَلَّى أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ وَأَهْلِهِ فَوَلُّوا إِجْنَانَهُ»^٤.

«ودخل القبر علي، والفضل وقثم ابنا العباس، وشقران مولا. ويقال: أسامة بن زيد وهم تولوا غسله وتكفينه وأمره كله»^٥. «وإن أبا بكر وعمر لم يشهدا دفن النبي»^٦.

وقالت عائشة: «ما علمنا بدفن الرسول حتى سمعنا صوت المساحي من جوف الليل ليلة الأربعاء»^٧.

«ولم يله إلا أقاربه ولقد سمعت بنو عثم صريف المساحي حين حضر وإنهم

(١) سيرة ابن هشام: ٣٤٣/٤ والطبري: ٤٥٠/٢ (وط. ارو باج ١/١٨٣٠). وابن الأثير: ١٢٦/٢. وابن كثير: ٢٤٨/٥. والحلبية: ٣٩٢/٣ و٣٩٤. وهذا الأخير لم يعين اليوم الذي انتهوا فيه من بيعة أبي بكر وأقبلوا على جهاز رسول الله.

(٢) ابن هشام ٣٤٣/٤.

(٣) طبقات ابن سعد ٢ ق ٢ ص ٧٠ والكامل لابن الأثير ج ٢ في ذكر حوادث سنة ١١ هـ.

(٤) النص لابن سعد في الطبقات: ٢/٢ ق ٧٠/٢ وفي البدء والتاريخ قريب منه. وكنز العمال ٥٤/٤ و ٦٠ وهذه عبارته: «ولي دفته واجنانه أربعة من الناس» ثم ذكر ما أوردناه.

(٥) العقد الفريد: ٦١/٣. وقريب منه نص الذهبي في تاريخه: ٣٢١/١ و٣٢٤ و٣٢٦.

(٦) كنز العمال: ١٤٠/٣.

(٧) ابن هشام: ٣٤٤/٤ والطبري: ٤٥٢/٢ و٤٥٥ (وط. ارو باج ١/١٨٣٣ و١٨٣٧) وابن كثير: ٢٧٠/٥ وابن الأثير في أسد الغابة: ٣٤/١، في ترجمة الرسول وقد ورد في روايات أخرى أن سماعهم صريف المساحي كان ليلة الثلاثاء كما في طبقات ابن سعد: ٢/٢ ق ٧٨/٢ وتاريخ الخميس ١/١٩١. والذهبي في تاريخه ٣٢٧/١ والأصح أن ذلك كان ليلة الأربعاء. وفي مسند أحمد ٦٢/٦: في آخر ليلة الأربعاء وفي ص ٢٤٢ منه و ص ٢٧٤: «ما علمنا أين يدفن حتى سمعنا...».

لني بيوتهم^١».

وقال شيوخ الأنصار من بني غنم: «سمعنا صوت المساحي آخر الليل^٢».

بعد دفن الرسول

اندحر سعد ومُرَشَّحُوهُ، وبقي عَلِيٌّ وجماعته — بعد أن أصبحوا أقلية — يتناحرون وحزب أبي بكر الظافر وكل يجتهد في جلب الأنصار لحوزته. قال الزبير بن بكار في الموفقيات: لما بوع أبو بكر واستقر أمره، ندم قوم كثير من الأنصار على بيعته ولام بعضهم بعضاً، وذكروا علي بن أبي طالب وهتفوا باسمه^٣.

قال اليعقوبي^٤: «وتخلف عن بيعة أبي بكر قوم من المهاجرين والأنصار ومالوا مع علي بن أبي طالب منهم العباس بن عبد المطلب والفضل بن العباس، والزبير بن العوام، وخالد بن سعيد، والمقداد بن عمرو، وسلمان الفارسي، وأبوذر الغفاري، وعمار بن ياسر، والبراء بن عازب^٥، وأبي بن كعب^٦ فأرسل أبو بكر إلى

١ (٢ و ١) ابن سعد ٢/٢ ق ٧٨/٢.

٣ (٣) الموفقيات: ص ٥٨٣.

٤ (٤) في تاريخه ج ١٠٣/٢، والسقيفة لأبي بكر الجوهري حسب رواية ابن أبي الحديد ١٣/٢، والتفصيل ج ١، ص ٧٤ منه. وبلفظ قريب منه في الإمامة والسياسة ج ١٤/١.

٥ (٥) المقداد بن الأسود الكندي هو ابن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة بن عامر بن مظروود البهراني.

أصاب دماً في قومه فلحق بحضرة مؤت فحالف كندة وتزوج امرأة فولدت له المقداد فلما كبر المقداد وقع بينه وبين أبي شير بن حجر الكندي فضرب رجله بالسيف وهرب إلى مكة فحالف الأسود بن عبد يغوث الزهري فتبناه الأسود فصار يقال له: المقداد بن الأسود الكندي. فلما نزلت «ادعوهم لآبائهم» قيل له: المقداد بن عمرو. وقال الرسول: «إن الله عز وجل يحب أربعة من أصحابي وأخبرني أنه يحبهم».

فقيل: من هم؟

فقال: «علي والمقداد وسلمان وأبوذر». توفي سنة ٥٣٣ هـ. الاستيعاب ج ٣/٤٥١ والإصابة ج ٣ ص ٤٣٣ — ٤٣٤.

٦ (٦) أبو عمرو البراء بن عازب بن الحارث بن عدي بن جشم بن مجدعة بن الحارث بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي، كان ممن استصغره الرسول يوم بدر وردته. وغزا مع الرسول ١٤ غزوة وشهد مع علي الجمل وصفين والثروان. سكن الكوفة وابتنى بها داراً وتوفي بها في إمارة مصعب بن الزبير. الاستيعاب ج ٣/١٤٧ والإصابة ج ٢ ص ١٤٧.

٧ (٧) أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار وهو تيم اللات بن

عمر بن الخطاب وأبي عبيدة بن الجراح، والمغيرة بن شعبة.

فقال: ما الرأي؟

قالوا: ^١الرأي أن تلقى العباس بن عبد المطلب فتجعل له في هذا الأمر نصيباً يكون له ولعقبه من بعده فتقطعون به ناحية علي بن أبي طالب «وتكون لكما حجة ^٢» على علي إذا مال معكم.

فانطلق أبو بكر، وعمر، وأبو عبيدة بن الجراح، والمغيرة، حتى دخلوا على العباس ليلاً ^٣ فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه، ثم قال:

«إن الله بعث محمداً نبياً، وللمؤمنين ولياً، فمن عليهم بكونه بين أظهرهم حتى اختار له ما عنده فخلّى على الناس أمورهم ليختاروا لأنفسهم في مصلحتهم مشفقين ^٤ فاختاروني عليهم والياً ولأموهم راعياً، فوليت ذلك وما أخاف بعون الله وتسديده وهناً، ولا حيرة، ولا جبناً، وما توفيتي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، وما أنفك يبلغني عن طاعن بقول الخلاف على عامة المسلمين يتخذكم لجاجاً فتكونوا حوضه المنيع، وخطبة البديع، فأما دخلتم مع الناس فيما اجتمعوا عليه، وإما صرفتموهم عما مالوا إليه، ولقد جئناك ونحن نريد أن نجعل لك في هذا الأمر نصيباً يكون لك ويكون لمن بعدك من عقبك، إذ كنت عمّ رسول الله، وإن كان الناس قد رأوا مكانك ومكان صاحبك «فعدلوا الأمر عنكم ^٥» على رسلكم بني هاشم فإن رسول الله منا ومنكم.

فقال عمر بن الخطاب: وأخرى إننا لم نأتكم لحاجة إليكم، ولكن كرهنا أن يكون الطعن في ما اجتمع عليه المسلمون منكم فيتفاقم الخطب بكم وبهم، فانظروا لأنفسكم!

ثعلبة بن عمرو بن الحرج الأكبر، شهد العقبة الثانية وبايع النبي فيها وشهد بدرأ وما بعدها، وكان من كتاب النبي، مات في آخر خلافة عمر أو صدر خلافة عثمان.

الاستيعاب ج ١ ص ٢٧ - ٣٠، والإصابة ج ١ ص ٣١ - ٣٢.

(١) في نص الجوهرى أن قائل هذا الرأي هو المغيرة بن شعبة وهذا هو الأقرب إلى الصواب.

(٢) هذه الزيادة في نسخة الإمامة والسياسة ج ١/١٤.

(٣) في رواية ابن أبي الحديد أن ذلك كان في الليلة الثانية بعد وفاة النبي.

(٤) إن ضمير «هم» موجود في رواية ابن أبي الحديد.

(٥) في نسخة الإمامة والسياسة وابن أبي الحديد ج ١ ص ٧٤ «متفقين» وهو الأشبه بالصواب.

(٦) الزيادة في نسخة ابن أبي الحديد والإمامة والسياسة.

فحمد العباس الله وأثنى عليه وقال: إن الله بعث محمداً كما وصفت نبياً، وللمؤمنين ولياً، فمن على أمته به حتى قبضه الله اليه واختار له ما عنده، فخلّى على المسلمين أمورهم ليختاروا لأنفسهم مصيبي الحق لا مائلين بزيع الهوى، فإن كنت برسول الله طلبت فحقنا أخذت، وإن كنت بالمؤمنين أخذت فنحن منهم فما تقدمنا في أمرك فرطاً، ولا حللنا وسطاً، ولا برحنا سخطاً، وإن كان هذا الأمر واجب لك بالمؤمنين فما وجب إذا كُنّا كارهين. ما أبعد قولك من أنهم طعنوا عليك من قولك أنهم اختاروك ومالوا إليك، وما أبعد تسميتك خليفة رسول الله من قولك خلّى على الناس أمورهم ليختاروا فاخترارك. فأما ما قلت: إنك تجعله لي، فإن كان حقاً للمؤمنين فليس لك أن تحكم فيه، وإن كان لنا فلم نرض ببعضه دون بعض وعلى رسلك فإن رسول الله من شجرة نحن أغصانها وأنتم جيرانها. فخرجوا من عنده.

التَّحْصُنُ بدار فاطمة

قال عُمر بن الخطاب: «وإنه كان من خبرنا حين توفى الله نبيّه أن علياً والزبير ومن معها تخلّفوا عتاً في بيت فاطمة^٢». وذكر المؤرخون في عداد من تخلّف عن بيعة أبي بكر وتحصّن بدار فاطمة مع علي والزبير كلاً من:

- | | |
|------------------------------------|--------------------------|
| (١) العباس بن عبد المطلب. | (٢) عُتبة بن أبي لهب. |
| (٣) سلمان الفارسي. | (٤) أبوذر الغفاري. |
| (٥) عمّار بن ياسر. | (٦) المقداد بن الأسود. |
| (٧) البراء بن عازب. | (٨) أبي بن كعب. |
| (٩) سعد بن أبي وقاص ^٣ . | (١٠) طلحة بن عبّيد الله. |

(١) في نسخة الجوهرى والإمامة والسياسة: فإن يكن حقاً لك فلا حاجة لنا فيه.

(٢) مسند أحمد ٥٥/١ والطبري ٤٦٦/٢ (ط. اروبا ١/١٨٢٢)، وابن الاثير ١٢٤/٢، وابن كثير ٢٤٦/٥ وصفوة الصفوة ٩٧/١، وابن أبي الحديد ج ١/١٢٣، وتاريخ السيوطي في مبايعة أبي بكر ص ٤٥، وابن هشام ج ٤ ص ٣٣٨، وتيسير الوصول ٤١/٢.

(٣) أبو إسحق سعد بن أبي وقاص واسم أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبّيد مناف بن زهرة بن كلاب القرشي، وكان سابع سبعة سبقوا إلى الإسلام شهد بدرًا وما بعدها وهو أول من رمى بسهم في الإسلام، وكان رأس من فتح العراق وكوف الكوفة ووليا لعمر وعيّن في الستة أصحاب الشورى واعتزل الناس بعد

وجاعة من بني هاشم وجمع من المهاجرين والأنصار^١.

وقد تواتر حديث تخلف عليّ ومن معه عن بيعة أبي بكر وتحصنهم بدار فاطمة في كُتُب السيرة، والتواريخ، والصّحاح والمسانيد، والأدب، والكلام، والتراجم، غير أنهم لما كرهوا ما جرى بين المتحصّنين والحزب الظافر لم يفصحوا ببيان حوادثها إلا ما ورد ذكره عفوياً. ومن ذلك ما رواه البلاذري وقال: بعث أبو بكر عمر بن الخطاب إلى علي رضي الله عنهم حين قعد عن بيعته وقال: «اتني به بأعنف العُنف فلما أتاه جرى بينهما كلام، فقال: إخلب حلباً لك شطره والله ما حرصك على امارته اليوم إلا ليؤثرك غداً...» الحديث^٢.

قال أبو بكر في مرض موته: «أما اني لا آسي على شيء في الدنيا إلا على ثلاث فعلتهن وددت أني لم أفعلنهن — إلى قوله — فأما الثلاث التي فعلتها فوددت أني لم أكشف عن بيت فاطمة وتركته ولو أغلق على حرب^٣».

وفي اليعقوبي: «وليتني لم أفتش بيت فاطمة بنت رسول الله وأدخله الرجال ولو كان أغلق على حرب^٤»، وقد عدّ المؤرخون في الرجال الذين أدخلوا بيت فاطمة بنت رسول الله كلاً من:

مقتل عثمان ومات بمسكنه في العقيق في خلافة معاوية وحمل إلى المدينة ودفن بالبيع.

الاستيعاب ج ٢ ص ١٨ — ٢٥، والإصابة ج ٢/٣٠ — ٣٢.

(١) صرّحت المصادر الآتية بالاضافة إلى المصادر المذكورة آنفاً أن هؤلاء كانوا قد تخلفوا عن بيعة أبي بكر واجتمعوا بدار فاطمة. ومن هذه المصادر ما ذكرت اسم بعضهم وانهم إنما اجتمعوا ليبيعوا علياً، الرياض النضرة ١٦٧/١ وتاريخ الخميس ١٨٨/١، وابن عبد ربه ٦٤/٣، وتاريخ أبي الفداء ١٥٦/١ وابن شحنة بهامش الكامل ١١٢، والجوهري حسب رواية ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٣٠ — ١٣٤ والحلبية ٣/٣٩٤ و٣٩٧.

(٢) أنساب الأشراف ج ١ ص ٥٨٧.

(٣) الطبري ٦١٩/٢ (وط. ١ روبا ٢١٤٠/١) عند ذكره وفاة أبي بكر، ومروج الذهب ١/٤١٤ وابن عبد ربه ٦٩/٣ عند ذكره استخلاف أبي بكر لعمر، والكنز ٣/١٣٥ ومُنتخب الكنز ١٧١/٢، والإمامة والسياسة ١٨/١، والكامل للمبرّد حسب رواية ابن أبي الحديد ١/١٣٠ — ١٣١ وقد ذكر أبو عبيد في الأموال ص ١٣١ قول أبي بكر هكذا: «أما الثلاث التي فعلتها فوددت أني لم أكن فعلت كذا وكذا — لحلة ذكرها — قال أبو عبيد: لا أريد ذكرها» انتهى وأبو بكر الجوهري برواية التهج ج ٩ ص ١٣٠. ولسان الميزان ٤ ص ١٨٩ وراجع ترجمة أبي بكر في ابن عساكر ومراة الزمان لسيب بن الجوزي، وتاريخ الذهب ١/٣٨٨.

(٤) ج ٢: ص ١١٥.

- (١) عُمر بن الخطاب.
 (٢) خالد بن الوليد.
 (٣) عبد الرحمن بن عوف.
 (٤) ثابت بن قيس بن شماس.
 (٥) زياد بن لبيد.
 (٦) محمد بن مسلمة.
 (٧) زيد بن ثابت.
 (٨) سلمة بن سالم بن وقش.
 (٩) سلمة بن أسلم.
 (١٠) أسيد بن حضير.

وقد ذكروا في كيفية كشف بيت فاطمة وما جرى للمتحصنين وهؤلاء

الرجال:

(١) أبو سليمان خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي، وأمه لبابة بنت الحارث بن الحزن الهلالية أخت ميمونة زوجة النبي، وكانت إليه أعتة الخيل في الجاهلية، هاجر بعد الحديبية وشهد فتح مكة وأمره أبو بكر على الجيوش، وكان يقال له سيف الله، وتوفي بجمص أو بالمدينة سنة ٢١ أو ٢٢ هـ. الاستيعاب ج ١/٤٠٥ - ٤٠٨.

(٢) ثابت بن قيس بن شماس بن زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج الأنصاري. شهد أحدا وما بعدها وقتل مع خالد في اليمامة. الاستيعاب ج ١: ١٩٣ والإصابة ج ١: ١٩٧.

(٣) زياد بن لبيد بن ثعلبة بن سنان بن عامر بن عدي بن أمية بن بياضة الأنصاري من بني بياضة بن عامر بن زريق مهاجري أنصاري. خرج إلى رسول الله بمكة وأقام معه حتى هاجر معه إلى المدينة، شهد العقبة وبدراً وما بعدها، مات في أول خلافة معاوية.

الاستيعاب ج ١/٥٤٥ والإصابة ج ١/٥٤٠. في نسبه بجمهرة ابن حزم ص ٣٥٦ سقط بياضة.

(٤) محمد بن مسلمة بن سلمة بن خالد بن عدي بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس، شهد بدراً وما بعدها. وكان ممن لم يبايع علي بن أبي طالب ولم يشهد معه حروبه وتوفي سنة ٤٣ أو ٤٦ أو ٤٧ هـ.

الاستيعاب ج ٣/٣١٥ والإصابة ج ٣/٣٦٣ - ٣٦٤. ونسبه في جمهرة ابن حزم ص ٣٤١.

(٥) راجع أنساب الأشراف ج ١/٥٨٥.

(٦) أبو عوف سلمة بن سلامة بن وقش بن زغبة بن زعوراء بن عبد الأشهل الأنصاري، وأمه سلمى بنت سلمة بن خالد بن عدي الأنصارية، شهد العقبة الأولى والآخرة ثم شهد بدراً وما بعدها، توفي بالمدينة سنة ٤٥ هـ.

الاستيعاب ج ٢/٨٤ والإصابة ج ٢/٦٣.

(٧) أبو سعيد بن سلمة بن أسلم بن حريش بن عدي بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج ابن عمرو بن مالك الأوس الأنصاري، شهد بدراً وما بعدها وقتل يوم جسر أبي عبيد سنة ١٤ هـ.

الاستيعاب ج ٢/٨٣ والإصابة ج ٢/٦١.

(٨) الطبري: ٤٤٣/٢ و ٤٤٤ وأبو بكر الجوهري حسب رواية ابن أبي الحديد ج ١: ١٣٠ - ١٣٤ و

ج ٢ ص ١٩.

إنه «غضب رجال من المهاجرين في بيعة أبي بكر منهم علي بن أبي طالب والزبير فدخلا بيت فاطمة ومعهما السلاح^١» «فبلغ أبا بكر وعمر أن جماعة من المهاجرين والأنصار قد اجتمعوا مع علي بن أبي طالب في منزل فاطمة بنت رسول الله^٢» «وإنهم إنما اجتمعوا ليبايعوا علياً^٣» «فبعث إليهم أبو بكر عمر بن الخطاب ليخرجهم من بيت فاطمة، وقال له: إن أبوا فقاتلهم.

فأقبل بقبس من نار على أن يضرم عليهم الدار، فلقيتهم فاطمة فقالت: يا بن الخطاب أجتت لتحرق دارنا؟ قال: نعم أو تدخلوا في ما دخلت فيه الأمة^٤.

وفي أنساب الاشراف: فتلقته فاطمة على الباب، فقالت فاطمة: يا بن الخطاب أترأى محرقاً علي بابي؟ قال: نعم...^٥. وإلى هذا أشار عروة بن الزبير حين كان يعتذر عن أخيه عبد الله بن الزبير فيما جرى له مع «بني هاشم وحصره إياهم في الشعب وجمعه الحطب لإحراقهم... ليدخلوا في طاعته كما أربى بنو هاشم وجمع لهم الحطب لتحريقهم إذ هم أبوا البيعة في ما سلف^٦» يعني ما سلف لبني هاشم من قضية الحطب والنار عند امتناعهم عن بيعة أبي بكر، وفي هذا يقول شاعر النيل حافظ إبراهيم:

وقولة لعلي قالها عمرُ
أكرم بسامعها أعظم بملقيها
حرقت دارك لا أبقى عليك بها
إن لم تُبايع و بنت المصطفى فيها
ما كان غير أبي حفص يفوه بها
أمام فارس عدنان و حاميا

وقال اليعقوبي: «فأتوا في جماعة حتى هجموا على الدار (إلى قوله) وكسر سيفه — أي سيف علي — ودخلوا الدار^٧».

(١) الرياض النضرة: ١٦٧/١، وأبو بكر الجوهري برواية ابن أبي الحديد ١٣٢/١ و ٦ ص ٢٩٣ والخميس ج ١ ص ١٨٨.

(٢) اليعقوبي، ج ٢، ص ١٠٥.

(٣) ابن شحنة، ص ١١٣، بهامش الكامل ج ١١، وابن أبي الحديد، ج ١، ص ١٣٤.

(٤) ابن عبد ربه، ج ٣، ص ٦٤، وأبو الفداء، ج ١، ص ١٥٦.

(٥) أنساب الاشراف، ج ١، ص ٥٨٦. وراجع كنز العمال ١٤٠/٣ والرياض النضرة، ج ١، ص ١٦٧ وأبو بكر الجوهري برواية ابن أبي الحديد، ج ١٣٢/١ و ج ٦ في الصفحة الثانية منه، والخميس ج ١/١٧٨، وأبو بكر الجوهري برواية ابن أبي الحديد ج ١/١٣٤.

وتاريخ ابن أبي شحنة، ص ١١٣ بهامش الكامل، ج ١١.

(٦) مروج الذهب ٢ ص ١٠٠ وأورده ابن أبي الحديد في ج ٢٠ ص ٤٨١ ط إيران عند شرحه قول الأمير: «ما زال الزبير منا حتى نشأ ابنه».

(٧) اليعقوبي ١٠٥/٢.

وقال الطبري: «أتى عمر بن الخطاب منزل علي وفيه طلحة والزبير ورجال من المهاجرين فخرج عليه الزبير مصلاً بالسيف فعثر فسقط السيف من يده فوثبوا عليه فأخذوه^١».

وعلي يقول: أنا عبد الله وأخو رسول الله، حتى انتهوا به إلى أبي بكر فقيل له بايع، فقال: أنا أحق بهذا الأمر منكم لا أبايعكم وأنتم أولى بالبيعة لي، أخذتم هذا الأمر من الأنصار واحتججتم عليهم بالقرابة من رسول الله فأعطوكم المقادة وسلموا إليكم الإمارة، وأنا أحتج عليكم بمثل ما احتججتم به على الأنصار، فانصفونا إن كنتم تخافون الله من أنفسكم واعرفوا لنا من الأمر مثل ما عرفت الأنصار لكم وإلا فبوءوا بالظلم وأنتم تعلمون. فقال عمر: إنك لست متروكاً حتى تباع، فقال له علي: اجلب يا عمر حلباً لك شظره اشد له اليوم أمره ليرد عليك غداً. لا والله، لا أقبل قولك ولا أتابعه، فقال له أبو بكر: فإن لم تباعني لم أكرهك.

فقال له أبو عبيدة. يا أبا الحسن أنك حدث السن وهؤلاء مشيخة قريش قومك ليس لك مثل تجربتهم ومعرفتهم بالأمر، ولا أرى أبا بكر إلا أقوى على هذا الأمر منك وأشد احتمالاً له واضطلاعاً به، فسلم له هذا الأمر وارض به فإنك إن تعش ويظل عمرك فانت لهذا الأمر لخلق وعليه حقيق في فضلك وقرابتك وسابقتك وجهادك.

فقال علي: يا معشر المهاجرين الله الله، لا تخرجوا سلطان محمد عن داره وبيته إلى بيوتكم ودوركم ولا تدفعوا أهله عن مقامه في الناس وحقه، فوالله يا معشر المهاجرين لنحن أهل البيت أحق بهذا الأمر منكم ما كان منا القاريء لكتاب الله الفقيه لدين الله العالم بالسنة المضطلع بأمر الرعية. والله إنه لفينا فلا تتبعوا الهوى فتزدادوا من الحق بعداً.

فقال بشير بن سعد: «لو كان هذا الكلام سمعته منك الأنصار يا علي قبل بيعتهم لأبي بكر ما اختلف عليك اثنان، ولكنهم قد بايعوا» وانصرف علي إلى منزله ولم يبايع. رواه أبو بكر الجوهري كما في شرح النهج ٢٨٥/٦. وروى أبو بكر الجوهري أيضاً وقال: «ورأت فاطمة ما صنيع بهما - أي بعلي والزبير - فقامت على باب الحجر

(١) الطبري ٤٤٣/٢ و ٤٤٤ و ٤٤٦ (وط. اوروبا ١/١٨١٨ و ١٨٢٠ و ١٨٢٢) وقد أورده العقاد في عبقرية عمر ص ١٧٣، وذكر كسر سيف الزبير المحب الطبري في الرياض النضرة ١٦٧، والخميس، ١٨٨/١، وابن أبي الحديد ج ١/٢٢٢ و ١٣٢ و ١٣٤ و ٥٨ و ج ٦ في الصفحة الثانية، وكذا العمال ج ٣ ص ١٢٨.

وقالت: يا أبا بكر ما أسرع ما أغرتم على أهل بيت رسول الله، والله لا أكلم عمر حتى ألقى الله^١.

وفي رواية أخرى: «وخرجت فاطمة تبكي وتصيح فَنَهَتْ من الناس^٢».

وقال اليعقوبي: «فخرجت فاطمة، فقالت: والله لتخرجنَّ أو لا كَشِفْنَ شعري ولأعجننَّ إلى الله فخرجوا وخرج من كان في الدار^٣».

وقال المسعودي: «لما بوع أبو بكر في السَّقِيفَةَ وَجَدَتْ له البيعة يوم الثلاثاء خرج عليّ فقال: أفسدت علينا أمورنا ولم تستشر ولم ترعَ لنا حقاً!» فقال أبو بكر: «بلى ولكني خشيت الفتنة^٤».

وقال اليعقوبي: «واجتمع جماعة إلى علي بن أبي طالب يدعونه إلى البيعة فقال لهم: اغدوا عليّ مُحَلِّقِينَ الرؤوس؛ فلم يغد عليه إلا ثلاثة نفر^٥».

ثم إن علياً حمل فاطمة على حمار وسار بها ليلاً إلى بيوت الانصار يسألهم النصره وتسألهم فاطمة الانتصار له فكانوا يقولون: يا بنت رسول الله قد مضت بيعتنا لهذا الرجل، ولو كان ابن عمك سبق إلينا أبا بكر ما عدلنا به، فقال عليّ: أفكنت أترك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ميتاً في بيته لم أجهزه وأخرج إلى الناس أنازعهم في سلطانه؟ فقالت فاطمة: «ما صنع أبو الحسن إلا ما كان ينبغي له ولقد صنعوا ما الله حسيبهم عليه!!^٦».

ولقد أشار معاوية إلى هذا وإلى ما نقلناه عن اليعقوبي قبله في كتابه إلى عليّ: وأعهدك أمس تحمل قعيده بيتك ليلاً على حمار ويداك في يدي ابنيك الحسن والحسين يوم بوع أبو بكر الصديق، فلم تدع أحداً من أهل بدر والسوابق إلا دعوتهم إلى نفسك، ومشيت إليهم بامرأتك، وأدكلت إليهم بابنيك، واستنصرتهم على صاحب رسول الله، فلم يجيبك منهم إلا أربعة أو خمسة، ولعمري لو كنت مُحَقِّقاً لأجابوك ولكنك ادّعت باطلاً، وقلت ما لا يعرف ورُمت ما لا يدرك، ومهما نسيت

(١) برواية ابن أبي الحديد ج ١/١٣٤ و ٦/٢٨٦.

(٢) السقيفة لأبي بكر الجوهري برواية ابن أبي الحديد ج ١/١٣٤.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢/١٠٥.

(٤) مروج الذهب ج ١/٤١٤، والإمامة والسياسة ج ١/١٢ - ١٤ مع اختلاف.

(٥) تاريخ اليعقوبي ج ٢/١٠٥، وفي شرح النهج ج ٢/٤.

(٦) أبو بكر الجوهري في كتابه السقيفة برواية ابن أبي الحديد ج ٦ ص ٢٨، وابن قتيبة ج ١/١٢.

فلا أنسى قولك لأبي سُفْيَانٍ لَمَّا حَرَّكَكَ وَهَيَّجَكَ لَو وَجَدْتَ أَرْبَعِينَ ذَوِي عِزْمٍ مِنْهُمْ لِنَاهَضْتَ الْقَوْمَ^١.

وَرَوَى مُعَمَّرٌ عَنِ الرَّهْرِيِّ عَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ فِي حَدِيثِهَا عَمَّا جَرَى بَيْنَ فَاطِمَةَ وَأَبِي بَكْرٍ حَوْلَ مِيرَاثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ:

«فَهَجَرْتَهُ فَاطِمَةَ فَلَمْ تُكَلِّمَهُ حَتَّى تُوفِّيتَ وَعَاشَتْ بَعْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ فَلَمَّا تُوفِّيتَ دَفَنَهَا زَوْجَهَا، وَلَمْ يُؤْذِنْ بِهَا أَبَا بَكْرٍ وَصَلَّى عَلَيْهَا. وَكَانَ لِعَلِيٍّ مِنَ النَّاسِ وَجْهٌ حَيَاةَ فَاطِمَةَ فَلَمَّا تُوفِّيتَ فَاطِمَةَ انصرفت وجوه الناس عن علي. ومكثت فاطمة ستة أشهر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم توفيت». قال مُعَمَّرٌ: فقال رجل للرُّهْرِيِّ: فلم يبايعه علي ستة أشهر؟ قال: لا^٢ ولا أحد من بني هاشم حتى يبايعه علي. فلما رأى علي انصراف وجوه الناس عنه ضرع إلى مصالحة أبي بكر... الحديث^٣. وقال البلاذري: لما ارتدت العرب، مشى عُثْمَانُ إِلَى عَلِيٍّ. فقال: يا ابن عم، انه لا يخرج أحد إلى قتال هذا العدو، وأنت لم تبايع فلم يزل به حتى مشى إلى أبي بكر، فبايعه فسر المسلمون، وجد الناس في القتال وقطعت البعوث^٤.

ضرع علي إلى مصالحة أبي بكر بعد وفاة فاطمة وانصراف وجوه الناس عنه، غير أنه بقي يشكو مما جرى عليه بعد وفاة النبي حتى في أيام خلافته. وذكر شكواه في خطبته المشهورة بالشقشقية التي سنورها في آخر هذا الباب.

(١) ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٦٧ وصفين لنصر بن مزاحم ص ١٨٢.

(٢) في تيسير الوصول ج ٢ ص ٤٦ «قال لا والله ولا أحد من بني هاشم».

(٣) قد أوردت هذا الحديث مختصراً من كل من الطبري ج ٤٤٨/٢ (وط. اوربا ج ١/١٨٢٥) وصحيح البخاري كتاب المغازي باب غزوة خيبر ج ٣/٣٨، وصحيح مسلم ج ١/٧٢ وج ٥/١٥٣. باب قول رسول الله «نحن لا نورث: ما تركناه صدقة»، وابن كثير ج ٥/٢٨٥-٢٨٦ وابن عبدربه ج ٣/٦٤، وقد أوردته ابن الأثير ج ٢/١٢٦ مختصراً، والكنجي في كفاية الطالب ج ٢٢٥-٢٢٦. وابن أبي الحديد ج ١/١٢٢، والمسعودي ج ٢/٤١٤ من مروج الذهب، وفي التنبيه والإشراف له ص ٢٥٠ «ولم يبايع علي حتى توفيت فاطمة» والصواعق ج ١/١٢، وتاريخ الخميس ج ١/١٩٣، وفي الإمامة والسياسة (١٤/١) أن بيعة علي كانت بعد وفاة فاطمة وأنها قد بقيت بعد أبيها ٧٥ يوماً، وفي الاستيعاب أن علياً لم يبايعه إلا بعد موت فاطمة ج ٢ ص ٢٤٤، وأبوالفداء ج ١/١٥٦، والبدء والتاريخ ج ٥/٦٦ وأنساب الأشراف ج ١/٥٨٦، وفي أسد الغابة ج ٣/٢٢٣ بترجمة أبي بكر «كانت بيعتهم بعد ستة أشهر على الأصح» وقال اليعقوبي ج ٢/١٠٥ «لم يبايع علي إلا بعد ستة أشهر» وفي الغدير ج ٣/١٠٢ عن الفصل لابن حزم ص ٩٦-٩٧.

(٤) أنساب الأشراف، ج ١/٥٨٧.

من تخلف عن بيعة الخليفة أبي بكر

(أ) فروة بن عمرو

قال الزبير بن بكار في الموفقيات: « كان فروة بن عمر ممن تخلف عن بيعة أبي بكر، وكان ممن جاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاد فرسين في سبيل الله، وكان يتصدق من نخله بألف وسق في كل عام، وكان سيداً، وهو من أصحاب علي ومن شهد معه يوم الجمل ».

وذكر الزبير بن بكار بعد ذلك عتاب فروة لبعض الانصار الذين ساعدوا أبا بكر في بيعته^١.

(ب) خالد بن سعيد الاموي

كان عاملاً لرسول الله على صنعاء اليمن « فلما مات رسول الله رجع هو وأخوه أبان وعمر عن عمالتهم، فقال أبو بكر: مالكم رجعتن عن عمالتكم؟ ما أحد أحق بالعمل من عمال رسول الله صلى الله عليه وآله، ارجعوا إلى أعمالكم. فقالوا: نحن بنو أحيحة لا نعمل لأحد بعد رسول الله »^٢.

وتأخر خالد وأخوه أبان عن بيعة أبي بكر، فقال لبني هاشم: إنكم لطوال الشجر طيبو الثمر نحن تبع لكم^٣.

و « ترَبَّصْ ببيعته شهرين يقول: قد أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لم يعزلني حتى قبضه الله، ولقي علي بن أبي طالب وعُثمان بن عفان، فقال يا بني عبد

(١) الموفقيات، ص ٥٩٠.

وفروة بن عمرو الانصاري البياضي شهد العقبة وبدر وما بعدهما مع رسول الله صلى الله عليه وآله، أسد الغابة، ج ٤/١٧٨.

(٢) خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس. أسلم قديماً فكان ثالثاً أو رابعاً وقيل كان خامساً، وقال ابن قتيبة في المعارف ص ١٢٨: « أسلم قبل إسلام أبي بكر ». وابن أبي الحديد، ج ٢، ص ١٣. وكان ممن هاجر إلى الحبشة واستعمله رسول الله مع أخويه على صدقات مذحج واستعمله على صنعاء اليمن، ثم رجعوا بعد وفاة النبي ثم مضوا جميعاً إلى الشام فقتلوا هناك واستشهد خالد باجنادين يوم السبت لليلتين بقيتا من جمادي الأولى سنة ١٣ هـ.

الاستيعاب ج ١ ص ٣٩٨ - ٤٠٠ والإصابة ج ١ ص ٤٠٦، وأسد الغابة ج ٢ ص ٨٢، وراجع ابن أبي الحديد ج ٦ ص ١٣ و ١٦.

(٣) أسد الغابة ج ٢ ص ٨٢ وابن أبي الحديد ج ٢ ص ١٣٥. ط. المصرية الأولى.

مَناف لقد طبتم نفساً عن أمركم يليه غيركم، فأما أبو بكر فلم يحفل بها عليه، وأما عمر فأضغنها عليه»^١.

«وَأَتَى عَلِيّاً، فَقَالَ: هَلُمَّ ابَايَعَكَ فَوَاللَّهِ مَا فِي النَّاسِ أَحَدٌ أَوْلَى بِمَقَامِ مُحَمَّدٍ مِنْكَ»^٢، «فَلَمَّا بَايَعَ بَنُو هَاشِمٍ أَبَا بَكْرٍ بَايَعَهُ خَالِدٌ»^٣.

«ثُمَّ بَعَثَ أَبُو بَكْرٍ الْجُنُودَ إِلَى الشَّامِ وَكَانَ أَوَّلُ مَنْ اسْتَعْمَلَ عَلِيَّ رُبْعَ مَنَاهَا خَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ، فَأَخَذَ عُمَرُ يَقُولُ: أَتَوَمَّرُهُ وَقَدْ صَنَعَ مَا صَنَعَ وَقَالَ مَا قَالَ، فَلَمْ يَزَلْ بِأَبِي بَكْرٍ حَتَّى عَزَلَهُ، وَأَمَرَ يَزِيدُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ»^٤.

(ج) سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ°

ذَكَرُوا^١ «إِنْ سَعْدًا تَرَكْتُ أَيَّاماً ثُمَّ بُعِثَ إِلَيْهِ أَنْ أَقْبَلَ فَبَايَعَ، فَقَدْ بَايَعَ النَّاسَ وَبَايَعَ قَوْمَكَ، فَقَالَ: أَمَا وَاللَّهِ حَتَّى أُرْمِيَكُمْ بِمَا فِي كِنَانَتِي مِنْ نَبْلِ وَأَخْضَبِ سِنَانِ رُمْحِي، وَأَضْرِبُكُمْ بِسَيْفِي مَا مَلَكَتْهُ يَدِي، وَأَقَاتِلُكُمْ بِأَهْلِ بَيْتِي وَمَنْ أَطَاعَنِي مِنْ قَوْمِي فَلَا أَفْعَلْ، وَأَيْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ الْجِنَّ اجْتَمَعَتْ لَكُمْ مَعَ الْإِنْسِ مَا بَايَعْتُمْ حَتَّى أَعْرَضَ عَلَيَّ رَبِّي وَاعْلَمَ مَا حَسَابِي».

فَلَمَّا أَتَى أَبُو بَكْرٍ بِذَلِكَ، قَالَ عُمَرُ: لَا تَدْعُهُ حَتَّى يَبَايَعَ.

فَقَالَ لَهُ بَشِيرُ بْنُ سَعْدٍ: إِنَّهُ قَدْ لَجَّ وَأَبَى، وَلَيْسَ بِمَبَايَعِكُمْ حَتَّى يَقْتُلَ، وَلَيْسَ

(١) الطبري ط. أوروبا ١/٢٠٧٩ ج ٢ ص ٥٨٦ وتهذيب تاريخ ابن عساکر ج ٥ ص ٤٨. وفي أنساب الأشراف ١/٥٨٨ ذكر أن خالد بن سعيد تاخر عن البيعة.

(٢) اليعقوبي ج ٢ ص ١٠٥.

(٣) أسد الغابة ج ٢ ص ٨٢، وراجع تفصيل ذلك في ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٣٥ نقلاً عن سقيفة أبي بكر الجوهري.

(٤) الطبري ج ٢ ص ٥٨٦ وفي ط أوروبا ١/٢٠٧٩ وتهذيب تاريخ ابن عساکر ج ٥ ص ٤٨.

وفي أنساب الأشراف ١/٥٨٨ ذكر أن خالد بن سعيد تاخر عن البيعة.

(٥) سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ بْنِ دُلَيْمِ بْنِ حَارِثَةَ بْنِ أَبِي خُرَيْمَةَ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ ظَرِيفِ بْنِ الْخَزْرَجِيِّ بْنِ سَاعِدَةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ الْخَزْرَجِيِّ الْأَنْصَارِيِّ، شَهِدَ الْعَقَبَةَ وَمَغَازِي رَسُولِ اللَّهِ عِدَا بَدْرَ، فَإِنَّهُ اخْتَلَفَ فِي أَنَّهُ هَلْ شَهِدَهَا أَمْ لَمْ يَشْهَدَهَا، كَانَ جَوَاداً سَخِيّاً وَكَانَتْ رَايَةَ الْأَنْصَارِ بِيَدِهِ يَوْمَ الْفَتْحِ، وَلَمَّا نَادَى: «الْيَوْمَ يَوْمَ الْمَلْحَمَةِ الْيَوْمَ تُسْبَى الْحَرَمَةُ» نَزَعَ رَسُولُ اللَّهِ اللِّوَاءَ مِنْهُ وَأَعْطَاهُ لابْنَهُ قَيْسَ، وَلَمْ يَبَايِعْ أَبَا بَكْرٍ حَتَّى قَتَلَ بِسَهْمَيْنِ فِي الشَّامِ سَنَةَ ١٥ هـ وَدَفَنَ بِجَوَارِينَ نَسَبَهُ فِي جَهْرَةَ ابْنِ حَزْمٍ ص ٦٥ الاستيعاب ج ٢ ص ٢٣ - ٣٧ والإصابة ج ٢ ص ٢٧ - ٢٨.

(٦) الطبري ج ٣ ص ٤٥٩، وابن الأثير ج ٢ ص ١٢٦ أورد الرواية إلى: فَأَتْرَكُوهُ. وَكَتَبَ الْعَمَالُ ج ٣ ص ١٣٤، الحديث المرقم ٢٢٩٦، الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٠، والسيرة الحلبية ج ٤ ص ٣٩٧. بعده «لَا يَسْلَمُ عَلَيَّ مَنْ لَقِيَ مِنْهُمْ». والطبري ط / أوروبا ١/١٨٤٤.

بمقتول حتى يقتل معه ولده وأهل بيته وطائفة من عشيرته، فاتركوه فليس تركه بضاركم إنما هوزجل واحد.

فتركوه وقبلوا مشورة بشير بن سعد، واستنصحوه لما بدا لهم منه، فكان سعد لا يصلي بصلاتهم ولا يجتمع معهم ولا يحج ولا يفيض معهم بإفاضتهم.. الخ «فلم يزل كذلك حتى توفي أبو بكر وولي عمر»^١.

و «لما ولي عمر الخلافة لقيه في بعض طُرُق المدينة.

فقال له: إيه يا سعد؟

فقال له: إيه يا عمر؟

فقال له عمر: أنت صاحب المقالة؟

قال سعد: نعم أنا ذلك، وقد افضى إليك هذا الأمر كان والله صاحبك أحب إلينا منك وقد أصبحت والله كارهاً لجوارك.

فقال عمر: من كره جوار جار تحوّل عنه.

فقال سعد: ما أنا غير مستسر بذلك وأنا متحوّل إلى جوار من هو خير منك، فلم يلبث إلا قليلاً حتى خرج إلى الشام في أول خلافة عمر... الخ»^٢.

وفي رواية البلاذري: «أن سعد بن عبادة لم يبايع أبا بكر وخرج إلى الشام فبعث عمر رجلاً، وقال: أذعه إلى البيعة واحتل له فإن أبي فاستعن الله عليه، فقدم

الرجل الشام فوجد سعداً في حائط بخوارين^٣ فدعاه إلى البيعة».

فقال: لا أبايع قرشياً أبداً.

قال: فإني أقاتلك.

قال: وإن قاتلتني.

قال: أفخارج أنت مما دخلت فيه الأمة؟

قال: أما من البيعة فإني خارج فرماه بسهم فقتله^٤.

وفي تبصرة العوام: أنهم أرسلوا محمد بن مسلمة الأنصاري فرماه بسهم.

(١) الرياض النضرة ج ١ ص ١٦٨ مضافاً إلى المصادر

(٢) طبقات ابن سعد ج ٣ ق ٢ ص ١٤٥، وابن عساکر ج ٦ ص ٩٠ بترجمة سعد من تهذيبه وكنز

العمال ج ٣ ص ١٣٤، برقم ٢٢٩٦، والحلبية ج ٣ ص ٣٩٧.

(٣) من قرى حلب معروفة، معجم البلدان.

(٤) أنساب الأشراف ج ١/٥٨٩، العقد الفريد ج ٣ ص ٦٤ - ٦٥ باختلاف يسير.

وقيل إن خالداً كان في الشام يومذاك فأعانه على ذلك^١.
قال المَسْعُودِي: «وخرج سَعْدُ بن عُبَادَةَ ولم يبايع فصار إلى الشام فقتل
هناك» سنة ١٥ هـ^٢.

وفي رواية ابن عَبْدِ رَبَّهِ «رمي سَعْدُ بن عُبَادَةَ بسهم فوجد دفيناً في جسده
فات، فبكته الجنُّ فقالت:

وَقَتَلْنَا سَيِّدَ الْخَزْرَجِ سَعْدَ بنِ عُبَادَةَ

ورميناه بسهمين فلم يُخْطِ فُوَادَةَ»^٣

وروى ابن سعد^٤ «أنه جلس يبول في نفق فاقتتل فات من ساعته ووجدوه
قد اخضرَّ جلده».

وفي أسد الغابة^٥: «لم يبايع سَعْدُ أبابكر ولا عمر، وسار إلى الشام فأقام
بِحُورَيْنِ إلى أن مات سنة ١٥ هـ، ولم يختلفوا في أنه وجد ميتاً على مُغْتَسَلِهِ وقد اخضرَّ
جسده ولم يشعروا بموته حتى سمعوا قائلاً يقول من بئروا يرون أحداً» إلخ.

هكذا انتهت حياة سَعْدِ بنِ عُبَادَةَ، ولما كان قتل سَعْدِ بنِ عُبَادَةَ من الحوادث
التي كرهه المُرُخُونَ وقوعها أغفل جمع منهم ذكرها^٦ وأهمل قسم منهم بيان كيفيةها
ونسبوها إلى الجنِّ^٧ غير أنهم لم يكشفوا عن منشأ العداة بين الجن وسَعْدِ بنِ عُبَادَةَ،
ولماذا فَوَّتْ سَهْمَهَا إلى فُوَادِ سَعْدِ دون سائر الصحابة، فلو أنهم أكملوا الأسطورة
وقالوا: إن صَلْحَاءَ الْجِنِّ كرهت امتناع سَعْدِ عن البيعة فرمته بسهمين فما أخطأ فُوَادَةَ
لكانت أسطورتهم تامة.

من روى أن سَعْداً لم يبايع:

(١) ابن سَعْدِ فِي الطَّبَقَاتِ. (٢) ابن جَرِيرٍ فِي تَارِيخِهِ. (٣) البَلَادُورِيُّ فِي ج ١
من أنسابه. (٤) ابن عَبْدِ الْبَرِّ فِي الْإِسْتِيعَابِ. (٥) ابن عَبْدِ رَبِّهِ فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ. (٦)

(١) تبصرة العوام ط المجلس بطهران ص ٣٢.

(٢) في مروج الذهب ج ١ ص ٤١٤ وج ٢ ص ١٩٤.

(٣) العقد الفريد ج ٤ ص ٢٥٩ - ٢٦٠.

(٤) في الطبقات ج ٣ ق ٢ ص ١٤٥ وأبوحنيفة الدينوري في المعارف ص ١١٣.

(٥) في ترجمة سعد والاستيعاب ج ٢ ص ٣٧.

(٦) كابن جرير وابن كثير وابن الأثير في تواريخهم.

(٧) ككُتِبَ الدِّينُ الْقَطْرِيُّ فِي الرِّيَاضِ النَّصْرَةِ، وَابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي الْإِسْتِيعَابِ.

ابن قُتَيْبَةَ فِي الْإِمَامَةِ وَالسِّيَاسَةِ فِي ج ١ ص ٩ (٧) الْمَسْعُودِي فِي مُرُوجِ الدَّهَبِ. (٨)
 ابْنِ حَجْرٍ الْعَسْقَلَانِي فِي الْإِصَابَةِ ج ٢ ص ٢٨. (٩) مُحَبَّبُ الدِّينِ الطَّبْرِي فِي الرِّيَاضِ
 النَّضْرَةِ ج ١ ص ١٦٨. (١٠) أَسَدُ الْغَابَةِ ج ٣/٢٢٢. (١١) تَارِيخُ الْخَمِيسِ. (١٢)
 عَلِيُّ بْنُ بَرَهَانَ الدِّينِ فِي السِّيَرَةِ الْحَلَبِيَّةِ ج ٣ ص ٣٩٦، ٣٩٧. (١٣) أَبُو بَكْرٍ الْجَوْهَرِيُّ،
 بِرَوَايَةِ ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ عَنْهُ.

كَانَ مَا ذَكَرْنَاهُ خُلَاصَةً مِنْ خَبَرِ اسْتِخْلَافِ أَبِي بَكْرٍ وَبَيْعَتِهِ أَوْرَدْنَاهُ مُلَخَّصَةً مِنْ
 كِتَابِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَبَأٍ الْجُزْءِ الْأَوَّلِ.
 وَفِي مَا يَلِي خَبَرَ اسْتِخْلَافِ عُمَرَ وَبَيْعَتِهِ:

اسْتِخْلَافُ عُمَرَ وَبَيْعَتُهُ

دَعَا أَبُو بَكْرٍ عَثْمَانَ خَالِيًا فَقَالَ: أَكْتُبْ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَذَا مَا عَهْدُ
 أَبِي بَكْرٍ بِنِ أَبِي قَحَافَةَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ، أَمَا بَعْدُ.

قَالَ: ثُمَّ أَغْمِي عَلَيْهِ فَذَهَبَ عَنْهُ، فَكُتِبَ عَثْمَانُ:

أَمَا بَعْدُ فَإِنِّي اسْتِخْلَفْتُ عَلَيْكُمْ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ وَلَمْ آلَكُم خَيْرًا، ثُمَّ أَفَاقَ
 أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: أَقْرَأْ عَلَيَّ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ، فَكَبَّرَ أَبُو بَكْرٍ وَقَالَ: أَرَاكَ خَفْتَ أَنْ يَخْتَلِفَ النَّاسُ
 إِنْ اسْلَمْتَ نَفْسِي فِي غَشِيَّتِي، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا عَنِ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ
 وَأَقْرَأَهَا أَبُو بَكْرٍ (رَضِيَ) مِنْ هَذَا الْمَوْضِعِ.

وَذَكَرَ قَبْلَ ذَلِكَ عَنْ عُمَرَ أَنَّهُ كَانَ جَالِسًا وَالنَّاسُ مَعَهُ وَبِيَدِهِ جَرِيدَةٌ وَمَعَهُ
 شَدِيدٌ مَوْلَى لِأَبِي بَكْرٍ مَعَهُ الصَّحِيفَةُ الَّتِي فِيهَا اسْتِخْلَافُ عُمَرَ وَعُمَرُ يَقُولُ: «أَيُّهَا النَّاسُ
 اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا قَوْلَ خَلِيفَةِ رَسُولِ اللَّهِ أَنَّهُ يَقُولُ: أُنِي لَمْ آلَكُم نَصْحًا»^١.

كَمْ مِنَ الْفَرْقِ بَيْنَ مَوْقِفِ أَبِي حَفْصٍ هَذَا وَمَوْقِفِهِ مِنْ كِتَابَةِ وَصِيَّةِ الرَّسُولِ؟

الشورى وبيعة عثمان

قال ابن عبد ربه في العقد الفريد:

لما طعن الخليفة عمر قيل له لو استخلفت، فقال:

لو كان أبو عبيدة الجراح حيا لا استخلفته، فان سألتني ربي قلت نبيك يقول: انه

(١) تاريخ الطبري ط. اروبا ١/٢١٣٨.

أمين هذه الامة، ولو كان سالم مولى ابي حذيفة حيا لاستخلفته، فان سألتني ربي قلت سمعت نبيك يقول: ان سالم ليحب الله حبا لولم يخف الله ما عصاه^١.

وانهم قالوا له: يا امير المؤمنين لو عهدت، فقال: لقد كنت اجعت بعد مقاتلي لكم ان اولي رجلا امركم أرجو أن يحملكم على الحق - وأشار الى علي - ثم رأيت أن لا أتحمّلها حياً وميتاً» الخ.

وروى البلاذري في أنساب الاشراف^٢ قال عُمر: ادعوا لي علياً وعثمان وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص فلم يكلم أحداً منهم غير علي وعثمان، فقال: يا علي لعل هؤلاء سيعرفون لك قرابتك من النبي صلى الله عليه وسلم وصهرك وما أنالك الله من الفقه والعلم، فإن وليت هذا الأمر فاتق الله فيه ثم دعا عثمان وقال: يا عثمان لعل هؤلاء القوم يعرفون لك صهرك من رسول الله وسنتك فان وليت هذا الأمر فاتق الله ولا تحمل آل أبي معيط على رقاب الناس. ثم قال: ادعوا لي صهيباً فدعيتي، فقال: صل بالناس ثلاثاً وليخل هؤلاء النفر في بيت فإذا اجتمعوا على رجل منهم فمن خالفهم فاضربوا رأسه، فلما خرجوا من عند عُمر قال: إن ولّوها الأجلح^٣ سلك بهم الطريق وقريب منه ما في طبقات ابن سعد ج ٣ ق ١ ص ٢٤٧. وراجع ترجمة عمر من الاستيعاب ومُنتخب الكثر ج ٤ ص ٤٢٩.

وفي الرياض النضرة ج ٢ ص ٧٢ قال: أخرجه النسائي وفيه أيضاً «الله درهم إن ولّوها الأصيلح كيف يحملهم على الحق وإن كان السيف على عنقه. قال محمد بن كعب: فقلت: أتعلم ذلك منه ولا تؤليه؟ فقال: إن تركتهم فقد تركهم من هو خير مني».

روى البلاذري في أنساب الأشراف: ١٧/٥ عن الواقدي بسنده. قال: «ذكر عُمر من يستخلف فقيل: أين أنت عن عثمان؟ قال لو فعلت لَحَمَلَ بني أبي معيط على رقاب الناس، قيل الزبير؟ قال: مؤمن الرضى كافر الغضب. قيل: طلحة؟ قال: أنه في السماء واشته في الماء، قيل: سعد؟ قال صاحب مقبب^٤، قرية له كثير، قيل: عبد

(١) العقد الفريد ج ٤/٢٧٤ أوردناه ملخصاً.

(٢) أنساب الاشراف، ج ١٦/٥.

(٣) الاجلح؛ من الخسر شعره من جانبي رأسه.

(٤) المقبب: جماعة من الخيل تجتمع للغارة.

الرحمن قال بحسبه أن يجري على أهل بيته».

وروى البلاذري في ج ٥ : ١٨ من أنساب الأشراف: أن عُمر بن الخطاب أمر صُهيياً مولى عبد الله بن جُدعان حين طعن أن يجمع إليه وجوه المهاجرين والأنصار، فلما دخلوا عليه قال: اني جعلت أمركم سُورى إلى ستة نفر من المهاجرين الأولين الذين قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض ليختاروا أحدهم لإمامتكم وسماهم، ثم قال لأبي طلحة زُيد بن سهل الخَزْرَجِي: إختَر خمسين رجلاً من الأنصار يكونوا معك، فاذا توفيت فاستجث هؤلاء النفر حتى يختاروا لأنفسهم وللأمة أحدهم ولا يتأخروا عن أمرهم فوق ثلاث، وأمر صُهيياً أن يصلي بالناس إلى أن يتفقوا على إمام، وكان طلحة بن عُبيد الله غائباً في ماله بالسراة^١، فقال عمر: ان قدم طلحة في الثلاثة الأيام وإلا فلا تنتظروه بعدها وأبرموا الأمر وأصرموه وبايعوا من تتفقون عليه، فن خالف عليكم فاضربوا عنقه، قال، فبعثوا إلى طلحة رسولا يستجثونه ويستعجلونه بالقدوم فلم يرد المدينة إلا بعد وفاة عُمر والبيعة لعُثمان. فجلس في بيته وقال: أعلى مثلي يُفتات! فاتاه عُثمان، فقال له طلحة: إن رددت اترده؟! قال: نعم، قال: فاني أمضيته فبايعه. وقريب منه ما في العقد الفريد ج ٣ ص ٧٣.

وروى في ص ٢٠ منه قال: فقال عبْد الله بن سَعْد ابن أبي سَرْح: ما زلت خائفاً لأن ينتقض هذا الأمر حتى كان من طلحة ما كان فوصلته رَجِم ولم يزل عُثمان مُكرماً لطلحة حتى حُصِر فكان أشدَّ الناس عليه.

وروى البلاذري في ص ١٨ من كتابه أنساب الأشراف بسند ابن سَعْد قال: «قال عُمر: ليتبع الأقل الأكثر فن خالفكم فاضربوا عنقه».

وروى في ص ١٩ منه عن أبي مِخْنَف أنه قال: «أمر عُمر أصحاب الشورى أن يتشاوروا في أمرهم ثلاثاً فإن اجتمع اثنان على رجل واثنان على رجل رجعوا في الشورى فإن اجتمع أربعة على واحد وأباه واحد كانوا مع الأربعة وان كانوا ثلاثة «وثلاثة» كانوا مع الثلاثة الذين فيهم ابن عَوْف اذ كان الثقة في دينه ورأيه المأمون للاختيار على المسلمين» وقريب منه ما في العقد الفريد ج ٣ ص ٧٤.

وروى أيضاً عن هِشام بن سَعْد عن زَيد بن أسلم عن أبيه أن عُمر قال: «ان

(١) السراة: الجبل الذي فيه طرف الطائف ويقال لاماكن اخرى (معجم البلدان).

اجتمع رأي ثلاثة وثلاثة فاتبعوا صنف عبد الرحمن بن عوف وأسمعوا وأطيعوا»
وأخرجه ابن سعد في الطبقات ج ٣ ق ١ ص ٤٣.

وفي تاريخ اليعقوبي ١٦٠/٢: وروى البلاذري في أنساب الأشراف ج ١٥/٥
أن عمر قال: «ان رجالا يقولون إن بيعة أبي بكر فلتة وقى الله شرها، وإن بيعة عمر
كانت عن غير مشورة والأمر بعدي شوري فإذا اجتمع رأي أربعة فليتبع الاثنان
الأربعة، وإذا اجتمع رأي ثلاثة وثلاثة فاتبعوا رأي عبد الرحمن بن عوف فاسمعوا
وأطيعوا وأن صفق عبد الرحمن باحدى يديه على الأخرى فاتبعوه».

وروى المتقي في كثر العمال ج ٣ ص ١٦٠ عن محمد بن جبير عن أبيه أن
عمر قال: «ان ضرب عبد الرحمن بن عوف احدى يديه على الأخرى فبايعوه» وعن
أسلم أن عمر بن الخطاب قال: «بايعوا لمن بايع له عبد الرحمن بن عوف فمن
أبي فاضر بوا عنقه».

ومن كل هذا يظهر ان الخليفة كان قد جعل أمر الترشيح بيد عبد الرحمن بن
عوف، وبيت معه ان يشترط في البيعة العمل بسيرة الشيخين وهم يعلمون ان الامام
عليا يابى ان يجعل العمل بسيرة الشيخين في عداد العمل بكتاب الله وسنة رسوله
(ص) وان عثمان يوافق على ذلك فيبايع عثمان بالخلافة ويخالفهم الامام علي فيعرض
على السيف، والدليل على ما قلنا بالاضافة الى ما سبق، ما رواه ابن سعد في طبقاته
عن سعيد بن العاص ما خلاصته: ان سعيد بن العاص اتى الخليفة عمر يستزيده
في الارض ليوسع داره فوعده الخليفة بعد صلاة الغداة وذهب معه حينئذ الى داره قال
سعيد:

«فزادني وخط لي برجليه فقلت يا أمير المؤمنين زدني فانه نبتت لي نابتة من ولد
وأهل فقال حسبك واختبىء عندك انه سيلي الامر من بعدي من يصل رحمك ويقضي
حاجتك قال فمكثت خلافة عمر بن الخطاب حتى استخلف عثمان وأخذها عن
شورى ورضي فوصلني واحسن وقضى حاجتي وأشركني في امانته^(١)»

اذا فالخليفة عمر قد أنبا سعيد بن العاص انه سيلي بعده ذو رحم سعيد وهو
عثمان وطلب منه ان يخبىء الامر عنده؛ ويتضح من هذه المحاوراة ان أمر استيلاء
عثمان على الخلافة كان قد بت فيه في حياة الخليفة عمر، وتعيين الستة في الشورى
كان من اجل تمرير هذا الامر بصورة مرضية لدى الجميع. اما تعريض الامام علي

(١) بترجمة سعيد بن العاص من الطبقات، ط/اروپا؛ (ج ٣٠/٥-٣١)

للقتل مما يدل عليه بالاضافة الى ما رواه ابن سعد ايضا بترجمة سعيد بن العاص : ان عمر بن الخطاب قال لسعيد بن العاص : «مالي اراك معرضاً كأنك ترى اني قتلت أباك ؟ ما أنا قتلته ولكنه قتله علي بن ابي طالب»^(١) وكان قد قتله بيد.

ليس في هذا القول تحريش على الامام علي وإثارة للضغائن عليه .

الامام علي يعلم بأن الخلافة زويت عنه

كان الامام علي يعلم بأن الخلافة زويت عنه وانما اشترك معهم في الشورى كي لا يقال : هو الذي زهد في الخلافة ، ويدل على انه كان يعلم ما بيئت له الحديث الاتي :

روى البلاذري في ج ١٩/٥ من كتابه أنساب الأشراف أيضاً «ان علياً شكاً إلى عمه العباس ما سمع من قول عمر: كانوا مع الذين فيهم عبد الرحمن ابن عوف، وقال: والله لقد ذهب الأمر متاً، فقال العباس: وكيف قلت ذلك يا ابن أخي؟ فقال: ان سغداً لا يخالف ابن عمه عبد الرحمن وعبد الرحمن نظير عثمان وصهره فأحدهما لا يخالف صاحبه لا محالة، وان كان الزبير وطلحة معي فلن انتفع بذلك إذ كان ابن عوف في الثلاثة الآخرين. وقال ابن الكلبي: عبد الرحمن بن عوف زوج أم كلثوم بنت عتبة بن أبي معيط وأمها أزوى بنت كرزى وأروى أم عثمان فلذلك قال صهره» وقريب منه ما في العقد الفريد ج ٣ ص ٧٤ .

وروى في ص ٢١ منه عن أبي مخنف قال: «لما دُفنَ عمر أمسك أصحاب الشورى وأبو طلحة يومئهم فلم يحدثوا شيئاً، فلما أصبحوا جعل أبو طلحة يخوشهم للمناظرة في دار المال، وكان دفن عمر يوم الأحد وهو الرابع من يوم طعين. وصلى عليه صهيب بن سنان، قال: فلما رأى عبد الرحمن تناجي القوم وتناظرهم وأن كل واحد منهم يدفع صاحبه عنها، قال لهم: يا هؤلاء أنا أخرج نفسي وسغداً على أن أختار يامعشر الأربعة أحدكم، فقد طال التناجي، وتطلع الناس إلى معرفة خليفتهم

(١) وسعيد بن العاص بن سعيد بن أحيحة بن أمية ، توفي رسول الله (ص) وهو ابن تسع سنين او نحوه

طبقات ابن سعد (ج ٥ / ٣٠-٣٢)

وإمامهم، واحتاج من أقام الانتظار ذلك من أهل البلدان الرجوع إلى أوطانهم، فأجابوا إلى ما عرض عليهم إلاً علياً فإنه قال: أنظر.

وأناهم أبو طلحة فأخبره عبد الرحمن بما عرض وباجابة القوم آياه إلاً علياً فأقبل أبو طلحة على علي. فقال: يا أبا الحسن ان أبا محمد ثقة لك وللمسلمين فما بالك تخالف وقد عدل الأمر عن نفسه فلن يتحمل المأثم لغيره فأحلف علي عبد الرحمن بن عوف أن لا يميل إلى هوى وأن يؤثر الحق وأن يجتهد للأمة، وأن لا يحابي ذا قرابة فحلف له، فقال: اختر مسدداً، وكان ذلك في دار المال ويقال في دار المسور بن مخرمة.

ثم إن عبد الرحمن أحلف رجلاً رجلاً منهم بالأيمان المغلظة، وأخذ عليهم الموائيق والعهود انهم لا يخالفونه إن بايع منهم رجلاً وان يكونوا معه على من يناوئه فحلفوا على ذلك، ثم أخذ بيد علي فقال له: «عليك عهد الله وميثاقه إن بايعتك أن لا تحمل بني عبد المطلب على رقاب الناس، ولتسيرن بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحول عنها ولا تقتصر في شيء منها، فقال علي، لا أحمل عهد الله وميثاقه على ما لا أدركه ولا يدركه أحد. من ذا يطيق سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكني أسير من سيرته بما يبلغه الاجتهاد مني، وبما يمكنني وبقدر علمي» فأرسل عبد الرحمن يده ثم أحلف عثمان وأخذ عليه العهود والموائيق أن لا يحمل بني أمية على رقاب الناس وعلى أن يسير بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر ولا يخالف شيئاً من ذلك، فحلف له. فقال علي: قد أعطاك ابو عبد الله الرضا فشأنك فبايعه، ثم إن عبد الرحمن عاد إلى علي فأخذ بيده وعرض عليه ان يحلف بمثل تلك اليمين أن لا يخالف سيرة رسول الله وأبي بكر وعمر، فقال علي: علي الاجتهاد، وعثمان يقول: نعم علي عهد الله وميثاقه واشد ما أخذ على أنبيائه ان لا أخالف سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر في شيء ولا أقصر عنها، فبايعه عبد الرحمن وصافحه وبايعه أصحاب الشورى، وكان علي قائماً فقعد، فقال له عبد الرحمن: بايع وإلا ضربت عنقك، ولم يكن مع أحد يومئذ سيف، فيقال: إن علياً خرج مغضباً فلحقه أصحاب الشورى، فقالوا: بايع وإلا جاهدناك، فأقبل معهم يمشي حتى بايع عثمان» ٥١ هـ.

في هذا الخبر حذف من اول قول عبد الرحمن [وسيرة الشيخين] ونقل اول كلام الامام علي بتصرف وحذف آخره؛ وتهام الخبر في الرواية الآتية:

في تاريخ اليعقوبي ج ١/١٦٢، أن عبد الرحمن خلا بعلي بن أبي طالب، فقال: لنا الله عليك، إن وليت هذا الأمر، أن تسير فينا بكتاب الله وستة نبيه وسيرة أبي بكر وعمر. فقال: أسير فيكم بكتاب الله وستة نبيه ما استطعت. فخلا بعثمان فقال له: لنا الله عليك، إن وليت هذا الأمر، أن تسير فينا بكتاب الله وستة نبيه وسيرة أبي بكر وعمر. فقال: لكم أن أسير فيكم بكتاب الله وستة نبيه وسيرة أبي بكر وعمر. ثم خلا بعلي فقال له مثل مقاله الأولى، فأجابه مثل الجواب الأول؛ ثم خلا بعثمان فقال له مثل المقالة الأولى، فأجابه مثل ما كان أجابه، ثم خلا بعلي فقال له مثل المقالة الأولى، فقال: إن كتاب الله وستة نبيه لا يحتاج معهما إلى إجيري^١ أحد أنت مجتهد أن تزوي هذا الأمر عني. فخلا بعثمان فأعاد عليه القول، فأجابه بذلك الجواب، وصدق على يده.

وفي ذكر حوادث سنة ٢٣ من تاريخ الطبري ٣/٢٩٧، وكذلك ابن الاثير ٣/٣٧، قال الامام علي لعبد الرحمن لما بايع عثمان في اليوم الثالث: «حبوته حبوة دهر، ليس هذا أول يوم تظاهرت فيه علينا، فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون، والله ما وليت عثمان الا ليرد الامر اليك، والله كل يوم في شأن» وكذلك ورد في العقد الفريد ٣/٧٦، في العسجد الثانية في الخلفاء وتواريخهم برقم: ٥.

بيعة الامام علي عليه السلام

قتل عثمان وعاد إلى المسلمين أمرهم وانحلوا من كل بيعة سابقة توثقهم فتهافتوا على ابن أبي طالب يطلبون يده للبيعة قال الطبري^٢ فأتاه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: إن هذا الرجل قد قتل ولا بد للناس من إمام ولا نجد اليوم أحق بهذا الأمر منك، لا أقدم سابقة، ولا أقرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: لا تفعلوا فاني أكون وزيراً خيراً من أن اكون أميراً، فقالوا: لا والله ما نحن بفاعلين حتى نبايعك. قال: ففي المسجد فإن بيعتي لا تكون خفياً ولا تكون إلا عن رضى المسلمين...

(١) الاجيري بالكسر والتشديد: العادة والطريقة.

(٢) الطبري ٥/١٥٢ - ١٥٣، وراجع الكنز ٣/١٦١ الحديث ٢٤٧١ فإنه يروي تفصيل بيعة علي وعبيد طلحة والزبير إليه وامتناعه عن البيعة... وكذلك حكاه ابن أعمش بالتفصيل في ص ١٦٠ - ١٦١ من تاريخه.

وروى بسند آخر وقال: اجتمع المهاجرون والانصار فيهم طلحة والزبير فاتوا

علياً.

فقالوا: يا ابا الحسن، هلم نبايعك، فقال: لا حاجة لي في أمركم أنا معكم فن
اخترتم فقد رضيت به، فاختراروا ، فقالوا: والله ما نختار غيرك ، قال: فأختلفوا اليه
بعد ما قتل عثمان (رض) مراراً ثم أتوه في آخر ذلك، فقالوا له: إنه لا يصلح الناس إلا
بإمرة وقد طال الأمر فقال لهم: انكم قد اختلفتم إليّ وأتيتم وإني قائل لكم قولاً إن
قبلتموه قبلت أمركم وإلا فلا حاجة لي فيه.

قالوا: ما قلت قبلناه إن شاء الله، فجاء فصعد المنبر فاجتمع الناس إليه فقال
إني قد كنت كارهاً لأمركم فأبيتم إلا أن أكون عليكم. ألا وإنه ليس لي أمر دونكم،
ألا إن مفاتيح ما لكم معي. ألا وإنه ليس لي أن آخذ منه درهما دونكم، رضيتم؟
قالوا: نعم.

قال: اللهم اشهد عليهم. ثم بايعهم على ذلك.

وروى البلاذري^١ وقال: وخرج عليّ فأتى منزله، وجاء الناس كلهم
يهرعون إلى عليّ، أصحاب النبي وغيرهم، وهم يقولون: «إن أمير المؤمنين عليّ»
حتى دخلوا داره، فقالوا له: نبايعك، فد يدك فإنه لا بد من أمير، فقال عليّ: ليس ذلك
إليكم إنما ذلك إلى أهل بدر فمن رضي به أهل بدر فهو خليفة، فلم يبق أحد من أهل
بدر إلا أتى علياً، فقالوا: ما نرى أحداً أحق بهذا الأمر منك... فلما رأى عليّ ذلك
صعد المنبر وكان أول من صعد إليه فبايعه طلحة بيده، وكانت إصبع طلحة شلاء
فتطير منها عليّ وقال: ما أخلقه أن ينكث.

وروى الطبري^٢: أن حبيب بن ذؤيب نظر إلى طلحة حين بايع فقال: أول
من بدأ بالبيعة يد شلاء لا يتم هذا الأمر... إنتهى.

* * *

بعد دراسة الواقع التاريخي في اقامة الحكم في صدر الاسلام، ندرس في ما يأتي
رأي المدرستين في الخلافة والامامة ونبدأ بذكر آراء مدرسة الخلافة.

(١) الأنساب ٧٠/٥ وقد روى الحاكم في المستدرک ١١٤/٣ تشاؤم علي من بيعة طلحة.

(٢) الطبري ١٥٣/٥.

معالم المدرستين - القسم الأول

البحث الثاني

الفصل الثاني

بحوث مدرسة الخلفاء في الإمامة

رأي مدرسة الخلافة وما استدلّوا به

أولاً: قال الخليفة أبوبكر:

لن يعرف هذا الامر الا لهذا الحي من قريش هم أوسط. العرب نسبا ودارا وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين: «عمر وأبي عبيدة» فبايعوا أيهما شئتم^١.

ثانياً: قال الخليفة عمر بن الخطاب:

فلا يغترن امرؤ أن يقول انما كانت بيعة أبي بكر فلتة وتمت، ألا وانها قد كانت كذلك، ولكن الله وقى شرها، وليس منكم من تقطع الاعناق اليه مثل أبي بكر، من بايع رجلا عن غير مشورة من المسلمين فلا يُبايَع هو ولا الذي بايعه تَغَرّة أن يقتلا^٢.

ثالثاً: آراء أتباع مدرسة الخلفاء:

قال أفضى القضاة الماوردي «ت ٤٥٠ هـ» في الاحكام السلطانية^٣ والامام

١ و ٢) البخاري، كتاب الحدود، باب رجم الجبلي. و«التغرة»: مصدر غررته: اذا القيته في الغرر وهي من التفرير، كالتعلة من التعليل، والمقصود ان الذي يبايع آخر دون مشورة من المسلمين، فانها قد غررا بالمسلمين وجزاء المبايع والمبايع له ان يقتلا. (راجع معاجم اللغة).

٣) الاحكام السلطانية لابي الحسن علي بن محمد البصري البغدادي والماوردي نسبة الى «بيع ماء الورد» كان من وجوه فقهاء الشافعية، له مصنفات كثيرة، توفي ٤٥٠ هـ، ط. الثانية سنة ١٣٨٧ هـ، ص ٦ -

علامة الزمان القاضي أبو يعلى «ت ٤٥٨ هـ» في الاحكام السلطانية^١، كلاهما، قالا في كتابيهما:

«الامامة تنعقد من وجهين: أحدهما باختيار أهل العقد والحل، والثاني بعهد الامام من قبل.»

فاما انعقادها باختيار أهل الحل والعقد فقد اختلف العلماء في عدد من تنعقد به الامامة منهم على مذاهب شتى، فقالت طائفة:

لا تنعقد الا بجمهور أهل العقد والحل من كل بلد ليكون الرضا به عاما والتسليم لامامته اجماعا، وهذا مذهب مدفوع ببيعة أبي بكر^٢ رضي الله عنه على الخلافة باختيار من حضرها ولم ينتظر بيعة قدوم غائب عنها.

وقالت طائفة أخرى أقل من تنعقد به الامامة خمسة يجتمعون على عقدها أو يعقدها أحدهم برضا الاربعة استدلالا بأمرين: أحدهما بيعة أبي بكر (رض) انعقدت بخمسة اجتمعوا عليها ثم تابعهم الناس فيها وهم عمر بن الخطاب^٣، وابوعبيدة بن الجراح، واسيد بن حضير، وبشير بن سعد، وسالم مولي أبي حذيفة (رض). والثاني ان

(١) الاحكام السلطانية للشيخ أبي يعلى محمد بن الحسن الفراء الحنبلي ط. الاولى بمصر سنة ١٣٥٦ هـ ص ٧-١١.

وانما اعتمدنا عليها أكثر من غيرها من كتب مدرسة الخلفاء لان هذا النوع من الكتب مثل كتاب الجراح لابي يوسف انما ألف لتدوين الاحكام التي تخص شؤون الحكم على رأي مدرسة الخلفاء ومن أجل العمل به، خلافا للكتب التي دونت في مقام المناظرة وليس للعمل بها وكل ما نوردته في مايلي من كلا الكتابين وما انفرد به أحدهما ذكرنا ذلك في الهامش.

(٢) ابوبكر عبدالله بن أبي قحافة عثمان بن عامر القرشي التيمي، وأمه أم الخير سلمى أو ليلي بنت صخر التيمي، ولد بعد الفيل بسنتين أو ثلاث، صاحب الرسول في هجرته الى المدينة وسكن (سُنح) خارج المدينة وكان يجلب للحبي أغنامهم حتى ولي الخلافة، انتقل الى المدينة بعد ستة أشهر من ذلك وتوفي سنة ثلاث عشرة وروى عنه أصحاب الصحاح ١٤٢ حديثا راجع ترجمته بأسد الغابة وفي تاريخ ابن الاثيرج ١٦٣/٢ في ذكر بعض أخباره، وجوامع السيرة ص ٢٧٨.

(٣) ابو حفص عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي واهه حنتمة بنت هاشم او هشام ابن المغيرة المخزومي اسلم بعد نيف وخمسين بمكة وشهد بدرأ وما بعده استخلفه ابوبكر في مرض موته وتوفي من طعنة ابي لؤلؤة اياه ودفن هلال محرم سنة ٢٤ هـ الى جنب ابي بكر روى عنه اصحاب الصحاح ٥٣٧ حديثا - ترجمته في الاستيعاب واسباب الغابة وجوامع السيرة ص ٢٧٦.

وابوعبيدة عامر بن عبدالله بن الجراح كان حفاراً للقبور بمكة شهد بدرأ وما بعدها ومات بطاعون عمواس - كورة قرب بيت المقدس - سنة ١٨ هـ روى عنه أصحاب الصحاح ١٤ حديثا ترجمته بأسد الغابة

عمر (رض) جعل الشورى في ستة ليعقد لاحدهم برضا الخمسة، وهذا قول أكثر الفقهاء والمتكلمين من أهل البصرة. قال آخرون من علماء الكوفة: تنعقد بثلاثة يتولاها أحدهم برضا الاثنین ليكونوا حاكماً وشاهدين كما يصح عقد النكاح بولي وشاهدين وقالت طائفة أخرى: تنعقد بواحد، لأن العباس^١ قال لعلّي رضوان الله عليها: امدد يدك ابايعك، فيقول الناس عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بايع ابن عمه فلا يختلف عليك اثنان، ولأنه حكم وحكم واحد نافذ^٢.

وأما إنعقاد الامامة بعهد من قبله فهو مما انعقد الاجماع على جوازه و وقع الاتفاق على صحته لأمرين عمل المسلمين بهما ولم يتناكروهما، أحدهما: انّ أبابكر (رض) عهد بها إلى عمر (رض) فأثبت المسلمين إمامته بعهده.

والثاني أنّ عمر (رض) عهد بها إلى أهل الشورى..

إلى قوله: لأنّ بيعة عمر (رض) لم تتوقف على رضا الصحابة، ولأنّ الامام أحقّ بها^٣.

ونقل اختلاف العلماء في لزوم معرفة الامام وانّ بعضهم قال:

→

وجوامع السيرة ص ٢٨٤، وطبقات ابن سعد ط. اوروبا، ج ٧٤/٢/٢.
 وأسيد بن حضير بن سماك الانصاري الاشهلي شهد بيعة العقبة الثانية وجميع مشاهد النبي كان ابوبكر لا يقدم احداً من الانصار عليه توفي سنة ٢٠ او ٢١ هـ فحمل عمر نعشه بنفسه روى عنه اصحاب الصحاح، ١٨ حديثاً، ترجمته في الاستيعاب والاصابة وجوامع السيرة ص ٢٨٣.
 وبشير بن سعد بن ثعلبة الخزرجي يقال اول من بايع ابابكر - وكان حاسداً لسعد وقتل يوم عين التمر مع خالد اخرج حديثه النسائي في سننه - عبد الله بن سبأ ج ٩٦/١، والتقريب ١٠٣/١ واسد الغابة.
 وابوعبدالله سالم مولى ابي حذيفة بن عتبة ربيعة الاموي كان من اصطخر فارس اعتقته ثبيته الانصارية زوج ابي حذيفة فتبناه ابو حذيفة ولذلك عدم المهاجرين هاجر الى المدينة قبل رسول الله وكان يوم المهاجرين فيها وفيهم عمر بن الخطاب لانه كان اقراهم للقرآن، آخى الرسول بينه وبين معاذ من الانصار قتل يوم اليمامة ترجمته باسد الغابة.

(١) ابوالفضل العباس بن عبد المطلب وامه نائلة بنت خباب النمري شهد مع رسول الله بيعة العقبة واسر في بدر ففدى نفسه وابني اخويه عقيل ونوفل، هاجر قبل فتح مكة وشهده استسقى به عمر بن الخطاب في عام الرمادة - عام الجذب والقحط - توفي سنة ٣٢، روى عنه اصحاب الصحاح ٣٥ حديثاً ترجمته باسد الغابة وجوامع السيرة ص ٢٨١.

(٢) الاحكام السلطانية للماوردي ص ٦ - ٧.

(٣) المصدر السابق ص ١٠، ويظهر من اقوالهم بانهم يدينون بان الامر الواقع هو الدين ولا يختلفون في ذلك وانما الاختلاف في كيفية ما وقع.

«واجب على الناس كلهم معرفة الامام بعينه واسمه، كما عليهم معرفة الله ومعرفة رسوله.»

ثم قال: «والذي عليه جمهور الناس، ان معرفة الامام تلزم الكفاة بالجملة دون التفصيل»^١.

وأضاف قاضي القضاة أبويعلی «ت ٤٥٨ هـ» في الاحكام السلطانية^٢ على تلكم الاقوال قول بعضهم:

«إنها تثبت بالقهر والغلبة، ولا تفتقر إلى العقد».

«ومن غلب عليهم بالسيف حتى صار خليفة وسمي امير المؤمنين، فلا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبیت ولا يراه اماماً برأاً كان أو فاجراً، فهو امير المؤمنين».

وقال في الامام يخرج عليه من يطلب الملك فيكون مع هذا قوم ومع هذا قوم: «تكون الجمعة مع من غلب» واحتج بأن ابن عمر صلى بأهل المدينة في زمن الحرّة وقال: «نحن مع من غلب»^٣.

وقال امام الحرمين الجويني «ت ٤٧٨ هـ» في باب الاختيار وصفته وذكر ما ينعقد به الامامة من كتاب الارشاد:

«إعلموا أنه لا يشترط في عقد الإمامة الإجماع، بل تنعقد الامامة وإن لم تجمع الأمة على عقدها، والدليل عليه أن الإمامة لما عقدت لأبي بكر ابتدر لإمضاء أحكام المسلمين، ولم يتأنّ لانتشار الأخبار إلى من نأى من الصحابة في الأقطار، ولم ينكر عليه منكر، ولم يحمله على التريث حامل، فإذا لم يشترط الإجماع في عقد الإمامة، لم يثبت

(١) المصدر السابق ص ١٥.

(٢) الاحكام السلطانية ص ٧ - ١١.

(٣) المصدر السابق ص ٧ - ٨ في طبعة وفي اخرى ص ٢٠ - ٢٣.

وابن عمر هو عبد الله بن عمر بن الخطاب، امه زينب بنت مظعون الجمحية، استصغره الرسول في احد وشهد ما بعدها، روي عنه في الثناء على نفسه وأبيه روايات متعددة، أفقّ ستين سنة بعد رسول الله في الموسم، قالوا كان جيد الحديث، ولم يكن جيد الفقه، لم يشهد شيئاً من الحروب مع علي، ثم ندم من ذلك لما حضرته الوفاة قال «ما اجد في نفسي من الدنيا الا اني لم اقاتل الفئة الباغية مع علي بن ابي طالب، وكان سبب وفاته ان الحجاج أمر رجلاً فوضع زج رمح مسموم على قدمه في الزحام فمات سنة ٧٣ هـ، وروى عنه اصحاب الصحاح «٢٦٣٠ حديثاً» ترجمته باسد الغابة وسير النبلاء وجوامع السيرة «ص ٢٧٥».

عددٌ معدود، ولا حدٌ محدود، فالوجه الحكم بأنَّ الإمامة تنعقد بعقد واحد من أهل الحل والعقد»^١.

وقال الامام ابن العربي «ت ٥٥٤٣ هـ»: «لا يلزم في عقد البيعة للامام أن تكون من جميع الانام بل يكفي لعقد ذلك اثنان أو واحد»^٢.

وقال الشيخ الفقيه الامام العلامة المحدث القرطبي «ت ٦٧١ هـ» في المسألة الثامنة من تفسير «أنى جاعل في الارض خليفة» من تفسير سورة البقرة: «فان عقدها واحد من أهل الحل والعقد فذلك ثابت، ويلزم الغير فعله، خلافا لبعض الناس حيث قال: لا تنعقد الا بجماعة من أهل الحل والعقد، ودليلنا أن عمر (رض) عقد البيعة لأبي بكر ولم ينكر أحد من الصحابة ذلك، فوجب ألا يفتقر الى عدد يعقدونه كسائر العقود.

قال الامام ابوالمعالي: من انعقدت له الامامة بعقد واحد فقد لزم، ولا يجوز خلعه من غير حدث وتغير أمر، قال: وهذا مجمع عليه.»
وقال في المسألة الخامسة عشر من تفسير الآية:
«اذا انعقدت الامامة باتفاق أهل الحل والعقد أو بواحد على ما تقدم وجب على الناس كافة مبايعته»^٣.

قال أفضى القضاة عضد الدين الايجي «ت ٧٥٦ هـ» في المواقف: المقصد الثالث فيما تثبت به الإمامة ما ملخصه: إنها تثبت بالنص من الرسول، ومن الامام السابق بالاجماع، وتثبت ببيعة أهل الحل والعقد خلافاً للشيعه دليلنا ثبوت إمامة أبي بكر (رض) بالبيعة.

وقال: إذا ثبت حصول الإمامة بالاختيار والبيعة، فاعلم أن ذلك لا يفتقر إلى الاجماع، إذ لم يقم عليه دليل من العقل أو السمع، بل الواحد والإثنان من أهل الحل والعقد كاف، لعلمنا أن الصحابة مع صلابتهم في الدين اكتفوا بذلك كعقد عمر لأبي بكر، وعقد عبدالرحمن بن عوف لعثمان، ولم يشترطوا اجتماع من في المدينة فضلاً

(١) الارشاد في الكلام لامام الحرمين عبدالملك بن عبدالله الجويني ط. القاهرة ١٣٦٩ هـ، ص ٤٢٤.

(٢) الامام أبوبكر محمد بن عبدالله الاشبيلي المشهور بأبن العربي في شرحه سنن الترمذي ٢٢٩/١٣.

(٣) القرطبي هو أبو عبدالله محمد بن أحمد أبي بكر بن فرح الانصاري الحنطري الاندلسي في كتاب

عن اجماع الأمة. هذا ولم ينكر عليهم أحد، وعليه انطوت الأعصار إلى وقتنا هذا^١.
ووافق القاضي الايجي شراح كتابه كتاب المواقف مثل السيد الشريف
الجرجاني (ت ٥٨١٦ هـ)^٢.

وجوب طاعة الامام وان خالف الرسول

روى مسلم في صحيحه عن حذيفة قال: قال رسول الله:
«يكون بعدي ائمة لا يهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي وسيقوم فيهم رجال
قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان انس» قال: قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن
أدركت ذلك؟ قال: «تسمع وتطع للامير وان ضرب ظهرك واخذ مالك فاسمع
وأطع».

وروى عن ابن عباس ان رسول الله قال:
«من رأى من إمامه شيئاً يكرهه فليصبر، فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات،
مات ميتة جاهلية.»

وفي اخرى: «ليس احد خرج من السلطان شبراً فمات عليه إلا مات ميتة
جاهلية.»

وروي عن عبد الله بن عمر بن الخطاب انه حين كان من امر الحرّة ما كان
زمن يزيد بن معاوية قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «من خلع يدا
من طاعة لقي الله يوم القيامة لاجحة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة
جاهلية»^٣.

وقال النووي في شرحه بباب لزوم طاعة الأمراء في غير معصية «وقال جماهير

(١) المواقف في علم الكلام، ط. مصر ١٣٢٥ هـ، ج ٨/٣٥١ - ٣٥٣ تأليف القاضي عبدالرحمن بن
أحمد الايجي، توفي بالسجن عام ٥٧٥٦ هـ.

(٢) السيد الشريف الجرجاني في شرحه على المواقف والذي طبع مع الكتاب بمصر.

(٣) صحيح مسلم ج ٦/٢٠ - ٢٢ باب الامر بلزوم الجماعة.

وروى الحديث عن حذيفة، وهو ابن اليمان العبسي كان ابوه أصاب دماً في الجاهلية، فهرب الى
المدينة، وتزوج بها وحالف بني عبد الاشهل، وسمي اليمان لمخالفته اليمانية واسمه حسل، شهد حذيفة الخندق
وما بعدها، وولى لعمر المدائن ومات بها سنة ست وثلاثين، اربعين ليلة بعد بيعة الامام علي روى عنه
اصحاب الصحاح ٢٢٥ حديثاً ترجمته في الاستيعاب واسد الغابة والاصابة وبجوامع السيرة ص ٢٧٧.

أهل السنة من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين: لا ينزل بالفسق والظلم وتعطيل الحقوق، ولا يخلع ولا يجوز الخروج عليه بذلك، بل يجب وعظه وتخويله للاحاديث الواردة في ذلك». وقال قبله:

«وأما الخروج عليهم وقتالهم فحرام باجماع المسلمين وإن كانوا فسقة ظالمين، وقد تظاهرت الاحاديث بمعنى ما ذكرته، وأجمع أهل السنة أنه لا ينزل السلطان بالفسق^١».

قال القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلافي في كتاب التمهيد^٢ «ت ٥٤٠٣» في باب ذكر ما يوجب خلع الامام وسقوط فرض طاعته ما ملخصه:
قال الجمهور من أهل الاثبات وأصحاب الحديث: لا ينخلع الامام «بفسقه وظلمه بغصب الأموال، وضرب الأبخار، وتناول النفوس المحرمة، وتضييع الحقوق، وتعطيل الحدود» ولا يجب الخروج عليه، بل يجب وعظه وتخويله وترك طاعته في شيء مما يدعو إليه من معاصي الله، واحتجوا في ذلك بأخبار كثيرة متظافرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة في وجوب طاعة الأئمة وإن جاروا واستأثروا بالأموال، وأنه قال عليه السلام: إسمعوا وأطيعوا ولو لعبد أجدع، ولو لعبد حبشي، وصلوا وراء كل بر وفاجر. وروي أنه قال: أطعمهم وإن أكلوا مالك، وضربوا ظهرك.

استدلال اتباع مدرسة الخلافة في القرون الاخيرة

في القرون الاخيرة غالبا ما يستدل اتباع مدرسة الخلافة على صحة قيام حكم الخلافة في الماضي على انه كان قائما على اساس الشورى بين المسلمين للخليفة، وبعضهم يستنتج من ذلك أن الحكم الاسلامي أيضا يقام اليوم على أساس البيعة فمن بايعه المسلمون أصبح حاكما اسلاميا يجب على جميع المسلمين بذل الطاعة له.

* * *

كان ذلكم رأي مدرسة الخلفاء في كيفية اقامة الحكم الاسلامي وأدلتهم على ما يرتأون، وقبل البدء بدراسة ما ارتأوا وما استدلوا عليه ينبغي أن ندرس المصطلحات التي يدور عليها البحث في ما يأتي:

(١) ج ٢٢٩/١٢ في شرحه على مسلم وراجع سنن البيهقي ج ٨/١٥٨ - ١٥٩.

(٢) التمهيد، ط. القاهرة. ١٣٦٦ هـ.

مصطلحات بحث الامامة والخلافة

يدور بحث الامامة والخلافة على المصطلحات السبعة التالية:

أ) الشورى

ب) البيعة

ج) الخليفة

د) أمير المؤمنين

هـ) الامام

و) الامر واولوا الامر

ز) الوصي والوصية

وفي ما يلي تعريف المصطلحات المذكورة آنفاً:

أولاً: الشورى

التشاور، والمشاورة، والمشورة في لغة العرب: استخراج الرأي بمراجعة البعض البعض الاخر.

وشاوره: استخرج ما عنده من رأي.

وأشار عليه بالرأي، يشير: اذا ما وجه الرأي.

«وأمرهم شورى بينهم» من صار هذا الشيء شورى بين القوم اذا تشاوروا

فيه^١.

(١) راجع مادة «شور» من: مفردات الراغب، ولسان العرب، ومعجم الفاظ القرآن الكريم.

لم يتغير معنى مشتقات هذه المادة في استعمال القرآن الكريم، والحديث الشريف، ولدى المسلمين عما كانت عليه في لغة العرب وإنما الكلام في مورد الشورى والمشاورة في الشرع الاسلامي وحكمها.

ثانياً: البيعة

أ) البيعة في لغة العرب

البيعة في لغة العرب: الصفقة على ايجاب البيع^١، وصفق يده بالبيعة والبيع، وعلى يده صفقا: ضرب بيده على يده عند وجوب البيع، وتصافقوا: تبايعوا^٢، كان هذا معنى البيعة لدى العرب.

أما العهد والحلف: فقد كانت العرب تعقد الحلف والعهد بأساليب مختلفة، مثل ما فعل بنو عبد مناف حين أرادوا أن يقاتلوا بني عبد الدار على من يقوم بحجابه البيت وسقاية الحج وغيرها من أعمال السيادة بمكة.

روى ابن اسحاق أن بني عبد مناف أخرجوا جفنة مملوءة طيبا فوضعوها في المسجد عند الكعبة، ثم غمسوا أيديهم فيها، وتعاقدوا وتعاهدوا هم وحلفاؤهم، ثم مسحوا الكعبة بأيديهم توكيداً على أنفسهم وسموا «المطيبين»^٣.

وروى ابن اسحاق في أمر تجديد الكعبة: أن البنيان عندما بلغ موضع الركن اختصموا فيه، كل قبيلة تريد أن ترفعه الى موضعه دون الاخرى، حتى تحاوروا وتحالفوا، وأعدوا للقتال، فقربت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دما، ثم تعاقدوا هم وبنو عدي بن كعب بن لؤي على الموت، وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم في تلك الجفنة، فسموا «لعقة الدم»^٤.

ب) البيعة في الاسلام

كانت البيعة اي: صفق اليد على اليد، في لغة العرب علامة على وجوب البيع، واصبحت في الاسلام علامة على معاهدة المبايع المبايع له ان يبذل له الطاعة في

(١) لسان العرب، مادة: «بيع».

(٢) لسان العرب، مادة: «صفق».

(٣) سيرة ابن هشام ١/١٤١ - ١٤٣.

(٤) سيرة ابن هشام ١/٢١٣.

ما تقرّر بينهما، ويقال: بايعه عليه مبايعة: عاهده عليه.

وورد في القرآن الكريم في قوله تعالى:

«انّ الذين يبايعونك انما يبايعون الله، يد الله فوق ايديهم، فمن نكث فانما ينكث على نفسه، ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيماً»^١.
ونذكر من سنة الرسول صلى الله عليه وآله ثلاث مرات اخذ الرسول صلى الله عليه وآله فيها البيعة من المسلمين:

(١) البيعة الاولى

اول بيعة جرت في الاسلام بيعة العقبة الاولى، اخبر عنها عبادة بن الصامت وقال:

وافى موسم الحج من الانصار اثنا عشر رجلاً ممن اسلم منهم في المدينة وقال عبادة:

بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة النساء وذلك قبل أن يفترض علينا الحرب، على أن لا نشرك بالله شيئاً، ولا نسرق، ولا نزني، ولا نقتل اولادنا، ولا نأتي بهتان نفتره من بين ايدينا وارجلنا، ولا نعصيه في معروف، فان وفيتم فلكم الجنة، وان غشيتم من ذلك شيئاً فأخذتم بحده في الدنيا فهو كفارة له، وان سترتم عليه الى يوم القيامة فأمركم الى الله عزوجل: ان شاء عذب، وان شاء غفر^٢، وسميت هذه البيعة بيعة العقبة الاولى.

(٢) البيعة الثانية الكبرى بالعقبة

روى كعب بن مالك وقال:

خرجنا من المدينة للحج وتواعدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعقبة اواسط ايام التشريق، وخرجنا بعد مضي ثلث الليل متسللين مستخفين حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ونحن ثلاث وسبعون رجلاً وامرأتان، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه عمه العباس، فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا القرآن ودعا الى الله ورغب في الاسلام ثم قال:

(١) سورة الفتح، الاية ١٠.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/٤٠ - ٤٢.

«ابايكم على ان تمنعوني مما تمنعون نساءكم وابناءكم» فاخذ البراء بن معرور بيده ثم قال: نعم والذي بعثك بالحق لنمنعك مما تمنع به أزرنا^١، فبايعنا يا رسول الله فنحن والله اهل الحروب...».

فقال ابوالهيثم بن التيهان: يا رسول الله ان بيننا وبين الرجال حبالا، وانا قاطعوها «يعني اليهود» فهل عسيت ان نحن فعلنا ذلك ثم اظهرك الله ان ترجع الى قومك وتدعنا فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: «بل الدم والهدم الهدم...» اي: ذمتي ذمتكم وحرمتي حرمتكم.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «اخرجوا الي منكم اثني عشر نقيبا ليكونوا على قومهم بما فيهم» فأخرجوا منهم اثني عشر نقيبا؛ تسعة من الخترج وثلاثة من الأوس، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «انتم على قومكم بما فيكم كفلاء ككفالة الحواريين لعيس بن مريم، وانا كفيل على قومي» يعني: المسلمين، قالوا: نعم.

واختلفوا فيمن كان اول من ضرب على يده، اسعد بن زرارة أم ابوالهيثم بن التيهان؟^٢

(٣) بيعة الرضوان، أو بيعة الشجرة

في سنة سبع من الهجرة، استنفر رسول الله صلى الله عليه وآله اصحابه للعمرة فخرج معه الف وثلاثمائة، أو الف وستمائة، ومعه سبعون بدنة، وقال لست احمل السلاح، انما خرجت معتمرا واحرموا من ذي الحليفة، وساروا حتى دنوا من الحديبية على تسعة اميال من مكة، فبلغ الخبر اهل مكة فراعهم، واستنفروا من أطاعهم من القبائل حولهم وقدموا مائتي فارس عليهم خالد بن الوليد او عكرمة بن ابي جهل، فاستعد لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: ان الله امرني بالبيعة، فاقبل الناس يبايعونه على ألا يفروا، وقيل بايعهم على الموت، وأرسلت قريش وفدا للمفاوضة فلما رأوا ذلك تهبوا وصالحوا رسول الله صلى الله عليه وآله...^٣

هذه ثلاثة أنواع من البيعة على عهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهي:

(أ) البيعة على الاسلام

(١) «أزرنا»: نساءنا، والمرأة يكنى عنها بالازار.

(٢) سيرة ابن هشام ٤٧/٢ - ٥٦.

(٣) امتاع الاسماع للمقرئ ص ٢٧٤ - ٢٩١.

(ب) البيعة على اقامة الدولة الاسلامية.

(ج) البيعة على القتال.

والبيعة الثالثة تجديد للبيعة الثانية، وذلك لان الرسول صلى الله عليه وآله كان قد استنفرهم للعمرة. وبعد تبدل الحالة من العمرة الى القتال، كانت الحالة الحادثة مخالفة للعمل الذي استنفرهم له وخرجوا من اجله، فكأنه كان مخالفا لما عاهداهم عليه، فلذلك احتاج الى اخذ البيعة للقيام بالعمل الجديد، وفعل ذلك وأعطى ثمره في ارعاب اهل مكة، وحصول النتيجة المطلوبة.

ونختم البحث بست روايات وردت في البيعة وطاعة الامام:

(١) روى ابن عمر قال: كنا نباع رسول الله (ص) على السمع والطاعة ثم يقول لنا: «فما استطعت»^١.

(٢) وفي رواية، وقال علي: «ما استطعتم»^٢.

(٣) وفي رواية، وقال جرير، قال قل: «في ما استطعت»^٣.

(٤) وروى الهرماس بن زياد قال: مددت يدي الى النبي (ص) وانا غلام لبياعني فلم يبايعني^٤.

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله (ص): «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، الا أن يؤمر بمعصية فاذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»^٥.

(١) صحيح البخاري، كتاب الاحكام، باب البيعة، ح: ٥ وصحيح مسلم، كتاب الامارة، باب: البيعة على السمع والطاعة في ما استطاع ح: ٩٠ وسنن النسائي، كتاب البيعة باب: البيعة في ما يستطيع الانسان.

(٢) سنن النسائي، كتاب البيعة، باب: البيعة في ما يستطيع الانسان.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الاحكام، باب البيعة، ح: ٥.

(٤) البخاري كتاب الاحكام، باب بيعة الصغير، وسنن النسائي، كتاب البيعة، باب بيعة الغلام، والهرماس بن زياد أبو حيدر البصري الباهلي من قيس عيلان مات باليمامة بعد المائة. راجع ترجمته بأسد الغابة، وتقريب التهذيب.

(٥) صحيح البخاري: كتاب الاحكام، باب السمع والطاعة للامام ما لم تكن معصية ح: ٣.

صحيح مسلم، كتاب الامارة، باب وجوب طاعة الامراء في غير معصية، ح: ١٨٣٩.

سنن ابن ماجه، كتاب الجهاد، باب لا طاعة في معصية الله، ح: ٢٨٦٣.

سنن النسائي، كتاب البيعة، باب جزاء من أمر بمعصية.

مسند أحمد، ج ١٧/٢ و ١٤٢.

(٥) وعن ابن مسعود قال:

قال: «سيلي أموركم بعدي رجال يطفئون السنة ويعملون بالبدعة، ويؤخرون الصلاة عن مواقيتها» فقلت: يا رسول الله! ان ادركتهم كيف أفعل؟ قال: «تسألني يا ابن أم عبد كيف تفعل؟ لا طاعة لمن عصى الله»^١.

(٦) وعن عبادة بن الصامت في حديث طويل آخره: «فلا طاعة لمن عصى الله تبارك وتعالى فلا تعتلوا بربكم»^٢.

وفي رواية: «لا تضلوا بربكم»^٣.

يتضح لنا من دراسة البيعة في سنة الرسول صلى الله عليه وآله ان للبيعة ثلاثة

اركان:

(أ) المبايع.

(ب) المبايع له.

(ج) المعاهدة على الطاعة للقيام بعمل ما.

وتقوم البيعة اولا على تفهم ما يطلب الطاعة على القيام به، ثم تنعقد المعاهدة بضرب يد المبايع على يد المبايع له بالكيفية الواردة في السنة، والبيعة على هذا مصطلح شرعي، غير ان شروط تحقق البيعة المشروعة في الاسلام غير واضحة لكثير من المسلمين اليوم فنقول:

تنعقد البيعة في الاسلام اذا توفرت فيها الشروط الثلاثة التالية:

(أ) ان يكون المبايع ممن تصح منه البيعة، ويباع اختياريا.

(ب) ان يكون المبايع له ممن تصح مبايعته.

(ج) ان تكون البيعة لامر يصح القيام به.

وعلى ما بينا لا تصح البيعة من صبي او مجنون، لانها غير مكلفين بالاحكام في الاسلام، ولا تنعقد بيعة المكره، لأن البيعة مثل البيع فكما لا ينعقد البيع بأخذ المال من صاحبه قهرا ودفع الثمن له، كذلك البيعة لا تنعقد بأخذها بالجبر وفي ظل السيف.

(١) سنن ابن ماجه، ج ٢/٩٥٦ الحديث: ٢٨٦٥ ومسنند أحمد ٤٠٠/١ وفي لفظ ليس طاعة لمن عصى

الله.

(٢) مسند أحمد، ٣٢٥/٥ عن عباده بن الصامت وانه روى الحديث في دار عثمان عندما شكاه معاوية

الى عثمان فجلبه عثمان الى المدينة، ومختصر الحديث برواية عبادة في ص ٣٢٩ منه.

(٣) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٢١٥/٧.

وكذلك لا تصح البيعة للمتجاهر بالمعصية، ولا تصح البيعة للقيام بمعصية الله. إذن فالبيعة مصطلح إسلامي، ولها أحكامها في الشرع الإسلامي.

ثالثاً: الخلافة والخليفة في لغة العرب

الخلافة في لغة العرب: النيابة عن الغير^١، والخليفة: من يقوم مقام الغير ويسد مسده^٢.

وفي تعريف آخر، الخليفة: من يخلف غيره، ويقوم مقامه وبهذا المعنى ورد في القرآن الكريم:

«يا داود انا جعلناك خليفة في الارض»^٣.

وفي حديث الرسول صلى الله عليه وآله:

«اللهم ارحم خلفائي، اللهم ارحم خلفائي، اللهم ارحم خلفائي، قيل له يا

رسول الله صلى الله عليه وآله من خلفاؤك؟

قال: «الذين يأتون بعدي يروون حديثي وسنتي».

وكذلك استعمل على عهد الخليفة الاول.

قال ابن الاثير في نهاية اللغة:

وفي حديث أبي بكر، جاءه أعرابي فقال له: أنت خليفة رسول الله؟

فقال: لا، فقال: فما أنت؟ قال: انا الخليفة بعده.

قال ابن الاثير: الخالفة: الذي لا غناء عنده ولا خير فيه، وانما قال ذلك

تواضعاً...^٤

واستعمل في المعنى اللغوي أيضاً في عصر الخليفة الثاني فقد روى السيوطي

«ت: ٩١١ هـ» في تاريخه، قال: «فصل في نبذ من قضاياها» أخرج العسكري في

«الأوائل» والطبراني في «الكبير» والحاكم في «المستدرک»: ان عمر بن عبد العزيز

سأل أبا بكر بن سليمان بن أبي حثمة: لاي شيء كان يكتب «من خليفة رسول الله

صلى الله عليه وسلم» في عهد أبي بكر؟ ثم كان عمر كتب أولاً «من خليفة أبي بكر»

(١) مفردات الراغب، مادة «خلف».

(٢) نهاية اللغة لابن الاثير، ولسان العرب، مادة «خلف».

(٣) سورة ص، الآية ٢٦.

(٤) وعن ابن الاثير نقل ذلك في لسان العرب.

فمن أول من كتب «من أمير المؤمنين»؟ فقال: حدثتني الشفاء - وكانت من المهاجرات - انّ أبابكر كان يكتب: من خليفة رسول الله، وكان عمر يكتب من خليفة خليفة رسول الله، حتى كتب عمر الى عامل العراق ان يبعث اليه رجلين جليدين يسألهما عن العراق وأهله، فبعث اليه لييد بن ربيعة، وعدي بن حاتم، فقدا المدينة، ودخلا المسجد، فوجدا عمرو بن العاص، فقالا: استأذن لنا على أمير المؤمنين، فقال عمرو: أنتم والله أصبتم اسمي، فدخل عليه عمرو، فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، فقال: ما بدا لك في هذا الاسم؟ لتخرجن مما قلت فأخبره وقال: أنت الأمير ونحن المؤمنون، فجرى الكتاب بذلك من يومئذ.

وروى عن النووي في تهذيبه: وقال: قال عمر للناس: أنتم المؤمنون وأنا أميركم فسمي أمير المؤمنين. وكان قبل ذلك يقال له: خليفة خليفة رسول الله، فعدلوا عن تلك العبارة لطولها^١.

جرت العادة على تسمية الخلفاء بأمر المؤمنين حتى عصر العباسيين، وأحيانا كانوا يصفونهم بالخليفة، ويقصدون انه خليفة الله.

فقد قال الحجاج في خطبة صلاة الجمعة:

فاسمعوا وأطيعوا لخليفة الله وصفيه عبد الملك بن مروان^٢.

ولما قيل في مجلس المهدي العباسي انّ الخليفة الاموي الوليد كان زنديقا، قال المهدي: «خلافة الله عنده اجل من أن يجعلها في زنديق»^٣.

وفي عصر العثمانيين استعمل لفظ الخليفة واريد به خليفة رسول الله حتى صار لفظ الخليفة اسما لسلطان المسلمين الاعظم^٤.

الخلاصة

استعمل لفظ الخليفة في القرآن ولم يقصد بها خليفة رسول الله، وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وقصد بها رواية احاديثه.

(١) تاريخ السيوطي، ط / مطبعة السعادة بمصر، ١٣٧١ هـ، ص ١٣٧ - ١٣٨.

(٢) سنن ابي داود ج ٢/٢١٠، ح ٤٦٤٥ باب في الخلفاء.

(٣) تاريخ ابن كثير ٧/١٠ - ٨.

(٤) راجع المعجم الوسيط مادة خلف.

وفي عصر الخليفتين استعملت في معناها اللغوي وقيل لعمر بن الخطاب (رض): خليفة خليفة رسول الله.

واستعملت في عصر الامويين والعباسيين وقصد بها خليفة الله، وعلى عهد العثمانيين وقصد بها خليفة رسول الله، اذن فهذه التسمية من مصطلحات المشرعة وتسمية المسلمين، وليست مصطلحا شرعيا.

رابعا: أمير المؤمنين

مما أوردنا سابقا عرفنا أن لفظ أمير المؤمنين استعمل منذ عصر الخليفة عمر بن الخطاب وأريد به الحاكم الاسلامي الاعلى، وبقي متداولاً كذلك الى عصر العثمانيين.

خامساً: الامام

الامام في اللغة: الانسان الذي يؤتم به ويقتدى بقوله او فعله محققا كان او مبطلا^١، كما ورد في قوله تعالى:

« يوم ندعو كل اناس بامامهم فمن اوتي كتابه بيمينه فاولئك يقرأون كتابهم ولا يظلمون فتىلا ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى واضل سبيلا^٢.
ومن الثاني ما ورد ذكره في قوله تعالى:

«فقاتلوا أئمة الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون»^٣.

والامام في الاسلام هو الهادي الى سبيل الله بأمر من الله انسانا كان كما ورد ذكره في قوله تعالى:

«واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال اني جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين»^٤.

وقوله تعالى: «وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا...»^٥.

(١) راجع مادة «أم» من معاجم اللغة.

(٢) سورة الاسراء، الآية ٧١ - ٧٢.

(٣) سورة التوبة، الآية ١٢.

(٤) سورة البقرة، الآية ١٢٤.

(٥) سورة الانبياء، الآية ٧٣.

أو كان كتاباً كما ورد ذكره في قوله تعالى:
«ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة»^١.

وندرک من فحوى الايتين المذكورتين اعلاه ان شرط الامام في الاسلام ان كان كتاباً ان يكون منزلاً من قبل الله على رسوله هداية الناس كما كان شأن كتاب محمد صلى الله عليه وآله: القرآن الكريم، ومن قبله كتاب موسى: التوراة، وكذلك شأن كتب سائر الانبياء^٢.

وان كان انساناً ان يكون معيناً من قبل الله لقوله تعالى:
«جاعلك للناس اماماً» و «عهدي».

وان يكون غير ظالم لنفسه ولا لغيره اي غير عاص لله لقوله تعالى: «لا ينال عهدي الظالمين».

وفي ضوء ما سبق يصح القول بان الامام في الاصطلاح الاسلامي هو:

(أ) الكتاب المنزل من قبل الله على رسوله هداية الناس.

(ب) الانسان المعين من قبل الله هداية الناس وشرطه ان يكون معصوماً من الذنوب.

سادساً: الامر وأولوا الامر

لمعرفة معنى «الامر» و «اولي الامر» وهل هما مصطلحان شرعيان أم لا؟ نستعرض في مايلي موارد استعمالهما في لغة العرب وعرف المسلمين والنصوص الاسلامية كتاباً وسنةً، فنقول:

(أ) في لغة العرب

ورد في سيرة ابن هشام، والطبري، وغيرهما، أن رسول الله كان يعرض نفسه في المواسم على قبائل العرب، يدعوهم الى الاسلام، ويخبرهم أنه نبي مرسل من قبل الله، ويسألهم أن يصدقوه ويمنعوه حتى يبين عن الله ما بعثه به.
«قال وأنه أتى بني عامر بن صعصعة ذات مرة فدعاهم الى الله عزوجل،

(١) سورة هود، الآية ١٧.

(٢) راجع مادة «الكتاب» في المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم.

وعرض عليهم نفسه، فقال له رجل منهم يقال له ببيحرة بن فراس^١: والله لو اني أخذت هذا الفتى من قريش لا كلت به العرب ثم قال له: أرأيت ان نحن تابعناك على أمرك ثم أظهرك الله على من خالفك، أيكون لنا الامر من بعدك؟ قال: «الامر الى الله يضعه حيث يشاء» قال: فقال له: أفنهدف نحورنا^٢ للعرب دونك فاذا أظهرك الله كان الامر لغيرنا؟! لا حاجة لنا بأمرك^٣.

* * *

ان هذا العربي كان يفهم (أمر رسول الله) على أنه سيادة وحكم على العرب، فأراد أن يعقد مع الرسول حلفا يكون لقبيلته الحكم والسيادة على العرب من بعد الرسول، لكن الرسول امتنع من اجابته رغم حاجته الشديدة يومذاك الى المؤازرين، لان الامر ليس اليه وانما الامر الى الله يضعه حيث يشاء.

وكذلك كان شأن هوزة بن علي الحنفي في طلبه من الرسول حين دعاه الرسول الى الاسلام كما في طبقات ابن سعد، ما ملخصه:

كتب رسول الله صلى الله عليه وآله الى هوزة بن علي الحنفي يدعوه الى الاسلام، فكتب في جواب النبي صلى الله عليه وآله «ما أحسن ما تدعوا اليه وأجمله، وأنا شاعر قومي وخطيبهم والعرب تهاب مكاني، فاجعل لي بعض الامر أتبعك، فقال النبي صلى الله عليه وآله: «لو سألتني سيابة من الارض ما فعلت»^٤.

نرى أن الرسول صلى الله عليه وآله قصد من «سيابة»: الارض المهملة. اذن فقد طلب هوزة من الرسول أن يجعل له بعض الامر: اشارة ما على أرض أو قبيلة وما شابهها فأجابه الرسول أنه لا يؤمره ولا على سيابة من الارض، وهذا القول من الرسول نظير قول أهل الكوفة أو البصرة عندما وظف واليهم على كل واحد منهم نقل كمية من

(١) قال ابن هشام: فراس: ابن عبدالله بن سلمة بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. سيرة ابن هشام ٣٣/٢.

(٢) «أفنهدف نحورنا» معناه نصيرها هدفا، والهدف: الغرض الذي يرمى بالسهم اليه.

(٣) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٣١ - ٣٤، والطبري.

(٤) طبقات ابن سعد، ط. اوربا ج ١/١ ق ١٨/١.

وقالوا في السيابة: واحدة السياب: البسر الاخضر، وعلى هذا لم يكن من المناسب أن يقول ولا سيابة أي لا بسر من الارض بل كان المناسب أن يقول ولا بسر من التمر. ونرى أن السيابة مشتقة من السيب وهو كل سيب وخلي ومنه السائبة: أي الدابة المهملة، ويكون المعنى: الارض الخالية والمتروكة.

الحصباء الى مسجدهم الجامع ليفرشه بالحصباء، وأمر عليهم أحدهم و كان يتصعب في قبول الحصباء منهم، فقالوا: يا حبذا الامارة ولو على الحجارة! وكذلك الامر في الخبر السابق، فان هودة طلب من الرسول الامارة «ولو على الحجارة» فأجابه الرسول: لا، ولا على الحجارة.

(ب) في عرف المسلمين:

كان أكثر استعمال «الامر» في عرف المسلمين يوم السقيفة وما بعدها، قال سعد بن عبادة للانصار يوم السقيفة:

«استبدوا بهذا الامر دون الناس...».

واجابته الانصار بقولهم: «نوليك هذا الامر».

ثم ترادوا الكلام وقالوا: فان أبت مهاجرة قريش فقالوا... نحن عشيرته وأولياؤه فعلام تنازعونا هذا الامر من بعده؟»

وقال أبو بكر في احتجاجه عليهم يومذاك: «ولن يعرف هذا الامر الا لهذا الحي من قريش...».

وقال - أيضا - في قريش: «هم أحق الناس بهذا الامر من بعده ولا ينازعهم ذلك الا ظالم».

وقال عمر - أيضا - يوم السقيفة: «من ذا ينازعنا سلطان محمد و امارته ونحن أهله وعشيرته».

وقال الحباب بن المنذر في جوابه «لا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الامر... فأنتم والله أحق بهذا الامر...».

وقال بشير بن سعد عندئذ في حق قريش: «لا يراني الله أنازعهم هذا الامر أبدا»^١.

(ج) في النصوص الاسلامية:

لقد ورد في حديث الرسول ذكر «الامر» كثيرا مما سندرسه في البحوث الآتية

(١) كل هذه المحاججات وردت في خبر السقيفة بتاريخ الطبري، ط. اوربا ٤/١٨٣٧ - ١٨٥١.

ان شاء الله تعالى ونقتصر هنا بتسجيل كلمة الرسول صلى الله عليه وآله في جواب العامري:

«ان الامر الى الله يضعه حيث يشاء».

وقد ورد في كتاب الله تعالى:

«يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم...»

النساء / ٥٩.

* * *

في كل هذه الموارد سواء في لغة العرب، وعرف المسلمين، والنصوص الاسلامية سنة وكتابا، انما أريد من الامر أمر الامامة والحكم على المسلمين. وعلى هذا فان «الامر» استعمل في الشرع الاسلامي بنفس المعنى الذي استعمل فيه لدى العرب والمسلمين ولا مانع بعد ذلك أن نسمي «أولي الامر» مصطلحا شرعيا وتسمية اسلامية واريد به الامام بعد النبي صلى الله عليه وآله ولا خلاف في ذلك ولكن الخلاف بين المدرستين في من يصدق عليه تسمية أولي الامر، فان مدرسة أهل البيت ترى أنه لما كان المقصود من أولي الامر: الائمة، فلا بد أن يكون منصوبا من قبل الله معصوما من الذنوب على التفصيل الذي سيأتي بيانه في باب ان شاء الله.

وترى مدرسة الخلافة أن «أولي الامر»: من بايعه المسلمون بالحكم. وبناء على ذلك يرون وجوب طاعة كل من بايعوه، وعلى هذا الاساس أطاعوا الخليفة يزيد بن معاوية فقتلوا وسبوا آل بيت رسول الله بكر بلاء، وأباحوا مدينة الرسول ثلاثة أيام، ورموا الكعبة بالمنجنيق كما سيأتي بيانه في محله ان شاء الله تعالى.

سابعا: الوصي والوصية

ورد مصطلح الوصي والوصية ومشتقاتهما في كلام العرب بالمعاني الآتية: يقال لانسان حي يعهد لانسان آخر أن يقوم بأمر يهمله بعد وفاته: الموصي، وللاخر: الوصي، وللامر الموصى به: الوصية؛ وتجري الوصية بلفظ الوصية ومشتقاتها تارة مثل أن يقول الموصي لوصيه: أوصيك بعدي برعاية أهلي أو إدارة مدرستي، وأن تفعل كذا وكذا، وأخرى بلفظ يؤدي معنى الوصية، مثل أن يقول

الموصي لوصيته: أطلب منك أن تقوم بعدي برعاية أهلي ومدرستي وتفعل كذا وكذا . . .

ويخبر الموصي الآخرين عن وصيته أحياناً بلفظ: أوصيتُ إلى فلان، ووصي فلان، وأخرى يقول: عهدت إلى فلان، أو أوكلت إليه أن يقوم بكذا، وكلا اللفظان يؤديان معنى واحداً وهكذا نظائرهما

كان هذا موجز معنى مصطلح الوصي والوصية ومشتقاتهما في لغة العرب، وبنفس المعنى وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة: قال الله سبحانه في سورة البقرة الآيات ١٨٠ - ١٨٣: « كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصية - إلى قوله تعالى - فمن خاف من موصٍ جنفاً أو إثماً فأصلح بينهم » وفي سورة المائدة الآية ١٠٦ « يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم . . . » وكذلك وردت في سورة النساء الآية ١١ - ١٢ .
ومما ورد في السنة النبوية ما رواه كل من البخاري في أول كتاب الوصايا من صحيحه ومسلم في كتاب الوصية من صحيحه:

« أن رسول الله (ص) قال: ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه أن يبس ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده . »

وللوصية أحكامها في الفقه الاسلامي وبناء على ما ذكرنا إن لفظي الوصي والوصية من المصطلحات الاسلامية

والوصية من الأنبياء والرسل كما سننقل أمثلة منها من التوراة والانجيل أن تعهد الرسل إلى أوصيائهم من بعدهم من حمل شريعتهم إلى الناس ورعاية أمتهم من بعدهم .

وفي هذه الأمة لقب الامام علي بلقب الوصي وأصبح علماً له، ومعناه أنه وصي النبي (ص) وأن خاتم الأنبياء فعل مثل من سبقه من الرسل وعهد إلى الامام علي (ع) تبليغ شريعته ورعاية أمته من بعده وبواسطته عهد ذلك إلى بنيه الأئمة الأحد عشر من بعده وأخبر النبي المسلمين بكل ذلك تارة بلفظ الوصي والوصية ومشتقاتهما، وأخرى بالفاظ أخرى تؤدي نفس المعنى . كما سيأتي بيان كل ذلك في باب النصوص الواردة عن رسول الله (ص) في تعيين ولي الأمر من بعده مع بيان قول من أنكروا ذلك ورأى أن رسول الله (ص) لم يهتم بأمر المسلمين ولم يوص إلى أحد من بعده، إن شاء الله تعالى .

دراسة رأي مدرسة الخلفاء

بعد دراسة المصطلحات السبعة الماضية تيسر دراسة رأى المدرستين في الخلافة والامامة وما استدلوا به في هذا المقام، ونبدأ بدراسة آراء مدرسة الخلافة في مايلي:

رأي مدرسة الخلافة وما استدلوا به:

اولا: قال الخليفة ابوبكر:

لن يعرف هذا الامر الا لهذا الحي من قريش، هم أوسط العرب نسبا ودارا، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين «عمر و أبي عبيدة» فبايعوا أيهما شئتم^١.
ثانيا: قال الخليفة عمر بن الخطاب:

فلا يغترون امرؤ أن يقول انما كانت بيعة أبي بكر فلتة وتمت، ألا وأنها قد كانت كذلك، ولكن الله وقى شرها، وليس منكم من تقطع الاعناق اليه مثل أبي بكر، من بايع رجلا عن غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو ولا الذي بايعه تغرة أن يقتلا^٢.

مناقشة الاستدلالين

أشرنا هنا اولا الى استدلال الخليفة ابي بكر في السقيفة، وثانيا الى رفع الخليفة عمر شعار الشورى لولاية الامر من بعده. اما ما كان من احتجاج الخليفة ابي بكر في السقيفة، فان الحقيقة في امر احتجاجات جميعهم يوم ذاك، هي انها كانت تجري وفق

١ و ٢) البخاري، كتاب الحدود، باب رجم الجبلي.

المنطق القبلي، فان الانصار لما تركوا جنازة رسول الله صلى الله عليه وآله ملقى بين اهله، وبادروا الى سقيفة بني ساعدة ليولوا سعدا ما قالوا ان سعدا افضل من غيره واولى بهذا الامر، بل قالوا: ان الناس في فيئكم ولا يجترئ مجترئ عليكم.

وان مهاجرة قريش - ايضا - لما التحقوا بهم احتجوا بالمنطق القبلي حين قالوا: ان قريشا اوسط العرب دارا، وقالوا من ذا ينازعنا سلطان محمد ونحن اهله وعشيرته.

وكذلك كان قول الانصاري حين قال: منا امير ومنكم امير، وقول المهاجري حين قال: نحن الامراء وانتم الوزراء.

وكذلك كان دافع اسيد بن حضير وسائر من حضر من افراد قبيلته الاوس قبلياً حين خافوا سلطة الخزرج عليهم، وتذكروا حرب البعاث بينهم، والتي لم يكن قد مضى عليها عقدان من الزمن وقالوا: والله لئن وليتها عليكم الخزرج مرة، لازالت لهم عليكم بذلك الفضيلة، ولا جعلوا لكم معهم فيها نصيبا ابدا، فقوموا فبايعوا ابا بكر. وتمت الغلبة اخيرا لمهاجرة قريش بمجيء قبيلة «اسلم» التي ملأت سكك المدينة، وبايعت ابا بكر ونصرت مهاجرة قريش على الانصار، وحق للخليفة عمر بعد ذلك ان يعتبر بيعة ابي بكر فلتة!

* * *

كانت هذه حقيقة تلك الواقعة مهما كان نوع الاستدلال فيها. اما ما ذكر الخليفة عمر من امر الشورى فسندرسه بحوله تعالى ضمن دراسة آراء اتباع مدرسة الخلفاء في مايلي.

ثالثا: آراء اتباع مدرسة الخلفاء في امر الخلافة:

تتلخص آراء مدرسة الخلفاء في شأن الخلافة واقامتها في الامرين التاليين:

اولا: تقام الخلافة:

أ) بالشورى

ب) بالبيعة

ج) باتباع ما عملته الصحابة في اقامتها

د) بالقهر والغلبة

ثانياً: يجب طاعة الخليفة بعد ما بويع، وان عصى ربه.

* * *

بعد دراسة المصطلحات المذكورة تيسر لنا دراستها واحدة بعد الاخرى في ما

يأتي:

أولاً: مناقشة الاستدلال بالشورى

ان أول من ذكر الشورى وأمر بها لاقامة الخلافة هو الخليفة عمر بن الخطاب، غير أنه لم يأت دليل على أن الامامة في الاسلام تُقام بالشورى، واستدل المتأخرون من أتباع مدرسة الخلفاء على صحة اقامة الامامة بالشورى بآيتين من كتاب الله، وبما ورد عن رسول الله انه كان يستشير أصحابه في بعض الامور الهامة، وبكلمة عن الامام علي، ونحن نبدأ هنا بدراسة ما استدلوا به في هذا الصدد ثم ندرس الشورى التي أمر بها الخليفة عمر.

الاستدلال للشورى بكتاب الله وسنة رسوله

(أ) استدلوا بقوله تعالى للمؤمنين: «وأمرهم شورى بينهم»^١.

(ب) بقوله تعالى لرسوله: «وشاورهم في الامر»^٢.

(ج) أن رسول الله كان يستشير أصحابه في الامور الهامة، فنقول:

أولاً: الاستدلال بآية «وأمرهم شورى».

ان هذه الجملة من آية ٣٨ من سورة الشورى جاء بعدها «ومما رزقناهم ينفقون» كلتا الجملتين تدلان على رجحان الفعل فيها، وليس على وجوب التشاور والانفاق.

هذا اولاً، وثانياً انما يصح التشاور في أمر لم يرد فيه من الله ورسوله حكم، فقد قال الله سبحانه: «ما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم، ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً» الاحزاب - ٣٥، وسيأتي بعيد هذا ما ورد عن الله ورسوله في أمر الامامة ما لا يبقى معه مورد للتشاور.

(١) الشورى / ٣٨.

(٢) آل عمران / ١٥٩.

ثانياً: الاستدلال بآية «وشاورهم في الامر» ان هذا الآية التاسعة والخمسين بعد المائة من سورة آل عمران وقد وردت ضمن سلسلة من آيات ١٣٩ - ١٦٦ منها وكلها في أمر غزوات الرسول وكيف نصرهم الله فيها، وفي بعضها يخاطب المسلمين وخاصة الغزاة منهم ويعظهم، وفي بعضها يخاطب الرسول خاصة ومن ضمنها هذه الآية:

«فما رحمة من الله لنت لهم، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر فاذا عزمتم فتوكل على الله، ان الله يحب المتوكلين». يظهر جليا أن الامر بالمشاورة في هذه الآية بقصد الملاينة معهم والرحمة بهم، وليس مأمورا بالعمل برأيهم، بل يقول له واذا عزمتم فتوكل واعمل برأيك، ومن المجموع أيضا أن مقام المشاورة الراجحة انما هي في الغزوات، وما ذكر من مشاورة الرسول مع أصحابه أيضا كانت في الغزوات كما سندكرها في مايلي:

ثالثا: الاستدلال بمشاورة الرسول مع أصحابه:

ان مشاورة الرسول مع أصحابه كانت في الغزوات، وأشهرها مشاورته معهم في غزوة بدر، وقصتها كمايلي:

ندب رسول الله أصحابه للتعرض لقافلة قريش التجارية الراجعة من الشام بقيادة أبي سفيان وخرج مع ٣١٣ شخصا ممن استعد للاستيلاء على القافلة التجارية وليس للقتال، وبلغ الخبر أبا سفيان فأنحرف في سيره عن الطريق، واستصرخ قريشا بمكة فخرجت مستعدة للقتال في جيش يقارب الالف محارب، وأفلت أبو سفيان والقافلة، فكان الرسول صلى الله عليه وآله أمام خيارين: التراجع الى المدينة بسلام، أو مقاتلة جيش قريش المتأهب للقتال بجيشه غير المتكافي عددا وعدة.

تفصيل الخبر:

روى ابن هشام في سيرته وقال:

واتاه الخبر عن قريش ومسيرهم ليمنعوا غيرهم، فاستشار الناس واخبرهم عن قريش، فقام ابوبكر الصديق فقال واحسن، ثم قام عمر بن الخطاب فقال واحسن، ثم قام المقداد...^١.

ثم ذكر ما قاله المقداد وما قالته الانصار. بينما لم يذكر ما قاله ابوبكر ثم عمر!

وفي صحيح مسلم:

فتكلم أبو بكر فأعرض عنه، ثم تكلم عمر فأعرض عنه، فقام المقداد...^١
ان مسلماً هكذا ذكر أيضاً ولم يذكر ما تكلم به أبو بكر وكلاهما لم يتما ذكر
الخبر، ونحن ننقل تمام الخبر من مغازي الواقدي وامتاع الاسماع للمقرئزي واللفظ
للاول قال، قال عمر:

يا رسول الله، إنها والله قريش وعزها، والله ما دلت منذ عزت، والله ما
أمنت منذ كفرت، والله لا تسلم عزها أبداً، ولتقاتلتك، فاتهب لذلك أهبتة وأعد ذلك
عذته. ثم قام المقداد بن عمرو فقال: يا رسول الله، امض لأمر الله فنحن معك؛ والله
لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لنبينا: «فأذهب أنت وربك فقاتلاً إناها هُنا
قاعدون»^٢، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلاً إنا معكما مقاتلون؛ والذي بعثك بالحق لو
سرت بنا إلى برك الغماد لسرنا معك - وبرك الغماد من وراء مكة بخمس ليال من
وراء الساحل مما يلي البحر، وهو على ثمان ليال من مكة إلى اليمن. فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم خيراً، ودعا له بخير. ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
«أشيروا علي أيها الناس!» وإنما يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنصار،
وكان يظن أن الأنصار لا تنصره إلا في الدار، وذلك أنهم شرطوا له أن يمنعوه مما
يمنعون منه أنفسهم وأولادهم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أشيروا علي!»
فقام سعد بن معاذ فقال: أنا أجيب عن الأنصار؛ كأنك يا رسول الله تريدنا! قال:
«أجل». قال: إنك عسى أن تكون خرجت عن أمر قد أوحى إليك في غيره، وإنا قد
أمننا بك وصدقناك، وشهدنا أن كل ما جئت به حق، وأعطيناك موثيقنا وعهودنا
على السمع والطاعة؛ فامض يا نبي الله، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت هذا البحر
فخضته لخضناه معك، ما بقي منا رجل؛ وصل من شئت، واقطع من شئت، وخذ من
أموالنا ما شئت، وما أخذت من أموالنا أحب إلينا مما تركت. والذي نفسي بيده،
ما سلكت هذا الطريق قط، ومالي بها من علم، وما نكره أن يلقانا عدونا غداً؛ إنا
لصبر عند الحرب، صدق عند اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك.

حدثنا محمد قال: حدثنا الواقدي قال: فحدثني محمد بن صالح، عن عاصم

(١) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة بدر ٣/١٤٠٣.

(٢) سورة المائدة ٢٤.

بن عمر بن قَتادة، عن محمود بن لبيد قال: قال سعد: يا رسول الله، إنا قد خَلَفْنَا من قومنا قوماً ما نحن بأشدَّ حُبًّا لك منهم، ولا أطوع لك منهم، لهم رَغْبَةٌ في الجهاد ونِيَّةٌ؛ ولو ظنوا يا رسول الله أنك ملاقي عدوًّا ما تخلفوا، ولكن إنما ظنوا أنها العير. نبي لك عريشاً فتكون فيه ونعد لك رواحلك، ثم نلقي عدونا، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا، وإن تكن الأخرى جلست على رواحلك فليحقت من وراءنا. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم خيراً، وقال: «أو يقضي الله خيراً من ذلك يا سعد!»
قالوا: فلما فرغ سعد من المشورة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سيروا على بركة الله، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين. والله، لكأنني أنظر إلى مصارع القوم.» قال: وأرانا رسول الله صلى الله عليه وسلم مصارعهم يومئذ؛ هذا مصرع فلان، وهذا مصرع فلان، فنا عدا كل رجلٍ مصرعه. قال: فعلم القوم أنهم يُلاقون القتال، وأن العير تُفلى، ورجوا النَّصر لقول النبي صلى الله عليه وسلم^١.
كانت هذه استشارة رسول الله في هذا المقام.

ان رسول الله صلى الله عليه وآله يستشير أصحابه في ماذا يفعلون، وقد أخبره الله سبحانه وتعالى بأنهم سيقاتلون وينتصرون، وأخبره بمصارع القوم، والرسول صلى الله عليه وآله أيضاً يخبر أصحابه بمصارع القوم بعد أن وافقوه على القتال، فهو إذ يستشيرهم لا يريد الاستفادة من رأيهم، وإنما هونوع من الملاينة واخبار بافلات عير قريش وتغيير الامر من الاستيلاء على مال التجارة الى القتال فليستعدوا للقتال.

كانت هذه مشاورة الرسول صلى الله عليه وآله أصحابه في هذا المقام، وفي مايلي قصة مشورة أصحاب الرسول في غزوة أحد، وفي هذه المشاورة عمل رسول الله صلى الله عليه وآله برأي أصحابه كماورد في مغازي الواقدي وامتاع الاسماع للمقرئزي قالوا: ان رسول الله صلى الله عليه وآله صعد على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أيها الناس، إني رأيتُ في منامي رؤيا: رأيتُ كأنني في دِرْعِ حَصِينَةٍ، ورأيتُ كأن سيني ذا الفقار انقصم^٢ من عند ظبته^٣، ورأيتُ بقرأ تُذبح؛ ورأيتُ كأنني مُرْدِفٌ كبشاً.» فقال الناس يا رسول الله، فما أولتها؟ قال: «أما الدرع الحصينة

(١) مغازي الواقدي، ط. اكسفورد ٤٨/١ - ٤٩. وامتاع الاسماع للمقرئزي، ٧٤ - ٧٥.

(٢) انقصم: تكسر وتثلم.

(٣) الظبة: حد السيف من قبل ذبابة وطره.

فالمدينة، فامكثوا فيها، وأما انقصاص سيني من عند ظبيته فصيبة في نفسي، وأما البقر المذبح فقتلى في أصحابي، وأما أني مُردف كبشاً فكبش الكتيبة نقتله إن شاء الله.»
وفي رواية: «وأما انقصاص سيني فقتل رجل من أهل بيتي.» وقال: أشيروا عليّ.»
ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا يخرج من المدينة فوافقه عبد الله بن أبي الأكار من الصحابة مهاجرهم وأنصارهم، وقال عليه السلام: «امكثوا في المدينة واجعلوا النساء والذرائع في الآطام، فإن دُخِلَ علينا قاتلناهم في الأزقة — فنحن أعلم بها منهم — ورُموا من فوق الصياصي والآطام.»^١ وكانوا قد شبكوا المدينة بالبنيان من كل ناحية فهي كالحصن، فقال فتیان أحداث لم يشهدوا بدرأ وطلبوا الشهادة وأحبوا لقاء العدو: اخرج بنا إلى عدونا. وقال حمزة، وسعد بن عباد، والنعمان بن مالك بن ثعلبة، في طائفة من الأنصار: إنا نخشى يا رسول الله أن يظنَّ عدونا أننا كرهنا الخروج إليهم جيناً عن لقائهم، فيكون هذا جرأة منهم علينا؛ وقد كنت يوم بدر في ثلاثمائة رجل فظفرك الله عليهم، ونحن اليوم بشر كثير؛ قد كنا نتمنى هذا اليوم وندعو الله به، فساقه الله إلينا في ساحتنا. ورسول الله صلى الله عليه وسلم لما يرى من إلحاحهم كاراً، وقد لبسوا السلاح. وقال حمزة: والذي أنزل عليك الكتاب لا أظعم اليوم طعاماً حتى أجالدهم^٢ بسيفي خارجاً من المدينة، وكان يوم الجمعة صائماً ويوم السبت صائماً. وتكلم مالك بن سنان والد أبي سعيد الخدري، والنعمان بن مالك بن ثعلبة، وإياس بن أوس بن عتيك، في معنى الخروج للقتال. فلما أبوا إلا ذلك صلى^٣ رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمعة بالناس وقد وعظهم وأمرهم بالجد والجهاد؛ وأخبرهم أن لهم النصر ما صبروا، وفرح الناس بالشخص^٤ إلى عدوهم، وكره ذلك المخرج كثير. ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العصر بالناس وقد حشدوا، وحضره أهل العوالي^٥ ورفعوا النساء في الآطام: ودخل صلى الله عليه وسلم بيته ومعه

(١) الصياصي جمع صيبة: وهي الحصون، والآطام جمع أطم: وهي بيوت من حجارة كانت لأهل المدينة.

(٢) جالد بالسيف، ضرب به كأنه يجلد بسوط لسرعة ضربه وتتابعه.

(٣) في الأصل: «صلى الله.»

(٤) الشخص: الخروج.

(٥) في الأصل: «حضرو.»

(٦) العوالي: منية بينها وبين المدينة ثلاثة أميال.

أبو بكر وعمر (رض) فعمّماه ولبسناه. وقد صفّ الناس له ما بين حجرته إلى منبره، فجاء سعد بن معاذ وأُسَيْد بن حُضَيْر فقالا للناس: قلم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما قلم واستكرهتموه على الخروج، والأمر ينزل عليه من السماء، فرُدُّوا الأمر إليه فما أمركم فافعلوه، وما رأيتم فيه له هَوَى أوراى فاطيعوه. فبيناً هم على ذلك إذ خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قد لبس لامته^١، ولبس الدرع فأظهرها وحزم وسطها بِمِثْطَقَةٍ^٢ [مِنْ أَدَمِ] من حَمَائِل سَيْفٍ، وَاَعْتَمَّ، وَتَقَلَّدَ السَيْفَ. فقال الذين يُلجحون: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُخَالَفَكَ، فَاصْنَعْ مَا بَدَأَكَ، فَقَالَ: «قَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَى هَذَا الْحَدِيثِ فَأَبَيْتُمْ، وَلَا يَنْبَغِي لَنِي إِذَا لَبَسَ لَامَتَهُ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَعْدَائِهِ، انظروا ما أمرتكم به فاتبعوه، امضوا على اسم الله فلكم النصر ما صبرتم.»

* * *

لعل الحكمة في استجابة رسول الله صلى الله عليه وآله لأصحابه في الخروج أنه لو لم يستجب لهم الرسول أثار في نفوسهم تأثيراً سيئاً، وأولد فيهم الضعف والاستكانة بدل الأقدام والشجاعة، أما عدم استجابته لهم بعد أن طابقوا رأيه فقد ذكره هو صلى الله عليه وآله حكيمته.

مثال آخر من عمل الرسول برأي أصحابه فيما أشاروا عليه: قصة جرت في غزوة الخندق نوردها في مايلي:

غزوة الخندق

روى الواقدي والمقرئزي وقالوا عن غزوة الخندق:

وأقام صلى الله عليه وسلم وأصحابه محصورين بضعة عشرة ليلة حتى اشتدَّ الكَرْبُ، وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَنْشُدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ؛ اللَّهُمَّ إِنَّكَ إِنْ تَشَأْ لَا تُغَبِّد.» وَأَرْسَلَ إِلَى عُيَيْنَةَ بْنِ حِصْنٍ، وَالْحَارِثِ بْنِ عَوْفٍ — وَهُمَا رُئِيسَا غَطَفَانَ — أَنْ يَجْعَلَ لَهُمَا ثَلَاثَ ثَمَرِ الْمَدِينَةِ وَيَرْجِعَ بَيْنَ مَعَهُمَا، فَظَلَبَا نِصْفَ الثَّمَرِ فَأَبَى عَلَيْهِمُ إِلَّا الثَّلَاثَ، فَرَضِيًّا. وَجَاءَ فِي عَشْرَةٍ مِنْ قَوْمِهِمَا حَتَّى تَقَارَبَ الْأَمْرُ، وَأُخْضِرَتِ الصَّحِيفَةُ وَالِدَوَاةُ لِيَكْتَبَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) الصَّلْحَ — وَعَبَّادُ بْنُ بَشْرٍ قَائِمٌ

(١) اللامة: أداة الحرب ولباسها، كالرمح والبيضة والمغفر والسيف والنبل.

(٢) المنطقة والنطاق، كل ما يشد به الواسط كالخزام.

(٣) الذي بين القوسين كان في الأصل بعد قوله «حمائل سيف»، وهذا حق موضعه.

على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم مقنّع في الحديد - ، فأقبل أُسَيْدُ بن حُضَيْرٍ، وُعَيْيْنَةُ مَادُّ رَجْلَيْهِ فَقَالَ لَهُ: يَا عَيْنَ الْهَجْرَسِ، اقْبِضْ رَجْلَيْكَ. أَتَمُدُّ رَجْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ وَاللَّهِ لَوْلَا رَسُولُ اللَّهِ لَأَنْفَذْتُ حِصْنَيْكَ بِالرُّمْحِ! ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ، إِنْ كَانَ أَمْرًا مِنَ السَّمَاءِ فَاْمُضْ لَهُ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ فَوَاللَّهِ لَا نُعْطِيهِمْ إِلَّا السَّيْفَ. مَتَى طَمِعْتُمْ بِهَذَا مِثْنًا؟ فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ وَسَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ فَاسْتَشَارَهُمَا خُفِيَةً، فَقَالَا: إِنْ كَانَ هَذَا أَمْرًا مِنَ السَّمَاءِ فَاْمُضْ لَهُ، وَإِنْ كَانَ أَمْرًا لَمْ تُؤْمَرْ فِيهِ وَلَكَ فِيهِ هَوَى فَمَسَعْ وَطَاعَةٌ، وَإِنْ كَانَ إِنَّمَا هُوَ الرَّأْيُ فَمَا لَهُمْ عِنْدَنَا إِلَّا السَّيْفُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي رَأَيْتُ الْعَرَبَ رَمَتْكُمْ عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ فَقُلْتُ أَرْضِيهِمْ وَلَا أَقَاتِلُهُمْ.» فَقَالَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ إِنْ كَانُوا لَيَأْكُلُونَ الْعِلْهَزَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مِنَ الْجَهْدِ، مَا طَمِعُوا بِهَذَا مِثْقَاطًا: أَنْ يَأْخُذُوا ثَمْرَةً إِلَّا بِشِرَاءٍ أَوْ قِرَى! فَحِينَ أَتَانَا اللَّهُ بِكَ وَأَكْرَمَنَا بِكَ؛ وَهَدَانَا بِكَ، نُعْطِي الدُّنْيَا! لَا نَعْطِيهِمْ أَبَدًا إِلَّا السَّيْفَ. فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «شُقَّ الْكِتَابُ.» فَشَقَّهُ سَعْدٌ، فَقَامَ عُيَيْنَةُ وَالْحَارِثُ. فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ارْجِعُوا بَيْنَنَا السَّيْفُ» رَافِعًا صَوْتَهُ. كَانَتْ هَذِهِ قِصَّةَ اسْتِشَارَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَعَ أَصْحَابِهِ فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ، وَيُظْهِرُ مِنْ مَحَاوِرَةِ الرَّسُولِ فِيهَا أَنَّهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ أَرَادَ أَنْ يَوْقَعَ الْخِلَافَ بَيْنَ الْقَبَائِلِ الْمُحَارِبَةِ، وَخَاصَّةً أَنْ فِي آخِرِهِ يَرْفَعُ صَوْتَهُ وَيَقُولُ: «ارْجِعُوا بَيْنَنَا السَّيْفُ» فَانْهَذَا الْخَبْرُ يَنْتَشِرُ وَيَبْلُغُ قَرِيشًا وَيَقَعُ بَيْنَهُمُ الْخِلَافَ، وَقَدْ رَوَى بَعْدَ هَذَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَمَرَ نَعِيمَ بْنَ مَسْعُودٍ بِذَلِكَ وَنَجَّحَ، فَالْقَى الشُّكَّ وَالتَّرْدِيدَ وَالْخِلَافَ بَيْنَ بَنِي قَرِيظَةَ وَقَرِيشَ وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ أَسْبَابِ انْكَسَارِهِمْ^١.

في ضوء ما بيناه من مشاورات الرسول صلى الله عليه وآله، يتضح لنا جلياً انه لم تكن الغاية من تلك المشاورات ان يتعلم الرسول صلى الله عليه وآله من اصحابه الرأي الصائب ليعمل به، بل كانت الغاية احياناً ان يعلمهم الرسول صلى الله عليه وآله مسبقاً ليعملوا به.

(١) مغازي الواقدي «ج ١/ ٢٣٥ - ٢٣٧»، وامتناع الاسماع للمقرئزي ٢٣٥ - ٢٣٦. والعلهز: كان

اهل الجاهلية في سني القحط والجماعة يخلطون الوبر بالدم ويشوونه ويأكلونه، ويسمونه العلهس.

المجرس: ولد الثعلب، وقيل هو القرد اودوية اخرى.

كما كان شأن مشورته اياهم في غزوة بدر فان الله كان قد اعلم رسوله صلى الله عليه وآله النتيجة مسبقا من انهم سيقاتلون قريشا وينتصرون عليهم، وبعد المشاورة اعلمهم الرسول صلى الله عليه وآله نتيجة الامر، وأراهم مصارع قريش. اذاً كانت الغاية من المشاورة توجيه المسلمين باسلوب المشاورة الى ما ينبغي ان يعملوه خلافا لاسلوب الملوك الجبارين الذين يملون آراءهم على الناس بقولهم مثلاً: نحن ملك... اصدرنا أمرنا الملكي بكذا...

وان صدر الآية يدل بوضوح على ما ذكرنا، فانه تعالى قال: «فما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر...» فالمشاورة هنا من مصاديق الليونة وكونه رحمة من الله، اللتين وردتا في صدر الآية.

تارة تكون الغاية من المشاورة الملاينة كالمثال السابق، وتارة تكون الغاية تربية نفوس المسلمين، كما كان شأن المشاورة في غزوة احد فان رسول الله صلى الله عليه وآله بعد ان اخذ برأيهم ولبس لامة حربه بقصد السير الى احد، ندموا على الحاحهم على الرسول صلى الله عليه وآله بالخروج، وقالوا يا رسول الله صلى الله عليه وآله ما كان لنا ان نخالفك فاصنع ما بدا لك، فقال: «قد دعوتكم الى هذا فأبيتهم، ولا ينبغي لبي اذا لبس لامته ان يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه.»

يظهر من المحاورات التي دارت بين الرسول صلى الله عليه وآله وأصحابه في هذه الواقعة، ان عدم استجابة الرسول صلى الله عليه وآله لرغبتهم العارمة في الخروج كان يؤثر على نفوسهم تأثيرا سيئا، ويولد فيهم ضعف النفس والتردد وعدم الاقدام في الحروب.

ثانيا: مناقشة الاستدلال بالبيعة

عرفنا في ما سبق: ان البيعة كالبيع تنعقد بالرضا والاختيار وليس بحد السيف

والجبر؛

وانه لا بيعة في معصية؛

ولا في خلاف ما امر الله به؛

وانه لا بيعة لمن يعصي الله.

وعرفنا ان اول بيعة اخذت بعد رسول الله هي البيعة للخليفة ابي بكر وعلى صحتها تتوقف صحة بيعة الخليفة عمر لانها اخذت بامر من الخليفة ابي بكر، وعلى صحة بيعة الخليفة عمر تتوقف صحة بيعة الخليفة عثمان، لانها اخذت بامر من الخليفة عمر حين امر ان يبايعوا من الستة القرشيين من بايعه عبد الرحمن بن عوف، وان يقتلوا من خالف.

وعرفنا كيف اخذت البيعة للخليفة ابي بكر غلابا في سقيفة بني ساعدة ثم بمساعدة قبيلة بني اسلم في سكك المدينة، وكيف حمل النار الى بيت فاطمة عليها السلام ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله، لانه قد تحصن فيه من ابي ان يبايع، وان بني هاشم لم يبايعوا مدة حياة ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله، وان الجن قتلت سعد بن عبادة بسهمين لانه لم يبايع، كان هذا شأن اخذ البيعة في المدينة. اما خارج المدينة، فكان شأن من امتنع عن بيعة الخليفة ابي بكر وأبي ان يدفع الزكاة لجباة الخليفة، قتل الرجال، وسبي النساء، وسلب الاموال.

كما كان شأن مالك بن نويرة عامل رسول الله صلى الله عليه وآله وأسرته من قبيلة تميم حين دهمهم جيش خالد بن الوليد ليلا، وأخذوا السلاح، فقال جيش خالد: انا المسلمون، فقال اسرة مالك: ونحن المسلمون، فقال لهم جيش خالد: فان كنتم كما تقولون، فضعوا السلاح فوضعوها ثم صلوا مع جيش خالد^٢ ثم أخذوهم الى خالد بن الوليد، فأمر بضرب عنق مالك فالتفت مالك الى زوجته وقال لخالد: هذه التي قتلتني وكانت في غاية الجمال، فقال خالد: بل الله قتلك برجوعك عن الاسلام، فقال مالك: انا على الاسلام، وبعد قتله امر خالد برأسه فنصب اثنية للقدر وتزوج بامراته في تلك الليلة ولما يدفن مالك^٣.

وكما كان شأن قبائل كندة فان زياد بن لبيد البياضي، عامل ابي بكر اخذ ناقة لفتى من كندة، فسأله الكندي اخذ غيرها فأبى ذلك، لانه وسمها بميسم الصدقة^٤ فذهب الفتى الى رجل من سادات كندة يقال له حارثة بن سراقه، وقال له: يا ابن عم

(١) راجع ترجمته في الاصابة ٣/٣٣٦، رقم الترجمة: ٧٦٩٨.

(٢) تاريخ الطبري ط. اوربا ١/١٩٢٧ - ١٩٢٨ وراجع تاريخ يعقوبي ط. بيروت، ٢/١١٠.

(٣) راجع تاريخ ابي الفداء ص ١٥٨، ووفيات الاعيان، ترجمة وثيمة، وكذلك فوات الوفيات، وبقية

المصادر مع تفصيل الخبر في كتاب عبد الله بن سبأ ط. بيروت سنة ١٤٠٣ هـ، ج ١/١٨٥ - ١٩١.

(٤) فتوح البلدان، ردة بني وليعة والأشعث بن قيس.

ان زياد بن ليبيد قد أخذ لي ناقة فوسمها وجعلها مع ابل الصدقة، وانا مشغوف بها، فان رأيت ان تكلمه فيها فلعله ان يطلقها ويأخذ غيرها من ابلي، فأقبل حارثة الى زياد وقال له: ان رأيت ان ترد ناقة هذا الفتى عليه وتأخذ غيرها فعلت منعما، فقال زياد، قد وضع عليها ميسم الصدقة، فترادا الكلام، فأقبل حارثة الى ابل الصدقة فأخرج الناقة بعينها، وقال للفتى خذ ناقتك فان كلمك احد سأحطم انفه بالسيف وقال:

نحن انما اطعنا رسول الله صلى الله عليه وآله اذ كان حيا ولو قام رجل من اهل بيته لا طعناه واما ابن ابي قحافة فلا والله ماله في رقابنا طاعة ولا بيعة وأنشأ أبياتا من جملتها:

أطعنا رسول الله إذ كان بيننا فيا عجباً ممن يطيع ابا بكر

وقال له الحارث بن معاوية من سادة كندة:

انك لتدعو الى طاعة رجل لم يعهد الينا ولا اليكم فيه عهد فقال له: زياد،

صدقت ولكننا اخترناه لهذا الامر.

فقال له الحارث: اخبرني لم نخيم عنها اهل بيته، وهم احق الناس بها لان الله

عز وجل يقول: «واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله» فقال له زياد: ان

المهاجرين والانصار انظر لانفسهم منك! فقال له الحارث: لا والله ما ازتموها عن اهلها

الا حسدا منكم، وما يستقر في قلبي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من الدنيا

ولم ينصب للناس علما يتبعونه، فارحل عنا ايها الرجل فانك تدعو الى غير رضا، ثم أنشأ

الحارث يقول:

كان الرسول هو المطاع فقد مضى صلى عليه الله لم يستخلف

فأرسل زياد ابل الصدقة امامه الى المدينة ثم سار الى المدينة وأخبر ابا بكر

فجهزه في اربعة الاف مقاتل فسار زياد يريد حضر موت وفي طريقه كان يباغت قبائل

كندة ويقتل منهم ويستأسر، مثل بني هند الذين هاجمهم وقتل منهم جماعة واحتوى على

نسائهم وذراريهم.

ووافي حي بني العاقل من كندة غافلين فلما اشرفت الخيل عليهم تصايحت

النساء واقتتل الرجال ساعة ووقعت الهزيمة عليهم، واحتوى زياد نساءهم وأموالهم.

وكبس بخيله في جوف الليل حي بني حجر من كندة فقتل منهم مائتي رجل

وأسر خمسين وفرّ الباقيون واحتوى على النساء والاولاد.

ثم قاتله الاشعث بن قيس وحاصره في مدينة «تيم» واسترجع منه الاموال والذراري وردها الى اهلها فأرسل الخليفة الى الاشعث كتابا يسترضيه فقال الاشعث للرسول: «ان صاحبك ابا بكر يلزمنا الكفر بمخالفتنا له، ولا يلزم صاحبه الكفر بقتله قومي وبني عمي».

«فقال له الرسول: نعم يا أشعث! يلزمك الكفر لان الله تبارك وتعالى قد اوجب عليك الكفر بمخالفتك لجماعة المسلمين.»

فضربه غلام من بني عم الاشعث بسيفه فقتله، واستحسن فعله الاشعث فغضب من ذلك عامة اصحاب الاشعث حتى بقي في قريب من النبي رجل، فكتب زياد الى ابي بكر يخبره بقتل الرسول وانهم محاصرون، فاستشار الخليفة المسلمين في ما يصنع فأشار عليه ابي ايوب الانصاري وقال: ان القوم كثير عددهم واذا هموا بالجمع جمعوا خلقا كثيرا فلو صرفت عنهم الخيل في عامك هذا رجوت ان يحملوا الزكاة اليك بعد هذا العام طائعين. فقال ابوبكر والله لو منعوني عقالا واحدا مما كان النبي وظيفه عليهم لقاتلتهم عليه ابدا او ينيبوا الى الحق، ثم كتب الى عكرمة بن أبي جهل ان يسير من اجابه من اهل مكة الى زياد ويستنهض من مر عليه من احياء العرب، فخرج في النبي فارس من قريش ومواليهم وأحلافهم ثم سار الى مأرب، وبلغ ذلك اهل دبا فغضبوا وقالوا نشغله عن محاربة بني عمنا من كندة، وأخرجوا عامل ابي بكر، فكتب ابوبكر اليه ان يسير اليهم، وان لا يقصر فيهم، واذا فرغ منهم ان يبعث بهم اسراء، فسار اليهم عكرمة وقاتلهم وحاصرهم، فسألوا الصلح وان يؤدوا الزكاة، فأبى الا ان ينزلوا على حكمه فأجابوه، فدخل عكرمة حصنهم، وقتل اشرافهم صبورا، وسبي نساءهم واولادهم، وأخذ اموالهم ووجهه بالباقيين الى ابي بكر، فهم ان يقتل الرجال ويقسم النساء والذرية، فقال له عمر:

يا خليفة رسول الله، ان القوم على دين الاسلام يحلفون بالله مجتهدين ما كنا رجعنا عن دين الاسلام، فحبسهم ابوبكر الى ان توفي وأطلق عمر سراحهم على عهده. فسار عكرمة الى زياد فبلغ خبره الاشعث فانحاز الى حصن النجير وجمع فيه نساءه ونساء قومه، فبلغ ذلك قبائل كندة ممن كان تفرق عن الاشعث لما قتل رسول ابي بكر فتلاوموا ان يتركوا بني عمهم محاصرين فسارت لقتال زياد فجزع لذلك فقال له عكرمة: ارى ان تقيم محاصرا لمن في الحصن وأمضي انا فالتى هؤلاء القوم، فقال له

زياد: نعم ما رأيت ولكن ان ظفر الله بهم فلا ترفع السيف حتى تبيدهم عن آخرهم.
فقال عكرمة: لست آلو جهداً في ما اقدر عليه.

فسار عكرمة حتى وافي القوم فتقاتلوا وكانت الحرب بينهم سجالا والاشعث لا يعلم عن ذلك شيئا، وطال عليهم الحصار واشتد بهم الجوع والعطش فطلب من زياد الامان له ولاهل بيته وعشرة من وجوه اصحابه وكتب بينهم، فبعث زياد الكتاب الى عكرمة فأخبر عكرمة قبائل كندة بذلك وأراهم الكتاب فتركوا القتال وانصرفوا، ودخل زياد الحصن وأخذ يضرب اعناق المقاتلة صبورا، ووافاه كتاب أبي بكر ان يحمل من نزل على حكمه الى المدينة، فصفد من بقي منهم بالحديد وأرسلهم الى المدينة^١.
هكذا تمت بيعة الخليفة ابي بكر والتي يصفها الخليفة عمر بأنها كانت فلتة، وعليها بنيت خلافة الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان وبها يستدلون.

ثالثا: مناقشة الاستدلال بعمل الصحابة

إن الاستدلال بعمل الصحابة يتم لو كانت سيرتهم مصدراً للتشريع الاسلامي في عداد الكتاب والسنة ونزل فيهم ما نزل في رسول الله صلى الله عليه وآله مثل قوله تعالى:

«لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة»^٢.

وقوله:

«ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا»^٣.

وبدون ذلك لاحجة علينا في عمل الصحابة، ثم لسنا ندري بمن نقتدي، وعمل بعضهم واقوالهم يخالف البعض الاخر، ومن ثم اختلفت آراء العلماء في كيفية اقامة الخلافة، أتقام ببيعة رجل لان العباس عم النبي صلى الله عليه وآله قال لعلي عليه السلام: امدديك ابايعك يبايعك الناس ام بقول الخليفة عمر حين قال: بيعة ابي بكر فلتة، ام نقتدي بمعاوية حين شهر السيف في وجه الخليفة الشرعي الامام علي عليه السلام؟ ولا نرى حاجة الى المناقشة أكثر مما بينا، اما ما استدل بعضهم بقول

(١) لقد لخصنا الخبر مما رواه البلاذري في الفتوح والجموي في مادة «حضر موت» من معجم البلدان

وفتوح اعثم ١/٥٧ - ٨٥، وتمام الخبر في عبدالله بن سبا ١/٣٩٣ - ٤١٠.

(٢) سورة الاحزاب، الاية ٢١.

(٣) سورة الحشر، الاية ٧.

الامام علي عليه السلام في نهج البلاغة فسندرسها في ما يأتي:
الاستدلال بما ورد في نهج البلاغة على صحة الاستدلال بالشورى والبيعة
وعمل الاصحاب.

استدل بعضهم على ما ارتأى في الشورى والبيعة والافتداء بعمل الصحابة بما
رواه الشريف الرضي عن الامام علي عليه السلام بباب الكتب من نهج البلاغة وهذا
نصه:

ومن كتاب له الى معاوية:

إِنَّهٗ بَايَعَنِي الْقَوْمُ الَّذِينَ بَايَعُوا أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ، عَلَيَّ مَا بَايَعُوهُمْ عَلَيْهِ فَلَمْ
يَكُنْ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَخْتَارَ، وَلَا لِلْغَائِبِ أَنْ يَرُدَّ، وَإِنَّمَا الشُّورَى لِلْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ.
فَإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَيَّ رَجُلٌ وَسَمَّوْهُ إِمَامًا كَانَ ذَلِكَ [لِلَّهِ] رِضًا؛ فَإِنْ خَرَجَ عَنْ أَمْرِهِمْ خَارِجٌ
بِطَعْنٍ أَوْ بَدْعَةٍ رَدُّوهُ إِلَى مَا خَرَجَ مِنْهُ؛ فَإِنْ أَبِي قَاتَلُوهُ عَلَيَّ اتَّبَاعِهِ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ،
وَوَلَاةُ اللَّهِ مَا تَوَلَّى...^١

فان الامام قد احتج في هذا الكتاب على معاوية بالبيعة والشورى واجماع
المهاجرين والانصار، وبناء على هذا فان الامام يرى صحة اقامة الامامة بما ذكره،
والجواب ان الشريف الرضي كان احيانا يتخير نتفا من كتب الامام وخطبه مما يجده
في أعلى درجات البلاغة ويترك سائره وكذلك فعل مع هذا الكتاب وقد أورد الكتاب
بتمامه نصر بن مزاحم في كتاب صفيين وهذا نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم.

أما بعد فإن بيعتي بالمدينة لزمته وأنت بالشام؛ لأنه بايعني القوم الذين بايعوا
أبا بكر وعمر وعثمان على ما بويعوا عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار، ولا للغائب أن
يرد. وإنما الشورى للمهاجرين والانصار، فإذا اجتمعوا على رجل فسَمَّوْهُ إِمَامًا كَانَ ذَلِكَ
لِلَّهِ رِضًا، فَإِنْ خَرَجَ مِنْ أَمْرِهِمْ خَارِجٌ بِطَعْنٍ أَوْ رَغْبَةٍ رَدُّوهُ إِلَى مَا خَرَجَ مِنْهُ، فَإِنْ أَبِي
قَاتَلُوهُ عَلَيَّ اتَّبَاعِهِ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ، وَوَلَاةُ اللَّهِ مَا تَوَلَّى وَيُصْلِيهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا.
وإنَّ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ بَايَعَانِي ثُمَّ نَقَضَا بَيْعَتِي، وَكَانَ نَقْضُهُمَا كَرْدَهُمَا، فَجَاهَدْتُهُمَا عَلَى ذَلِكَ
حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ. فَادْخُلْ فِيمَا دَخَلَ فِيهِ الْمُسْلِمُونَ؛ فَإِنَّ أَحَبَّ

(١) نهج البلاغة، الكتاب السادس من باب المختار من كتب مولانا أمير المؤمنين.

الأمر إليّ فيك العافية، إلا أن تتعرض للبلاء. فإن تعرضت له قاتلتك واستعنت الله عليك. وقد أكثرت في قتلة عثمان فادخل فيما دخل فيه المسلمون، ثم حاكم القوم إليّ أحملك وإياهم على كتاب الله. فأما تلك التي تريدها فخدعة الصبي عن اللبن. ولعمري لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدني أبراً قريش من دم عثمان. واعلم أنك من الطلقاء الذين لا تحلّ لهم الخلافة، ولا تعرض فيهم الشورى. وقد أرسلت إليك وإلى من قبلك جرير بن عبد الله، وهو من أهل الإيمان والهجرة: فبايع ولا قوة إلا بالله»^٢.

اتضح لنا من هذا الكتاب أن الامام علي يحتج على معاوية بما التزم به هو ونظراؤه ويقول له: ان بيعتي بالمدينة لزمك يا معاوية وأنت بالشام، كما التزمت ببيعة عثمان بالمدينة وأنت بالشام، وكذلك لزمتم بيعتي نظراءك خارج المدينة كما لزمتم بيعة عمر في المدينة وهم في أماكن أخرى.

هكذا يلزمه الامام علي بكل ما التزم به هو ونظراؤه من مدرسة الخلافة يومذاك، وهذا وارد لدى العقلاء، فانهم يحتجون على الخصم بما التزم به هو، هذا أولاً. وثانياً قوله: «فاذا اجتمعوا على رجل فسموه اماماً، كان ذلك لله رضاً» فانه قد ورد في بعض النسخ «كان ذلك رضاً»^٣، أي كان لهم رضاً، على أن يكون ذلك باختيار منهم ولم تؤخذ البيعة بالجبر وحاد السيف. وعلى فرض أنه كان قد قال «كان لله رضاً» نقول: نعم، ما أجمع عليه المهاجرون والأنصار بما فيهم الامام علي والامام الحسن والامام الحسين كان ذلك لله رضاً.

وأخيراً لست أدري كيف استشهدوا بهذا القول من نهج البلاغة ونسوا أو تناسوا سائر أقوال الامام التي نقلها الشريف الرضي أيضاً في نهج البلاغة مثل قوله في باب الحكم:

لما أنتهت إلى أمير المؤمنين عليه السلام انباء السقيفة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال عليه السلام: ما قالت الأنصار؟ قالوا: قالت: منا أمير ومنكم

(١) الطلقاء: جمع طليق، وهو الأسير الذي أطلق عنه إسهاره وخلى سبيله. ويراد بهم الذين خلى عنهم رسول الله يوم فتح مكة وأطلقهم ولم يسترقهم.

(٢) صفين لنصر بن مزاحم ط. القاهرة سنة ١٨٣٢ هـ، ص ٢٩.

(٣) راجع نهج البلاغة ط. الاستقامة بالقاهرة تجد لفظ الجلالة «الله» بين علامتين إشارة إلى أنه لم يرد

لفظ الجلالة بين النسخ.

أمير، قال عليه السلام:

فَهَلَّا آخَتَجَجْتُمْ عَلَيْنِهِمْ بِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَّى بِأَنْ
يُحْسَنَ إِلَى مُخْسِنِهِمْ، وَيُتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئَتِهِمْ؟!
قالوا: وما في هذا من الحجة عليهم؟
فقال عليه السلام:

لَوْ كَانَتْ الْإِمَارَةُ فِيهِمْ لَمْ تَكُنِ الْوَصِيَّةُ بِهِمْ!!
ثم قال عليه السلام:

فَمَاذَا قَالَتْ قُرَيْشٌ؟ قالوا: اِخْتَجَّتْ بِأَنَّهَا شَجَرَةُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
فقال عليه السلام: اِخْتَجُّوا بِالشَّجَرَةِ، وَأَضَاعُوا الثَّمَرَةَ!
وقوله - أيضاً - في باب الحكم:

وقال عليه السلام: واعجباؤه أتكون الخلافة في الصحابة والقراية.
قال الرضي: وله شعر بهذا المعنى:

فَإِنْ كُنْتُ بِالشُّورَى مَلَكْتُ أُمُورَهُمْ فكيف بهذا والمشرون غيب
وإن كنت بالقرنى حججت خصيمهم فغيرك أولى بالنبي وأقرب
وأجمع أقواله في هذا الباب ما وردت في الخطبة الشقشقية «خ: ١٩٠» التي
قال فيها عليه السلام:

«أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ
مِنَ الرَّحَى يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ وَلَا يَرْقَى إِلَيَّ الظَّيْرُ، فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْبًا، وَطَوَيْتُ عَنْهَا
كَشْحًا. وَطَفِقتُ أَرْتِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدِ جَذَاءٍ^٢ أَوْ أَضْبِرَ عَلَى طَخِيَّةٍ عَمِيَاءَ^٣ يَهْرَمُ
فِيهَا الْكَبِيرُ، وَيَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ، وَيَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ^٤، فَرَأَيْتُ أَنَّ

(١) يريد من الثمرة آل بيت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

(٢) وطفقت النخ: بيان لعله الاغضاء. والجذاء: بمعنى المقطوعة. ويقولون: رحم جذاء، أي: لم توصل،
وسن جذاء أي متهتمة. والمراد هنا ليس ما يؤيدها. كأنه قال: تفكرت في الأمر فوجدت الصبر أولى فسدت
دونها ثوباً وطويت عنها كشحاً.

(٣) طخية أي: ظلمة، ونسبة العمى إليها مجاز عقلي، وإنما يعنى القائمون فيها إذ لا يهتدون إلى الحق،
وهو تأكيد لظلام الحال واسودادها.

(٤) يكدح: يسعى سعي المجهود.

الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحَجَى ١ فَصَبْرْتُ وَفِي الْعَيْنِ قَدَى، وَفِي الْحَلْقِ شَجَا ٢ أَرَى تُرَاثِي
نَهْبًا، حَتَّى مَضَى الْأَوَّلُ لِسَبِيلِهِ، فَأَذَلِّي بِهَا إِلَى فُلَانٍ بَعْدَهُ ٣ «ثُمَّ تَمَثَّلَ بِقَوْلِ
الْأَعَشَى».

شَتَانَ مَا يَوْمِي عَلَى كُورِهَا وَيَوْمُ حَيَّانٍ أَخِي جَابِرٍ ٤
فِيَا عَجَبًا!! بَيْنَا هُوَ يَسْتَقِيلُهَا فِي حَيَاتِهِ ٥ إِذْ عَقَدَهَا لِأَخْرَبَعَدَ وَفَاتِهِ، لَشَدَّ مَا
تَشَطَّرَا ضَرَعَيْهَا فَصَيَّرَهَا فِي حَوْزَةٍ خَشْنَاءَ يَغْلُظُ كَلَامُهَا ٦، وَيَخْشُنُ مَسَهَا، وَيَكْثُرُ
الْعِثَارُ فِيهَا، وَالْإِعْتِدَارُ مِنْهَا، فَصَاحِبُهَا كَرَائِبِ الصَّعْبَةِ ٧ إِنْ أَسْنَقَ لَهَا خَرَمًا، وَإِنْ

(١) أحجى: ألزم، من حجى به كرضى: أولع به ولزمه. ومنه هو حجى بكذا أي: جدير، وما أحجاه
وأحج به، أي: أحلق به، وأصله من الحجا بمعنى العقل فهي أحجى أي أقرب إلى العقل، وهاتا بمعنى هذه،
أي: رأى الصبر على هذه الحالة التي وصفها أولى بالعقل من الصولة بلا نصير.
(٢) الشجا: ما اعترض في الحلق من عظم ونحوه. والتراث: الميراث.
(٣) أدلى بها: ألقى بها إليه.

(٤) الكور بالضم: الرجل أو هومع أداته، والضمير راجع إلى الناقة المذكورة في الأبيات قبل. وحيان:
كان سيداً في بني حنيفة مطاعاً فيهم، وله نعمة واسعة ورفاهية وافرة، وكان الأعشى ينادمه، والأعشى هذا: هو
الأعشى الكبير أعشى قيس، وهو أبو بصير ميمون بن قيس بن جندل.
وجابر: أخو حيان أصغر منه، ومعنى البيت أن فرقا بعيداً بين يومه في سفره وهو على كور ناقتة وبين
يوم حيان في رفاهيته، فإن الأول كثير العناء شديد الشقاء، والثاني وافر النعيم وافي الراحة. ووجه تمثيل الامام
بالببت ظاهر بأدنى تأمل.

(٥) روي أن أبا بكر قال بعد البيعة: «أقبلوني فلست بخيركم».

(٦) لشد ما تشطرا ضرعيها: جملة شبه قسمية اعترضت بين المتعاطفين والشطر أيضا: أن تحلب شطرا
وتترك شطرا، فتشطرا أي: أخذ كل منها شطرا. وسمى شطري الضرع ضرعين مجازا: وهو ههنا من أبلغ أنواعه
حيث إن من ولى الخلافة لا ينال الأمر إلا تاما، ولا يجوز أن يترك منه لغيره سهما، فأطلق على تناول الأمر واحدا
بعد واحد اسم الشطر والاققسام، كأن أحدهما ترك منه شيئا للآخر، وأطلق على كل شطر اسم الضرع نظرا
لحقيقة مانال كل منها.

(٧) الكلام — بالضم — الأرض الغليظة وفي نسخة كلمها. وإنما هو بمعنى الجرح كأنه يقول: خشونتها
تجرح جرحا غليظا.

(٨) الصعبة من الابل: ما ليست بذلول، وأسثق البعير، وشنقه: كفه بزمامه حتى ألصق ذفراه «العظم
الناقيء خلف الأذن» بقادمة الرجل، أو رفع رأسه وهوراكبه، واللام هنا زائدة للتحلية ولتشا كل أسلس.
وأسلس: أرخى، وتقحم: رمى بنفسه في القحمة، أي: اهلكها.

قال الرضى: «كراكب الصعبة إن أسثق لها خرم وإن أسلس لها تقحم» يريد أنه إذا شدد عليها في
جذب الزمام وهي تنازعه رأسها خرم أنفها، وإن أرخى لها شيئا مع صعوبتها تقحمت به فلم يملكها: يقال:

أَسْلَسَ لَهَا تَقَحَّم، فَمُنِيَ النَّاسُ لَعَمْرُ اللَّهِ - بِخَبْطٍ وَشِمَاسٍ^١ وَتَلَوْنَ وَاعْتَرَاضٍ؛ فَصَبَرْتُ عَلَى طُولِ الْمُدَّةِ، وَشِدَّةِ الْمِحْنَةِ؛ حَتَّى إِذَا مَضَى لِسَبِيلِهِ جَعَلَهَا فِي جَمَاعَةٍ زَعَمَ أَنِّي أَحَدُهُمْ، فَيَا لَللُّشُورَى^٢ مَتَى اعْتَرَضَ الرَّئِبُ فِيَّ مَعَ الْأَوَّلِ مِنْهُمْ حَتَّى

أشنع الناقة، إذا جذب رأسها بالزمام فرفعه؛ وشنقها أيضا، ذكر ذلك ابن السكيت في إصلاح المنطق: وإنما قال: «أشنع لها» ولم يقل «أشنعها» لأنه جعله في مقابلة قوله «أسلس لها» فكأنه عليه السلام قال: إن رفع لها رأسها بمعنى أمسكه عليها».

الصعبة: أما إن يشنعها فيخرم انفها، وإما أن يسلس لها فترمي به في مهواة تكون فيها هلكته.

(١) مني الناس: ابتلوا وأصيبوا، والشماس - بالكسر - إباء ظهر الفرس عن الركوب، والنفا والخبط: السير على غير جادة. والتلون: التبديل والاعتراض: السير على غير خط مستقيم، كأنه يسير عرضاً في حال سيره طولاً يقال: بعير عرضي، يعترض في سيره لأنه لم يتم رياضته، وفي فلان عرضية، أي: عجرفة وصعوبة.

(٢) لقد اوردنا تفصيل القصة من أوثق المصادر في ما سبق، وقال الشيخ محمد عبده في شرحه لهذه

الكلمة:

كان سعد من بني عم عبد الرحمن كلاهما من بني زهرة، وكان في نفسه شيء من علي كرم الله وجهه من قبل أحواله لأن أمه حمنة بنت سفيان بن أمية بن عبد شمس، ولعلي في قتل صنادهم ما هو معروف مشهور. وعبد الرحمن كان صهرا لعثمان؛ لأن زوجته أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط كانت أختا لعثمان من أمه، وكان طلحة ميالا لعثمان لصلات بينهما، على ما ذكره بعض رواة الأثر. وقد يكنى في ميله إلى عثمان انحرافه عن علي لأنه تيمي وقد كان بين بني هاشم وبني تيم مواجد لمكان الخلافة في أبي بكر وبعد موت عمر بن الخطاب رضي الله عنه اجتمعوا وتشاوروا فاختلفوا، وانضم طلحة في الرأي إلى عثمان، والزبير إلى علي، وسعد إلى عبد الرحمن. وكان عمر قد أوصى بأن لا تطول مدة الشورى فوق ثلاثة أيام، وأن لا يأتي الرابع إلا ولهم أمير وقال: إذا كان خلاف فكونوا مع الفريق الذي فيه عبد الرحمن. فأقبل عبد الرحمن على علي وقال: عليك عهد الله وميثاقه لتعملن بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخليفين من بعده. فقال علي: أرجو أن أفعل وأعمل على مبلغ علمي وطاقتي؛ ثم دعا عثمان وقال له مثل ذلك، فأجابه بنعم. فرفع عبد الرحمن رأسه إلى سقف المسجد حيث كانت المشورة وقال: اللهم اسمع واشهد. اللهم إني جعلت ما في رقبتي من ذلك في رقة عثمان، وصدقت بيده في يد عثمان. وقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين وبايعه. قالوا: وخرج الامام علي واجدا، فقال المقداد بن الأسود لعبد الرحمن والله لقد تركت عليا وإنه من الذين يقضون بالحق وبه يعدلون. فقال: يا مقداد لقد تقصيت الجهد للمسلمين. فقال المقداد: والله إني لأعجب من قريش، إنهم تركوا رجلا ما أقول ولا أعلم أن رجلا أقضى بالحق ولا أعلم به منه. فقال عبد الرحمن: يا مقداد، إني أخشى عليك الفتنة فاتق الله. ثم لما حدث في عهد عثمان ما حدث من قيام الأحداث من أقاربه على ولاية الأمصار ووجد عليه كبار الصحابة روي أنه قيل لعبد الرحمن: هذا عمل يديك، فقال: ما كنت أظن هذا به! ولكن الله على أن لا أكلمه أبداً، ثم مات عبد الرحمن وهو مهاجر لعثمان، حتى قيل: إن عثمان دخل عليه في مرضه يعوده فتحول إلى الحائط لا يكلمه! والله أعلم، والحكم لله يفعل ما يشاء.

صِرْتُ أَقْرَنُ إِلَى هَذِهِ النَّظَائِرِ!! لِكِنِّي أَسْفَفْتُ إِذْ أَسْفَوْتُ^٢ وَطِرْتُ إِذْ طَارُوا؛ فَصَنَى
رَجُلٌ مِنْهُمْ لِضِغْنِهِ^٣ وَمَالَ الْآخِرُ لِصِهْرِهِ^٤ مَعَ هُنِ وَهْنٍ^٥ إِلَى أَنْ قَامَ ثَالِثُ الْقَوْمِ نَافِجاً
حِضْنِيهِ^٦ بَيْنَ نَثِيلِهِ وَمُعْتَلْفِهِ، وَقَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ يَخْضِمُونَ مَالَ اللَّهِ خَضْمَةَ الْإِبِلِ نَبْتَةَ
الرَّبِيعِ^٧ إِلَى أَنْ انْتَكَتْ فَتْلَهُ، وَأَجْهَزَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ^٨ وَكَبَتْ بِهِ بَطْنَتُهُ^٩ فَمَا رَاعَنِي إِلَّا
وَالنَّاسُ كَعُرْفِ الضَّبُعِ إِلَيَّ^{١٠} يَنْثَالُونَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ؛ حَتَّى لَقَدْ وُطِئَ الْحَسَنَانِ،
وَشُقَّ عِظْفَايَ، مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرَبِيضَةِ الْغَنَمِ^{١١} فَلَمَّا نَهَضْتُ بِالْأَمْرِ نَكَتْ طَائِفَةٌ،
وَمَرَقَتْ أُخْرَى، وَقَسَطَ آخَرُونَ^{١٢} كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا كَلَامَ اللَّهِ حَيْثُ يَقُولُ: «تِلْكَ الدَّارُ
الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ» بَلَى!
وَاللَّهِ لَقَدْ سَمِعُوهَا وَوَعَوْهَا، وَلَكِنَّهُمْ حَلَيْتِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِهِمْ^{١٣} وَرَاقَهُمْ زِبْرُجَهَا، أَمَا

(١) المشابه بعضهم بعضادونه.

(٢) أسف الطائر: دنا من الأرض، يريد أنه لم يخالفهم في شيء.

(٣) صغى صغياً وصفاً صغواً: مال، والضغن: الضغينة يشير إلى سعد.

(٤) يشير إلى عبد الرحمن.

(٥) يشير إلى أغراض أخرى يكره ذكرها، وقد أشرنا إلى بعضها في باب مناقشة الشورى.

(٦) يشير إلى عثمان وكان ثالثاً بعد انضمام كل من طلحة والزبير وسعد إلى صاحبه كما تراه في خبر

القضية. ونافجا حضيته: رافعا لها، والحضن: ما بين الأبط والكشح. يقال للمتكبر: جاء نافجا حضيته. ويقال مثله لمن امتلأ بطنه طعاماً والنثيل: الروث. والمعتلف: من مادة علف موضع العلف وهو معروف، أي: لاهم له إلا ما ذكر.

(٧) الخضم، على ما في القاموس: الأكل مطلقاً، أو بأقصى الأضراس، أو مل. الفم بالمأكول، أو خاص بالشيء الرطب. والقضم: الأكل بأطراف الأسنان أخف من الخضم. والنبته — بكسر النون — كالنبات في معناه.

(٨) انتكث فتله: انتقض. وأجهز عليه عمله: تمم قتله، تقول: أجهزت على الجريح، وذفت عليه.

(٩) البطنة — بالكسر — البطر والأشر والكظة «أي: التخمة والاسراف في الشبع»، وكبت به: من كبا الجواد إذا سقط لوجهه.

(١٠) عرف الضبع: ما كثر على عنقها من الشعر، وهو ثخين، يضرب به المثل في الكثرة والازدحام. وينثالون: يتتابعون مزدحمين، والحسنان: ولداه الحسن والحسين وشق عطفاه: خدش جانباه من الاصطكاك. وفي رواية «شق عطاقي» والعطاف الرداء. وكان هذا الازدحام لأجل البيعة على الخلافة.

(١١) ربيضة الغنم: الطائفة الرابضة من الغنم، يصف ازدحامهم حوله وجثومهم بين يديه.

(١٢) الناكثة: أصحاب الجمل، والمارقة: أصحاب النهوان. والقاسطون — أي الجائرون — أصحاب

صفين.

(١٣) حليت الدنيا: من حليت المرأة إذا تزينت بحليها. والزبرج: للزينة من وشي أو جوهر.

وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ^١ لَوْلَا حُضُورُ الْحَاضِرِ^٢ وَقِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ،
وَمَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ أَنْ لَا يُقَارُوا عَلَى كِظَّةِ ظَالِمٍ، وَلَا سَغْبِ مَظْلُومٍ^٣، لَا لَقَيْتُ
حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا^٤، وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوْلِيهَا، وَلَا لَفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَرْهَدَ
عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنزٍ^٥.

قالوا: وقام إليه رجل من أهل السواد^٦ عند بلوغه إلى هذا الموضع من خطبته
فناوله كتابا، فأقبل ينظر فيه، قال له ابن عباس رضي الله عنهما: يا أمير المؤمنين، لو
اطردت خطبتك من حيث أفضيت.

فَقَالَ: هَيْهَاتَ يَا بَنَ عَبَّاسَ، تِلْكَ شِقْشِقَةٌ^٧ هَدَرْتُ ثُمَّ قَرَّتْ.

قال ابن عباس: فوالله ما أسفت على كلام قط كأسني على هذا الكلام أن
لا يكون أمير المؤمنين عليه السلام بلغ منه حيث أراد.

نسوا أو تناسوا كل هذه الأقوال من الامام علي وتمسكوا بقول احتج به الامام
علي على معاوية لا لتزام معاوية ونظرانه به.

رابعاً: مناقشة الاستدلال بان الخلافة تقام بالقهر والغلبة

من سبر التاريخ الاسلامي وجد ان حكم الخلافة الى عهد الخلفاء العثمانيين

(١) النسمة - محرقة - الروح، وبرأها: خلقها.

(٢) من حضر لبيعته، ولزوم البيعة لذمة الامام بحضوره.

(٣) والناصر: الجيش الذي يستعين به على إلزام الخارجين بالدخول في البيعة الصحيحة، والكظة: ما
يعتري الآكل من امتلاء البطن بالطعام، والمراد استثثار الظالم بالحقوق. والسغب: شدة الجوع، والمراد منه
هضم حقوقه.

(٤) الغارب: الكاهل، والكلام تمثيل للترك وإرسال الأمر.

(٥) عفطة العنز: ما تنثره من أنفها، تقول: عفطت تعفط من باب ضرب، غير أن أكثر ما يستعمل ذلك
في النعجة. والأشهر في العنز النفطة بالنون، يقال: ماله عافط ولا نافط، أي: نعجة ولا عنز. كما يقال: ماله
ثاغية ولا راغية. والعفطة الحبة أيضا، لكن الأليق بكلام أمير المؤمنين هو ما تقدم.

(٦) السواد: العراق، وسمي سواداً لخضرته بالزرع والأشجار، والعرب تسمى الأخضر أسود. قال الله
تعالى «مدهامتان» يريد الخضرة، كما هو ظاهر.

(٧) الشقشقة - بكسر فسكون فكسر - شيء كالرثة يخرج البعير من فيه إذا هاج، وصوت البعير بها
عند إخراجها هدير، ونسبة الهدير إليها نسبة إلى الآلة، قال في القاموس: والخطبة الشقشقية العلوية، وهي
هذه.

الأثراك كان يقوم على اساس القسر، وشدّ قيامه خلاف ذلك مثل حكم الامام علي عليه السلام وهذا هو الصحيح في الأمر ولا مناقشة لنا في ذلك.

أما ما قالوا: «من غلب عليهم بالسيف حتى صار خليفة وسمي أمير المؤمنين فلا يحل لاحد يؤمن بالله واليوم الآخر ان يبيت ولا يراه اماماً برأ كان أو فاجراً.»
لست أدري عم يتكلم هؤلاء الاعلام: عن شريعة الله في اقامة الحكم في المجتمع الاسلامي، أم عن شريعة الغاب لمجتمع الاسود والفهود، ولكي لا يؤخذنا البعض على ايراد أقوال السابقين باعتقاد أن أهل هذا العصر لا يوافقونهم في آرائهم ومعتقداتهم ويقول الآخرون: «فلنكن اليوم في حاضر الاسلام»^١.

نثبت هنا صورة غلاف كتاب طبع لمدارس بلد فيه الكعبة البيت الحرام ومسجد الرسول وحرمه، والكتاب يثني على يزيد ويروي الحديث في مدحه، يزيد الذي رمى الكعبة بالمنجيق وأباح مسجد الرسول وحرمه لجيشه ثلاثة أيام يقتلون الناس ويقعون على النساء، كما سيأتي تفصيله في باب «جيش الخلافة يستبيح حرم الرسول» وباب «مسير جيش الخلافة الى مكة» ينشر في الحرمين الشريفين للدفاع عن يزيد والثناء عليه هذا الكتاب:

(١) مجلة الازهر، مجلد ٣٢، باب الكتب من جلد ١٠، سنة ١٣٨٠ ص ١١٥٠ - ١١٥١ في نقده

لكتاب عبد الله بن سبأ.

المملكة العربية السعودية

وزارة المعارف
المكتبات المدرسية

حَقَائِقُ عَنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ

يَزِيدِ بْنِ مَعَاوِيَةَ



اطاعة الامام الجائر المخالف لسنة الرسول (ص)

رأينا في بحث وجوب طاعة الامام بمدرسة الخلفاء كيف رووا عن رسول الله (ص) النهي عن الخروج على السلطان الجائر المخالف لسنة الرسول (ص) ووجوب طاعته ؛ أما مدرسة اهل البيت (ع) فقد رووا عن رسول الله (ص) روايات تناقض تلك الروايات مثل رواية الامام الحسين (ع) سبط رسول الله (ع) عن جده قال : «من رأى سلطانا جائرا مستحلا لحرم الله ناكثا عهده مخالفا لسنة رسول الله (ص) يعمل في عباد الله بالاثم والعدوان فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقا على الله ان يدخله مدخله »

و بمقارنة نظير هذه الروايات برواية مدرسة الخلفاء ادركنا ان تلكم الروايات بمدرسة الخلفاء انما رويت عن رسول الله (ص) احتسابا للخير وتأيدا للسلطات الحاكمة على المسلمين و كان ذلك في اوائل العصر الاموي ثم دونوها في عصر تدوين الحديث أوائل القرن الثاني الهجري بكتب الحديث صحاحها ومسانيدها^٢ وتسالموا جميعا على صحتها والعمل بها. شرحها وعلق عليها وأكدها علماء بلاط السلطات الحاكمة من محدثين وقضاة وخطباء وأئمة الجمعة والجماعة واشباههم مدى العصور في شتى البلاد منذ عصر الخلافة الاموية بالشام والاندلس ثم العباسية في بغداد والعثمانيين في تركيا و حكام المماليك في مصر و السلاجقة والغزنويين في ايران والاكراد في الشام و اغدقت تلك السلطات عليهم الجاه والمال والحضوة في بلاطها وتابعهم على ذلك الملاء من اتباعهم .

وهكذا انقسم المسلمون الى مدرستين ؛ مدرسة الخلفاء التي اغدق حكامها : المال والجاه والمناصب والحضوة على مروجي افكار مدرستها، ومدرسة اهل البيت (ع) التي قاومت تلك الافكار والروايات المروية تأيدا للسلطات واجتهاداتها فبذلت لها السلطات الحاكمة القتل والسجن والتشريد و حملات الابداء و حرق الكتب والمكتبات مدى العصور^٣ لابعاد افكارها المحافظة على سنة الرسول (ص) من المجتمع واخفائها عن انظار المسلمين^٤ وبعد كل ما ذكرنا ماذا يصل الينا من الحقائق في هذا العصر ! ؟

(١) في خطبة الامام الحسين (ع) لجيش حر بن يزيد الرياحي ، بتاريخ الطبري وابن الاثير ومقتل الخوارزمي .

(٢) تأتي الاشارة اليه في اوائل الجزء الثاني انشاء الله تعالى .

(٣) يأتي شرحها في بحث حملة المغول على البلاد الاسلامية من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى .

(٤) ندرس تفصيل كل ما ذكرناه في البحوث الالية ان شاء الله تعالى .

خلاصة البحث

كان المنطق السائد يوم السقيفة في الافعال والاقوال هو المنطق القبلي سواءاً أكان لدى المهاجرين أم الانصار، وكانت بيعة ابي بكر يومذاك فلتة حسب تقييم الخليفة عمر لها.

ولم يستند الخليفة عمر الى اي دليل من الكتاب والسنة في ما طرحه من اقامة الخلافة بالشورى وانما اعتمد اجتهاده الخاص.

اجتهد فجعل تعيين ولي الامر من بعده بين ستة اشخاص لا أكثر من ذلك. واجتهد فجعلهم من المهاجرين دون الانصار.

واجتهد فجعل الترشيح بيد عبد الرحمن بن عوف دون الاخرين وقال: اذا اتفق

اثنان على واحد واثنان على واحد، كونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن.

واجتهد وقال: اذا صفق عبد الرحمن باحدى يديه على الاخرى فاتبعوه، فمن

اتخذ من اجتهاد الخليفة عمر في عداد كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله مصدراً للتشريع الاسلامي، قال: بان الامامة تقام بالشورى بين ستة، يبايع خمسة منهم الواحد منهم، واما ما استشهد به اتباع مدرسة الخلفاء بآية وأمرهم شورى بينهم فان الآية لا تدل على أكثر من رجحان الشورى في الامر، لان الله سبحانه كلما اراد الفرض في امر قال: كتب الله عليكم كذا، او فرض كذا، او جعل او وصى، او غيرها من الالفاظ الدالة على الوجوب، وأما آية: «وشاورهم في الامر» في الخطاب للرسول صلى الله عليه وآله فان القصد المشاورة في الغزوات، ومن أجل تربية نفوس المسلمين او ايجاد الشك والخلاف بين المشركين، وكلها كانت من اجل تعيين اجراء الحكم الشرعي، وليس من اجل معرفة الحكم الشرعي، ثم انهم لم يعينوا كيف تكون الشورى من اجل تعيين الامام، وقد رأينا كيف تمت الشورى لاقامة خلافة عثمان، هذا من الشورى.

وأما البيعة فانها لا تنعقد بالاجبار ووحدهم سيف، ولا تنعقد للقيام بمعصية، ولا

لمن يعصي الله.

وأما سيرة الاصحاب، فان اتخذت في عداد الكتاب والسنة مصدراً للتشريع

الاسلامي، صح الاستدلال بها، والا فلا.

وما استشهد به في هذا المقام، من كلام الامام علي عليه السلام، فانه كان

لمحاجة الخصم بما التزم به، وهذا متعارف لدى العقلاء، ثم ان اجماع الصحابة بما فيهم
الامام علي والامام الحسن والامام الحسين يدل على رضا الله كما عبر عنه الامام، اما
قولهم من غلب بالسيف فهو امير المؤمنين تجب طاعته برًا كان او فاجرا فهو الواقع الذي
دأبوا عليه، كما يظهر ذلك لمن يدرس تاريخ الخلفاء في الاسلام.
كانت هذه آراء مدرسة الخلفاء وأدلتهم عليها أما مدرسة اهل البيت فسندرس
آراءهم وأدلتهم في البحث الاتي بحوله تعالى.

معالم المدرستين - القسم الاول

البحث الثاني

الفصل الثالث

بحوث مدرسة اهل البيت (ع) في الامامة

في البحث السابق ذكرنا آراء مدرسة الخلفاء في الامامة وادلتهم عليها، اما اتباع مدرسة اهل البيت فانهم يشترطون في الامام بعد النبي ان يكون معصوما من الذنوب، منصوبا من قبل الله عزوجل، منصوفا عليه من قبل نبيه صلى الله عليه وآله، لقوله تعالى لخليله ابراهيم (ع):

«اني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين»^١.
اذا فالامامة عهد من الله يخبر نبيه عن عهد الله اليه كما يخبر عن سائر اوامر الله وأحكامه، وانه لا ينال عهد الامامة من الله من كان ظالما، وان كل من لم يتصف بالظلم الى نفسه ولا الى غيره فهو معصوم، وعلى هذا فالامامة عهد وتعيين من الله، والرسول مبلغ اياها ويلزمها العصمة، وقد تحقق هذان الشرطان في ائمة اهل البيت (ع) كما يلي بيانها.

عصمة أهل البيت عليهم السلام

أخبر الله سبحانه وتعالى بأن أهل البيت وهم محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم معصومون من الذنوب في قوله تعالى:
«إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً»^١.
روى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب^٢ قال:

«لَمَّا نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِلَى الرَّحْمَةِ هَابِطَةً، قَالَ:
«ادعوا لي، ادعوا لي» فقالت صفية: من يا رسول الله؟ قال: «أهل بيتي علياً وفاطمة

(١) الاحزاب - ٣٣.

(٢) بمستدرك الصحيحين ج ٣/١٤٧.

وعبد الله بن جعفر ذي الجناحين: ابن عم النبي أبي طالب وامه أسماء بنت عميس الخثعمية، ولد بأرض الحبشة في هجرة ابوه اليها وهاجر أبوه به الى المدينة، وكان حليماً كريماً يقال له بحر الجود، توفي بالمدينة سنة ثمانين عام الجحاف - عام جاء فيه سيل عظيم ببطن مكة جحف الحاج وذهب بالابل عليها أحامها، وروى عنه أصحاب الصحاح ٢٥ حديثاً. ترجمته باسد الغابة وجوامع السيرة ص ٢٨٢.

وصفية بنت حى بن اخطب: من سبط هارون بن عمران من بني اسرائيل، وامها برة بنت السموأل من بني قردظة، كانت زوجة كنانة بنت الربيع من يهود بني النضير فقتل عنها يوم خيبر فاصطفاها النبي وقال لها: «ان اخترت الاسلام امسكتك لنفسى وأن اخترت اليهودية فعسى أن اعتقك فتلحقى بقومك»، فقالت يا رسول الله لقد هويت الاسلام وصدقت بك قبل ان تدعونى حيث صرت الى رحلك، ومالى فى اليهودية ارب ومالى فيها والد ولا أخ، وخيرتنى الكفر والاسلام فآله ورسوله احب الى من العتق وأن ارجع الى قومي، فاعتدت ثم تزوجها النبي وتوفيت فى سنة ٥٢ هـ وروى عنها اصحاب الصحاح ١٠ احاديث، ترجمتها بطبقات ابن سعد ج ٨/١٢٠ - ١٢٩ وجوامع السيرة ص ٢٨٥.

والحسن والحسين»^١ فجيء بهم فألقى عليهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم كساءه ثم

(١) فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وأمها أم المؤمنين خديجة سلام الله عليها. في ترجمتها باسد الغابة والاصابة: أن كنيته أم أبيها وأنه انقطع نسل رسول الله الامنها، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله لفاطمة «ان الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك» أخرجه - ايضاً - الحاكم في مستدركه ج ١٥٣/٣ وبميزان الاعتدال ج ٧٧/٢ وتهذيب التهذيب ج ٤٤١/١٢ وفي باب مناقب فاطمة بصحيح البخارى ج ٢٠٠/٤ و٢٠١ و٢٠٥: قال رسول الله: «فاطمة بضعة مني، من أغضبها أغضبني». وفي رواية اخرى فيه بباب ذب الرجل عن ابنته من كتاب النكاح ج ١٧٧/٣، وباب فضائل فاطمة من صحيح مسلم، والترمذى، وبمسند احمد ج ٤١/٤ و٣٢٨ ومستدرك الصحيحين، ج ١٥٣/٣ «يؤذني ما آذاها، أو يؤذيها».

وكان آخر الناس عهداً برسول الله اذا سافر فاطمة، واذا قدم من سفر كان اول الناس عهداً به فاطمة، كما في مستدرك الصحيحين ج ١٥٦/٣ و١٥٥ وج ٤٨٩/١، ومسند أحمد ج ٢٧٥/٥، وسنن البيهقي ج ٢٦/١.

وفي باب فرض الخمس من صحيح البخارى ج ١٢٤/٢، عن عائشة ان فاطمة سألت أبا بكر الصديق بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله ان يقسم لها ميراثها ما ترك رسول الله مما أفاء الله عليه، فقال أبو بكر: ان رسول الله قال «لا نورث ما تركنا صدقة»، فغضبت فاطمة بنت رسول الله فهجرت أبا بكر، فلم تزل مهاجرة حتى توفيت، وعاشت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ستة اشهر.

وفي باب غزوة خيبر منه ج ٣٨/٣، فلما توفيت دفنها زوجها على ليلاً، ولم يؤذن بها أبو بكر، وصلى عليها، وكان لعل وجه حياة فاطمة فلما توفيت استنكر على وجوه الناس فالتمس مصالحة أبي بكر... ورواه مسلم كذلك في صحيحه بكتاب الجهاد ج ١٥٤/٥، ومسند احمد ج ٩/١، وسنن البيهقي ج ٣٠٠/٦.

وبترجمتها في اسد الغابة وأوصت الى أسماء أن تغسلها ولا تدخل عليها احد، فلما توفيت جاءت عائشة فنعتها أسماء.

قال العسكرى: ولم يعرف موضع قبرها حتى اليوم.

وروى عنها أصحاب الصحاح ١٨ حديثاً، جوامع السيرة ص ٢٨٣، والحسان سبط رسول الله وابنا علي وفاطمة.

ولد الحسن في النصف من شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة وولد الحسين لثلاث خلون من شعبان سنة اربع من الهجرة.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله الحسن والحسين سيدي شباب اهل الجنة وأبوهما خير منهما، في سنن ابن ماجه باب فضائل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ومستدرك الصحيحين ج ١٦٧/٣، ومصادر كثيرة غيرهما.

بايع المسلمون الحسن بعد وفاة أبيه سنة أربعين وبقي اكثر من ستة اشهر في الخلافة، ثم اقتضت مصلحة الاسلام العليا ان ي صالح معاوية، ولما أراد معاوية ان يأخذ البيعة لابنه يزيد دس اليه السم فقتله سنة خمسين - احاديث عائشة ج ١ ص ٢٥١ - ٢٦٦.

رفع يديه ثم قال: «اللهم هؤلاء آلي فصلّ على محمد وآل محمد» وأنزل الله عز وجل
«إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا».

وفي رواية أم المؤمنين عائشة أن الكساء كان مرطاً مرحلاً من شعر أسود^١.
وفي رواية الصحابي واثلة بن الأسقع أن رسول الله أدنى علياً وفاطمة
وأجلسهما بين يديه وأجلس حسناً وحسيناً كل واحد منهما على فخذه... الحديث^٢.
وفي رواية أم المؤمنين أم سلمة قالت: نزلت هذه الآية في بيتي: «إنما يريد الله
ليذهب عنكم الرجس...» وفي البيت سبعة جبريل وميكائيل (ع) وعلي وفاطمة
والحسن والحسين (رض) وأنا على باب البيت، قلت: يا رسول الله أأنت من أهل
البيت؟ قال: «إنك إلى خير، إنك من أزواج النبي»^٣.

وفي سنة ستين ابى الحسين ان يبائع يزيد وقال «وعلى الاسلام السلام اذا بليت الامة براع مثل يزيد»
فقتله جيش يزيد بكر بلاء عاشوراء سنة احدى وستين (اللهوف لابن طاووس).

روى اصحاب الصحاح عن الحسن ١٣ حديثاً، عدا البخارى ومسلم وعن الحسين ٨ أحاديث، جوامع
السيرة ص ٢٨٤ و٢٨٦، وتقريب التهذيب ج ١/١٦٨.

(١) المرط: كساء من صوف او خز والمرحل من الثياب: ما اشبهت نقوشه رحال الابل.
وعائشة بنت ابى بكر وامها ام رومان، ولدت فى السنة الرابعة بعد البعثة، بنى بها الرسول بعد ثمانية
عشر شهراً من هجرته الى المدينة، وتوفيت سنة ٥٧ أو ٥٨ أو ٥٩ وصلى عليها ابوهريرة وروى عنها اصحاب
الصحاح ٢٢١٠ احاديث، راجع كتابنا احاديث عائشة.

وروايتها فى شأن نزول آية التطهير فى صحيح مسلم ج ٧/١٣٠، باب فضائل اهل بيت النبي، ومستدرك
الصحيحين ج ٣/١٤٧، وبتفسير الاية فى تفسير ابن جرير والدر المنثور للسيوطى وآية المباهلة فى تفسير الزمخشري
والرازى وسنن البيهقي ج ٢/١٤٩.

(٢) واثلة به الاسقع الليثى: أسلم والنبي يتجهز الى تبوك، وقيل انه خدم النبي ثلاث سنوات ومات
سنة خمس وثمانين او ثلاث وثمانين بدمشق او بسبيت المقدس، وروى عنه اصحاب الصحاح ٥٦ حديثاً،
ترجمته باسد الغابة وجوامع السيرة ص ٢٧٩ وروايتها فى شأن آية التطهير بسنن البيهقي ٢/١٥٢، ورواية اخرى
منه بمسند احمد ج ٤/١٠٧، ومستدرك الصحيحين ج ٢/٤١٦ وج ٣/١٤٧، ومجمع الزوائد ج ٩/١٦٧. وابن
جرير والسيوطى فى تفسير الاية من تفسيريهما واسد الغابة ج ٢/٢٠.

(٣) رواية ام سلمة فى تفسير الاية بتفسير السيوطى ج ٥/١٩٨ و١٩٩.
ورواية اخرى فى صحيح الترمذى ج ١٣/٢٤٨، ومسند أحمد ج ٦/٣٠٦، واسد الغابة ج ٤/٢٩،
وج ٢/٢٩٧، وتهذيب التهذيب ج ٢/٢٩٧.

واخرى بمسندك الصحيحين ج ٢/٤١٦ وج ٣/١٤٧، وسنن البيهقي ج ٢/١٥٠، واسد الغابة ٥/٥٢١ و
٥٨٩، وفى تاريخ بغداد ج ٩/١٢٦.

وقد روى غير من ذكرنا شأن نزول آية التطهير كل من:

(أ) عبد الله بن عباس

(ب) عمر بن أبي سلمة ربيب النبي صلى الله عليه وآله

(ج) ابوسعيد الخدري

(د) سعد بن أبي وقاص

(هـ) انس بن مالك وغيرهم^١.

واستشهد بها الحسن السبط على المنبر^٢ وعلي بن الحسين في الشام^٣.

واخرى: بمسند أحمد ج ٢٩٢/٦.

أ - رواية ابن عباس بمسند أحمد ج ٣٣٠/١، وخصائص النسائي ص ١١، والرياض النضرة ج ٢٦٩/٢، ومجمع الزوائد ج ١١٩/٩ و ٢٠٧، وتفسير الآية بالدر المنثور.

ب - عمر بن أبي سلمة بن عبد الأسد أبو حفص المخزومي: ربيب رسول الله، أمه أم سلمة ولد في الحبشة شهد مع علي الجمل، واستعمله على البحرين وعلى فارس، توفي سنة ٨٣ هـ روى عنه أصحاب الصحاح ١٢ حديثاً، ترجمته باسد الغابة وجوامع السيرة ٢٨٤، وحديثه بشأن آية التطهير بالرياض النضرة ج ٢٦٩/٢، ومجمع الزوائد ج ١١٩/٩ و ٢٠٧، وتفسير الآية في الدر المنثور.

ج - رواية أبي سعيد في تفسير الآية بتفسير ابن جرير والسيوطي وتاريخ بغداد ج ٢٧٨/١٠، ومجمع الزوائد ج ١٦٧/٩ و ١٦٩.

د - سعد بن أبي وقاص مالك بن أهب القرشي الزهري وأمه حمنة بنت سفيان بن أمية: أسلم قديماً وشهد مع الرسول مشاهدته، ولى فتح العراق حتى جلولا، ومصر الكوفة وأبى أن يبايع علياً، وأبى على معاوية أن يسب علياً، ودس إليه معاوية السم لما أراد أن يبايع يزيد، فأتى، وروى عنه أصحاب الصحاح ٢٧١ حديثاً، ترجمته باسد الغابة وصحيح مسلم ج ١٢٠/٧، واحاديث عائشة ج ٢٦٥/١، ورواية بشأن آية التطهير في خصائص النسائي ص ٤ - ٥، وصحيح الترمذي ج ١٧١/١٣ - ١٧٢.

هـ - رواية انس بن مالك في صحيح الترمذي ج ٢٤٨/١٣، ومجمع الزوائد ج ٢٠٦/٩.

(١) مثل قتادة في تفسير الآية عند ابن جرير والسيوطي وعطية بترجمته باسد الغابة ج ٤١٣/٣، ومعمل بن يسار راجع صحيح الترمذي ج ٢٤٨/١٣.

(٢) روى استشهاد السبط بمسندك الصحيحين ج ١٧٢/٣، ومجمع الزوائد ج ١٤٦/٩ و ١٧٢.

(٣) علي بن الحسين: أمه بنت يزيد جرد كما في الباب العاشر من ربيع الأبرار للزمخشري راجع ج ٢ ورقة ٤٤، مصورة مكتبة أمير المؤمنين في النجف تسلسل ٢٠٥٩، أدب، وماتت في نفاسها به فكفله بعض أمهات ولد أبيه وزوجها علي بن الحسين بعد أبيه (عيون أخبار الرضا ج ١٢٨/٢) ويبدو أنها كانت تسمى غزالة، توفي علي بن الحسين بالمدينة سنة خمس وتسعين وروى عنه أصحاب الصحاح بعض الأحاديث واستشهاده بآية التطهير ورد في تفسير الآية بتفسير الطبري.

ترجمته بوفيات الأعيان ج ٤٢٩/٢ وتاريخ اليعقوبي ج ٣٠٣/٢.

كان رسول الله بعد نزول هذه الآية عدة اشهر يأتي إلى باب دار علي وفاطمة
يسلم عليهم ويقرأ الآية. قال ابن عباس:

«شهدت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تسعة أشهر يأتي كل يوم باب
علي بن ابي طالب عند وقت كل صلاة فيقول: «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
اهل البيت، إنما يريد الله... الصلاة رحمكم الله» كل يوم خمس مرات^١.

وعن أبي الحمراء، قال: حفظت رسول الله ثمانية أشهر بالمدينة ليس من مرة
يخرج إلى صلاة الغداة إلا أتى باب علي فوضع يده على جنبتي الباب ثم قال «الصلاة
إنما يريد الله...»^٢.

وقال ابو برزة انه صلى مع رسول الله سبعة أشهر، فاذا خرج من بيته أتى باب
فاطمة...^٣.

وعن انس بن مالك ستة اشهر^٤ وروى - ايضاً - غيرهم في ذلك في هذه
الآية، أخبر الله عن المعصومين في عصر رسول الله خاصة، وعينهم الرسول بما فعل من نشر
الكساء عليهم وقراءة الآية في ملأ من أصحابه عدة شهور على باب بيتهم.
ان هذه الآية، وما ورد عن رسول الله (ص) من قول وفعل في تفسيرها تكفي
دليلاً لاثبات عصمة اهل البيت (ع).

ومن الناحية العملية، لم يسجل التاريخ عن ائمة اهل البيت (ع) ما ينافي
عصمتهم، على ان التاريخ الاسلامي دون من قبل علماء مدرسة الخلفاء، وغالبا ما دونوا
في كتب التاريخ الاسلامي ما يجلبون به رضا الخلفاء مدى العصور، وكان الخلفاء
مدى العصور جادين لاطفاء نور ائمة اهل البيت (ع) خشية ميل المسلمين اليهم (ع)
ومبايعتهم بالخلافة، ولهذا السبب قتلوا منهم من قتلوا، وسجنوا منهم من سجنوا،

(١) رواية ابن عباس في تفسير الآية وآية «وأمر اهلك» من الدر المنثور.

(٢) ابوالحمراء: مولى رسول الله، اسمه هلال بن الحارث او ابن ظفر، والحديث بترجمته في الاستيعاب
ج ٥٩٨/٢، واسد الغابة ١٧٤/٥، ومجمع الزوائد ١٦٨/٩.

(٣) ابو برزة الاسلامي اختلفوا في اسمه، توفي في البصرة سنة ستين او اربع وستين، روى عنه اصحاب
الصحاح ٢٠ او ٤٦ حديثا، ترجمته باسد الغابة وجوامع السيرة ص ٢٨٠ و ٢٨٣ وحديثه المذكور في مجمع الزوائد
١٦٩/٩، لفظه سبعة عشر شهرا ونراه من غلط النسخ.

(٤) رواية انس بن مالك بمسند أحمد ج ٢٥٢/٣، والطيالسي ج ٢٧٤/٧، الحديث ٢٥٠٩ واسد الغابة ٥٢١/٥،
وتفسير الآية عند ابن جرير والسيوطي.

وشردوا منهم من شردوا، وخاصة بنو أمية الذين امروا بلعن الامام علي (ع) في خطبة صلاة الجمعة على منابر المسلمين، ولم ينج من عذابهم ومطاردتهم محبو ائمة اهل البيت وشيعتهم ومن اعتقد بامامتهم مع كل ذلك لانجد في التاريخ المدون اية صغيرة او هفوة نسبت الى ائمة اهل البيت (ع)، وكفى بهذا دليلا على ان الله عصمهم من الرجس وطهرهم تطهيرا.

كان هذا أهم أدلة مدرسة اهل البيت على عصمة اهل البيت (ع)، وفي ما يأتي بيان بعض النصوص الواردة عن رسول الله (ص) في امامتهم، وقد قال الله تعالى في حق رسوله:

«وما ينطق عن الهوى إن هو الا وحي يوحى»^١.

اهتمام الرسول صلى الله عليه وآله

بامر تعيين اولي الامر من بعده

قبل ان ندرس النصوص الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وآله في تعيين اولي الامر من بعده، ندرس شيئاً من اهتمام الرسول صلى الله عليه وآله بهذا الامر في ما يأتي:

ان امر الامامة بعد الرسول صلى الله عليه وآله كان من الامور الهامة التي لم تغب عن بال الرسول صلى الله عليه وآله، ومن كان حوله، بل كانوا يفكرون فيه منذ البدء، فقد رأينا بيحرة من بني عامر بن صعصعة يشترط على رسول الله صلى الله عليه وآله لاسلامهم ان يكون لهم امر من بعد الرسول صلى الله عليه وآله، ورأينا هودة الحنفي يطلب من الرسول صلى الله عليه وآله منحه شيئاً من الامر.

وكذلك — ايضاً — كان الرسول صلى الله عليه وآله فانه كان يفكر في الامر من بعده ويدبر له منذ اول يوم دعا الى الاسلام، واول يوم اخذ فيه البيعة لاقامة المجتمع الاسلامي.

اما تدبيره في اول يوم اخذ فيه البيعة لاقامة المجتمع الاسلامي، فقد كان ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما، والنسائي وابن ماجه في سننهما ومالك في الموطأ واحمد في المسند، وغيرهم في غيرها، واللفظ للاول، قال:

قال عبادة بن الصامت: بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة والعسر واليسر والمنشط والمكره. وان لانا ننازع الامر اهله...^١

(١) صحيح البخاري، كتاب الاحكام، باب كيف يبايع الامام الناس، ح - ١؛ صحيح مسلم كتاب

وعبادة هذا كان احد النقباء الاثني عشر على الانصار يوم بيعة العقبة الكبرى^١ حين قال النبي صلى الله عليه وآله للنيف والسبعين من الانصار الذين بايعوه اخرجوا الي اثني عشر نقيبا يكونون على قومهم بما فيهم، فأخرجوا من بينهم اثني عشر نقيبا، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله للنقباء: انتم على قومكم بما فيهم، كفلاء ككفالة الحوارين لعيسى بن مريم عليه السلام...^٢

ان عبادة بن الصامت احد اولئك النقباء الاثني عشر روى من بنود البيعة التي بايعوا الرسول عليها: «ان لا ينازعوا الامر أهله».

* * *

وانما اراد رسول الله صلى الله عليه وآله من «امر» الوارد في هذا الحديث الصحيح، والذي يذكر فيه اخذ البيعة من اثنين وسبعين رجلا وامرأتين من الانصار ان لا ينازعوا أهله، هو الامر الذي تنازعوا عليه في سقيفة بني ساعدة^٣ وأهل الامر هم الذين ذكرهم الله تعالى في قوله «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم»^٤.

وان رسول الله صلى الله عليه وآله وان لم يشخص هنا ولي الامر من بعده، لانه لم يكن من الحكمة ان يعرف ولي الامر من بعده وهو من غير قبيلة الانصار، ولعل نفوس بعض المبايعين لم تكن تتحمل ذلك يومئذ، غير انه اخذ البيعة منهم ان لا ينازعوه حين يعينه لهم بعد ذلك.

وقد عين الرسول صلى الله عليه وآله ولي الامر من بعده وشخص وصيه وخليفته في مجتمع اصغر من هذا المجتمع، وذلك في اول يوم دعا الاقربين اليه للاسلام،

→

الامارة، باب وجوب طاعة الامراء في غير معصية وتحريمها في المعصية، الحديث: ٤١ و ٤٢؛ وسنن النسائي كتاب البيعة، باب البيعة على ان لا ينازع الامر أهله؛ وسنن ابن ماجه، كتاب الجهاد، باب البيعة، الحديث: ٢٨٦٦؛ وموطأ مالك كتاب الجهاد، باب: الترغيب في الجهاد، الحديث: ٥؛ ومسند احمد ٣١٤/٥ و ٣١٦ و ٣١٩ و ٣٢١، وراجع ٤١١/٤ منه.

وترجمة عبادة بسير اعلام النبلاء ٣/٢ وتهذيب ابن عساكر ٧/٢٠٧ - ٢١٩.

(١) ترجمة عبادة في الاستيعاب ج ٢/٤١٢، واسد الغابة ٣/١٠٦ - ١٠٧.

(٢) الطبري، ط. اوروبا ١/١٢٢١.

(٣) راجع نزاع الانصار القبلي مع المهاجرين في: فصل السقيفة وبيعة أبي بكر، بأول الكتاب.

(٤) النساء ٥٩. ويأتي تفسيرها والاحاديث الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وآله حوله في بحوث

الكتاب إن شاء الله تعالى.

كما رواه جمع من اهل الحديث والسير مثل: الطبري وابن عساكر، وابن الاثير، وابن كثير والمتقي، وغيرهم، واللفظ للاول، قال: عن علي بن ابي طالب عليه السلام قال: لما نزلت هذه الاية على رسول الله صلى الله عليه وآله «وأندر عشيرتك الاقربين» دعاني رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لي:

يا علي ان الله امرني أن أندر عشيرتي الاقربين فضقت بذلك ذرعا، وعرفت أنني متى بادءتهم بهذا الامر أرى ما أكره فصمت عليه حتى جاءني جبرئيل فقال يا محمد إن لا تفعل ما تؤمر به يعذبك ربك، فاصنع لنا صاعا من طعام، واجعل عليه رجل شاة، واملا لنا عسامن لبن، ثم اجمع لي بني عبدالمطلب حتى أكلهم وأبلغهم ما أمرت به، ففعلت ما أمرني به، ثم دعوتهم له وهم يومئذ أربعون رجلا يزيدون رجلا أو ينقصونه، فيهم أعمامه أبوطالب، وحمزة، والعباس، وأبو لهب، فلما اجتمعوا اليه دعاني بالطعام الذي صنعت لهم، فجئت به، فلما وضعت تناول رسول الله صلى الله عليه وآله حذية (اي قطعة) من اللحم فشققها باسنانه، ثم القاها في نواحي الصحيفة، ثم قال: خذوا بسم الله، فأكل القوم حتى ما لهم بشئ من حاجة، وما أرى الاموضع أيديهم، وأيم الله الذي نفس علي بيده ان كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدمت لجميعهم، ثم قال: اسق القوم فجئتهم بذاك العس فشربوا منه حتى رووا منه جميعا، وأيم الله ان كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله، فلما اراد رسول الله صلى الله عليه وآله ان يكلمهم بדרه ابوهب الى الكلام فقال: لشدما سحركم صاحبكم، فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: الغديا علي إن هذا الرجل سبقني الى ما قد سمعت من القول، فتفرق القوم قبل أن اكلمهم، فعد لنا من الطعام بمثل ما صنعت ثم اجمعهم الي، قال: ففعلت ثم جمعتهم، ثم دعاني بالطعام فقرّبتهم لهم، ففعل كما فعل بالأمس فاكلوا حتى ما لهم بشئ حاجة، ثم قال: اسقهم فجئتهم بذاك العس فشربوا حتى رووا منه جميعا، ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا بني عبدالمطلب اني والله ما أعلم شابا في العرب جاء قومه بأفضل مما قد جئتمكم به، أنني

(١) تاريخ الطبري ط. اروبا ١/١١٧١ - ١١٧٢، وابن عساكر تحقيق المحمودي ج ١ من ترجمة الإمام، وتاريخ ابن الاثير ٢/٢٢٢، وشرح ابن أبي الحديد ٣/٢٦٣، وفي تاريخ ابن كثير ٣/٣٩، وقد حذف الالفاظ وقال: كذا وكذا، وكذا العمال للمتقي ج ١٥/١٠٠ ص ١١٥ و ١١٦ منه، وفي ص ١٣٠ يكون: أخي وصاحبي ووليتكم بعدي. والسيرة الحلبية نشر المكتبة الاسلامية ببيروت، ١/٢٨٥.

قد جئتكم بخير الدنيا والاخرة، وقد أمرني الله تعالى ان ادعوكم اليه، فأياكم يؤازرني على هذا الامر على ان يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم؟ قال: فأحجم القوم عنها جميعا وقلت - واني لأحدثهم سنا، وأرمصهم عينا، وأعظمهم بطنا، وأحشهم ساقا - أنايا نبي الله أكون وزيرك عليه، فأخذ برقبتي ثم قال: ان هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا، قال: فقام القوم يضحكون ويقولون لابي طالب قد أمرك ان تسمع لابنك وتطيع.

* * *

كانت هذه الدعوة في السنة الثالثة من البيعة وهي اول مرة اظهر فيها الرسول صلى الله عليه وآله الدعوة الى الاسلام، وشخص فيها الامام من بعده وعرفه للاقربين اليه، وانما فعل ذلك هنا ولم يفعله بعده بعشر سنوات ويوم اخذ البيعة من الانصار لاقامة المجتمع الاسلامي لان الامام كان من غير قبائل الانصار وكان بناء المجتمع عندهم على اساس قبلي ولم يكن من الحكمة ان يأخذ البيعة منهم لمن يلي الامر بعده وهو ليس من قبائل الانصار فاكتفى في ذلك المقام باخذ البيعة منهم ان لا ينازعه في الامر. وهنا ايضا شخصه للاقربين اليه في محاوره شبيهة بمشاوره اصحابه في غزوة بدر، فانه مع علمه في غزوة بدر بعاقبة الامر كما اخبرها اصحابه بعد الانتهاء من المشاورة وأراهم مصارع المشركين، مع ذلك استشارهم اول الامر في ما يفعل، وكذلك فعل هنا، فانه مع علمه بالعاقبة وان الذي يقبل مؤازرته هو الامام علي، مع ذلك علق تعيين الوزير والوصي والخليفة من بعده على قبول المؤازرة في التبليغ وليتقدم بالقبول ايهم شاء ولما ابي كلهم ذلك وبادر بالقبول ابن عمه علي اخذ برقبته وقال فيه ما مر وأمرهم بطاعته.

* * *

رأينا في ما مر بنا الى هنا اهتمام الرسول بامر الامامة من بعده، يشخصه في مكان ويأخذ البيعة ان لا ينازعه في مكان آخر ويقابل طمع الطامعين بالرفض في غيرهما.

ومن أجل أن ندرك مدى اهتمام الرسول صلى الله عليه وآله بأمر من يستخلفه من بعده ندرس في ما يأتي ما كان يعمل صلى الله عليه وآله وسلم عندما يغيب عن المدينة أيا ما معدودات في الغزوات وكيف كان يعين خليفة عليهم من بعده.

باب ذكر من استخلف الرسول صلى الله عليه وآله على المدينة في غزواته
في السنة الثانية من الهجرة:

اذن لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالقتال في صفر من السنة الثانية،
فغزا بالمهاجرين يعترض عيرا لقريش فبلغ ودان والابواء^١.

(١) استخلف سعد بن عبادة سيد الخزرج من الانصار خمس عشرة ليلة مدة
غيبته عن المدينة.

(٢) استخلف في غزوة بواط^٢ سعد بن معاذ من سادة الاوس من الانصار في
ربيع الاول.

(٣) استخلف مولاه زيد بن حارثة في غزوته لطلب كرز بن جابر الفهري
— وكان اغار على سرح المدينة — فبلغ صلى الله عليه وآله وسلم سفوان وفاته كرز
والسرح^٣.

(٤) استخلف ابا سلمة المخزومي في غزوة ذي العشيرة، حين ذهب في جمادى
الاولى او الثانية يعترض عيرا لقريش ذاهبة الى الشام فقاتته وكان القتال ببدر في
رجوعها من الشام^٤.

(٥) استخلف ابن ام مكتوم الضير في غزوة بدر الكبرى وغاب عن المدينة
(١) الابواء قرية من اعمال فراض على بعد ٢٣ ميلا من المدينة، فيها قبر آمنه أم النبي صلى الله عليه
وآله.

وودان: قرية على مرحلة من الجحفة بينها وبين الابواء ستة أميال. معجم البلدان.

(٢) بواط: في معجم البلدان بمادة بواط «بواط من جبال جهينة من طريق الشام، وبين بواط والمدينة
ثمانية برد، وبرد: جمع البريد ويبلغ البريد اثني عشر ميلا.»
يبدا وجليا مراعاة رسول الله صلى الله عليه وآله في الغزوتين الاوليين مشاعر الانصار القبلية حين
استخلف في الاولى سيد الخزرج وفي الثانية سيداً من الاوس.

(٣) كانت هذه الغزوة ايضا في ربيع الاول وبعد بواط وسفوان: واد بناحية بدر.

كرز بن جابر بن حسل الفهري قتل يوم الفتح مع رسول الله صلى الله عليه وآله راجع جمهرة انساب
العرب لابن حزم في ذكر نسب بني محارب ابن فهر، وترجمته من الاصابة.

(٤) ذو العشيرة كما في التنبيه، بناحية ينبع يبعد عن المدينة تسعة برد.

وابوسلمة: عبد الله بن عبد الاسد أمه برة عمة الرسول صلى الله عليه وآله وابنة عبد المطلب، هاجر الى

الحبيشة ثم الى المدينة، حضر بدرا وخرج في احد ومات منه في جمادى الاخرة سنة ثلاث من الهجرة راجع ترجمته
في اسد الغابة.

تسعة عشر يوماً^١.

(٦) استخلف ابا لبابة الانصاري الاوسي في غزوة بني قينقاع^٢.

(٧) استخلف ايضا ابالبابة في غزوة السوق، وكان خروجه (صلى الله عليه وآله وسلم) في طلب ابي سفيان حين اقبل في مائتي راكب ليبر بنذره ان لايمس الطيب والنساء حتى يثار لاهل بدر، وانتهوا الى عريض، فبلغهم خروج النبي صلى الله عليه وآله، فجعلوا يلقون جرب السوق تخففا فسميت غزوة السوق^٣.

في السنة الثالثة:

(٨) استخلف ابن ام مكتوم في غزوة قَرَقَرَةَ الكُدر، وسار صلى الله عليه وآله وسلم للنصف من المحرم يريد سليم وغطفان — قبيلتين من قيس عيلان — فانجفلوا، وغنم من اموالهم، ورجع ولم يلق كيدا^٤.

(٩) استخلف ابن ام مكتوم في غزوة بفران وغاب عن المدينة عشرة ايام من جمادى الاخرة، فتفرقوا ولم يلق كيدا^٥.

(١٠) استخلف عثمان بن عفان في غزوة ذي أمر بنجد، سار صلى الله عليه وآله يريد غطفان، فانجفلوا من بين يديه ولم يلق كيدا، وغاب فيها عن المدينة عشرة ايام.

(١١) استخلف ابن ام مكتوم في غزوة أحد، وقاتل المشركين في سفح جبل أحد — على بعد ميل من المدينة — غاب فيها عن المدينة يوماً واحداً.

(١) خرج الرسول صلى الله عليه وآله من المدينة لثلاث خلون من شهر رمضان ووقع القتال يوم الجمعة السابع عشر منه.

(٢) قال اهل السيرة: لما قدم اليهود المدينة نزلوا السافلة منها، فاستوخوها فأتوا العالية فنزل بنوالنضير بطحان ونزلت بنوقريظة مهزورا — وهما واديان يهبطان من حرة هناك — فاتخذ بنوالنضير الحدائق والآطام وأقاموا فيها، وأقاموا بها الى ان غزاهم النبي صلى الله عليه وآله وأخرجهم منها. راجع مادة (بطحان) و (مهزور) من (معجم البلدان).

وابولبابة: بشير أورفاعة بن عبد المنذر، اشتهر بكنيته، احد النقباء في بيعة العقبة، راجع ترجمة بشير ورفاعة وأبي لبابة في اسد الغابة.

(٣) العريض: وادي المدينة، معجم البلدان، مادة «عريض».

(٤) قرقرة الكدر: ناحية معدن بني سليم مما يلي حارة العراق الى مكة وهي على بعد ثمانية ايام من المدينة. معجم البلدان، مادة «قرقرة» سار اليها النبي في النصف من المحرم.

(٥) بفران: معدن بني سليم بناحية الفرع من المجاز. معجم البلدان، مادة «بفران».

١٢) استخلف ابن أم مكتوم في غزوة حمراء الاسد - على بعد عشرة أميال من المدينة - سار في طلب أبي سفيان حين بلغه أنه يريد الكر على المدينة، فقاته أبوسفيان ومن معه فأقام فيها ثلاثة أيام، ثم عاد الى المدينة.
في السنة الرابعة:

١٣) استخلف ابن أم مكتوم في غزوة بني النضير بناحية الغرس حصرهم خمسة عشر يوماً، ثم أجلاهم عنها^١.

١٤) استخلف عبدالله بن رواحة الانصاري في غزوة بدر الثالثة ستة عشر يوماً، وأقام فيها ثمانية أيام لموعد أبي سفيان اياهم في أحد أنه سيقاتلهم العام القادم في بدر، وخرج أبوسفيان من مكة الى عسفان، ثم عاد منها الى مكة^٢.
في السنة الخامسة:

١٥) استخلف في غزوة ذات الرقاع عثمان بن عفان خمس عشرة ليلة وخرج لعشر خلون من المحرم، فأجفلت العرب من بين يديه ولحقوا برؤوس الجبال وبطون الاودية^٣.

١٦) استخلف ابن أم مكتوم في غزوة دومة الجندل حين سار الى اكيذر بن عبد الملك النصراني - وكان يعترض سفر المدينة وتجارتهم - فهرب وتفرق أهلها، فلم يجد بها أحداً، فأقام أيام وعاد الى المدينة وهي أول غزواته الى الروم^٤.

١٧) استخلف مولاة زيد بن حارثة في غزوة بني المصطلق على ماء المُرَيْسِيع: ثمانية عشر يوماً خرج فيها لليلتين خلتا من شعبان^٥.

(١) كانت منازل بني النضير من اليهود بئر غرس بقبا وماوالاها، وقبا قرية على ميلين من المدينة، واصله اسم بئر هناك عرفت القرية به، معجم البلدان: مادة غرس وقبا.

(٢) عبدالله بن رواحة الانصاري الحنظلي: كان نقيب بني الحارث في بيعة العقبة، شهد المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله وكان أحد الامراء الثلاثة الذين استشهدوا في مؤتة. ترجمته في (الاستيعاب) و (أسد الغابة).

(٣) ذات الرقاع: جبل قريب من النخيل مما يلي السعد والشقرة مختلفة ألوانه فيه بقع حمراء وسود وبيض. راجع ترجمة الغزوة من التنبيه والاشراف للمسعودي.

(٤) دومة الجندل كانت حصناً مبنياً بالجندل في متسع من الارض خمسة فراسخ، وهي على سبع مراحل من دمشق، بينها وبين مدينة الرسول صلى الله عليه وآله خمس عشرة ليلة. راجع مادة (دومة) بمعجم البلدان وترجمة الغزوة في (التنبيه والاشراف) للمسعودي.

(٥) ماء المُرَيْسِيع على طريق الفرع والفرع ثمانية برد من المدينة.

(١٨) استخلف في غزوة الخندق ابن أم مكتوم، وهو يقاتل الاحزاب دون الخندق من داخل المدينة في شهر شوال او ذي القعدة.

(١٩) استخلف أبارهم الغفاري في غزوة بني قريضة، وهم على بعض يوم من المدينة، حصرهم خمسة عشر يوماً أو أكثر، بدأهم بسبع بقين من ذي القعدة^١.
في السنة السادسة:

(٢٠) استخلف في غزوة بني لحيان من هذيل، بالقرب من عسفان، ابن أم مكتوم، أربع عشرة ليلة ورجع ولم يلق كيدا^٢.

(٢١) استخلف ابن أم مكتوم، خمس ليال في غزوة ذي قرد^٣، على ليلتين من المدينة^٣.

(٢٢) استخلف ابن أم مكتوم في غزوة الحديبية^٤.

في السنة السابعة:

(٢٣) استخلف سباع بن عرفة في غزوة خيبر، وهي على بعد ثمانية برد من المدينة، وبعد فتح قلاعها عنوة وصلحاً سار الى وادي القرى فحصرهم أياماً حتى افتتحها عنوة ثم صالح أهل تيماء وهي على ثمانية مراحل من الشام، ووادي القرى بينها وبين المدينة^٥.

(٢٤) واستخلف أيضاً سباع بن عرفة في عمرة القضاء^٦.

في السنة الثامنة:

(٢٥) استخلف على المدينة أبارهم الغفاري في غزوة مكة.

(١) أبورهم: كلثوم بن الحصين أسلم بعد قدوم النبي صلى الله عليه وآله المدينة، شهد أحداً فرمي بسهم في نحره فبصق عليه النبي فبرأ. انظر ترجمته في أسد الغابة.

(٢) بنو لحيان، نسبهم في جمهرة أنساب ابن حزم ط. مصر سنة ١٣٨٢، ص ١٩٦ - ١٩٨.
وعسفان بين مكة والمدينة، اختلفوا في تعيين موضعه. معجم البلدان مادة: عسفان.

(٣) ذي قرد: من طريق خيبر، وكان عيينة بن حصن الفزاري أغار على لقاحه وهو بالغابة وهي على بريد من المدينة أو أكثر. فخرج صلى الله عليه وآله يوم الاربعاء لثلاث أو لاربع خلون من شهر ربيع الاول فاستنقذ بعضها وعاد الى المدينة. التنبيه والاشراف، ذكر السنة السادسة.

(٤) خرج الرسول صلى الله عليه وآله يوم الاثنين هلال ذي الحجة للعمرة فصدته المشركون عن دخول مكة فأقام بالحديبية على تسعة أميال من مكة ثم وقع الصلح بين الرسول وقريش على أن يعتمر في السنة القادمة.

(٥) سباع بن عرفة الغفاري استعمله النبي على المدينة لما سار الى خيبر وتيماء. ترجمته بأسد الغابة.

(٦) سار النبي صلى الله عليه وآله لست ليال خلون من ذي القعدة.

(٢٦) سار بعد غزوة مكة الى هوازن لغزو حنين وحنين واد الى جانب ذي المجازي بعد ثلاث ليال عن مكة، وبقي - أيضا - أبورهم كذلك واليا على المدينة في هذه الغزوة.

(٢٧) واستخلف علي بن أبي طالب في غزوة تبوك - على بعد تسعين فرسخا من المدينة -.

وهي آخر غزواته، وكانت غزواته ثمانية وعشرين غزوة ان اعتبرنا خيبر ووادي القرى غزوتين، والا فهي سبع وعشرون غزوة.

* * *

رجعنا في ذكر اسماء من استخلفهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على المدينة في غيابه عنها الى التنبيه والاشراف للمسعودي في ذكره التاريخ من السنة الثانية الى السنة الثامنة من الهجرة وقد يختلف في ذكر اسماء من ولاه رسول صلى الله عليه وآله على المدينة مع غيره احيانا اما ما ذكره في استخلاف الامام علي على المدينة في غزوة تبوك فقد قال ذلك ايضا امام الحنابلة في مسنده فيما رواه عن سعد بن ابي وقاص قال:

ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين خرج في غزوة تبوك استخلف عليها علياً رضي الله عنه على المدينة فقال علي: يا رسول الله ما كنت احب ان تخرج وجهها الا وانا معك فقال او ما ترضى ان تكون متي بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدي^١.

ويؤيد ذلك ايضا ما رواه البخاري في صحيحه في كتاب بدء الخلق باب غزوة تبوك حيث روى عن سعد بن ابي وقاص ايضا انه قال:

ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خرج الى تبوك واستخلف عليا فقال أتخلفني في الصبيان والنساء قال: الا ترضى ان تكون متي بمنزلة هارون من موسى الا انه ليس نبي بعدي^٢.

وما رواه مسلم أيضا في صحيحه عن سعد بن أبي وقاص انه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له وقد خلفه في بعض مغازيه فقال

(١) مسند احمد ج ١/١٧٧.

(٢) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب غزوة تبوك ج ٣/٥٨.

له علي يا رسول الله خلفتني مع الصبيان والنساء؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه
(وآله) وسلم: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة
بعدي!

* * *

هكذا لم يغيب الرسول صلى الله عليه وآله في غزواته عن المدينة أياما معدودات دون ان
يستخلف عليهم من يرجعون اليه مدة غيابه عن المدينة، بل انه لم يغيب يوما عن المدينة او
بعض يوم دون ان يستخلف عليهم من يرجعون اليه، كما كان الشأن في غزوة
احد، وكان جبل احد على بعد ميل من المدينة، فانه صلى الله عليه وآله قد عين خليفته
عليهم مدة غيابه عنهم، بل وفي غزوة الخندق أيضاً حيث كان يقاتل في المدينة واستقر
دون الخندق، عين لاهل المدينة المرجع لانشغاله عنهم في الحرب، اذا كان هذا دأب
الرسول صلى الله عليه وآله في غيابه عن المدينة بعض يوم، وكذلك في حال انشغاله
عنهم بالحرب داخل المدينة، فماذا فعل لامته من بعده وهو يتركهم ابد الدهر؟ هل
تركهم هملاً، ولم يعين لهم المرجع من بعده؟ هذا ما سندرسه في ما يأتي من فصول هذا
الكتاب ان شاء الله تعالى.

(١) صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة، باب فضل علي بن ابي طالب، الحديث ٣٢، وراجع ايضا
مسند ابي داود الطيالسي ج ١/٢٩، وحلية الاولياء لأبي نعيم ج ٧/١٩٥ و ١٩٦، ومسند احمد ج ١/١٧٣،
١٨٢، ١٨٤، ٣٣٠، وج ٤/١٥٣، وتاريخ بغداد للخطيب ج ١١/٤٣٢، وخصائص النبائي ص: ٨، ١٦،
وطبقات ابن سعد ج ٣/١٥١.

النصوص الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وآله في تعيين ولي الامر من بعده

نبدأ هذا الباب بذكر ما فعله الانبياء في تعيين الوصي وولي الامر لأئمتهم من بعدهم

الوصية في الامم السابقة

قد سلسل المسعودي^١ اتصال الحجج وأوصياء الانبياء من لدن آدم حتى خاتم
لنبين صلوات الله عليهم أجمعين وأوصيائه فقد ذكر - مثلاً - :
أن وصي آدم كان هبة الله وهو شيث بالعبرانية .
وأن وصي ابراهيم كان اسماعيل (ع) .
وأن وصي يعقوب كان يوسف (ع) .
وأن وصي موسى كان يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف (ع) وخرجت عليه
صفورا زوجة موسى (ع) .
وأن وصي عيسى كان شمعون (ع) .
وأن وصي خاتم الأنبياء محمد (ص) كان علي بن أبي طالب ، ثم الاحد عشر
من ولده (ع) .

(١) إثبات الوصية ، للمسعودي ، مطبعة الحيدرية ، النجف الاشرف ، والمسعودي هو:
أبو الحسن ، علي بن الحسين المسعودي ، ينتهي نسبه الى الصحابي عبد الله بن مسعود ، توفي سنة ٣٤٦ هـ
وفي ترجمته بطبقات الشافعية (ج ٢/٣٠٧) : قيل كان معتزلي العقيدة ، وأشار الى هذا الكتاب الكتبي في فوات
الوفيات (ج ٢/٤٥) وياقوت الحموي في معجم الادباء (ج ١٣/٩٤) وقال : له كتاب البيان في أسماء الأئمة ، وفي
الميزان ، لابن حجر (ج ٤/٢٢٤) له كتاب تعيين الخليفة وسماه في الذريعة وغيرها : (إثبات الوصية) .

ونحن نقتصر هنا بذكر خبر ثلاثة من الاوصياء المذكورين أعلاه

أ - خبر وصية آدم لشيث

قال اليعقوبي في خبر وصية آدم لشيث .

« لما حضر آدم الوفاة . . . جعل وصيته الى شيث . . »

وقال الطبري :

« هبة الله ؛ وبالعبرانية : شيث ، واليه أوصى آدم . . . وكتب وصيته ، وكان

شيث في ما ذكر وصي أبيه آدم (ع) . »

وقال المسعودي في خبر وصية آدم لشيث ثم وفاته :

« ثم ان آدم حين أدى الوصية الى شيث ، احتقبا واحتفظ بمكنونها ، وأتت

وفاة آدم »

وقال ابن الاثير :

« وتفسير شيث : هبة الله ، وهو وصي آدم ، ولما حضرت آدم الوفاة عهد الى

شيث . »

وقال ابن كثير :

ذكر وفاة آدم ووصيته الى ابنه شيث عليه السلام :

« ومعنى شيث : هبة الله . . . ولما حضرت آدم الوفاة عهد الى

ابنه شيث »

ب - خبر يوشع بن نون وصي موسى

أولا : يوشع بن نون في التوراة :

ورد في مادة يوشع من قاموس الكتاب المقدس نقلا عن التوراة :

« أن يوشع بن نون كان مع موسى في جبل سينا ولم يتلوث بعبادة العجل على عهد

هارون »

وفي آخر الاصحاح السابع والعشرين من سفر العدد^١ ورد خبر تعيينه من قبل

الله وصيا لموسى كالاتي نصه :

(١) التوراة من الكتاب المقدس ، بيروت ، المطبعة الامريكية سنة : ١٩٠٧ م .

فَكَفَّرَ مُوسَى الرَّبَّ قَائِلًا ١٦. لِيُوكِّلَ الرَّبُّ إِلَهَ	
أَرْوَاحِ جَمِيعِ الْبَشَرِ رَجُلًا عَلَى الْجَمَاعَةِ ١٧. يَخْرُجُ أَمَامَهُمْ وَيَدْخُلُ أَمَامَهُمْ وَيَخْرِجُهُمْ	١٧
وَيَدْخُلُهُمْ لِكَيْلَا تَكُونَ جَمَاعَةُ الرَّبِّ كَالْغَنَمِ الَّتِي لَا رَاعِيَ لَهَا. ١٨. فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى	١٨
خُذْ يَشُوعَ بْنَ نُونٍ رَجُلًا فِيهِ رُوحٌ وَوَضَعْ يَدَكَ عَلَيْهِ ١٩. وَأَوْقِفْهُ قُدَّامَ الْعَازَارِ الْكَاهِنِ	١٩
وَقُدَّامَ كُلِّ الْجَمَاعَةِ وَأَوْصِهِ أَمَامَ أَعْيُنِهِمْ ٢٠. وَأَجْعَلْ مِنْ هَيْبَتِكَ عَلَيْهِ لِكَيْ يَسْمَعَ لَهُ كُلُّ	٢٠
جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ. ٢١. فَيَقِفَ أَمَامَ الْعَازَارِ الْكَاهِنِ فَيَسْأَلُ لَهُ بِقَضَاءِ الْأُورِيمِ أَمَامَ	٢١
الرَّبِّ. حَسَبَ قَوْلِهِ يَخْرُجُونَ وَحَسَبَ قَوْلِهِ يَدْخُلُونَ هُوَ وَكُلُّ بَنِي إِسْرَائِيلَ مَعَهُ كُلُّ	
الْجَمَاعَةِ. ٢٢. فَفَعَلَ مُوسَى كَمَا أَمَرَهُ الرَّبُّ. أَخَذَ يَشُوعَ وَأَوْقَفَهُ قُدَّامَ الْعَازَارِ الْكَاهِنِ	٢٢
وَقُدَّامَ كُلِّ الْجَمَاعَةِ ٢٣. وَوَضَعَ يَدَيْهِ عَلَيْهِ وَأَوْصَاهُ كَمَا تَكَلَّمَ الرَّبُّ عَنْ يَدِ مُوسَى	٢٣

وورد خبر قيامه بأمر بني اسرائيل و حروبه في ثلاثة وعشرين اصحاحا من سفر
يوشع بن نون .

وجه الشبه بين وصي خاتم الانبياء و وصي موسى عليهم السلام
أن يوشع بن نون كان مع موسى في جبل سيناء ولم يعبد العجل . وأمر الله نبيه
موسى أن يعينه وصيا من بعده لئلا تكون جماعة الرب كالغنم بلا راعي .
وكان الامام علي مع النبي في غار حراء ولم يعبد صنما قط و أمر الله نبيه في
رجوعه من حجة الوداع ان يعينه أمام الحجيج قائدا للأمة من بعده ، ولا يترك امته
هملا ، وقد صدق بذلك رسول الله (ص) في غدير خم وعينه وليا للعهد من بعده
كما سنذكره في ما يأتي ، و صدق رسول الله (ص) حيث قال :
ليأتين على أمتي ما أتى على بني اسرائيل حذو النعل بالنعل وقد أوردنا
مصادره في أول الجزء الثاني من « خمسون ومائة صحابي مختلف » .
ثانيا : في القرآن الكريم و مصادر الدراسات الاسلامية :
في القرآن الكريم ؛ عرب يوشع بـ (اليسع) في سورة الانعام ، الآية : ٨٦ و
سورة ص ، الآية : ٤٨ .
وفي تاريخ يعقوبي :

« وكان موسى لما حضرته وفاته امره الله عزوجل أن يدخل يوشع بن نون الى قبة
الزمان فيقدس عليه ويضع يده على جسده لتتحول فيه بركته و يوصيه أن يقوم بعده

في بني اسرائيل .

ج - خبر شمعون وصي عيسى

أولا : شمعون في الانجيل .

ورد في قاموس الكتاب المقدس ذكر عشرة أشخاص بهذا الاسم ، منهم :
شمعون بطرس وشمعون اسمه في التوراة سمعون ، وقد ورد خبره في انجيل متى
الاصحاح العاشر كالآتي :

« ثم دعا - يعني عيسى - تلاميذه الاثني عشر وأعطاهم سلطانا على أرواح
نجسة حتى يخرجوها ، ويشفوا كل مرض وكل ضعف . وأما الاسماء الاثني عشر
رسولا فهي هذه : الأول سمعان الذي يقال له بطرس » .

وفي انجيل يوحنا ، الاصحاح ٢١ العدد : ١٥ - ١٨ أن عيسى أوصى إليه
وقال له : « ارع غنمي » كناية عن رعاية من آمن به .

وجاء في قاموس الكتاب المقدس أيضا :

« عينه المسيح لهداية الكنيسة » .

ثانيا : شمعون في مصادر الدراسات الاسلامية :

ذكر خبره اليعقوبي وسماه سمعان الصفا .

وقال المسعودي في ٣٤٣/١ قتل برومية بطرس واسمه باليونانية شمعون
والعرب تسميه سمعان .

وفي مادة دير سمعان من معجم البلدان :

« دير سمعان : بنواحي دمشق ، وسمعان هذا الذي ينسب اليه الدير ؛ أحد
أكابر النصارى ، ويقولون أنه شمعون الصفا .

* * *

أوردنا نتفا من أخبار هؤلاء الاوصياء الثلاثة كمثال لاخبار بقية اوصياء الانبياء
في الامم السابقة .

ولم يكن خاتم الانبياء بدعا من الرسل ليترك أمته دون تعيين ولي الأمر من بعده
وهو الذي لم يغب عن المدينة ؛ المجتمع الاسلامي الصغير ، في غزواته ولا ساعة
من نهار دون أن يستخلف عليها أحدا ، لم يترك خاتم الانبياء والمرسلين المجتمعات
الاسلامية للأبد دون أن يعين أولي الأمر من بعده ، بل عينهم بألفاظ مختلفة وفي
أماكن متعددة ، منها ما خص بالذكر الامام من بعده ومنها ما ذكر فيها جميع الأئمة
ومما خصّ بالذكر الامام علي بن أبي طالب وحده الاحاديث الآتية :

وزير الرسول صلى الله عليه وآله ووصيه وولي عهده وخليفته من بعده

الوصي في أحاديث الرسول (ص)

أوردنا في أول الباب قصة انذار بني هاشم وفي ذلك اليوم وبمحضر من رجال بني هاشم قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي بن أبي طالب عليه السلام : « إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا » وبهذا القول عين الرسول صلى الله عليه وآله وصيه وخليفته فيهم وأمرهم بإطاعته « وما أتاكم الرسول فخذوه » .

وروى الطبراني عن سلمان قال قلت يا رسول الله : إن لكل نبي وصياً فمن وصيِّك ؟ فسكت عني فلما كان بعد رأيي فقال يا سلمان فأسرعت إليه قلت لبيك قال : تعلم من وصيِّ موسى قال نعم ، يوشع بن نون قال لم ؟ قلت : لانه كان أعلمهم يومئذ قال : فإن وصيِّ وموضع سري وخير من أترك بعدي وينجز عدتي ويقضي ديني علي بن أبي طالب^١ .

وعن أبي أيوب أن رسول الله (ص) قال لابنته فاطمة :

أما علمت أن الله عز وجل أطلع على أهل الأرض فاختر منهم إياك فبعثه نبياً ثم أطلع الثانية فاختر بعلك فأوحى إليّ فأنكحته واتخذته وصياً^٢ .

وعن أبي سعيد أن رسول الله (ص) قال :

إن وصيِّ وموضع سري وخير من أترك بعدي وينجز عدتي ويقضي ديني

(١) رواه الهيثمي عن الطبراني في مجمع الزوائد (ج ٩/١١٣) ، ورواه سبط ابن الجوزي في كتاب تذكرة خواص الأمة باب حديث النجوى عن كتاب الفضائل لأحمد بن حنبل وهذا لفظه : قال أنس قلنا لسلمان :

سل رسول الله (ص) من وصيِّك ؟ فسأل سلمان رسول الله (ص) فقال : من كان وصيِّ موسى بن عمران ؟ فقال : يوشع بن نون . قال : إن وصيِّ ووارثي ومنجز وعدي علي بن أبي طالب

(٢) مجمع الزوائد للهيتمي (ج ٨/٢٥٣) وفي (ج ٩/١٦٥) منه عن علي بن علي الهلالي : ووصيِّ خير الأوصياء وأحبهم إلى الله وهو بعلك . . . الحديث . ومنتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد (ج ٥/٣١) وكنز العمال ، كتاب الفضائل ، الفصل الثاني ، فضائل علي بن أبي طالب ، الحديث رقم : (١١٦٣) ، (ج ١٢/٢٠٤) . وأبو أيوب الأنصاري اسمه خالد بن زيد الخزرجي ، شهد بيعة العقبة وجميع مشاهد رسول الله (ص) وشهد مع الإمام علي الجمل وصفين ونهران ، وتوفي عند مدينة القسطنطينية سنة خمسين أو إحدى وخمسين ، أسد الغابة (ج ٥/١٤٣)

علي بن أبي طالب^١

وعن أنس بن مالك أن الرسول توضعاً وصلى ركعتين وقال له :
« أول من يدخل عليك من هذا الباب امام المتقين وسيد المسلمين ويعسوب
الدين وخاتم الوصيين . . . فجاء علي (ع) فقال (ص) من جاء يا أنس ؟ فقلت :
علي ، فقام اليه مستبشراً فاعتنقه »^٢ الحديث .

وعن الصحابي بريدة قال :

قال النبي : « لكل نبي وصي ووارث وإن علياً وصي ووارثي »^٣ .

وفي المحاسن والمساوي للبيهقي ، ما موجزه :

« ان جبرائيل جاء بهدية من الله ليهديها الرسول (ص) الى ابن عمه و وصيه

علي بن أبي طالب »^٤ الحديث .

كان هذا ما وجدناه في الوصية في أحاديث الرسول (ص)

الوصية في كتب الامم السابقة

روى نصر بن مزاحم في كتابه وقعة صفين والخطيب في تاريخ بغداد واللفظ

للأول :

ان الامام علي في مسيره الى صفين عطش جيشه في صحراء فانطلق بهم حتى
أتى بهم على صخرة فأعانهم حتى اقتلعوها وشرب الجيش حتى ارتووا وكان بالقرب
منهم دير فلما اطلع صاحب الدير على هذا الامر قال : ما بُني هذا الدير الا بذلك

(١) كنز العمال ، كتاب الفضائل ، الفصل الثاني ، فضائل علي بن أبي طالب ، الحديث رقم : ١١٩٢ ،
ط ، الثانية (ج ١٢/٢٠٩) .

وابو سعيد الخدري ، سعد بن مالك الخزرجي ، كان من الحفاظ لحديث رسول الله (ص) (ت : ٥٤ هـ)
، اسد الغابة (ج ٥/٢١١) .

(٢) حلية الاولياء (ج ١/٦٣) ، وتاريخ ابن عساكر (ج ٢/٤٨٦) ، وشرح نهج البلاغة ، ط ، مصر الاولى
(ج ١/٤٥٠) .

وانس بن مالك ابو ثامة الخزرجي ، روى عنه البخاري ومسلم ٢٢٨٦ حديثاً . اختلف في سنة وفاته من
(٩٠-٩٣ هـ) ، الاستيعاب ، واسد الغابة ، الاصابة

(٣) تاريخ دمشق لابن عساكر (ج ٣/٥) ، والرياض النضرة (ج ٢/١٧٨) عن بريدة وهو :
ابو عبد الله بريدة بن الحصيب بن عبد الله الاسلمي قدم المدينة بعد احد فشهد مع رسول الله (ص) مشاهدته
وتحول بعده الى البصرة وابتنى بها داراً ثم خرج غازياً الى خراسان فأقام بمرور وتوفي بها ، اسد الغابة (ج ١/١٧٥)

(٤) المحاسن والمساوي ، لمحمد بن ابراهيم البيهقي (كان حياً قبل : ٣٢٠ هـ) ، تحقيق محمد أبو الفضل
ابراهيم ، ط ، القاهرة سنة : ١٣٨٠ هـ ، (ج ١/٦٤-٦٥) .

الماء وما استخرجه الا نبي او وصي نبي ١ .

خبر آخر يؤيد الخبر السابق

في صفين لنصر بن مزاحم وتاريخ ابن كثير واللفظ للاول :

قال : لما نزل علي الرقة بمكان يقال له بليخ على جانب الفرات ، فنزل راهب هناك من صومعته فقال لعلي : ان عندنا كتابا توارثناه عن آبائنا ، كتبه أصحاب عيسى بن مريم ، أعرضه عليك . قال علي : نعم ، فما هو ؟ قال الراهب :

بسم الله الرحمن الرحيم

[الذي قضى فيما قضى ، وسطر فيما سطر ، أنه باعث في الاميين رسولا منهم يعلمهم الكتاب والحكمة ، ويدلهم على سبيل الله ، لا فظ ولا غليظ ، ولا صحاب في الاسواق ، ولا يجزي بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح ، أمته الحمدون الذين يحمدون الله على كل نثر ، وفي كل صعود وهبوط ، تذل الستهم بالتهليل والتكبير والتسبيح ، وينصره الله على كل من ناواه ، فإذا توفاه الله اختلفت أمته ثم اجتمعت ، فلبثت بذلك ما شاء الله ثم اختلفت ، فيمر رجل من أمته بشاطيء هذا الفرات ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويقضي بالحق ، ولا يرتشي في الحكم . الدنيا أهون عليه من الرماد في يوم عصفت به الريح ، والموت أهون عليه من شرب الماء على الظماء ، يخاف الله في السر ، وينصح له في العلانية ، ولا يخاف في الله لومة لائم . من أدرك ذلك النبي صلى الله عليه وسلم من أهل هذه البلاد فآمن به كان ثوابه رضواني والجنة ، ومن أدرك ذلك العبد الصالح فلينصره ؛ فإن القتل معه شهادة] . ثم قال له : فأنا مصاحبك غير مفارقتك حتى يصيبني ما أصابك قال : فبكى علي ثم قال : الحمد لله الذي لم يجعلني عنده منسيا ، الحمد لله الذي ذكرني في كتب الابرار . ومضى الراهب معه ، وكان - فيما ذكروا - يتغدى مع علي ويتعشى حتى اصيب يوم صفين ، فلما خرج الناس يدفنون قتلاهم قال علي : اطلبوه فلما وجدوه ، صلى عليه ودفنه ، وقال : هذا منا أهل البيت . واستغفر له مرارا ٢ .

(١) وقعة صفين ، ط ، المدني بمصر سنة ١٣٨٢ هـ : ١٤٥ وتاريخ الخطيب (ج ١٢/٣٠٥) وقد أوردنا الخبر بإيجاز من الاول .

وقد بني في مكان الدير منذ قرون مسجد براثا وتغير مجرى نهر دجلة فأصبح قريبا من المسجد المذكور .

(٢) صفين ، ص : ١٤٧-١٤٨ . وابن كثير (ج ٧/٢٥٤) . والبليخ : اسم نهر بالرقة ، يجتمع فيه الماء من عيون . معجم البلدان .

الوصية في حديث الاشر عند ما بويع الامام علي (ع)
 قال مالك بن الحارث الأشر لما بويع أمير المؤمنين (ع) :
 (أيها الناس هذا وصي الاوصياء ، و وارث علم الأنبياء ، العظيم البلاء
 الحسن العناء ، الذي شهد له كتاب الله بالايهان ، ورسوله بجنة الرضوان من
 كملت فيه الفضائل ، ولم يشك في سابقته وعلمه وفضله الاوخر ولا الاوائل)^١

الوصية في كتاب محمد بن أبي بكر
 كتب محمد بن أبي بكر الى معاوية :
 بسم الله الرحمن الرحيم

« من محمد بن أبي بكر الى الغاوي بن صخر . سلام على أهل طاعة الله ممن
 هو مسلم لأهل ولاية الله . أما بعد فإن الله انتخب محمدا صلى الله عليه
 وآله وسلم ، فاخصه برسالته ، واختاره لوحيه ، وأتمنه على أمره ، وبعثه رسولا
 مصدقا لما بين يديه من الكتب ، ودليلا على الشرائع ، فدعا الى سبيل ربه بالحكمة
 والموعظة الحسنة ، فكان أول من أجاب وأجاب ، وصدق ووافق ، وأسلم وسلم ؛
 أخوه وابن عمه علي بن أبي طالب عليه السلام ، فصدقه بالغيب المكتوم ، وأثره على
 كل حميم فوقاه كل هول ، وواساه بنفسه في كل خوف ، فحارب حربه ، وسالم
 سلمه ، فلم يبرح مبتذلا لنفسه في ساعات الازل ، ومقامات الروع ، حتى برز سابقا
 لا نظير له في جهاده ، ولا مقارب له في فعله . وقد رأيتك تساميه وأنت أنت . وهو
 هو المبرز السابق في كل خير ، أول الناس اسلاما ، وأصدق الناس نية ، وأطيب
 الناس ذرية ، وأفضل الناس زوجة ، وخير الناس ابن عم ثم لم تزل أنت
 وأبوك تبغيان الغوائل لدين الله ، وتجهدان على اطفاء نور الله ، وتجمعان على ذلك
 الجموع ، وتبذلان فيه المال ، وتخالفان فيه القبائل . على ذلك مات ابوك ، وعلى
 ذلك خلفته ، والشاهد عليك بذلك من يأوي ويلجأ إليك من بقية
 الأحزاب ، ورؤس النفاق والشقاق لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . والشاهد
 لعلي مع فضله المبين وسبقه القديم ، انصاره الذين ذكروا بفضلهم في القرآن فأثنى
 الله عليهم ، من المهاجرين والانصار ، فهم معه عصائب وكتائب حوله ، يجالدون
 بأسياهم ، ويهريقون دماءهم دونه ، يرون الفضل في اتباعه ، والشقاء في خلافه ،

فكيف - يا لك الويل - تعدل نفسك بعليّ ، وهو وارث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ووصيّه وأبو ولده وأول الناس له أتباعا ، وآخرهم به عهدا ، يخبره بسرّه ويشركه في أمره »

وكتب معاوية في جوابه :

« من معاوية بن أبي سفيان إلى الزاري على أبيه محمد بن أبي بكر . سلام على أهل طاعة الله . أما بعد فقد أتاني كتابك ، تذكر فيه ما الله أهله في قدرته وسلطانه وما أصفى به نبيه ، مع كلام ألفته ووضعته ، لرأيك فيه تضعيف ، ولابيك فيه تعنيف . ذكرت حق ابن أبي طالب ، وقديم سوابقه وقرابته من نبي الله صلى الله عليه ، ونصرته له ومواساته إياه في كل خوف وهول ، واحتجاجك علي بفضل غيرك لا بفضلك . فأحمد لها صرف الفضل عنك وجعله لغيرك . وقد كنا وأبوك معنا في حياة من نبينا صلى الله عليه ؛ نرى حق ابن أبي طالب لازما لنا ، وفضله مبرزا علينا فلما اختار الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ما عنده ، وأتم له ما وعده ، وأظهر دعوته وأفلج حجته . قبضه الله اليه ، فكان أبوك وفاروقه أول من ابتزّه وخالفه . على ذلك اتفقا واتسقا ، ثم دعواهُ إلى أنفسهم فأبطأ عنهما وتلكأ عليهما ، فهما به الهموم ، وأرادا به العظيم ، فبايع وسلم لهما ، لا يشركانه في أمرهما ، ولا يطلعانه على سرهما ، حتى قبضا وانقضى أمرهما . ثم قام بعدهما ثالثهما عثمان بن عفان ، يهتدي بهديهما . . . » إلى آخر الكتاب

أوردنا جواب معاوية لما فيه الاعتراف بما ذكره محمد بن أبي بكر . وأورد تمام الكتابين نصر بن مزاحم في كتابه وقعة صفين والمسعودي في مروج الذهب . وأشار اليهما الطبري وابن الأثير في ذكرهما حوادث سنة ست وثلاثين هجرية . روى الطبري بسنده عن يزيد بن زبيان :

« ان محمد بن أبي بكر كتب إلى معاوية بن أبي سفيان لما ولي فذكر مكاتبات جرت بينهما كرهت ذكرها لما فيه مما لا يحتمل سماعه العامة . . . »
إذا فإن الطبري لم يورد في موسوعته التاريخية الكبرى ما دار بين محمد بن أبي بكر ومعاوية من مكاتبات لأنه لم ير من الحكمة ان يطلع عليها عامة الناس وليس من باب عدم اعتماده على صحة الخبر . وتبعه العلامة ابن الأثير ولم يورد تلك المكاتبات في موسوعته التاريخية الكامل وذكر نفس العلة وقال : كرهت ذكرها لما فيه مما لا يحتمل سماعه العامة^١ .

(١) صفين لنصر بن مزاحم ، ط ، القاهرة سنة : ١٣٨٢ هـ ، ص : ١١٨-١١٩ وتاريخ الطبري ط ، أوروبا (ج ١/٣٢٤٨) وتاريخ ابن الأثير ، ط ، أوروبا (ج ١٠٨/٣) ومروج الذهب للمسعودي ، ط ، بيروت سنة : ١٣٨٥ هـ (ج ١١/٣) ، وقال : ان محمد بن أبي بكر كتب الكتاب إلى معاوية من مصر لما ولّاه الامام علي .

الوصية في كتاب عمرو بن العاص

روى الخوارزمي كتابا لعمرو بن العاص الى معاوية قال فيه :
 « فاما ما دعوتني اليه ، وإعانتني إياك على الباطل ، واختراط السيف
 في وجه علي وهو أخو رسول الله (ص) و وصيه و وارثه ، وقاضي دينه ومنجز وعده
 و زوج إبنته »^١

الوصية في كلام الامام علي (ع) و احتجاجه

روى الخوارزمي من كلام الامام علي (ع) :
 « أنا أخو رسول الله (ص) و وصيه »^٢
 وروى ابن أبي الحديد ، من كتاب للامام علي (ع) الى أهل مصر :
 « واعلموا انه لا سوى امام الهدى وامام الردى و وصي النبي وعدو النبي »^٣
 وذكر اليعقوبي احتجاج الخوارج على الامام علي (ع) وجاء فيه :
 أنه ضيع الوصية ، فكان من جوابه (ع) : « أما قولكم اني كنت وصيا فضيحت
 الوصية فان الله عز وجل يقول : « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا
 و من كفر فإن الله غني عن العالمين » أفرايتم هذا البيت لو لم يحج اليه احد كان
 البيت يكفر ؟ إن هذا البيت لو تركه من استطاع إليه سبيلا كفر ، وأنتم كفرتم بترككم
 إياي لا أنا بتركي لكم . . . الخ »^٤

الوصية في خطب الامام علي (ع)

في الخطبة ١٨٢ من نهج البلاغة ، قال الامام :
 « أيها الناس إنني قد بثت لكم المواعظ التي وعظ الانبياء بها أمهم وأديت
 إليكم ما أدت الاوصياء الى من بعدهم »
 وفي الخطبة : ٨٨ منه ، قال :
 « ومالي لا أعجب من خطأ هذه الفرق على اختلاف حججها في دينها

(١) مناقب الخوارزمي ، ص : ١٢٥ .

(٢) مناقب الخوارزمي ، ص : ١٤٣ .

(٣) شرح النهج لابن أبي الحديد (ج ٢/٢٨) .

(٤) تاريخ اليعقوبي (ج ١٩٢) .

لا يقتصون أثر نبي ولا يقتدون بعمل وصي . «
وفي الخطبة الثانية منه ، قال :

« لا يقاس بآل محمد صلى الله عليه وآله من هذه الامة أحد ولا يسوى بهم من جرت نعمتهم عليه أبدا هم أساس الدين ولهم خصائص حق الولاية وفيهم الوصية والوراثة »

الوصية في خطبة الامام الحسن (ع)
خطب الامام الحسن (ع) بعد مقتل أبيه وقال في خطبته :
« أنا الحسن بن علي أنا ابن الوصي . . . » الحديث .

الوصية في خطبة الامام الحسين (ع)
خطب الامام الحسين (ع) يوم العاشر من محرم على جيش الخليفة يزيد وقال في خطبته في مقام الاحتجاج عليهم :
« أما بعد فانسبوني فانظروا من أنا ثم ارجعوا الى انفسكم وعاتبوها هل يجوز لكم قتلي وانتهاك حرمتي . ألسنت ابن بنت نبيكم (ص) وابن وصيه وابن عمه واول القوم اسلاما و اول المؤمنين بالله والمصدق لرسوله بما جاء من عند ربه . أوليس حمزة سيد الشهداء عم أبي ؟ أوليس جعفر الشهيد الطيار ذو الجناحين عمي ؟ »^٢
إذا كان ما وصف به الامام الحسين أباه الامام عليا من أنه وصي رسول الله صلى الله عليه وآله مشهورا عندهم كشهرة نبوة جده وأن عم أبيه سيد الشهداء حمزة وأن عمه الطيار ذو الجناحين جعفر ولذلك ذكره في ذكر نسبه ولم يرد عليه احد منهم .

عبدالله بن علي عم الخليفة العباسي السفاح يحتج بالوصية
دعا العباسيون في بادىء أمرهم الناس الى القيام ضد الأمويين باسم آل محمد

(١) نقلنا الخبر من مستدرک الحاكم (ج ٣/١٧٢) وراجع ذخائر العقبى ، ص : ١٣٨ ، وفي مجمع الزوائد للهيتمي (ج ٩/١٤٦) عن الطبراني وغيره .

(٢) في الخطبة التي رواها الطبري في ، ط ، أوروبا (ج ٢/٣٢٩) وابن الاثير ، ط ، أوروبا (ج ٤/٥٢) وأورد الخطبة ابن كثير في (ج ٨/١٧٩) وحذف منها ما ذكره الامام الحسين في وصف أبيه وكتب بدلها « وعلي أبي » وأورد الباقي .

و كان يدعى أبو مسلم أمير آل محمد^١ و كانوا يحتجون على خصومهم بالنصوص التي وردت عن رسول الله (ص) في حق آلهم بالحكم ، ولما تم لهم الاستيلاء على الحكم أداروا ظهرهم لآل محمد ، و ممن احتج بالوصية عم السفاح اول الخلفاء العباسيين ، فقد روى الذهبي عن أبي عمرو الأوزاعي^٢ ما ماموجزه :

لما قدم عبد الله بن علي عم السفاح الشام و قتل بني أمية بعث إلي و قال في كلامه :

« ويحك أوليس الأمر لنا ديانة ؟ قلت : كيف ذاك ؟ قال : أليس كان رسول الله صلى الله عليه وآله أوصى لعلي ؟ قلت لو أوصى إليه لما حكم الحكمين . فسكت و قد اجتمع غضبا فجعلت أتوقع رأسي يسقط في يدي ، فقال بيده هكذا أومى أن أخرجوه فخرجت الحديث .

إن الأوزاعي احتج في رد الوصية بما احتج به الخوارج على الامام علي و جوابه
جواب الامام للخوارج

(١) تاريخ يعقوب و التنبيه و الاشراف للمسعودي ص : ٢٩٣ و تاريخ ابن الاثير (ج ٥ / ١٣٩) [١٤٢]
١٩٤ في ذكر حوادث سنة ١٢٩ و ١٣٠ .
(٢) بترجمته في تذكرة الحفاظ (ج ١ / ١٨١) .

شهرة لقب وصي النبي (ص) للامام علي

وانتشار ذكره في أشعار الصحابة والتابعين وكتب اللغة

كان لقب الامام علي (ع) بالوصي مشهورا في الصدر الاسلامي الأول وانتشر ذلك في كتب اللغة، فقد ورد في مادة الوصي من تاج العروس: « والوصي كغني لقب علي رضي الله تعالى عنه » .

وفي لسان العرب: « وقيل لعلي (ع) وصي » ، وسيأتي قول المبرد في الكامل في اللغة بعيد هذا .

وورد ذكره في شعر الشعراء منذ عصر الصحابة مثل قول حسان بن ثابت شاعر النبي (ص) في قصيدته بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله :

جزى الله عنا وجزاء بكفه أبا حسن عنا ومن كأبي حسن
حفظت رسول الله فينا وعهده اليك ومن أولى به منك من ومن
ألست أخاه في الهدى ووصيه وأعلم منهم بالكتاب والسنن^١
وروى الزبير بن بكار في الموفقيات عن بعض شعراء قریش في مدح عبد الله
ابن عباس قوله :

والله ما كلم الاقوام من بشر بعد الوصي علي كابن عباس^٢
وقال الوليد بن عقبة بن ابي معيط في مقتل عثمان :
ألا ان خير الناس بعد ثلاثة قتيل التجيبي الذي جاء من مصر
فأجابه الفضل بن عباس بأبيات جاء فيه :
ألا ان خير الناس بعد محمد وصي النبي المصطفى عند ذي الذكر
وأول من صلى وصنو نبيه وأول من أردى الغواة لدى بدر^٣

(١) الموفقيات للزبير بن بكار ، ط ، بغداد ، سنة : ١٩٧٢ م ، ص : ٥٩١-٥٩٨ وورد شعر حسان في تاريخ اليعقوبي (ج ٢/١٢٨) مع اختلاف في اللفظ ، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ، ط ، الاولى (ج ١/١٥) .
(٢) الموفقيات ص : ٥٧٥ ، وشرح نهج البلاغة ، ط ، مصر الاولى (ج ١/١٣) .
(٣) تاريخ الطبري ، ط ، اروبا (ج ١/٣٠٦٤ و ٣٠٦٥) وتاريخ ابن الاثير ، ط ، اروبا (ج ٣/١٥٢) في ذكرهما ما رثي به عثمان .

والوليد بن عقبة بن ابي معيط ابن ذكوان وكان ذكوان عبدا لامية فتنناه وألحقه بنسبه ، وأم الوليد اروي ام الخليفة

وقال النعمان بن عجلان شاعر الانصار في قصيدته - أيضا - بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله :

وكان هوانا في علي وإنه لاهل لها يا عمرو من حيث لا تدري
وصي النبي المصطفى وابن عمه وقاتل فرسان الضلالة والكفر
قال ذلك في جواب عمرو بن العاص حين أغاض الانصار في حوادث السقيفة
وانتصار الامام علي للأنصار من مهاجرة قريش^١

وقال ابن ابي الحديد :

ومن الشعر المقول في صدر الاسلام المتضمن كونه عليه السلام وصي رسول الله
(ص) قول عبد الله بن أبي سفيان بن الحرث بن عبد المطلب :

ومنا علي ذاك صاحب خيبر وصاحب بدر يوم سالت كتائبه
وصي النبي المصطفى وابن عمه فمن ذا يدانيه ومن ذا يقاربه ؟
وقال عبد الرحمن بن جعيل :
لعمري لقد بايعتم ذا حفيظة
عليا وصي المصطفى وابن عمه
على الدين معروف العفاف موفقا
وأول من صلى أخا الدين والتقى^٢

الوصية في الأشعار التي قيلت في حرب الجمل^٣

وقال ابن أبي الحديد أيضا :

عثمان ، ارسله رسول الله (ص) مصدقا الى بني المصطلق فخرجوا يتلقونه فهابهم فعاد الى رسول الله (ص) وأخبر
انهم ارتدوا ومنعوا الصدقة فنزلت فيه «ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا» الآية ، فأرسل اليهم رسول الله (ص) غيره
فأخبروه أنهم متمسكون بالاسلام . ولاة الخليفة عثمان الكوفة فشرب الخمر وصلى بهم صلاة الصبح اربعا وهو سكران
فغزله عثمان وقد ذكرنا تفصيل خبره في أول ذكر أخبار عصر الصهرين من كتاب احاديث عائشة .
أقام في الرقة بعد عثمان وتوفي بها . ترجمته في اسد الغابة والاصابة .

والفضل بن العباس ، بن عبد المطلب ، أكبر ولد العباس ، شهد مع النبي (ص) فتح مكة وحنينا وثبت معه
حين انهزم الناس وشهد غسل رسول الله (ص) ودفنه واستشهد يوم مرج الصفراء او اجنادين بالشام وكلاهما سنة ثمان
عشرة هجرية وقيل استشهد يوم اليرموك . وترجمته في الاستيعاب واسد الغابة والاصابة .

(١) النعمان بن عجلان الزرقى الانصاري لسان الانصار وشاعرهم استعمله علي على البحرين .
ترجمته في الاستيعاب ، ط ، حيدر آباد (ج ١/٢٩٨) رقم : ١٣٢٣ ، واسد الغابة (ج ٥/٢٦) والاصابة
(ج ٣/٥٣٢) ونسبه في الجمهرة ص : ٣٢٧-٣٣٨ والإشتقاق ص : ٤٦١ والابيات عن كتاب الموفقيات للزبير بن
بكار ص : ٥٩٢-٥٩٤ ، ورواه ابن ابي الحديد في شرح نهج البلاغة ، تحقيق محمد ابو الفضل ، (ج ٦/٣١) .

(٢) شرح نهج البلاغة ، (ج ١/٤٧) .

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (ج ١/٤٧ - ٤٩) .

و قال ابو الهيثم بن التيهان وكان بدريا :
 قل للزبير وقل لطلحة اننا نحن الذين رأيت قريش فعلنا
 نحن الذين شعارنا نبينا ودثاره يفديه منا الروح والابصار
 ان الوصي امامنا وولينا برح الخفاء وباحت الاسرار
 وقال عمر بن حارثة الانصاري في محمد بن الحنفية من أبيات أنشأها يوم
 الجمل :

سمي النبي وشبه الوصي ورايته لونها العند م
 وقال رجل من الازد يوم الجمل :
 هذا علي وهو الوصي آخاه يوم النجوة النبي
 وقال هذا بعدي الولي وعاء واع ونبسي الشقي
 وخرج يوم الجمل غلام من ضبة شاب معلم من عسكر عائشة وهو يقول :
 نحن بنو ضبة أعداء علي ذاك الذي يعرف قدما بالوصي
 وفارس الخيل على عهد النبي ما أنا عن فضل علي بالعمي
 لكنني انعي ابن عفان التقي ان الولي طالب ثار الولي
 وقال سعيد بن قيس الهمداني يوم الجمل ، وكان في عسكر علي (ع) :
 قل للوصي أقبلت قحطانها فادع بها تكفيكها همدانها
 وقال حجر بن عدي الكندي في ذلك اليوم أيضا :

يا ربنا سلم لنا عليا سلم لنا المبارك المرضيا
 المؤمن الموحد التقيا لا خطل الرأي و لا غويا
 بل هاديا موفقا مهديا واحفظه ربي واحفظ النبيا
 فيه فقد كان له و ليا ثم ارتضاه بعده وصيا
 وقال خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين ، وكان بدريا يوم الجمل أيضا :
 ياوصي النبي قد أجلت الحر ب الأعادي وسارت الاضعان
 واستقامت لك الامور من الشام وفي الشام يظهر الاذعان
 حسبهم ما رأوا وحسبك منا هكذا نحن حيث كنا و كانوا
 وقال خزيمة يوم الجمل أيضا في أبيات يخاطب بها أم المؤمنين عائشة :
 وصي رسول الله من دون أهله وأنت على ما كان من ذاك شاهد
 وخطب ابن الزبير يوم الجمل ، وخطب الحسن (ع) بعده فقال عمر بن احيحة
 في ذلك :

حسن الخير يا شبيهه أبيه قمت فينا مقام خير خطيب

لست كابن الزبير لجلج في القو ل وطاقا عنان فسل مريب
وأبى الله ان يقوم بما قا م به ابن الوصي وابن النجيب
إن شخصا بين النبي - لك ال - خير - وبين الوصي غير مشوب

وقال ابن أبي الحديد بعد ايراد الابيات التي أوردنا مختصرا منها :
ذكر هذه الاشعار والاراجيز بأجمعها أبو مخنف لوط بن يحيى في كتاب
وقعة الجمل ، وأبو مخنف من المحدثين ومن يرى صحة الامامة بالاختيار وليس من
الشيعة ولا معدودا من رجالها ، و مما رويناها من أشعار صفين التي تتضمن تسميته
عليه السلام بالوصي ما ذكره نصر بن مزاحم بن يسار المنقري في كتاب صفين و هو
من رجال الحديث .

الوصية في الاشعار التي قيلت بصفين

لما كتب الامام علي الى جرير بن عبد الله البجلي والاشعث بن قيس الكندي
وكانا من ولاية عثمان في البلاد الايرانية فأجاب جرير بشعر جاء فيه :

أتانا كتاب علي فلم نرد الكتاب بأرض العجم

عليا عنيت وصي النبي نجالد عنه غواة الامم^١

ومما قيل على لسان الاشعث في جواب كتاب الامام^٢

أتانا الرسول رسول علي فسر بمقدمه المسلمونا

(١) صفين ص : ١٥-١٨ .

(٢) كان الامراء إذا لم يكونوا ممن ينظم الشعر يطلبون ممن معهم في موارد خاصة ان ينظموا في الجواب عنهم
وكان هذا المقام من الاشعث من تلك الموارد .

وجرير بن عبد الله البجلي اسلم قبل وفاة النبي (ص) بأربعين يوما ، شهد حرب القادسية ارسله رسول الله
(ص) لتهديم صنم لختعم في ذي الخليفة فذهب اليها وأحرقها توفي سنة احدى أو اربع وخمسين هجرية ، ترجمته
في : الاستيعاب واسد الغابة والاصابة .

والاشعث بن قيس الكندي اسلم مع وفد قومه الى رسول الله (ص) في السنة العاشرة ولم يدفع الصدقة لجباة
الخليفة ابي بكر فقاتلوه وأسروه فأطلقه الخليفة وزوجه أخته ام فروة ، وشهد بعض فتوح الشام والعراق ، واستعمله
عثمان على اذربيجان ، وشهد صفين مع علي وكان ممن ألزم عليا بالتحكيم وشهد الحكمين بدومة الجندل ، وتوفي بالكوفة
بعد مقتل الامام علي بأربعين ليلة . ترجمته في : الاستيعاب واسد الغابة والاصابة .

رسول الوصي وصي النبي له الفضل والسبق في المؤمنينا

وزير النبي وذو صهره وسيف المنية في الظالمينا

وقيل على لسانه ايضا :

أتانا الرسول رسول الوصي علي المهذب من هاشم

رسول الوصي و صي النبي وخير البرية من قائم

وزير النبي وذو صهره وخير البرية في العالم^١

وبعد أن أعطى معاوية مصر لعمر و طعمة ليعينه على قتال الامام علي ، قال الامام في ذلك شعرا ، جاء فيه :

يا عجباً لقد سمعت منكرا كذبا على الله يشيب الشعرا

يسترق السمع ويغشي البصرا ما كان يرضى أحمدا لو خبرا

ان يقرنوا و صيه و الابترا شانى الرسول واللعين الاخرزا^٢

ولما وقع خلاف بين جيش الامام علي في عزل الاشعث من قيادة قبيلته وتعيين غيره ، قال النجاشي في ذلك :

رضينا بما يرضى علي لنا به وان كان في ما يأتي جدع المناخر

وصي رسول الله دون اهله و وارثه بعد العموم الاكابر^٣

ومما ورد في الاشعار التي قيلت في يوم صفين ما ورد في شعر النضر بن عجلان الانصاري قوله :

كيف التفرق والوصي امامنا لا كيف الاحيرة و تخاذلا

و ذروا معاوية الغوي و تابعوا دين الوصي تصادفوه عاجلا^٤

(١) صفين ، ص : ٢٠ - ٢٤ .

(٢) صفين ، ص : ٣٤ - ٤٣ .

(٣) صفين ، ص : ١٣٧ .

والعموم جمع العم .

والنجاشي قيس بن عمرو شاعر مخضرم اشتهر في الجاهلية والاسلام اصله من نجران اليمن ، سكن الكوفة ، توفي نحو ٤٠ هـ ، الاعلام للزركلي

(٤) صفين ، ص : ٣٦٥ .

وقال حجر بن عدي الكندي :
 يارب سلم لنا عليا
 المؤمن المسترشد المرضيا
 لا خطل الرأي ولا غبيا
 فإنه كان له وليا
 وقال عبد الرحمن بن ذؤيب الاسلمي :
 ألا أبلغ معاوية بن حرب

 فان تسلم وتبقى الدهر يوما
 يقودهم الوصي اليك حتى
 وقال المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب :
 ياشرطة الموت صبيرا لا يهولكم

 فيكم وصي رسول الله قائدكم
 وقال الفضل بن العباس أيضا :
 وصي رسول الله من دون اهله
 وقال المنذر بن أبي حميضة الوادعي في شعره :
 ليس منا من لم يكن لك في الـ
 له وليا يا ذا الولا والوصية °

سلم لنا المهذب النقيا
 واجعله هادي أمة مهديا
 واحفظه ربي حفظك النبيا
 ثم ارتضاه بعده وصيا^١
 أما لك لاتيب الى الصواب

 نورك بجحفل شبه الهضاب
 يردك عن غواءك وارتياب^٢
 دين ابن حرب فإن الحق قد ظهرا

 وأهله وكتاب الله قد نشرا^٣
 و فارسه ان قيل هل من منازل^٤

(١) صفين ، ص : ٣٨١ .
 وحجر بن عدي الكندي المعروف بحجر الخير ، وفد على النبي صلى الله عليه وآله وشهد القادسية وشهد
 مشاهد الامام علي وكان على كندة بصفين ، وأرسله زياد مع جماعة الى معاوية فقتلهم بمرج عذراء سنة احدى وخمسين
 هجرية ، وقال حجر : إني لأول المسلمين كبر في نواحيها ، أي عندما فتحها المسلمون .

(٢) صفين ، ص : ٣٨٢ .

(٣) صفين ، ص : ٣٨٥ .

والمغيرة بن حارث بن عبد المطلب وهو أخو أبو سفيان بن الحارث الشاعر ، وقال بعضهم انها شخص
 واحد . ترجمتها باسد الغابة في الاسماء والكنى .

(٤) صفين ، ص : ٤١٦ ، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ، ط ، الاولى ، (ج ١/٢٨٤) .

(٥) صفين ، ص : ٤٣٦ ، وكان فارس همدان وشاعرهم ، ووداعة : بطن من همدان . الاشتقاق لابن

دريد .

وفي ترجمته في الاصابة : « له ادراك ، وهو أول من جعل سهم البراذين دون سهم العراب فبلغ الخبر الخليفة
 عمر فأعجبه ذلك وقال : امضوها على ما قال . الاصابة ، (ج ٣/٤٧٨) .

الوصية في شعر المأمون

قد دفعت سياسة التقرب الى العلويين الخليفة العباسي المأمون ، أن ينتخب الامام عليا الرضا وليا للعهد ويذكر الوصية في شعره فقد قال :

ألام على حبي الوصي أبا الحسن وذلك من أعاجيب الزمن^١
وقال المأمون أيضا :

ومن غاو يغص علي غيضا

إذا أدنيت اولاد الوصي^٢

وروى المبرد في الكامل وقال : قال الكميت :

والوصي الذي أمال التجو بي به عرش أمة لا انهدام

.....

قال المبرد « قوله الوصي ، فهذا شيء كانوا يقولونه ويكثرون »^٣

اذأفالا امام علي كان مشهورا بأنه وصي الرسول (ص) حتى اصبح الوصي لقباً له كما كان مشهورا بكنيته أبي تراب .

واستشهد المبرد على قوله بأن الامام عليا كان مشهورا بلقب الوصي بما ورد في شعر أبي الاسود الدؤلي قوله « الوصي » مع اسم حمزة والعباس ، بلا تعريف لاحدهم حيث قال :

احب محمدا حبا شديدا وعباسا وحمزة والوصيا^٤
وقول الحميري :

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (ج ٢/٢٢) .

(٢) المحاسن والمساوي، للبيهقي ، ١٠٥/١ .

(٣) التجوي ؛ كذا ورد في الاصل . الكامل للمبرد ، ط ، مكتبة المعارف ، بيروت ، (ج ٢/١٥١) . والمبرد هو ؛ ابو العباس ، محمد بن يزيد الازدي الشمالي البصري ، قال الخطيب البغدادي بترجمته : شيخ أهل النحو وحافظ علوم العربية ، من تأليفه : « الكامل في اللغة » توفي ببغداد سنة : ٢٨٥ هـ ، ترجمته بتاريخ بغداد (ج ٣/٣٨٠) ، وكشف الظنون ، مادة ؛ الكامل .

والكميت ؛ ابو المستهل ابن زيد الاسدي ، من أهل الكوفة ، كان عالماً بأداب العرب ولغاتها و أخبارها وأنسابها ، ثقة في علمه . ترجم شعره الهاشميات الى الالمانية ، (ت : ١٢٦ هـ) . الاعلام للزركلي ٩٢/٦ .

(٤) الكامل للمبرد (ج ٢/١٥٢) . وأورده أبو الفرج بترجمة الحميري في الاغانى ، ط ، ساسي ، ١٠/٧ . وأبو الاسود ، ظالم بن عمرو الدؤلي ، من الفقهاء والاعيان والشعراء ، واضع علم النحو ، رسم له علي بن أبي طالب شيئا من اصول النحو فكتب فيه ابو الاسود ، وأخذ عنه جماعة ، وهو أول من نقط المصحف ، شهد مع علي (ع) صفين ، توفي بالبصرة سنة : ٦٩ هـ . الاعلام للزركلي ٣/٣٤ .

اني أدين بما دان الوصي به يوم النخيلة من قتال المحلينا^١
 وقوله أيضا :
 والله من عليهم بمحمد وهداهم وكسا الجنوب و أطعما
 ثم انبروا لوصيه ووليه بالمنكرات فجرعوه العلقما^٢

حديث عائشة يدل على أن عليا كان وصي الرسول

ومما يدل على ان الامام عليا كان مشهورا بين الصحابة بأنه وصي رسول الله (ص) مضافا الى ما أوردناه ؛ رواية أم المؤمنين عائشة كما في صحيح مسلم ، قال : ذكروا عند عائشة أن عليا كان وصيا فقالت متى اوصى اليه فقد كنت مسندته الى صدري او قالت حجري فدعا بالطست فلقد انخث في حجري وما شعرت أنه قد مات فمتى اوصى اليه^٣ .

* * *

كانت ام المؤمنين عائشة بحاجة الى استنفار الناس للحرب ضد الامام علي والتي سميت في التاريخ باسم حرب الجمل ومن ثم نرى ان هذه المذاكرة لم تجر عفوا وانما كانت شبيهة بالاحتجاج عليها في ما اشتهر للامام بانه وصي النبي وكان هذا الموقف منها متناسبا مع هذا الواقع التاريخي وكذلك متناسبا مع مواقفها الاخرى مع الامام علي فقد روى ابن سعد عن عائشة في خبر مرض رسول الله (ص) انها قالت :

« فخرج بين رجلين تخط رجلاه في الارض بين ابن عباس تعني الفضل ؛ وبين رجل آخر ؛ قال : عبيد الله : فأخبرت ابن عباس بما قالت قال : فهل تدري من الرجل الاخر الذي لم تسم عائشة ، قال : قلت : لا ! قال ابن عباس : هو

(١) الكامل للمبرد (ج ٢/١٧٥) و أورد البيت وتفصيل سبب انشاد السيد الحميري الشعر ، في الاغاني ، ط ، ساسي (ج ٧/٢١) .

والسيد الحميري ، اسماعيل بن محمد ، كان واحدا من ثلاثة أكثر الناس شعرا في الجاهلية والاسلام ، كان مقدما عند الخليفين المنصور والمهدي العباسيين ، توفي سنة : ١٧٣ هـ . الاعلام للزركلي ١/٣٢٠ .

(٢) في ترجمة السيد الحميري ، من الاغاني (ج ٩/٦) .

(٣) صحيح مسلم ، شرح النووي ، كتاب الوصية ، (ج ١١/٨٩) ، وصحيح البخاري ، كتاب الوصية ، باب الوصايا ، فتح الباري (ج ٦/٢٩١)

علي ! ان عائشة لا تطيب له نفسا بخير»^١

وفي مسند احمد ، (ج ١١٣/٦) :

جاء رجل فوقع في علي وفي عمار عند عائشة فقالت : اما علي فلست قائلة لك فيه شيئا وأما عمار فإنني سمعت رسول الله (ص) يقول فيه : « لا يخير بين أمرين الا اختار ارشدهما » هكذا كانت ام المؤمنين تدفع عن عمار الوقعة وتسكت عن ينال من الامام علي

حديث ثالث

في صحيح البخاري ومسلم وغيرهما واللفظ لمسلم :

عن عائشة ان رسول الله (ص) بعث رجلا على سرية وكان يقرأ لاصحابه في صلاتهم بـ (قل هو الله أحد) فلما رجعوا ذكر ذلك لرسول الله (ص) فقال سلوه لاي شيء يصنع ذلك ، فسألوه ، فقال : لانها صفة الرحمن ، فأنا أحب أن أقرأ بها ، فقال رسول الله (ص) : اخبروه أن الله يحبه^٢

ياترى من يكون هذا الرجل الذي يحبه الله ولم تر عائشة ان تذكر اسمه ، انه لو كان والدها الخليفة ابابكر أو الخليفة عمر أو غيرهما من ذوي عصبتها مثل ابن عمها طلحة ونظرائهم لذكرت اسمه ومهما بحثنا في مصادر مدرسة الخلفاء لم نجد اسمه فاضطررنا الى مراجعة مصادر مدرسة اهل البيت فوجدنا الخبر في تفسير سورة الاخلاص من تفسير مجمع البيان وتفسير البرهان ، وباب معنى ؛ قل هو الله احد ، من كتاب التوحيد للشيخ ابي جعفر محمد بن علي الصدوق (ت : ٣٨١ هـ) واللفظ للأخير :

عن الصحابي عمران بن حصين

ان النبي (ص) بعث سرية واستعمل عليها عليا (ع) فلما رجعوا سأهم ، فقالوا كل خير ، غير انه قرأ بنا في كل صلاة بـ « قل هو الله احد » فقال : لم فعلت هذا ؟ فقال : لحبي لـ « قل هو الله احد » فقال النبي (ص) : ما احببتا حتى احببك

(١) طبقات ابن سعد ، ط ، بيروت ، (ج ٢/٢٣٢)

وقد أورد البخاري الحديث نفسه في صحيحه باب مرض النبي ووفاته (ج ٣/٦٣) وهذا لفظه : « فقال ابن عباس : هل تدري من الرجل الاخر الذي لم تسم عائشة ؟ قال : قلت : لا ، قال ابن عباس : هو علي بن أبي طالب » حذف البخاري من الحديث قول ابن عباس « ان عائشة لا تطيب له نفسا بخير » .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين ، باب : فضل قراءة قل هو الله احد ، الحديث رقم : ٢٦٣ ، ص : ٥٥٧ .

صحيح البخاري ، كتاب التوحيد ، باب ماجاء في دعاء النبي (ص) أمته في توحيد الله تبارك وتعالى ، (ج ٤/١٨٢)

الله عزوجل^١

ولصحة هذا الحديث شاهدان قويان :

أ- في صحيح البخاري وغيره ؛ ان ام المؤمنين عائشة عبرت في حديثها عن الامام علي بلفظ رجل وكذلك فعلت في هذا الحديث

ب- ورد في صحيح البخاري وغيره ان رسول الله (ص) قال لعلي : يحبه الله كما قال في هذا الحديث : أحبك الله

هكذا لاتذكر أم المؤمنين عائشة اسم علي في حديثها وتكني عنه بالرجل ، ولم تقتصر بهذا المقدار من الجفوة بل زادت ، كما سنذكر بعضها في ما يأتي :

ام المؤمنين تظهر السرور بقتل الامام علي

وأكثر من كل ما ذكرناه ما رواه أبو الفرج في مقتل الامام علي وقال :

« لما أن جاء عائشة قتل الامام علي سجدت »^٢ أي : سجدت شكرا لله مما

بشرورها به

وروى الطبري وأبو الفرج وابن سعد وابن الأثير وقالوا :

لما أتى عائشة نعي علي قالت :

فألقت عصاها واستقر بها النوى كما قر عينا بالأياب المسافر

ثم قالت : من قتله ؟ فقيل : رجل من مراد ، فقالت :

فان يكن نائيا فلقد نعاه غلام ليس في فيه التراب

فقالت زينب بنت ام سلمة : ألعلي تقولين هذا ؟ فقالت : اذا نسيت

فذكروني^٣

ثم تمثلت :

ما زال إهداء القصائد بيننا باسم الصديق وكثرة الالقاب

حتى تركت كأن قولك فيهم في كل مجتمع طنين ذباب^٤

(١) تفسير مجمع البيان للشيخ أبي علي أمين الدين ، الفضل بن الحسن الطبرسي (ت : ٥٤٨ هـ) ، تصحيح احمد عارف الزين ، مطبعة العرفان ، صيدا ، سنة ١٣٣٣-١٣٥٦ هـ ، (ج ١٠/٥٦٧) ، وتفسير البرهان للسيد هاشم البحراني ، (ت : ١١٠٧ أو ١١٠٩ هـ) ط ، الثالثة ، قم ، سنة ١٣٩٤ هـ ، (ج ٤/٥٢١) .

توحيد الصدوق ، ط ، تهران ، سنة ١٣٨٧ هـ ، ص : ٩٤ ، ١١ .

وعمران بن حصين ابو نجيد الخزاعي اسلم عام خيبر بعثه عمر ليفقه اهل البصرة وكان من فضلاء الصحابة ومجاب الدعوة توفي بالبصرة سنة ٥٢ هـ . أسد الغابة (ج ٤/١٣٧-١٣٨) .

(٢) مقاتل الطالبين ، ط ، القاهرة ، سنة ١٣٦٨ هـ ، ص : ٤٣ .

(٣) تاريخ الطبري في ذكر سبب عن مقتل أمير المؤمنين من حوادث سنة ٤٠ هـ ، وكذلك ابن الاثير وطبقات ابن سعد (ج ٣/٢٧) ، ومقاتل الطالبين ص : ٤٢ وفي لفظه : (بغاه غلام) وفي لفظ غيره : (نعاه) .

(٤) ورد تمثل أم المؤمنين بالبيتين في مقاتل الطالبين ، ص : ٤٢ .

مقارنة أحاديث أم المؤمنين عائشة بأحاديث غيرها

كان ما ذكرناه بعض مواقف أم المؤمنين عائشة من الامام علي ، أما قولها متى أوصى اليه وانخنت فمات في صدرى او حاقتي وذاقتي ، فقد تفردت هي بروايتها ويعارضها الروايات الآتية :

قال ابن سعد في طبقاته باب من قال توفي رسول الله (ص) في حجر علي بن أبي طالب ، عن الامام علي :

« قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، في مرضه ادعوا لي أخي ؛ قال : فدعي له علي فقال : ادن مني ، فدنوت منه فاستند الي فلم يزل مستندا الي وإنه ليكلمني حتى ان بعض ريق النبي ، صلى الله عليه وسلم ، ليصيبني ثم نزل برسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وثقل في حجري » الحديث .
وروى عن علي بن الحسين ، قال :

« قبض رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ورأسه في حجر علي . »
وعن الشعبي ، قال :

« توفي رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ورأسه في حجر علي وغسله علي » الحديث .

وروى عن أبي غطفان ، قال :

« سألت ابن عباس رأيت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، توفي ورأسه في حجر أحد ؟ قال : توفي وهو لمستند الي صدر علي ؛ قلت : فإن عروة حدثني عن عائشة أنها قالت توفي رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بين سحري ونحري ! فقال ابن عباس : أتعقل ؟ والله لتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنه لمستند الي صدر علي ، وهو الذي غسله » الحديث .

وروى عن جابر بن عبد الله الانصاري :

« ان كعب الاحبار قام زمن عمر فقال ونحن جلوس عند عمر أمير المؤمنين : ما كان آخر ما تكلم به رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ؟ فقال عمر : سل عليا ؛ قال : أين هو ؟ قال : هو هنا ؛ فسأله فقال علي : أسندته إلى صدرى فوضع رأسه على منكبي فقال : الصلاة الصلاة ! فقال كعب : كذلك آخر عهد الأنبياء وبه أمروا وعليه يبعثون ؛ قال فمن غسله يا أمير المؤمنين ؟ قال سل عليا ؛ قال فسأله فقال :

كنت أنا أغسله وكان عباس جالسا وكان أسامة وشقرانُ يختلفان إلى بالماء .^١ « لو كان النبي انخنت وتوفي بين سحر عائشة ونحرها أو حاقتها وذاقنتها كما قالت هي لقال الخليفة عمر لكعب الاحبار : سل أم المؤمنين عائشة عن آخر ما تكلم به رسول الله (ص) ولم يكن يحيله على الامام علي . وأقوى من كل الروايات السابقة رواية من شهدت ذلك من أمهات المؤمنين وهي أم سلمة قالت :

« والذي أحلف به أن كان علي لأقرب الناس عهدا برسول الله (ص) عدناه غداة وهو يقول : جاء علي ، جاء علي ، مرارا فقالت فاطمة كأنك بعثته في حاجة ؛ قالت : فجاء بعد ، فظننت أن له إليه حاجة ، فخرجنا من البيت فقعدنا عند الباب ، قالت أم سلمة : وكنت من أدناهم إلى الباب ، فأكبَّ عليه رسول الله (ص) وجعل يساره و يناجيه ، ثم قبض (ص) من يومه ذلك فكان أقرب الناس به عهدا »^٢

وفي رواية عبد الله بن عمرو

« أن رسول الله (ص) قال في مرضه ادعوا لي أخي - إلى قوله - فدعي له علي فستره بثوبه وأكبَّ عليه »^٣ الحديث .

ومما قاله الامام علي (ع) عن وفاة رسول الله (ص) قوله :

« فلقد وسدتك في ملحودة قبرك ، وفاضت بين نحري وصدري نفسك فإننا لله وإنا إليه راجعون »^٤
وقال أيضا :

« ولقد قبض رسول الله - صلى الله عليه وآله - وإن رأسه لعلى صدري . ولقد

(١) هذه الاحاديث الخمسة في طبقات ابن سعد ، باب ، من قال : توفي رسول الله (ص) في حجر علي بن أبي طالب . ط ، أوروبا ، (ج ٢/ق ٥١/٢) .

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه (ج ٣/١٣٩) وقال هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه ، واعترف بصحته الذهبي في تلخيص المستدرك ، وأخرجه ابن عساكر في باب ، انه كان أقرب الناس عهدا برسول الله (ص) من ترجمة الامام علي (ج ٣/١٤-١٧) بطرق متعددة ، وفي مصنف ابن أبي شيبة (ج ٦/٣٤٨) ومجمع الزوائد (ج ٩/١١٢) وكنز العمال ، ط ، الثانية ، كتاب الفضائل ، فضائل علي بن أبي طالب ، الحديث : ٣٧٤ ، (ج ١٥/١٢٨) وأخرجه سبط ابن الجوزي ، في تذكرة خواص الامة ، باب حديث النجوى والوصية عن كتاب الفضائل لاحمد بن حنبل .

(٣) كنز العمال ، ط ، الاولى ، (ج ٦/٣٩٢) ، وتاريخ ابن كثير (ج ٧/٣٥٩) ، وترجمة الامام علي من تاريخ ابن عساكر ، ط ، بيروت ، سنة ١٣٩٥ هـ (ج ٢/٤٨٤) .

(٤) نهج البلاغة ، الخطبة : ٢٠٢ .

سالت نفسه في كفي ، فأمررتها على وجهي . ولقد وليت غسله - صلى الله عليه وآله - والملائكة أعواني ، فضجت الدار والافنية : ملاً يهبط ، وملاً يعرج ، وما فارقت سمعي هينمة منهم يصلون عليه حتى واريناه في ضريحه ^١ »

مناقشة أحاديث أم المؤمنين عائشة

تفردت أم المؤمنين عائشة برواية ، أن النبي (ص) توفي في حجرها في مقابل كل تلکم الاحاديث .

وأغلب الظن كما قلنا سابقاً أنها قالت ذلك في حرب البصرة ، أي بعد زمان الخليفين عمر وعثمان وكذلك يناسب هذا القول عصر معاوية حيث كان ينهى عن نقل فضائل الامام ويأمر بنقل ما يناقضها .

وعلى فرض صحة قول عائشة أن النبي (ص) توفي على صدرها ، هل كان ذلك مناقضاً لما تواتر من أن الامام علياً كان وصي رسول الله (ص) ؟ وألم يكن ثمة زمان آخر ليدي الرسول (ص) بوصاياه للامام علي ؟ كما تدل عليه روايات كثيرة مثل ما رواه أصحاب السنن والمسانيد عن الامام علي ، قال :

« كان لي من رسول الله (ص) مُدخلان : مدخل بالليل ، ومدخل بالنهار فكنت اذا اتيته وهو يصلي تنحنح . » ^٢
وفي رواية :

« كانت لي من رسول الله (ص) منزلة لم تكن لأحد من الخلائق ، اني كنت آتية كل سحر فأسلم عليه حتى يتنحنح » ^٣ الحديث .
ومن تاريخ ابن عساکر عن جابر :

« لما كان يوم الطائف ، ناجى رسول الله (ص) علياً ، فأطال نجواه فقال بعض أصحابه : لقد أطال نجوى ابن عمه ، فبلغه ذلك ، فقال : ما أنا انتجيته ؛ بل الله انتجاه . »

وفي لفظ آخر للرواية :

(١) نهج البلاغة ، الخطبة : ١٩٧ .

(٢) سنن ابن ماجه ، كتاب الادب ، باب الاستئذان ، الحديث : ٣٧٠٨ ومسند أحمد (ج ١ / ٨٠) .
(٣) مسند أحمد (ج ١ / ٨٥ و ١٠٧) ويأتي تفصيله في باب مصادر الشريعة الاسلامية لدى مدرسة أهل البيت .

« فناجاه طويلا ، وأبو بكر و عمر ينظران والناس ، قال ثم انصرف الينا فقال الناس : قد طالت مناجاتك اليوم يا رسول الله ، فقال : ما أنا انتجيتة ولكن الله انتجاه »^١

* * *

أوردنا هذه الروايات من مصادر أخرى - أيضا - في باب ذكر حاملي علوم الرسول (ص) من هذا الكتاب ، وفي باب مصادر الشريعة الاسلامية لدى مدرسة أهل البيت .

مقارنة بين حديث أم المؤمنين عائشة و حديث الامام علي

تفردت أم المؤمنين عائشة برواية ما أخبرت به عن خبر آخر ساعات حياة الرسول الاكرم (ص) أنه طلب طستا ليبول فانخث ومات بين حاقنتها وذاقنتها ، وأمثال هذه الالفاظ أضف اليه حديثها وحديث غيرها :

أن رسول الله (ص) عندما تلقى أول وحي هبط به جبرائيل من الله بآيات سورة اقرأ شك في جبرائيل أنه شيطان يريد أن يتلعب به وشك في الايات الكريمة أنها من قبيل سجع الكهان حتى طمأنه الرجل النصراني ورقة بن نوفل أنه نبي أوحى اليه كموسى بن عمران فاطمأن وأدرك أنه نبي ، الى أحاديث أخرى لهذه المدرسة عن سيرة رسول الله (ص) ان تلکم الاحاديث كما ذكرنا في البحوث التمهيدية كونت رؤية خاصة عن رسول الله (ص) لمن يعتقد بها تنزل مقام أفضل الرسل عن مستوى الانسان العادي ولهذا حق للرجل ذي المعرفة السعودي ان يقول « محمد رجلا مثلي مات » .

اما في حديث الامام علي عن بدء نزول الوحي وهو الشاهد الوحيد الذي كان عندئذ مع الرسول في غار حراء : أنه سمع رنة حينئذ وأن الرسول (ص) أخبره أن الرنة من الشيطان لانه أيس من عبادته .

وفي حديثه أيضا : ان الله قرن برسول الله (ص) منذ أن كان فطيمًا أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره .
وفي حديثه عن وفاة رسول الله (ص) انه أدناه اليه وأخذ يناجيه ويسرُّ اليه

(١) أخرج الحديثان ابن عساكر بترجمة الامام علي (ج ٢/٣١٠ و ٣١١) وابن كثير في تاريخه (ج ٧/٣٥٦) وفي شرح نهج البلاغة ط ، مصر الاولى (ج ٢/٧٨) ما ملخصه : دخلت عائشة وهما يتناجيان ، فقالت : يا علي ليس لي الا يوم من تسعة أيام أفما تدعني يا ابن أبي طالب .

ويوصي حتى قبض (ص) 'وسالت نفسه في كفه فأمرها على وجهه وأنه أخذ في تغسيله وتكفينه والملائكة أعوانه في ذلك وقد ضجت الدار والأفنية ملاً يهبط وملاً يعرج وانه ما فارقت سمعه هينمة منهم يصلون عليه حتى واره في ضريحه .
 إن أمثال هذه الأحاديث عن سيرة الرسول بمدرسة أهل البيت - أيضا - كوت رؤية خاصة لمن يعتقد بها ولن يتيسر تقارب بين المسلمين ما لم تدرس المجموعتان من الأحاديث معا دراسة مقارنة لنصل الى الحقيقة المنشودة ثم يتفاهم الاخوة المسلمون في ضوء تلك الدراسات ان شاء الله تعالى . ونؤكد مرة أخرى أن في مقدمة ما ينبغي دراسته دراسة مقارنة ؛ أخبار سيرة الرسول الأكرم (ص) وتاريخ عصر الرسول (ص) وعصر من تشرف بصحبته .

حديثان متعارضان من أم المؤمنين عائشة

وموقفان مختلفان

روى ابن عساكر أن امرأتين سألتا عائشة ، فقالتا : يا أم المؤمنين أخبرينا عن علي ، قالت : أي شيء تسألن عن رجل وضع يده من رسول الله (ص) موضعا فسالت نفسه في يده فمسح بها وجهه ، واختلفوا في دفنه ، فقال : إن أحب البقاع الى الله مكان قبض فيه نبيه . قالت : فلم خرجت عليه ، قالت : أمر قضي لوددت أن أفديه بما في الارض^٢

إن حديثها هذا يتفق مع حديث الامام علي الذي قال فيه :
 قبض رسول الله (ص) وان رأسه على صدري ولقد سالت نفسه في كفي وأمررتها على وجهي ، ويتعارض مع حديثها :
 انخنت بين حاقتي وذاقتني .

وروى ابن عساكر - أيضا - عن عائشة أنها قالت : قال رسول الله (ص) وهو في بيتها لما حضره الموت

أدعوا لي حبيبي فدعوا عليا فأتاه فلما رآه أفرد الثوب الذي كان عليه ثم أدخله فيه فلم يزل يحتضنه حتى قبض عليه^٣

حديثها هذا يتفق مع حديث عبد الله بن عمر الذي قال فيه :
 ان رسول الله قال في مرضه : أدعوا لي عليا ويعارض أحاديثها ، في أن الرسول (ص) توفي بين سحرها ونحرها . وأمثالها ، ومنشأ صدور الحديثين

(١) وقد أيد حديثه ؛ حديث أم سلمة ، وغيرها في ذلك .

(٢) و (٣) كلا الحديثين أخرجهما ابن عساكر في ترجمة الامام علي (ج ٣/١٥) .

المعارضين من أم المؤمنين عائشة ؛ وسببه اختلاف موقفها من الامام علي ، وبيانه :

موقفان مختلفان تجاه الامام علي

بعد وفاة أبي بكر بويح الخليفة أبوبكر وبقي علي ومعه جميع بني هاشم ستة أشهر حسب رواية أم المؤمنين عائشة لم يبايعوه حتى توفيت فاطمة ثم بقي الامام علي بعيدا عن الساحة حتى أخريات خلافة عثمان حيث قادت أم المؤمنين عائشة^٢ المعارضين من طلحة والزبير وغيرهما ضد الخليفة أملا منها بأن يلي بعد عثمان ابن عمها طلحة ولما قتل عثمان وبايع المسلمون عليا أقامت ضده حرب الجمل ، وانكسرت فيها وأرجعها الامام علي الى المدينة وبقيت حانقة عليه حتى استشهد ، ومر بنا تظاهرها بالسرور من مقتله ، ثم ولي الحكم معاوية وجمع بينهما الموقف الواحد من الامام ثم فترت العلاقة بينهما على أثر قتل معاوية لحجر بن عدي ، ولما أراد معاوية أن يأخذ البيعة ليزيد ، كان شقيقها عبد الرحمن بن أبي بكر من أشد المعارضين لبيعة يزيد ، خطب مروان في مسجد الرسول (ص) وكان واليا على الحجاز من قبل معاوية ، فقال :

إن أمير المؤمنين قد اختار لكم ، فلم يأل ، وقد استخلف لابنه يزيد بعده ، فقام عبد الرحمن بن أبي بكر ، فقال كذبت والله يا مروان ! وكذب معاوية ما الخيار أردتما لأمة محمد ، ولكنكم تريدون أن تجعلوها هرقلية كلما مات هرقل قام هرقل ، فقال مروان : هذا الذي أنزل الله فيه و الذي قال لوالديه « أف لكما » الآية ، فسمعت عائشة مقالته من وراء الحجاب ، فقامت من وراء الحجاب ، وقالت : يا مروان ! يا مروان ! فأنصت الناس ، وأقبل مروان بوجهه ، فقالت أنت القائل لعبد الرحمن أنه نزل فيه القرآن ، كذبت والله ما هو به ، ولكنه فلان بن فلان ، ولكنك فضض من لعنة الله .

وفي رواية ، فقالت : كذب والله ما هو به ، ولكن رسول الله (ص) لعن أبا

(١) مر مصادر الخبر في بحث السقيفة من هذا الكتاب .

(٢) أوردنا تفاصيل موقف عائشة من عثمان ومعاوية في كتابنا « أحاديث عائشة و أوردنا فهرستا من تلك

مروان ومروان في صلبه ، فمروان فضض من لعنة الله عز وجل^١
وأخرج البخاري الحديث في صحيحه وقال :

« كان مروان على الحجاز ، استعمله معاوية ، فخطب فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يبائع له بعد أبيه ، فقال عبد الرحمن بن أبي بكر شيئا فقال خذوه فدخل بيت عائشة فلم يقدروا عليه ، فقال مروان ان هذا الذي أنزل الله فيه ، والذي قال لوالديه أف لكم أتعدانني ؟ فقالت عائشة من وراء الحجاب ما أنزل الله فيه شيئا من القرآن الا ان الله أنزل عذري^٢ »

هكذا حذف البخاري قول عبد الرحمن « تريدون أن تجعلوها هرقلية . . . »
وأبدله بقوله : « قال شيئا » وحذف رواية أم المؤمنين عائشة في حق مروان . بينا أوردها ابن حجر في شرحه لصحيح البخاري المسمى بفتح الباري مفصلا ، وفي لفظ بعضها : ولكن رسول الله (ص) لعن أبا مروان ومروان في صلبه^٣

و إنما فعل الشيخ البخاري ذلك لأن معاوية ويزيد هما من خلفاء المسلمين ، ولا يرى البخاري أن يسمع العامة قول عبد الرحمن في حقهما ، أنهما جعلتا الخلافة هرقلية كلما مات هرقل قام هرقل مقامه ، وحذف رواية أم المؤمنين عائشة في مروان .

- أيضا - لأن مروان أصبح خليفة للمسلمين ولا ينبغي ذكر ما يشينه ، وهكذا فعل الشيخ البخاري في صحيحه فإنه حذف أي شيء يشين الخلفاء والحكام في كل حديث ورد من ذلك شيء ، ومن ثم اعتبرت مدرسة الخلفاء كتابه أصح الكتب بعد كتاب الله ، وعد هو امام أهل الحديث لديهم .

* * *

لما لم يستطع مروان من أخذ البيعة في الحجاز ليزيد قدم معاوية الحجاز حاجا و دخل المدينة و كان من خبره ما رواه ابن عبد البر ، حيث قال :
« قعد معاوية على المنير يدعو الى بيعة يزيد ، فكلمه الحسين بن علي ، و ابن الزبير ، و عبد الرحمن بن أبي بكر ، فكان كلام ابن أبي بكر ، : أهرقلية ! ؟ إذا

(١) تاريخ ابن الاثير (ج ٣/١٩٩) في ذكره حوادث سنة ٥٦ هـ .
والفضض : القطعة من الشيء .

(٢) صحيح البخاري (ج ٣/١٢٦) باب ، والذي قال لوالديه من تفسير سورة الاحقاف .

(٣) فتح الباري (ج ١٠/١٩٧-١٩٨) وأخرج القصة بتفصيلها أبو الفرج في الاغانى (ج ١٦/٩٠-٩١) وراجع ترجمة الحكم بن أبي العاص من الاستيعاب و أسد الغابة و الاصابة و مستدرک الحاكم (ج ٤/٤٨١) و تاريخ ابن كثير (ج ٨/٨٩) و الاجابة في ما استدركته عائشة على الصحابة ، و ترجمت عبد الرحمن بن أبي بكر في تاريخ دمشق لابن عساكر .

مات كسرى كان كسرى مكانه ، لا نفعل و الله أبدا ، و بعث إليه معاوية بهائة ألف درهم بعد أن أبى البيعة ليزيد ، فردها عليه عبد الرحمن ، و أبى أن يأخذها ، وقال: أبيع ديني بدنياي ! ؟ فخرج الى مكة ، فمات بها قبل أن تتم البيعة ليزيد بن معاوية^١ .»

وذكر ابن عبد البر بعده وقال : « إن عبد الرحمن مات فجأة بموضع يقال له: « الجُشِّي »^٢ على نحو عشرة أميال من مكة فدفن بها ، ويقال أنه توفي في نومة نامها ، ولما اتصل خبر موته بأخته عائشة أم المؤمنين (رض) ظعنت من المدينة حاجة حتى وقفت على قبره ، وكانت شقيقته ، فبكت عليه و تمثلت :

وكنا كندماني جذيمة حقة من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

فلما تفرقنا كأني و مالكا لطول اجتماع لم نبت معا^٣

أما و الله لو حضرتك لدفتك حيث مكانك ، و لو حضرت ما بكيت .

وفي مستدرک الحاكم :

رقد في مقيل قاله فذهبوا يوقظونه فوجدوه قد مات ، فدخل في نفس عائشة تهمة أن يكون صنع به شرا و عجل عليه فدفن وهو حي^٤ .

* * *

لو بقي عبد الرحمن حيا لما تمت بيعة يزيد مع موقفه الصارم ضد بيعته ومعه أم المؤمنين عائشة فمات في طريق مكة ، كما مات مالك الاشر في طريق مصر مسموما بسم دس إليه معاوية^٥ .

مات عبد الرحمن ليفسح الطريق لبيعة يزيد كما توفي قبله الامام الحسن بسم دس إليه معاوية ، اغتيل عبد الرحمن في هذا السبيل كما اغتيل سعد بن أبي وقاص

(١) راجع ترجمة عبد الرحمن بن أبي بكر من الاستيعاب (ج ٢/٣٩٣) و أسد الغابة (ج ٣/٣٠٦) والاصابة (ج ٢/٤٠٠) وشذرات الذهب في ذكر حوادث سنة ٥٣ هـ و قريب منه ما في مستدرک الحاكم (ج ٣/٤٧٦).

(٢) في معجم البلدان :

الجُشِّي : جبل بأسفل مكة ، بينه وبين مكة ستة أميال ، مات عنده عبد الرحمن بن أبي بكر فجأة ، فحمل على رقاب الرجال الى مكة ، فقدمت عائشة من المدينة وأتت قبره وتمثلت :
وكنا كندماني جذيمة البيتين .

(٣) راجع ترجمة عبد الرحمن بن أبي بكر من الاستيعاب .

(٤) مستدرک الحاكم (ج ٣/٤٧٦) و كذلك في تلخيص المستدرک للذهبي

(٥) راجع فصل ، مع معاوية من كتابنا « أحاديث أم المؤمنين عائشة » .

وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد و لم يخف ذلك على أم المؤمنين عائشة ، فأقامت على بني أمية عامة حربا شعواء من الدعاية القوية ضدهم بدأتها بنشر ما سمعتها من النبي (ص) في شأن مروان وأبيه الحكم وقابلت سياسة معاوية خاصة و التي كانت ترمي الى طمس فضائل بني هاشم عامة وبيت الامام خاصة ، لمقام الحسين عند المسلمين وهو يريد أن يورث الخلافة في عقبه و بلغ الامر به أن أمر بلعن الامام علي على منابر المسلمين ، عندئذ قابلت أم المؤمنين عائشة هذه السياسة مقابلة قوية و أخذت في هذا الدور تنشر فضائل الامام علي و شبليه الحسن و الحسين سبطي رسول الله (ص) و زوجته فاطمة ابنة رسول الله (ص) و من ثم روي عنها في فضائلهم بعض ما كانت سمعته من رسول الله (ص) و ما شاهدتها و من جملتها الحديثين الانفين المتعارضين مع أحاديثها الاخرى في وفاة الرسول (ص) .

دراسة عمل مدرسة الخلفاء بنصوص سنة الرسول (ص) التي تخالف اتجاهها

في هذه العجالة نضرب - مثلا - لما فعلته مدرسة الخلفاء بالنصوص التي تخالف اتجاهها بعملها مع النصوص التي فيها ذكر صفة الوصي للامام علي في سنة الرسول (ص) و أقوال الصحابة ونقول :

روت الصحابة روايات متعددة موثوقة ومعتبرة أن رسول الله (ص) قال : علي و صني و وزير و وارثي ، و في بعضها ، و خليفتي ، و اشتهر الامام علي بلقب الوصي من بين هذه الالقاب و أصبح علما له و لم يعرف غيره بهذا اللقب كما كناه رسول الله (ص) بأبي تراب فاختص به و اشتهر و أصبح علما له و لم تعرف لغيره هذه الكنية ، ثم أكثر الصحابة و التابعون و من جاء بعدهم من الشعراء ذكره بالوصي في أشعارهم كما ورد ذكره عند علماء أهل الكتاب و أخبروا الناس بذلك .

انكار الوصية

ولما كانت شهرة لقب الوصي للامام علي تخالف سياسة مدرسة الخلفاء سعوا في مقابلة هذه الشهرة بانكارها و كتمان النصوص الدالة عليها .

* * *

بدأت أم المؤمنين عائشة بحملة دعاية قوية ضد شهرة الامام علي بلقب الوصي و أنكرته ثم استمرت حملاتهم ضد هذه الشهرة بأشكال أخرى مدى القرون . و من أهم مافعلته مدرسة الخلفاء في هذا المقام كتمان النصوص الواردة في شأن الوصية ، و يجد الباحث المتتبع من كتمان النصوص التي تخالف سياسة الخلفاء بمدربتهم سواء ما كان منها في شأن الوصية أو في غيرها ، أمرا هائلا خطيرا . و من أمثلة الكتمان لدى مدرسة الخلفاء، الأصناف العشرة الآتية نذكرها حسب

أهميتها في كتمان سنة الرسول (ص) بدءاً بالمهم ثم الأهم :

- أ - حذف بعض الحديث من سنة الرسول (ص) و تبديله بكلمة مبهمه .
- ب - حذف تمام الخبر من سيرة الصحابة مع الاشارة الى الحذف .
- ج - تأويل معنى الحديث من سنة الرسول (ص) .
- د - حذف بعض أقوال الصحابة مع عدم الاشارة اليه .
- هـ - حذف تمام الرواية من سنة الرسول (ص) مع عدم الاشارة اليه .
- و - النهي عن كتابة سنة الرسول (ص) .
- ز - تضعيف الروايات و رواة سنة الرسول (ص) و الكتب التي تنتقص السلطان .
- ح - حرق الكتب و المكتبات .
- ط - حذف بعض الخبر من سيرة الصحابة و تحريفه .
- ي - وضع الروايات المختلقة بدلا من روايات سنة الرسول (ص) الصحيحة و سيرة الصحابة الصحيحة .

أ - حذف بعض الحديث من سنة الرسول (ص) و تبديلها بكلمة مبهمه .
من أنواع الكتمان بمدرسة الخلفاء حذف بعض الحديث من سنة الرسول (ص) و تبديلها بكلمة مبهمه بدل ما حذف ، مثل ما فعله الطبري وابن كثير بخبر دعوة بني هاشم في تفسير الآية : « و أنذر عشيرتك الاقربين » حيث حذف قول رسول الله (ص) : « و وصيي و خليفتي فيكم » و أبدلاه بقولهما : [وكذا و كذا] .
و من هذا النوع من الكتمان ما فعله البخاري في صحيحه مع سيرة الصحابة في خبر عبد الرحمن الذي مر بنا سابقا ، حيث حذف كلام عبد الرحمن لمروان و قال : [فقال عبد الرحمن شيئا] بدّل كلام عبد الرحمن بقول مبهم و أضاف الى ذلك حذف ما روته أم المؤمنين عائشة عن رسول الله (ص) من الحديث في حق الحكمّ والد الخليفة مروان .

و من هذا النوع من الكتمان - أيضا - ما فعلوه مع خبر استشارة رسول الله (ص) أصحابه في شأن غزوة بدر و جواب أصحابه له .
فقد روى ابن هشام والطبري و قالوا :

(و أتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا غيرهم فاستشار الناس و أخبرهم عن قريش فقام أبو بكر الصديق فقال و أحسن ، ثم قام عمر بن الخطاب فقال و أحسن ثم قام المقداد بن عمرو فقال : يا رسول الله امض لما أمرك الله فنحن معك ، و الله لا نقول لك ما قالت بنو إسرائيل لموسى : « فاذهب أنت و ربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون » ولكن ، اذهب أنت و ربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون) الى قوله : (فقال رسول الله (ص) خيرا ودعا له به) .

وجاء في جواب سعد بن معاذ الانصاري قوله :

(فامض يا رسول الله (ص) لما أردت فنحن معك فو الذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك ما تخلف منا رجل . . . فسرَّ رسول الله (ص) قول سعد ونشطه ذلك .)

ياترى ماذا كان جواب الصحابين أبي بكر و عمر لرسول الله (ص) الذي حذف من هذه الرواية و أبدل بقول مبهم و هو [و أحسن] و لو كان القول حسنا فلم حذف القول ؟ ! بينا أثبت قول المقداد المهاجري و سعد بن معاذ الانصاري ، نرجع الى صحيح مسلم فنجد في روايته :

ان رسول الله (ص) شاور أصحابه حين بلغه اقبال أبي سفيان قال : (فتكلم أبو بكر فأعرض عنه ، ثم تكلم عمر فأعرض عنه . . .) الحديث .
يا ترى لماذا أعرض الرسول (ص) عن الصحابين لو كان قولهما حسنا ؟ و نبحت عن قولهما لدى الواقدي والمقرئزي فنجدهما يقولان هكذا ، و اللفظ للأول : (قال عمر : يا رسول الله إنها و الله قريش و عزها ، و الله ما ذلت منذ عزت و الله ما امنت منذ كفرت والله لا تسلم عزها أبدا ، و لتقاتلنك ، فاتهب لذلك أهبتة و أعد لذلك عدته . . .)^١

عرفنا من رواية ابن هشام والطبري ومسلم أن الصحابي عمر تكلم بعد الصحابي أبي بكر و وصف الطبري و ابن هشام قول كل منهما بـ [فأحسن] و في رواية مسلم أن الرسول (ص) أعرض عن أبي بكر ثم عن عمر و من ثم نعرف أن قولهما كان أمرا واحدا ، وعندما صرح الواقدي و المقرئزي عن قول عمر و كتما قول أبي بكر ، كشف لنا قول عمر - أيضا - عن قول أبي بكر

ولما كان قول الصحابين يسوء ذكره بعض الناس حذف قولهما من رواية ابن هشام والطبري ومسلم ، ومن أجل هذا النوع من الكتمان أصبحت هذه الكتب من

(١) مررنا ذكر مصادر الخبر في بحث مناقشة الاستدلال بالشورى بهذا الكتاب .

أوثق الكتب بمدرسة الخلفاء .

و أصبح صحيح البخاري الذي لم يذكر شيئاً من هذا الخبر ؛ مبهماً وغير مبهم أكثر إشتهاراً بالصحة و الوثاقة من جميع الكتب .

* * *

إن الطبري و ابن كثير أبداً من حديث الرسول (ص) « وصي و خليفتي » بـ [كذا و كذا] . لأن هذا الخبر ينه العامة الى حق الامام علي في الحكم و لا يحسن انتشاره .

و أبدل البخاري قول عبد الرحمن بـ (شيئاً) لأن قول عبد الرحمن كان يسوء الخلفاء ؛ معاوية و يزيد و مروان و ينه العامة الى ما لا ينبغي أن ينتبهوا اليه .
و أبدل قول أبي بكر و عمر في جواب رسول الله (ص) بكل من سيرة ابن هشام و تاريخ الطبري و حذف من رواية صحيح مسلم لما فيه ما لا يزين الخليفين أبي بكر و عمر ، و كلهم حذف بعض الخبر مع الابهام في القول ، و هذا النوع من الكتمان كثير عند علماء مدرسة الخلافة .

ب - حذف تمام الخبر من سيرة الصحابة مع الاشارة الى الحذف .

و من أنواع الكتمان عندهم ما فعلوه مع مكاتبات جرت بين محمد بن أبي بكر و معاوية فقد وجدنا في كتاب صفين لنصر بن مزاحم (ت : ٢١٢ هـ) و مروج الذهب للمسعودي (ت : ٣٤٦ هـ) تفصيل كتاب محمد بن أبي بكر لمعاوية و فيه ذكر فضائل الامام علي بما فيها أنه وصي النبي و اعتراف معاوية في جوابه بها و في الكتابين ذكر ما لا يزين الخلفاء نشره فحذفهما الطبري (ت : ٣١٠ هـ) مع ذكره لسنده الى الكتابين و اعتذر عن ذلك بعدم احتمال العامة لسماح ما فيهما ، أي أنه أخفى الحقائق عن الناس ، و جاء بعده ابن الاثير (ت : ٦٣٠ هـ) و فعل كذلك و اعتذر بنفس العذر و جاء بعدهما ابن كثير و أشار الى كتاب محمد بن أبي بكر في موسوعته التاريخية الكبرى^١ و اقتصر بقوله : « وفيه غلظة » .

* * *

يقصد الطبري و ابن الاثير من قولهما : (عدم احتمال العامة لسماح ما فيهما) : أن العامة لا تبقى على عقيدتها بالخلفاء بعد سماح الكتابين .
و هذا الصنف من الكتمان ؛ أي حذف تمام الخبر مع الاشارة الى الخبر المحذوف نادر عند علماء مدرسة الخلفاء .

ج - تأويل معنى الحديث من سنة الرسول (ص)

من أنواع الکتھان بمدرسة الخلفاء تأويل معنى الرواية كما فعل الذهبي^١ بترجمة النسائي صاحب السنن ، فإنه قال : سئل النسائي أن يخرج فضائل معاوية ، قال : أي شيء أخرج ؟ حديث اللهم لا تشبع بطنه ؛ فقال الذهبي : (قلت لعل هذه منقبة لمعاوية لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم : اللهم من لعنته أو شتمته فاجعل ذلك له زكاة ورحمة) قال الذهبي (ت : ٧٤٨ هـ) : [لعله] . وجاء بعده ابن كثير (ت : ٧٧٤ هـ) وقال :

(وقد انتفع معاوية بهذه الدعوة في دنياه وأخراه) وهذا نص كلامه^٢ في الرواية التي وردت في شأن معاوية ، في صحيح مسلم ، باب « من لعنه النبي أو سبّه ، جعله الله له زكاة وطهورا » من كتاب البر والصلة ، عن ابن عباس قال : كنت ألعب مع الصبيان فجاء رسول الله (ص) فتواريت خلف باب ، قال : فجاء فخطاني خطاة وقال : « اذهب وادع لي معاوية » قال : فجئت فقلت : هو يأكل ، قال ثم قال لي : « اذهب فادع لي معاوية » قال فجئت فقلت : هو يأكل ، فقال : « لا أشبع الله بطنه »^٣ كان هذا لفظ مسلم

وأورد الحديث ابن كثير في تاريخه وزاد على كلام رسول الله (ص) بعد قوله : « اذهب وادع لي معاوية » جملة (وكان يكتب الوحي) وهذا لفظ ابن كثير : « عن ابن عباس . قال : كنت ألعب مع الغلمان فاذا رسول الله (ص) قد جاء ، فقلت : ما جاء إلا إليّ ، فاخبت على باب فجاءني فخطاني خطاة أو خطاتين ، ثم قال : « اذهب فادع لي معاوية - وكان يكتب الوحي - قال : فذهبت فدعوته » له ، فقيل : انه يأكل ، فأتيت رسول الله (ص) فقلت انه يأكل ، فقال : اذهب فادعه ، فأتيته الثانية فقيل : انه يأكل فأخبرته ؛ فقال في الثالثة : لا أشبع الله بطنه قال : فما شبع بعدها ؛ وقد انتفع معاوية بهذه الدعوة في دنياه وأخراه ، أما في دنياه فانه لما صار الى الشام أميراً كان يأكل في اليوم سبع مرات يجاء بقصعة فيها لحم كثير وبصل فيأكل منها ، ويأكل في اليوم سبع أكالات بلحم ، ومن الحلوى و

(١) تذكرة الحفاظ ص : ٦٩٨ - ٧٠١ .

(٢) البداية والنهاية ، ج ٨ / ١١٩ .

(٣) صحيح مسلم كتاب البر والصلة ، الحديث : ٩٦ ، وخطاني : ضربني باليد المبسوطة بين الكتفين ،

الفاكهة شيئاً كثيراً ويقول والله ما أشبع وإنما أعيا ، وهذه نعمة ومعدة يرغب فيها كل الملوك . و أما في الآخرة فقد أتبع مسلم هذا الحديث بالحديث الذي رواه البخاري وغيرهما من غير وجه عن جماعة من الصحابة . أن رسول الله (ص) قال: اللهم إنما أنا بشر فأيتما عبد سببته أو جلده أو دعوت عليه وليس لذلك أهلاً فاجعل ذلك كفارة وقربة تقربه بها عندك يوم القيامة . فركب مسلم من الحديث الأول وهذا الحديث فضيلة لمعاوية ، ولم يورد له غير ذلك^١ انتهى كلام ابن كثير ، وأراد بما قال أن دعاء الرسول على معاوية دعاء له في الدنيا والآخرة أما في الدنيا فبما ذكره من مزية كثرة الأكل للملوك و أما الآخرة فاعتمد الأحاديث التي نسبت إلى رسول الله (ص) أنه كان يلعن المؤمنين - معاذ الله - ودعا أن يكون لهم زكاة و طهوراً. وأن مسلماً حين أورد هذا الحديث في آخر هذا الباب أثبت لمعاوية رضواناً وتقرباً إلى الله يوم القيامة ، وهكذا يؤولون الأحاديث والأخبار التي فيها ذم لذوي السلطة من الخلفاء والولاة إلى ما فيه مدحهم والثناء عليهم .

ولنا هنا نظرة تأمل في ما رووا أن النبي لعن المؤمنين - معاذ الله - .

نظرة تأمل في ما رووا في باب من لعنه النبي

رووا واللفظ هنا لمسلم في صحيحه ، باب من لعنه النبي أن رسول الله (ص) قال: « اللهم اني اتخذ عندك عهداً لن تخلفنيه فانما أنا بشر فأيت المؤمنين آذيته شتمته لعنته جلده فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة تقربه بها اليك يوم القيامة » أشعر وأنا أكتب هذا بمثل وخز المدى في قلبي من عظم ما نسب إلى رسول الله (ص) !! يروون هذا الحديث في مقابل قول الله سبحانه وتعالى لرسوله « وانك لعلی خلق عظيم » وينبغي دراسة هذا الحديث في الصنف الثامن من أنواع الكتمان : (وضع الروايات المختلفة بدلا من الروايات الصحيحة) فانها نسبت إلى رسول الله (ص) في مقابل ما تواتر عند جميع المسلمين من سنة رسول الله الصحيحة في باب سمو أخلاقه الكريمة و إنما رويت أمثال هذه الرواية عن رسول الله (ص) لكتمان ما مرّ بنا من رواية أم المؤمنين عائشة أن رسول الله (ص) لعن الحكم بن أبي العاص والد الخليفة الأموي مروان ، و كتمان ما تواتر روايته عن رسول الله (ص) في حق الخليفة معاوية التي أولها ابن كثير إلى ما فيه مدح معاوية وبها إننا قد ناقشنا هذه الأحاديث في الجزء الثاني من كتاب « أحاديث أم المؤمنين عائشة » والثالث من نقش أئمة در احياء دين - أي عمل الأئمة في إحياء الدين - لا نعيد تلك البحوث في هذا الكتاب .

عود على بدء

نعود الى بحث تأويل معنى الرواية من أصناف الكتمان ونقول :
و من هذا الباب من التأويل كان ما مر بنا في خبر درأ سعد الوقاص حد شرب
الخمير عن أبي محجن ، وتمحل ابن فتحون وابن حجر في تأويل قول سعد لابي
محجن « و الله لا نجلدك على الخمر » . و سيأتي في بحث نصّ رسول الله (ص)
على أن عدد الائمة الخلفاء بعده اثنا عشر ، كيف ارتبكوا في تأويله عندما رأوا أنه لا
يصدق على غير الائمة الاثني عشر من آل رسول الله (ص) و أوّل كل واحد من
العلماء الحديث على غير الائمة الاثني عشر من آل الرسول (ص) بما لم يرض به العالم
الأخر و نقضه

و من هذا الباب من الكتمان ما فعله الطبراني مع الحديث الآتي كما في مجمع
الزوائد^١ :

(عن سلمان قال قلت : يا رسول الله ان لكلّ نبيّ وصيّاً ، فمن وصيّك ؟
فسكت عني ، فلما كان بعد رأيي فقال « ياسلمان » فأسرعت اليه قلت : لبيك قال :
« تعلم من وصي موسى ؟ » قال نعم : يوشع بن نون ، قال « لم » قلت : لأنه كان
أعلمهم يومئذ ، قال : « فان وصيي و موضع سري و خير من أترك بعدي و ينجز
عدتي و يقضي ديني علي بن أبي طالب » رواه الطبراني و قال وصيّ : أنه أوصاه بأهله
لا بالخلافة .

انتهى ما نقله الهيتمي عن الطبراني في مجمع الزوائد .

نظرة تأمل و دراسة للحديث النبوي الشريف و تأويل الطبراني آياه

لمعرفة مدى صحة تأويل الطبراني للحديث الشريف ندرس ثلاثة جوانب من

الحديث : السائل والسؤال و حكمة النبي في الجواب .

السائل هو : سلمان الفارسي نسباً ولم يكن من بني عبد المطلب أو أقرباء أزواج
الرسول أو أصهاره ليعنيه من يخلفه الرسول على أهله وانما كان ممن عاشر رهبان
النصارى و علماءهم قبل أن يسلم على يدي الرسول (ص) ، و أخذ منهم علم الامم
السابقة و أنبياءها و أوصياءها و من ثم قال للرسول (ص) (انّ لكلّ نبيّ وصيّاً فمن
وصيّك ؟) فهو إذن يسأل عن وصيّ النبي على شريعته و ولي عهده في أمته ، و لم يقل
له أن ربّ كل عائلة يعين وصيّاً فمن وصيك من بعدك ؟ ليفهم منه أنه يسأل عن
خليفته على أهله .

أما جواب النبي (ص) و تأخره عن الاجابة فقد كان هذا شأن النبي (ص) في الأمور الهامة ينتظر أمر السماء مثل انتظاره في المدينة أمر السماء في تحويل القبلة الى الكعبة و هو يعلم أنها قبلته ، حتى نزلت عليه « قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها » و لما كان رسول الله (ص) يعلم تنافس الانسان العربي على الامرة كما مر بنا ببعض أخباره فيما سبق وكان المجتمع الاسلامي الصغير في المدينة الذي بدأ النبي (ص) بتأسيسه لا يتحمل نشر خبر ولاية عهد الامام علي بعد النبي (ص) ، تأخر النبي (ص) في جواب سلمان ، و لعله أجاب سلمان حين أذن له بذلك و عندئذ فاتح سلمان و أعده لاستماع الجواب بالسؤال منه عن وصي موسى و هو يعلم أن سلمان يعلم ذلك بما عنده من علماء أهل الكتاب فلما أجابه بأن يوشع بن نون كان وصي موسى ، سأله النبي (ص) و قال له : « لم » فلما قال سلمان في جوابه : « لأنه كان أعلمهم يومئذ » قال النبي (ص) : (فان وصيّي و . . . علي بن أبي طالب) .

والحكمة في جواب النبي لسلمان بهذا الاسلوب ما يأتي :

اولا : ضرب النبي (ص) المثل بيوشع بن نون لأنه كان أشهر أوصياء الأنبياء ، و لأن موسى بن عمران (ع) كان قد استخلفه على أمته من بعده ، فقاد بني اسرائيل و مارس الحروب كما فعل الامام علي بعد النبي (ص) في مدة حكمه .

ثانيا : سأل عن سبب كون يوشع وصيًّا لموسى و أجاب سلمان أنه كان أعلمهم؛ بهذه المحاوره بين الرسول (ص) أن عليًّا وصيّه ليس لكونه ابن عم الرسول (ص) أو لأنه دافع عن الاسلام في حروب النبي (ص) ببسالة فائقة بل لأنه أعلمهم أي أنه كشف عن قابلية الامام علي للوصاية على الاسلام والمسلمين و أكد على ذلك بقوله صلى الله عليه و آله : « موضع سري و خير من أترك بعدي » وهذا الكلام أيضا أوله الطبراني و قال : (خير من أترك بعدي من أهل بيتي) كان هذا تأويل الطبراني في حديث لم يجد فيه مغمزا من ضعف و ماشاكلة من القول .

حيرة عالم آخر في تأويل معنى الوصية

قال ابن أبي الحديد الشافعي في شرح الوصية في كلام الامام علي :
 (لا يقاس بأل محمد (ص) من هذه الامة أحد . . . هم أساس الدين . . .
 و لهم خصائص حق الولاية و فيهم الوصية و الوراثة) .
 (أما الوصية فلا ريب عندنا أن عليًّا (ع) كان وصي رسول الله (ص) و ان خالف في ذلك من هو منسوب عندنا الى العناد و لسنا نعني بالوصية النص علي

الخلافة و لكن امورا أخرى لعلها اذا لمحت أشرف و أجلّ) . انتهى كلام ابن أبي الحديد و نقول في جوابه :

أن الامام علي (ع) لم يقل لي حق الولاية و الوصية و الوراثة كي يمكن تأويل قوله أن له حق الولاية و الوصية على أهل رسول الله (ص) ، بل قال : « آل محمد هم أساس الدين . . . و فيهم الوصية » . أثبت الامام الصفات المذكورة لآل رسول الله (ص) بما فيها الوصية و لا معنى للقول بأن آل رسول الله (ص) لهم حق الوصية على آل رسول الله (ص) ، أثبتها الامام لآل رسول الله (ص) و هو أحدهم و سائرهم الائمة الأحد عشر من بنيه . و من ثم حار العلامة الشافعي في تأويل الوصية هنا و لم يستطع أن يردد تأويل الطبراني وانما قال : « لسنا نعني بالوصية النصّ على الخلافة و لكن امورا أخرى » فما هي الأمور الأخرى التي لم تذكرها ايّها العالم المحتر في تأويل الحديث ؟ .

و خلاصة القول أن العلماء في هذا الصنف من الكتان يؤولون من سنة رسول الله (ص) حديثه و سيرته و سيرة أهل بيته و أصحابه ما يخالف مصلحة السلطة الحاكمة على المسلمين من خلفاء و ولاة و مافيه نقدهم الى ما فيه مصلحتهم و مدحهم و الثناء عليهم .

د - حذف بعض من أقوال الصحابة مع عدم الاشارة اليه

من أنواع الكتان بمدرسة الخلفاء حذف بعض الخبر الذي ينقلونه دونها اشارة الى المحذوف مثل ما فعلوه مع قصيدة الصحابي الأنصاري النعمان بن عجلان التي استشهدنا بيوتين منها في باب الأشعار التي قيلت في الوصية ، و قد رواها الزبير بن بكار بتمامها ضمن ايراده أخبار السقيفة و ما وقع بين المهاجرين و الأنصار من خصومة و محاججات منها أقوال عمرو بن العاص ضدهم فأجابه النعمان بقصيدة ذكر فيها مواقف الانصار في حروب رسول الله صلى الله عليه و آله مع قريش ثم إيواءهم مهاجرة قريش و كيف قاسموهم الاموال ثم ذكر حوادث السقيفة و قال :

و قلتم : حرام نصب سعد و نصبكم	عتيق بن عثمان حلال ابا بكر
و أهل أبوبكر لها خير قائم	وان عليّاً كان أخلق بالأمر
و كان هوانافي علي وانه	لأهل لها ياعمرو من حيث لا تدري
فذاك بعون الله يدعو الى الهدى	وينهى عن الفحشاء و البغي و النكر
وصي النبي المصطفى و ابن عمه	و قاتل فرسان الضلالة و الكفر
و هذا بحمد الله يهدي من العمى	و يفتح آذاناً ثقلن من الوقر

وصاحبه الصديق في سالف الدهر

نجي رسول الله في الغار وحده
الأبيات ١ .

وأورد ابن عبد البر تمام القصيدة بترجمة النعمان بن عجلان من الاستيعاب غير
أنه حذف منها البيتين الآتين :
فذاك بعون الله يدعو الى الهدى
وصي النبي المصطفى و ابن عمه
وينهى عن الفحشاء والبغي والنكر
وقاتل فرسان الضلالة والكفر

حذف هذين البيتين لما في ثنائيه على ابن عم الرسول (ص) أنه
وصي الرسول (ص) وأبقى البيتين الذين فيها مدح أبي بكر ، وجاء بعده ابن الأثير
وقال بترجمة النعمان من أسد الغابة : « ومن شعره يذكر أيام الأنصار ويذكر الخلافة
بعد النبي (ص) » ثم ذكر من أول القصيدة أبياته في أيام الأنصار فحسب وحذف
من القصيدة الأبيات التي يشير فيها الى الخلاف الذي وقع يوم ذاك في أمر الخلافة و
البيتين الذين مدح فيها الامام علياً وخاصة أنه كان وصي النبي .

و جاء ابن حجر بعده فقال في ترجمته : « وهو القائل يفخر بقومه من أبيات »
ثم أورد أبياته في المفاخرة بأيام الأنصار ولم يذكر أن من أبيات هذه القصيدة مافيه ذكر
الخلافة . وهكذا كلما تأخر الزمن حذف العلماء من الروايات ما لم يرق لهم ذكره ،
فابتعدنا عن فهم الواقع التاريخي .

إذا نرى أن الزبير بن بكار (ت ٢٥٦ هـ) غفل وذكر في كتابه الموفقيات ما
وقع من الاختلاف في أمر الخلافة بعد رسول الله (ص) وماتقاولوا فيه من خطب
وشعر ومن ضمنها قصيدة النعمان بن عجلان التي فيها بيتان ذكر فيها فضائل الامام
علي وخاصة انه وصي النبي وانتبه لها ابن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ) فحذف البيتين
وجاء بعده ابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ) وانتبه الى ذكر ما وقع من الخلاف في الخلافة -
أيضا- لا يصلح وحذف من القصيدة مافيه ذكر الاختلاف في أمر الخلافة وقال :
« ويذكر الخلافة » بالاضافة الى حذفه ما فيه وصف الامام علي .

وجاء بعدهما ابن حجر (ت ٨٥٢ هـ) فحذفها كذلك ولم يقل أن في القصيدة
ذكر للخلافة ، وهكذا كلما تأخر الزمن زاد العلماء من حذف الحقائق ما لا يصلح
ذكره لمدرسة الخلفاء .

* * *

إذا راجعنا ما سبق ايراده في بحث الوصية وما يأتي في بحث أصناف الكتان ،

(١) راجع مصادر ترجمته وشعره في الهامش رقم ٢١ في باب : شهرة لقب وصي النبي (ص) للامام علي و
انتشار ذكره في أشعار الصحابة و التابعين من هذا الكتاب .

ما كتموه من خبر الوصية ، يتضح جلياً ؛ ان انتشار تعيين الرسول علياً وصياً له كان يسوء مدرسة الخلفاء ، فحذفوا من القصيدة والخبر هذا القسم دون أن يشيروا الى أنهم حذفوا منها شيئاً و هذا النوع من الكتمان من أكثر أصناف الكتمان بمدرسة الخلفاء سواء في حديث الرسول (ص) أو سيرته أو سيرة صحابته و يطول بنا المقام لو أردنا أن نأتي بأمثلة منها في غير شأن الوصية من سنة الرسول (ص) في هذا المقام .

هـ - حذف تمام الرواية من سنة الرسول (ص) مع عدم الاشارة اليه .

إن ابن هشام^١ أخذ من سيرة ابن اسحاق برواية البكائي ما أورد في سيرته من روايات سيرة الرسول (ص) وقال في ذكر منهجه بأول الكتاب :

« و تارك بعض ما ذكره ابن اسحاق في هذا الكتاب و أشياء يشنع الحديث به وبعض يسوء الناس ذكره . . . »

وكان مما حذفه ابن هشام من سيرة ابن اسحاق (مما يسوء الناس ذكره) خبر دعوة الرسول بني عبد المطلب عندما أوحى الله اليه « وأنذر عشيرتك الاقربين » فقد روى الطبري في تاريخه عن ابن اسحاق بسنده ان رسول الله (ص) قال في دعوته لبني عبد المطلب :

« فأيكم يؤازرنى على هذا الامر على أن يكون أخى و وصيى و خليفتي فيكم ، فأحجم القوم عنها جميعاً »
و قال علي بن أبي طالب :

« أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه فأخذ برقبتي - رقة علي بن أبي طالب - ثم قال : ان هذا أخى و وصيى و خليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا ، قال فقام القوم يضحكون و يقولون لأبي طالب قد أمرك أن تسمع لابنك و تطيع^٢ »

حذف ابن هشام هذا الخبر و أخباراً كثيرة أخرى كان يرى أنها يسوء الناس ذكرها

(١) ابن هشام ابو محمد عبد الملك بن هشام الحميري ، قال ابن خلكان : (جمع سيرة رسول الله (ص) من المغازي والسير لابن اسحاق وهذبها . . .)

وقال السيوطي في بغية الوعاة (ص : ٣١٥) : مهذب السيرة النبوية ، سمعها من زياد البكائي صاحب ابن اسحاق و نقحها قصدوا من هذبها و نقحها ؛ أنه حذف من سيرة ابن اسحاق ما كان مخالفاً لمصلحة السلطة الحاكمة

توفي بمصر سنة ٢١٨ أو ٢١٣ هـ .

والبكائي هو زياد بن عبد الله بن طفيل البكائي العامري (ت : ١٨٣ هـ) .
وابن اسحاق هو ابو عبد الله أو أبو بكر محمد بن اسحاق بن يسار الملقب بولاء كتب السيرة بأمر الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور لابنه الخليفة المهدي توفي سنة ١٥١ أو ١٥٢ أو ١٥٤ هـ .

أوردنا هذه التراجم من مقدمة محمد حسين هيكل على سيرة ابن هشام ، ط ، القاهرة سنة ١٣٥٦ هـ ، و رجعنا الى هذه الطبعة في ما أوردناه في المتن .

(٢) أوردتها ملخصة من تاريخ الطبري ، ط ، مصر الاولى ، (ج ٢/٢١٦ - ٢١٧) .

وهم عصابة الخلافة^١ ، و من ثم أهملت سيرة ابن اسحاق لأن فيها أخبارا لا يرغبون نشرها حتى فقدت نسخها^٢ . و اشتهرت سيرة ابن هشام و أصبحت أوثق سيرة عند الناس .

و قد أدرك الطبري أهمية هذا النص في حق الامام علي بعد أن أثبتته في تاريخه فتدارك في تفسيره ما غفل عنه في تاريخه ، فإنه لما أورد الخبر بنفس السند في تفسيره آية « وأنذر عشيرتك الأقربين » قال :

فأيكم يؤازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخى و كذا وكذا . . . ثم قال : إن هذا أخى و كذا و كذا فاسمعوا له و أطيعوا ، قال فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب . . . الحديث^٣ .

و كذلك فعل - أيضا - ابن كثير في تاريخه^٤ وبتفسير الآية من تفسيره . و أكثر من هذا ما فعله محمد حسين هيكل حيث أورد الخبر في ص ١٠٤ من الطبعة الأولى من كتابه (حياة محمد) ولفظه :

« فأيتكم يؤازرنى هذا الأمر و أن يكون أخى و وصي و خليفتي فيكم » و حذفها في الطبعة الثانية سنة ١٣٥٤ ص : ١٣٩ من كتابه^٥ و هذا ما نسميه بحذف بعض الخبر مع الإبهام في القول .

* * *

وهذا الصنف من الكتمان أي كتمان تمام الخبر دونما إشارة اليه كثير عند علماء مدرسة الخلفاء

و - النهي عن كتابة سنة الرسول (ص)

من أهم أصناف كتمان سنة الرسول (ص) بمدرسة الخلفاء نهى الخلفاء عن كتابة سنة الرسول (ص) وكان بدء النهي في عصر رسول الله (ص) حيث نهت قريش عبد الله بن عمرو بن العاص عن كتابة حديث الرسول (ص) وقالوا له تكتب كل ما سمعته من رسول الله (ص) و رسول الله (ص) بشر يتكلم في الرضا والغضب و قريش هنا هم المهاجرون من أصحاب رسول الله (ص) وهم الذين منعوا الرسول عن كتابة وصيته في آخر ساعة من حياته ، ثم لما ولوا الحكم بعد رسول الله (ص) نهوا عن كتابة حديث الرسول (ص) وبقي منع كتابة الحديث ساريا

(١) ذكرنا بعضها في كتابنا المخطوط « من تاريخ الحديث » .

(٢) طبع أخيرا قسم من سيرة ابن اسحاق في الرباط المغرب سنة ١٣٩٦ هـ .

(٣) تفسير الطبري ، ط ، الأولى ، بولاق ، سنة : ١٣٢٣ - ١٣٣٠ هـ (ج ١٩/٧٢ - ٧٥) .

(٤) البداية و النهاية (ج ٣/٤٠) .

(٥) نقلناه من كتاب الغدير للخبير الحجّة الأمامي ، ط ، طهران ، سنة ١٣٧٢ هـ (ج ٢/٢٨٨ - ٢٨٩) .

حتى عصر الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز حيث رفع الحضر وأمر بتدوين حديث الرسول وسيأتي تفصيل أخبار النهي عن كتابة حديث رسول الله (ص) في الجزء الثاني من الكتاب في بحث مصادر الشريعة الإسلامية لدى المدرستين ومضى ذكر خبر منع الرسول (ص) من كتابة وصيته في خبر السقيفة .
والله أعلم كم من حديث لرسول الله (ص) في أمر الوصية نسي مع ما نسيت من سنة الرسول (ص) بسبب عدم كتابتها في كل هذه القرون .

* * *

نهى الخلفاء عن نشر سنة الرسول (ص) وكان مصير من يخالفهم ويروي أو يكتب ما يخالف اتجاههم مدى القرون القتل المعنوي أو الجسدي كما سنشير إلى أمثلة منها في ما يأتي إن شاء الله .

ز - تضعيف الروايات ورواة سنة الرسول (ص) والكتب التي تنتقص السلطان و قتل المخالفين أحيانا

لا يستطيع الباحث أن يحصي عمل العلماء في تضعيف الراوي والكتاب الذين ينتقصان السلطان وكذلك تضعيفهم للروايات التي فيها انتقاص لمقام السلطة من خليفة و وال و أمير وأحيانا تقتل العامة العالم المخالف لهذا الاتجاه ، وكي لا يطول البحث عن هذا الصنف من الكتمان نقتصر بذكر أربعة أمثلة منها في ما يأتي :

١ - قال ابن كثير ما موجزه :

« وأما ما يغترّ به كثير من جهلة الشيعة والقصاص الأغبياء ، من أنه أوصى إلى علي بالخلافة ، فكذبٌ و بهتٌ وافتراءٌ ، يلزم منه خطأ كبير من تخوين الصحابة و ممالأتهم بعده على ترك انفاذ وصيته - إلى قوله - أمّا ما يقصه القصاص من العوام من الوصية لعلي في الآداب والأخلاق . . . كل ذلك من الهذيان فلا أصل لشيء منه بل هو اختلاق بعض السفلة الجهلة ولا يعول على ذلك ولا يغترّبه إلا غبي غبي . »^١
هكذا تكلم ابن كثير بتوتر عصبي شديد من عناء هذه المشكلة ، ولنرى من هم الذين اغترّ بهم جهلة الشيعة والقصاص الأغبياء ؛ هم كلٌّ من الصحابة الآتية أسماؤهم

أ - الامام علي بن أبي طالب المهاجري .

ب - سلمان المحمدي (الفارسي) .

ج - أبو أيوب الأنصاري .

د - أبو سعيد الخدري الأنصاري .

- هـ - أنس بن مالك الأنصاري .
 و - بريدة بن الحصيب الأسلمي المهاجري .
 ز - عمرو بن العاص القرشي .
 ح - أبو ذر الغفاري .
 ط - الامام الحسن سبط الرسول الأكبر .
 ي - الامام الحسين السبط الشهيد .
 ك - حسان بن ثابت الأنصاري .
 ل - الفضل بن العباس بن عبد المطلب .
 م - النعمان بن عجلان الأنصاري .
 ن - عبد الله بن أبي سفيان الحرث بن عبد المطلب .
 س - أبو الهيثم التيهان الأنصاري .
 ع - سعيد بن قيس الأنصاري .
 ف - حجر بن عدي الكندي .
 ص - خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين .
 ومن التابعين :
 ق - جرير بن عبد الله البجلي .
 ر - النجاشي الشاعر قيس بن عمرو .
 ش - محمد بن أبي بكر الخليفة الأول .
 ت - مالك الأشتر .
 ث - عمر بن حارثة الأنصاري .
 ومن حكام مدرسة الخلفاء :
 خ - الأمير علي بن عبد الله عمّ الخليفة العباسي السفاح
 ذ - المأمون الخليفة العباسي .
 والمؤلفون الذين أخرجوا أحاديث الوصية عن رسول الله (ص) هم كلُّ من :
 أ - امام الحنابلة أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ) في مناقب علي .
 ب - امام المؤرخين الطبري (ت ٣١٠ هـ) في تاريخه .
 ج - مسند الدنيا الطبراني امام المحدثين في عصره (ت ٣٦٠ هـ) في معاجمه .
 د - أبو نعيم الاصبهاني (ت ٤٣٠ هـ) في حلية الأولياء .
 هـ - الحافظ ابن عساكر الشافعي (ت ٥٧١ هـ) في تاريخ مدينة دمشق .
 هؤلاء هم جهلة الشيعة والقصاص الأغبياء حسب تعبير ابن كثير الذين اغتروا

بروايات الوصية ورووها وأخرجوها في كتبهم الى نظرائهم من الصحابة والتابعين الذين اغتروا بها واحتجوا بها في أشعارهم وخطبهم ورواها عنهم أمثال :

الزبير بن بكار في الموفقيات والطبري و ابن الأثير في تاريخيهما و الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد و المسعودي الشافعي في مروج الذهب و الامام المقدم في الحديث الحاكم في المستدرک والذهبي في تذكرة الحفاظ وأمثالهم .

كتم ابن كثير كل ما ذكرناه أنفاً وكتم أكثر مما أشرنا اليه مما كان بمتناول يد علماء ذلك العصر ، وذهبت عنا لتكتمهم الشديد عليها وإخفائها عن الناس ، كتمها جميعاً ولم يخرج منها شيئاً في موسوعته التاريخية .

و كتمها - أيضاً - بتضعيف الرواة والروايات و الكتب التي خرجتها ، و تسخيف المحتجين بها كي لا يصدق من يصل اليه شيء مما كتمها من كتاب آخر و قال : « ما يغتر به جهلة الشيعة و القصاص الأغبياء » .

و هذا النوع من الكتمان كثير عند علماء مدرسة الخلفاء .

٢ - نقل ابن عبد البر عن الشعبي أنه قال في الحارث الهمداني :

« حدثني الحارث و كان أحد الكذابين . » قال ابن عبد البر : « ولم يبين من الحارث كذب ، وإنما نقم عليه إفراطه في حب علي وتفضيله له على غيره و من هاهنا والله أعلم كذبه الشعبي لأن الشعبي يذهب الى تفضيل أبي بكر وإلى أنه أول من أسلم »^١ انتهى قول ابن عبد البر .

٣ - الطعن بأئمة الحديث

يطعنون بأئمة الحديث في مدرسة الخلفاء أحياناً الذين يروون حديثاً يخالف اتجاهها، مثل ما جرى للحاكم الشافعي كما رواه الذهبي بترجمته^٢ و في ما يلي ما أورده بإيجاز:

(الحافظ الكبير امام المحدثين ، أبو عبد الله ، محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه النيسابوري المعروف بابن البيع ، ولد سنة ٣١٢ هـ و توفي سنة ٤٠٥ هـ ، طلب الحديث من الصغر و رحل الى العراق و حجّ و جال في خراسان و ماوراء النهر و سمع من ألفي شيخ أو نحو ذلك ، بلغت تصانيفه قريباً من خمسمائة جزء و من تأليفه فضائل الشافعي ، و نقل أن مشايخ الحديث كانوا يذكرون أيامه و أن الأئمة من مقدمي عصره كانوا يقدمونه على أنفسهم و يراعون حقّ فضله و يعرفون له الحرمة الأكيدة .

(١) جامع بيان العلم ، باب حكم العلماء بعضهم في بعض ، (ج ٢ / ١٨٩) .

(٢) تذكرة الحفاظ ، ص : ١٠٣٩ - ١٠٤٥ .

قال الذهبي : و سئل الحاكم عن حديث الطير فقال : « لا يصح ولو صح لما كان أحد أفضل من علي (رض) بعد النبي (ص) » .

وقال : ثم تغير رأي الحاكم و أخرج حديث الطير في مستدركه .
و نقل الذهبي عن العلماء أنهم قالوا عن مستدركه : أنه جمع فيه أحاديث وزعم أنها على شرط البخاري و مسلم منها حديث الطير ، و من كنت مولاه فعلي مولاه ، فأنكرها عليه أصحاب الحديث فلم يلتفتوا الى قوله .

وقال الذهبي : أما حديث الطير فله طرق كثيرة جداً قد أفردتها بمصنف و مجموعها هو يوجب أن يكون الحديث له أصل و أما حديث من كنت مولاه فعلي مولاه . فله طرق جيدة وقد أفردت ذلك أيضاً . يعني الذهبي أنه ألف في حديث من كنت مولاه فعلي مولاه ، كتاباً خاصاً .

قال المؤلف :

أما حديث من كنت مولاه فسيأتي بحثه في ذكر النصوص الواردة عن الرسول (ص) في حق الامام عليّ ان شاء الله تعالى .

وحديث الطير برواية الصحابي أنس وغيره من الصحابة ، أنه أهدي الى رسول الله طير مشوي فدعا أن يأتيه الله بأحب الخلق إليه - أي بعد الرسول (ص) - فيأكل معه ، فجاء عليّ وأكل معه و بما أن الحديث يدل على أن الامام علياً أفضل الناس بعد رسول الله (ص) أنكروا على الحاكم وغيره رواية هذا الحديث ، و لم نخرجها نحن في باب النصوص لأننا لسنا بصدد إيراد فضائل الامام عليّ و إنما نورد النصوص الصريحة في حق آل الرسول في الحكم .

نقل الذهبي فضل الحاكم الشافعي في علم الحديث بمدرسة الخلفاء و بما أنه خرج في مستدركه أحاديث في فضل الامام علي وما فيه انتقاص لمعاوية ، طعنوا فيه و قالوا ما نقله الذهبي :

(ثقة في الحديث ، رافضي خبيث) .

(كان يظهر التسنن في التقديم و الخلافة و كان منحرفاً عن معاوية وآله - يعني يزيد - متظاهراً بذلك ولا يعتذر منه) .

قال الذهبي :

قلت أما انحرافه عن خصوم علي فظاهر و أما أمر الشيخين فمعظم لهما بكل حال فهو شيعي لا رافضي ، وليته لم يصنف المستدرك فإنه غض من فضائله بسوء تصرفه) . انتهت أقوال الذهبي .

ولامام المحدثين بمدرسة الخلفاء أسوة بإمام المذهب الشافعي محمد بن ادريس

(ت ٢٠٤ هـ) حيث رمي بالرفض كما رواه البيهقي فقال الشافعي في ذلك :
 قالوا ترفضت ، قلت كلاً
 لكنني توليت غير شك
 ان كان حب الولي ^١ رفضاً
 ومما قال أيضاً :

ان كان رفضاً حب آل محمد
 فليعلم الثقلان اني رافضي
 ويظهر أنه كان يضطر الى الكتمان أحياناً فقد قال :

ما زال كتماً منك حتى كأنني
 و أكتم ودي مع صفاء مودتي
 لرد جواب السائلين لأعجم
 لتسلم من قول الوشاة وأسلم ^٢

غير أنه لم ينفعه الكتمان ورمي بالرفض كغيره من العلماء الذين لا يكتمون رأيهم
 في ما ورد عن سنة الرسول (ص) و سيرة الصحابة ، وإن أغلب علماء المذهب
 الشافعي بمدرسة الخلفاء لا يكتمون الحديث كما يفعله علماء المذاهب الأخرى في
 تلك المدرسة و لذلك يرمون بالرفض .

* * *

في هذا الباب لاحظنا أنواعاً من الإنكار بدأ بتضعيف الراوي و الرواة الى طعنهم
 بالتشيع و الرفض و الذي كان يؤدي الى إسقاط الحديث عن الاعتبار . و كل أنواع
 الإنكار من أسهل الأمور في باب الاحتجاج للمنكر و من أصعب الأمور عندئذ
 إثبات الحق فإن المنكر يسهل عليه أن يقول : الحديث ضعيف ، باطل ، كذب و
 على صاحب الحق أن يأتي بالدليل تلو الدليل وليس للمنكر في مقابله أكثر من الإنكار
 و عدم القبول و هو في حقيقته قتل معنوي للرواة و أحياناً يقتل جسدياً الراوي الذي
 يروي ما يخالف مصلحة مدرسة الخلفاء ، كما نذكر مثلاً منه في ما يأتي لما جرى لأحد
 أصحاب الصحاح الست بمدرسة الخلفاء

٤ - النسائي أحد مؤلفي الصحاح الست و قصة قتله .
 نقل خبره و قصة قتله من كتابي الذهبي و ابن خلكان بترجمته ^٣ قال ما موجزه:
 الحافظ الامام شيخ الاسلام أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي كان
 إمام أهل عصره في الحديث وله كتاب السنن تفرد بالمعرفة و علو الاسناد و استوطن

(١) ورد في النصائح الكافية لمن تولى معاوية : (الوصي) بدلا من (الولي) في الصواعق .
 (٢) هذا موجز ما أورده الهيثمي (ت ٩٧٤ هـ) في الصواعق ، ط ، مصر الثانية ، سنة ١٣٨٥ هـ ، ص
 ٣٣ ، مع قول البيهقي أوردها جميعها مفصلاً و البيت : ان كان رفضاً مع بيتين آخرين رواها أيضاً ابن الصباغ المالكي
 المكي (ت ٨٥٥ هـ) في كتابه الفصول حسب نقل صاحب الكنى والألقاب بترجمة الشافعي .
 (٣) تذكرة الحفاظ (ج ١ / ١٩٨) ، ووفيات الاعيان (ج ١ / ٥٩) .

مصر و كان يصوم يوماً و يفطر يوماً و يجتهد في العبادة ليلاً و خرج مع أمير مصر و الى الغزو و كان يحترز عن مجالسه و الانبساط في المأكل ، و خرج في اخر عمره حاجاً و بلغ دمشق ، و صنف في دمشق كتاب الخصائص في فضل علي بن أبي طالب (رض) و أهل البيت ، وأكثر رواياته فيه عن أحمد بن حنبل فأنكروا عليه ذلك ، فقال دخلت دمشق و المنحرف عن علي بها كثير فصنفت كتاب الخصائص رجوت أن يهديهم الله بهذا الكتاب ، فقيل له ألا تخرج فضائل معاوية ، فقال أي شيء أخرج ؟ حديث اللهم لا تشعب بطنه ، فسكت السائل و سئل - أيضاً - عن معاوية وما جاء من فضائله ، فقال : ألا يرضى رأساً برأس حتى يُفضل ، فما زالوا يدفعون في خصييه و داسوه حتى أُخرج من المسجد و حمل الى الرملة . قال الحافظ أبو نعيم : مات بسبب ذلك الدوس و هو منقول ، وقال الدارقطني أمتحن بدمشق و أدرك الشهادة . و كان ذلك سنة ٣٠٣ هـ .

* * *

و لا ينحصر من أودى و قُتل في سبيل نشر سنة الرسول (ص) بالنسائي وحده فقد لاقى الصحابي أبو ذر أيضاً ما سيأتي ذكره بعيد هذا في بقية بحوث كتبه سنة الرسول (ص) و قتل عدد غير قليل من العلماء ، ترجم بعضهم العلامة الحبر الأميني في كتابه شهداء الفضيلة .

ومن يجرء مع هذه الحالة أن يروي النصوص الواردة عن رسول الله (ص) في فضائل آل فضل عن ذكر النصوص الواردة في حق آل في الحكم .
و ألا يحق لابن كثير اذا كان يريد أن يداري من يطالب العلماء بإيراد فضائل معاوية أن يؤول ما فيه إنتقاص لمعاوية الى ما فيه له فضيلة في الدنيا و الآخرة !!!
و كيف يتيسر نشر سنة الرسول مع هذه الحالة .

* * *

ذكرنا شيئاً من مصير من يخالف مدرسة الخلفاء و يروي أو يكتب من سنة الرسول (ص) ما يخالف مصلحة الخلفاء و في ما يأتي نُشير الى مصير الكتب التي حوت من سنة الرسول (ص) ما يخالف سياسة مدرسة الخلفاء .

ح - حرق الكتب والمكتبات

من أصناف الكتمان بمدرسة الخلفاء حرق الكتب التي فيها سنة الرسول (ص) سيرة وحديثاً مما لا ترغب نشرها مدرسة الخلفاء . وقد بدأ ذلك الخليفة عمر بن الخطاب كما سيأتي ذكره في باب بحوث مدرسة الخلفاء من مصادر الشريعة الاسلامية عن طبقات ابن سعد قال : أن الأحاديث كثرت على عهد عمر فأنشد الناس أن

يأتوه بها، فلما أتوه بها، أمر بتحريقها.

و روى الزبير بن بكار^١ أن سليمان بن عبد الملك في زمان ولايته للعهد مرّ بالمدينة حاجاً، وأمر أبان بن عثمان أن يكتب له سير النبي (ص) ومغازيه فقال أبان هي عندي أخذتها مصحّحة ممن أثق به فأمر عشرة من الكتاب بنسخها فكتبوها في رق فلما صارت إليه نظر فإذا فيها ذكر الأنصار في العقبين - يقصد بيعة الأنصار في العقبين الأولى والثانية وذكر الأنصار في بدر، فقال سليمان: ما كنت أرى لهؤلاء القوم هذا الفضل فأما أن يكون أهل بيتي - أي الخلفاء الأمويين - غمصوا عليهم، وأما أن يكونوا ليس هكذا، فقال أبان بن عثمان: أيها الأمير! لا يمنعنا ما صنعوا بالشهيد المظلوم - يقصد الخليفة عثمان - من خذلانه، أن نقول الحق. هم على ما وصفنا لك في كتابنا هذا. قال سليمان: ما حاجتي إلى أن أنسخ ذلك حتى أذكره لأمر المؤمنين - يقصد والده عبد الملك - لعله يخالفه، فأمر بذلك الكتاب فحرق، ولما رجع أخبر أباه بما كان فقال عبد الملك وما حاجتك أن تقدم بكتاب ليس لنا فيه فضل تعرّف أهل الشام أموراً لا نريد أن يعرفوها، قال سليمان فلذلك أمرت بتحريق ما نسخته حتى أستطلع رأي أمير المؤمنين فصوّب رأيه.

* * *

هكذا يأمر خلفاء المسلمين وأولياء عهدهم بحرق كتب سنة الرسول لئلا يعرف المسلمون ما يخالف مصالحهم وقد فعلت السلطة أكثر من ذلك حين حرقت مكاتباتها فيها من كتب سنة الرسول (ص) ما يخالف اتجاههم نظير ما يأتي بيانه:

حرق مكتبة اسلامية ببغداد

قال ابن كثير^٢ في ذكر حوادث سنة ٤١٦ هـ بترجمة سابور بن أردشير: كان كثير الخير سليم الخاطر اذا سمع المؤذن لا يشغله شيء عن الصلاة وقد وقف داراً للعلم في سنة ٣٨١ هـ وجعل فيها كتباً كثيرة جداً ووقف عليها غلة كبيرة فبقيت سبعين سنة ثم أحرقت عند مجيء طغرل في سنة ٤٥٠ هـ وكانت في محلة بين السورين.

وقال الحموي بترجمة بين السورين في معجم البلدان: بين السورين، اسم لمحلة كبيرة كانت بالكرخ وبها كانت خزانة الكتب التي وقفها وزير بهاء الدولة ولم تكن في الدنيا أحسن كتباً منها كانت كلها بخطوط الأئمة المعتمدة وأصولهم المحررة و

(١) الموفقيات ص: ٣٣٢ - ٣٣٣.

(٢) البداية والنهاية (ج ١٢/١٩).

حترقت في ما أحرق من محال الكرخ عند ورود طغرل بك أول ملوك السلجوقية
بغداد .

وقال ابن كثير ١ - أيضا - بترجمة الشيخ أبي جعفر الطوسي من حوادث سنة
٤٦٠ هـ أحرقت داره بالكرخ وكتبه سنة ٤٤٨ هـ .

و فعل أكثر من ذلك مع مخازن كتب الخلفاء الفاطميين بمصر كما ذكره
لمقرئزي ٢ (ت : ٨٤٨ هـ) في ذكر الخزانات التي كانت في قصر الفاطميين عن
خزانة الكتب ، و كانت من عجائب الدنيا و يقال أنه لم يكن في جميع بلاد الاسلام
دار كتب أعظم من التي كانت بالقاهرة في القصر و يقال : أنها كانت تشمل
ألف و ستمائة ألف كتاب ، و قال قبلها [أخذ جلودها عبيدهم و إماءهم برسم عمل
ما يلبسونه في أرجلها و أحرق و رقها تأولا منهم أنها خرجت من قصر السلطان و أن
فيها كلام المشاركة الذي يخالف مذهبهم سوى ما غرق و تلف و حمل الى سائر
الأقطار و بقي منها ما لم يحرق و سفت عليه الرياح التراب فصارت تلالا باقية الى
اليوم في نواحي آثار تعرف بتلال الكتب] .

* * *

أسس مكتبة الكرخ وزير البويهيين من أتباع مدرسة أهل البيت فلما استولى
السلجوقيين من أتباع مدرسة الخلفاء أحرقوها و أحرقوا مكتبة الشيخ الطوسي بالكرخ
، و فعل أكثر من ذلك مع خزائن كتب الخلفاء الفاطميين بمصر عند استيلاء صلاح
الدين على الحكم .

ياترى كم كتم عنا من سنة الرسول بسبب تحريق الكتب والمكتبات التي كان
اصحابها من مخالفي مدرسة الخلفاء ، وكم كان فيها أحاديث صحيحة مسلسلة عن
رسول الله (ص) في حق آل الرسول بما في ضمنها أحاديثه في الوصية ، ذهبت عنا
بسبب هذا النوع من الكتمان والله أعلم بذلك .

وأهم من كل ما ذكرنا من أصناف كتمان سنة الرسول (ص) تحريف سنة
الرسول وسيرة الصحابة الآتي ذكره في البحثين التاليين :

ط - حذف بعض الخبر من سيرة الصحابة و تحريفه

من أنواع الكتمان بمدرسة الخلفاء حذف بعض الخبر و تحريفه كما فعل ذلك
ابن كثير في خطبة الامام الحسين بتاريخه ، فقد أورد الخطبة الطبري وابن الأثير في
تاريخيهما و في لفظهما :

(١) نفس المصدر ، (ج ١٢ / ٩٧) .

(٢) خطط المقرئزي (ج ٢ / ٢٥٥) .

« أما بعد فانسبونني فانظروا من أنا ثم ارجعوا الى أنفسكم وعاتبوها ، هل يجوز لكم قتلي و انتهاك حرمتي ؟ ألسنت ابن بنت نبيكم (ص) و ابن وصيه وابن عمه و أول القوم اسلاما و أول المؤمنين بالله و المصدق لرسوله بما جاء من عند ربه ؟ أو ليس حمزة سيد الشهداء عم أبي ؟ أو ليس جعفر الطيار ذو الجناحين عمي . . . » .
حرف ابن كثير هذا الخبر في تاريخه و نقل أن الامام الحسين قال : « راجعوا أنفسكم و حاسبوها هل يصلح لكم قتال مثلي ، وأنا ابن بنت نبيكم ، و ليس على وجه الأرض ابن بنت نبي غيري و علي أبي ، و جعفر ذو الجناحين عمي و حمزة سيد الشهداء عم أبي »^١ .

* * *

ان ابن كثير حذف من خطبة الامام الحسين ذكر الوصية لأن ذكره كما قلنا ينبه العامة الى حق الامام علي و سبطي الرسول (ص) في الحكم و هو ما يسوء السلطة نشر خبره ، ثم حرف الخطبة . و هذا نوع من أنواع الكتمان بمدرسة الخلفاء ، و يوجد نظير هذا الحذف في سيرة الرسول (ص) و سنشير الى شيء منه في الصنف العاشر من أصناف الكتمان الآتي بحثه بعد هذا .

ي - وضع الروايات و الأخبار المختلفة بدلا من الروايات الصحيحة من أنواع الكتمان بمدرسة الخلفاء وضع الأخبار و نشر الروايات المختلفة بدلا من الروايات الصحيحة ، و نذكر في ما يأتي مثالا واحدا منها :
روى الطبري في تاريخه خبر أبي ذر وقال : « وفي هذه السنة أعني سنة ثلاثين كان ما ذكر من أمر أبي ذر و معاوية و إشخاص معاوية إياه من الشام الى المدينة و قد ذكر في سبب ذلك أمور كثيرة كرهت ذكر أكثرها فأما العاذرون معاوية في ذلك فانهم ذكروا في ذلك قصة كتب الي بها السري يذكر أن شعبياً حدثه سيف . . . » الحديث .
و كذلك تبعه ابن الأثير وقال : « وفي هذه السنة كان ما ذكر من أمر أبي ذر و إشخاص معاوية إياه من الشام الى المدينة و قد ذكر في سبب ذلك أمور كثيرة من سبب معاوية إياه و تهديده بالقتل و حمله الى المدينة من الشام بغير وطاء و نفيه من المدينة على الوجه الشنيع لا يصلح النقل به . . . » .
فمن هو سيف هذا الذي أورد الطبري القصة التي رواها في خبر أبي ذر و تمسك بها العاذرون معاوية و ما هو نوع أخباره و رواياته :
هو سيف بن عمر التميمي (توفي حدود سنة ١٧٠ هـ) روى أخباراً عن عصر

الرسول (ص) و السقيفة وبيعة أبي بكر و حروب الردة و الفتوح و حرب الجمل .
وصفه علماء الرجال و قالوا في نعتة :
ضعيف ، متروك الحديث ، ليس بشيء ، كذاب ، كان يضع الأحاديث ،
اتهم بالزندقة^١

نوع أخباره و رواياته :

اختلف في رواياته أكثر من خمسين و مائة صحابي لرسول الله (ص) نشرنا
دراسات مفصلة عن ثلاث و تسعين منهم في المجلد الأول و الثاني من كتاب «
خمسون و مائة صحابي مختلف » جعل تسع و عشرون منهم من قبيلته تميم ، اختلف
سيف لهم أخباراً في الفتوح و كثيراً من المعجزات و الشعر و رواية الحديث ، نير أن
الله سبحانه و تعالى لم يخلق أشخاصهم و لا شيئاً من أخبارهم بل اختلف جميعها
سيف كما اختلف عشرات الرواة و روى عنهم أخباره و قد نشرنا في جزئي عبد الله
ابن سبأ و خمسون و مائة صحابي مختلف دراسات عن سيف و سبعين راوياً منهم ،
تبعنا في حدود قدرتنا روايات سيف عنهم فوجدنا لراو واحد منهم و الذي سماه محمد
بن سواد بن نويرة ٢١٦ رواية و منهم من روى عنه أقل من ذلك الى رواية واحدة .
و كذلك خلق شعراء للعرب و قادة للفرس و الرومان و أراض في البلاد الاسلامية و
غيرها و حرف سني الحوادث التاريخية كما حرف أسماء أشخاص ذكروا في التاريخ
الاسلامي و نشر الخرافات بين المسلمين في ما اختلف منها في أحاديثه ، و اختلف حروباً
في الردة و الفتوح لم تقع ، و ذكر مئات الالوف ممن قتلهم المسلمون قتلاً فظيعاً في تلك
الحروب مما لم يكن شيء منها ، و أشاع في ما وضع و اختلف أن الاسلام انتشر بحد
السيف ، و قد بينا زيفها في أول الجزء الثاني من عبد الله بن سبأ . انتشرت رواياته
الموضوعة في أكثر من سبعين مصدراً^٢ من كتب الحديث و التاريخ و الأدب و غيرها
من مصادر الدراسات الاسلامية بمدرسة الخلفاء انتشر فيها ما روى سيف و اختلف
عن عصر الرسول (ص) حتى عصر معاوية و كان أكثر من أخذ عنه الطبري في
تاريخه و روى عنه أمثال الأخبار ٣ الآتية :

(١) كان مذكرناه بعض مذكره في وصفه علماء أمثال : يحيى بن معين (ت : ٢٣٣ هـ) ، السنائي صاحب
الصحيح (ت : ٣٠٣ هـ) ، أبو داود (ت : ٣١٦ هـ) ، ابن أبي حاتم الرازي (ت : ٣٢٧ هـ) ، ابن حبان (ت :
٣٥٤ هـ) ، الحاكم (ت : ٤٠٥ هـ) . و تفصيل ما ذكروا في حق سيف و مصادر ترجمة سيف بكتاب عبد الله
بن سبأ الجزء الأول .

(٢) ذكرنا أسماء أكثرها في أول الجزء الأول من كتاب خمسون و مائة صحابي مختلف .

(٣) راجع أخبارها في ذكر فتح دارين و القادسية و السوس و بهرسير و دراسة مقارنة لأخبار سيف هذه
بروايات صحيحة لغيره في كتاب « خمسون و مائة صحابي مختلف » الجزء الأول بتراجم عفيف بن المنذر و عاصم بن
عمرو و الأسود بن قطبة من الصحابة الذين اختلفهم سيف بن عمر التميمي من قبيلته تميم .

أ - مسير الجيش على ماء البحر من الساحل الى دارين مسيرة يوم و ليلة لسفن البحر ، يمشون على مثل رملة ميثاء فوقها ماء يغمر أخفاف الابل .

ب - تكلم الأبقار لعاصم بن عمرو التميمي الصحابي المختلق في حرب القادسية بلسان عربي فصيح . وإن بكيراً قال لفرسه أطلال عند نهر أراد أن يعبره يومئذ : « ثبي أطلال » فنطقت و قالت : « وثباً و سورة البقرة » أي أنها أقسمت بسورة البقرة ، ثم وثبت !!!

ج - انشاد الأجنة الشعر في فتح القادسية و ثناءهم لموقف تميم في الحرب .
د - فتح السوس بضرب الدجال باب السوس برجله و قوله : « انفتح بظار » .
هـ - تكلم الملائكة على لسان الاسود بن قطبة التميمي في فتح بهرسير .
ومن تاريخ الطبري انتشرت أكاذيب سيف في كتب التاريخ الاسلامي التي ألقت بعده الى عصرنا الحاضر كما سنشير الى بعض ذلك فيما يأتي :

انتشار أحاديث سيف من تاريخ الطبري الى كتب التاريخ وسببه
قال ابن الأثير في مقدمة تاريخه الكامل :

إني قد جمعت في كتابي هذا ما لم يجتمع في كتاب واحد ، فابتدأت بالتاريخ الكبير الذي صنفه الامام أبو جعفر الطبري إذ هو الكتاب المعول عند الكافة عليه و المرجوع عند الاختلاف اليه فلما فرغت منه أخذت غيره من التواريخ المشهورة فطالعت و أضفت الى ما نقلته من تاريخ الطبري ما ليس فيه ، إلا ما يتعلق بما جرى بين أصحاب رسول الله (ص) فإنني لم أضف الى ما نقله أبو جعفر شيئاً إلا ما فيه زيادة بيان او اسم انسان ، أو ما لا يطعن على أحد منهم في نقله ، على أنني لم أنقل إلا من التواريخ المذكورة و الكتب المشهورة ممن يعلم صدقهم في ما نقلوه و صحة ما دونوه^١

وقال ابن كثير بعد انتهائه من ذكر أخبار الصحابة في الردة و الفتوح و الفتن :
هذا ملخص ما ذكره ابن جرير الطبري رحمه الله عن أئمة هذا الشأن ، و ليس في ما ذكره أهل الاهواء من الشيعة و غيرهم من الاحاديث المختلقة على الصحابة و الاخبار الموضوعة التي ينقلونها بما فيها^٢
و قال ابن خلدون :

هذا آخر الكلام في الخلافة الاسلامية و ما كان فيها من الردة و الفتوحات و الحروب ثم الاتفاق و الجماعة أوردها ملخصة عيونها و مجامعها من كتب محمد بن

(١) تاريخ ابن الاثير طبعة ، مصر سنة ١٣٤٨ هـ (ج ١ / ٥) .

(٢) تاريخ ابن كثير (ج ٧ / ٢٤٦) .

جرير الطبري و هو تاريخه الكبير فإنه أوثق ما رأيناه في ذلك وأبعد عن المطاعن و الشبه في كبار الامة من خيار الامة و عدوهم من الصحابة و التابعين^١

نظرة تأمل في سبب اختيار كبار العلماء الافذاذ روايات سيف في أخبار صدر الاسلام قال الطبري في خبر أبي ذر الصحابي الفقير - مثلاً - مع معاوية الامير « كرهت ذكر أكثرها ، فأما العاذرون معاوية في ذلك فإنهم ذكروا في ذلك قصة عن سيف » .

وقال ابن الاثير :

« من سبَّ معاوية إياه و تهديده بالقتل و حمله الى المدينة من الشام بغير وطاء و نفيه من المدينة عل الوجه الشنيع لا يصلح النقل به » . ثم أورد قصة سيف و وصفهم كذلك بالعاذرين .

إن العالمين الكبيرين لم يتركا روايات غير سيف لعدم اعتمادهما عليها بل لأنها لم يجدا فيها العذر للسلطة الحاكمة و وجدا العذر عند العاذرين معاوية الامير و عثمان الخليفة و هم سيف الزنديق و سلسلة رواته المختلقين ، فحشَى الطبري تاريخه الكبير بروايات سيف ، و لنفس السبب أخذ ابن الاثير روايات سيف من تاريخ الطبري و كذلك فعل ابن كثير حيث قال في آخر ذكره خبر واقعة الجمل من أخبار سنة ست و ثلاثين هجرية عما نقله من أخبار سيف في حوادث بعد وفاة رسول الله (ص) الى واقعة الجمل :

« هذا ملخص ما ذكره ابن جرير الطبري رحمه الله عن أئمة هذا الشأن » و قصد من أئمة هذا الشأن الذين ذكر ابن جرير الطبري الاخبار عنهم سيف الزنديق و رواته المختلقين .

و قد أفصح العلامة ابن خلدون أكثر منهم في سبب اختيارهم روايات سيف المنتشرة في تاريخ الطبري عن أخبار الخلافة أي بيعة الخلفاء و الردة و الفتوح و الجماعة أي الاجتماع على بيعة معاوية و قال :

« انه أوثق ما رأيناه في ذلك و أبعد عن المطاعن و الشبهة في كبار الامة » إذا فإن روايات سيف في تاريخ الطبري عن تلك الاخبار أوثق عندهم لأنها أبعد عن المطاعن و الشبهة في كبار الامة من الصحابة و التابعين و هم الخلفاء و الولاة و ذويهم ، و إليكم دليل آخر على أنه من المعيب أن يذكر ما يورد النقد على الكبراء

وينبغي البحث عن العذر لهم في ما يوجه النقد اليهم كيف ما كان ؛ في خبر درء سعد بن أبي وقاص الحد عن أبي محجن و البحث عن العذر لسعد الامير .
كان أبو محجن الثقفي كما بترجمته من الاستيعاب و أسد الغابة و الاصابة ، مدمناً للخمر و حده الخليفة عمر سبع مرات لذلك و أخيراً نفاه من المدينة ، و التحق بسعد بن أبي وقاص في حرب القادسية فقيده لشربه الخمر و أطلقت زوجته سعد سراحه وكانت له مواقف مشهورة في الحرب فدرأ سعد الحد عنه لموقفه وقال : والله لا نجلدك على الخمر أبداً ، قال أبو محجن : واذن لا أشربها أبداً .
كان هذا خبر درأ سعد الحد عن أبي محجن ، وفي هذا الشأن نقل ابن حجر بترجمة أبي محجن في كتابه الاصابة عن كتاب ابن فتحون (ت : ٥١٩ هـ) ؛ « التذليل على استيعاب أبي عمر بن عبد البر » وقال :

« و قد عاب ابن فتحون أبا عمر على ما ذكره في قصة أبي محجن ، أنه كان منهمكاً في الشراب - الى قوله - و أنكروا ابن فتحون من روى أن سعداً أبطل عنه الحد و قال : [لا يظن هذا بسعد] ثم قال : [لكن له وجه حسن] و لم يذكره و كأنه أراد بقوله لا يجلده في الخمر بشرط أضمره و هو : إن ثبت عليه أنه يشربها فوفقه الله أن تاب توبة نصوحاً فلم يعد إليها »^١

* * *

هكذا يبحث أتباع مدرسة الخلفاء عما يرفع النقد عن الكبراء و هم الخلفاء و الولاة و ذووهم من الخلفاء الاوائل حتى معاوية و مروان بن الحكم و يزيد بن معاوية و ولاتهم الذين يسمونهم الكبراء أو كبراء الصحابة و التابعين . وبما أن سيف بن عمر الزنديق عرف من أين تؤكل الكتف و وضع روايات موافقة لرغبات جميع الطبقات بمدرسة الخلفاء مدى العصور و طلا رواياته بطلاء الدفاع عن الخلفاء و ذويهم في ما انتقدوا عليه و نشر فضائلهم و تحت هذا الغطاء السميك استطاع أن يخفي أهدافه في الطعن بالاسلام و الاضرار به و نشر الخرافات الضارة بالعقائد الاسلامية بين المسلمين و كذلك استطاع أن ينشر و يذيع بين الناس أن الاسلام انتشر بحد السيف ، استطاع سيف أن يصل الى كل أهدافه في ما اختلق بدافع زندقته ، و سنورد أمثلة مما ذكرنا في ما يأتي ، و من أمثلة نشره الخرافات الضارة بالعقيدة الاسلامية ما رواه في خبر الاسود العنسي المتنبئ و خبر مناجاة كسرى مع الرسول (ص) عند الله كالآتي :

أولاً - قصة الأسود العنسي في روايات سيف

روى الطبري في قصة الأسود العنسي^١ عدة روايات عن سيف تتلخص في مايلي : أن الأسود لما ادعى النبوة و تغلب على اليمن و قتل ملكها شهر ابن باذان و تزوج امرأته وأسند أمر الجيش الى قيس بن عبد يغوث وأسند أمر الأبناء - وهم أبناء الفرس باليمن - الى فيروز و داذويه، كتب النبي (ص) الى هؤلاء بقتال الأسود أما مصادمة أو غيلة ، فاتفقوا على اغتياله فأخبره شيطانه فأرسل الى قيس وقال: يا قيس! مايقول الملك ، قال قيس : « ومايقول؟ » قال : يقول : « عمدت الى قيس فأكرمته حتى اذا دخل منك كل مدخل ، و صار في العز مثلك ، مال ميل عدوك ؛ و حاول ملكك ؛ وأضمر على الغدر ! انه يقول : ياأسود ، ياأسود ياسوءة ! يا سوءة ! اقطف قننه^٢ وخذ من قيس أعلاه و الا سلبك أو أخذ قننتك ! » فقال قيس و حلف به و كذب « وذي الخمار^٣ لأنت أعظم في نفسي وأجل عندي من أن أحدث بك نفسي » قال الأسود : « ما أجفاك ! أتكذب الملك ؟! وعرفت الآن انك تائب مما اطلع عليه منك » يعني ما اطلع عليه شيطانه الذي يسميه الملك .

و قال سيف : ثم خرج قيس و أخبر جماعته بما جرى له مع الأسود وتواطؤوا على إنفاذ مااتفقوا عليه من قتله ، فدعا الأسود قيسا ثانية ، وقال له : « ألم أخبرك الحق و تخبرني الكذابة انه يقول - يعني شيطانه الذي يسميه الملك - : ياسوءة ! ياسوءة ! إلا تقطع من قيس يده يقطع قننتك العليا » فقال له قيس : « ليس من الحق أن أقتلك وأنت رسول الله فمُر بي بما أحببت ، فإما الخوف و الفرع فأنا فيهما مخافة ! اقتلني ! فموتة أهون عليّ من موتات أموتها كل يوم » ، قال سيف : فرق له فأخرجه ! وقال دعا الأسود بمائة جزور بين بقرة وبعير ، و خبط خطأ فأقيمت من وراء الخط ، وقام من دونها ، فنحرها غير محبسة و لا معقولة ، ما يقتحم الخط منها شيء ، ثم خلاها فجالت الى أن زهقت ، و نقل سيف عن الراوي أنه قال : « ما رأيت أمرا كان أفضح منه ، و لا يوما أوحش منه » .

قال سيف : وتواطؤوا مع زوجته على اغتياله - ليلا - فلما دخلوا عليه ليقتلوه بادره فيروز ، فأنذره شيطانه بمكان فيروز وأيقظه فلما أبطأ تكلم الشيطان على لسانه وهو يغط في نومه وينظر الى فيروز قال له : « مالي و لك يا فيروز » فدق فيروز رقبتة وقتله .

(١) نسبة الى عنس بن مذحج و هم حي من زيد بن كهلان بن سبأ ترجمتهم في أنساب ابن حزم ، ص :

(٢) اقطف قننه أي اقطف رأسه ، و قنة كل شيء . أعلاه مثل القلة .

(٣) كان الاسود يلقب ذا الخمار أو ذا الخمار .

قال : ثم دخل الباقون ليحتزوا رأسه فحرّكه شيطانه فاضطرب فلم يضبطوا أمره حتى جلس اثنان على ظهره وأخذت المرأة شعره ، فجعل يبربر بلسانه فاحتز الأخر رقبتة فخار كأشدّ خوار ثور سمع قط ، فابتدر الحرس الباب ، وقالوا: ما هذا ؟ فقالت المرأة : النبي يوحى إليه فحمد . . . » الحديث .

* * *

روى هذا الخبر عن سيف كل من الطبري و الذهبي في تاريخيهما وأخذها من الطبري كل من ابن الأثير و ابن كثير و ابن خلدون غير أن الأخير أوردتها بإيجاز .

دراسة خبر الأسود العنسي

أ - رواية الخبر :

روى سيف هذا الخبر في إحدى عشرة رواية رواها عن أربعة رواة اختلقهم وهم

كل من :

١ - سهل بن يوسف الخزرجي السلمي .

٢ - عبيد بن صخر الخزرجي السلمي .

٣ - المستنير بن يزيد النخعي .

٤ - عروة بن غزية الدثيني .

هكذا تخيلهم سيف الزنديق غير أن الله لم يخلق رواة بهذه الأسماء وإنما

خلقهم سيف لرواياته .

ب - دراسة متن الخبر :

قد قارنا روايات سيف المختلقة في خبر الأسود العنسي بالروايات الصحيحة و

بيّنا اختلاف الروايات والرواة في هذا الخبر في الجزء الثاني من عبد الله ابن سبأ .

ثانيا - خبر مناجاة كسرى مع الرسول عند الله في رواية سيف

روى سيف في قصة مسير يزدجرد إلى خراسان بعد واقعة جلولاء و قال :

« كان يزدجرد بن شهريار بن كسرى وهو يومئذ ملك فارس ، لما انهزم أهل

جلولاء خرج يريد الري و كان ينام في محمله و البعير يسير به ولا يعرسون ، فانتهاوا

به الى مخاضة وهو نائم في محمله فأنبهوه ليعلم و لئلا يفرغ إذا خاض البعير ، فعنف

و قال : بشما صنعتم ، والله لو تركتموني لعلمت ما مدة هذه الأمة ، إني رأيت:

أني و محمداً تناجينا عند الله ، فقال له :

- أملكهم مائة سنة .

فقال : - زدني .

فقال : - عشرا و مائة سنة .

فقال : - زدني .

فقال : - عشرين و مائة سنة .

فقال : - لك .

وأنبهتموني ، فلو تركتموني لعلمت ما مدة هذه الأمة . . . »^١ .

دراسة خبر مناجاة كسرى و الرسول (ص)

أ - دراسة رواية الخبر :

روى سيف اسطورة مناجاة كسرى و الرسول (ص) عند الله عن مختلفاته من

الرواة الآتية أسماؤهم :

١ - محمد وقد تخيله محمد بن عبد الله بن سواد بن نويرة .

٢ - المهلب وهو عنده المهلب بن عقبة الأسدي .

٣ - عمرو وقد اختلق سيف راويين باسم عمرو ، تخيل أحدهما عمرو بن ريان

و الآخر عمرو بن رفيل ، و بيننا اختلاقه هذه الأسماء في الجزء الأول من « عبد الله

بن سبأ » و « خمسون و مائة صحابي مختلق » .

ب - دراسة متن الخبر :

درسنا متن الخبر في أول الجزء الأول من « خمسون و مائة صحابي مختلق » و

بيننا زيفه ولا حاجة لاعادة البحث في هذه العجالة .

ماذا استهدف الزنديق من وضع هذين الخبرين :

إن الأسود الذي ادعى النبوة كان يخبر قيسا بكل ما ينويه مرة بعد أخرى ويقول:

« قال الملك ! » و كان الملك الذي يخبره هو الشيطان ! و ظهرت من الأسود

مدعى النبوة معجزة باهرة حين خطَّ خطأً أوقف وراءه مائة جزور بين بقرة وبعير و قام

من دونها و نحرها جميعا غير محبسة ولا معقلة ما يقتجم الخطَّ منها شيء ، ثم خلاها

فجالت إلى أن زهقت ، وإن الراوي استعظم هذا الأمر !

و قال في الخبر الثاني إن كسرى رأى في المنام أنه اجتمع مع الله و رسوله في

مؤتمر ثلاثي . . . الحديث .

(١) راجع مصادره في البحث الاول من البحوث التمهدية في الجزء الاول من « خمسون و مائة صحابي

مختلق » .

أليس مغزى الأسطورة الأولى إن نبي المسلمين ادعى النبوة و كان من يسميه (الملك) يخبره بالغيب و تصدر منه المعجزات .
والأسود العنسي أيضاً ادعى النبوة و كان من يسميه (الملك) يخبره بالغيب و تظهر منه المعجزات ؛ هل نشر الزنديق هذه الأسطورة دون أن يقصد إلقاء الشبهات في أذهان المسلمين ؟ وفي الأسطورة الثانية ألم يقصد الزنديق الاستهزاء برّب المسلمين و نبينهم حين جمعهم في مؤتمر واحد مع عدوهمما يزدجرد ملك الفرس في مارآه !! ؟
هكذا نقل كبار العلماء عن سيف أساطير الخرافة و حشّوا بها كتب التاريخ الاسلامي وأصبحت تلك الأساطير جزءاً من مصادر الدراسات الاسلامية ، و كذلك نشروا في كتب التاريخ الاسلامي ما أشاعه سيف الزنديق بأن الاسلام انتشر بحد السيف ، نظير الأخبار الآتية :

إشاعة الزنديق أن الاسلام انتشر بالسيف وإراقة الدماء

أشاع سيف في ما اختلق من أخبار حروب الردة و الفتوح بأن الاسلام انتشر على وجه الأرض بحدّ السيف وإراقة الدماء و مما اختلق باسم حروب الردة الأكاذيب و التهويلات الآتية :

تهويلات وأكاذيب في ما رواها سيف عن أخبار حروب الردة :

مهد سيف لما أراد أن يذكر في حروب الردة من تهويلات بما روى في روايات قصيرة له أوردها الطبري في أول أخبار الردة ، قال سيف فيها :
كفرت الأرض و تضرمت نارا ، وارتدت العرب من كل قبيلة خاصتها أو عامتها إلا قريشاً و ثقيفاً ، ثم ذكر إرتداداً في غطفان ، و امتناع هوازن من دفع الصدقة ، واجتماع عوام طي و أسد على طليحة ، و إرتداد خواص بني سليم ، وقال : « و كذلك سائر الناس بكل مكان » و قال : و قدمت كتب أمراء النبي من كل مكان بانتفاض القبائل خاصتها ، أو عامتها . «

ونقل الخبر كذلك ابن الأثير و ابن خلدون بتاريخيهما ونقله ابن كثير بالمعنى حيث قال في تاريخه ١ :

« ارتدت العرب عند وفاة رسول الله (ص) ما خلا أهل المسجدين مكة و المدينة ثم ذكر سيف في ما اختلقه من حروب الردة كيف أرجع المرتدين إلى الاسلام

بحد السيف كما زعمه الزنديق في رواياته . و من أمثلة ما روى في حروب الردة ما سهاها بحرب الأخابث كالآتي :

ردة عكّ و الأشعرون و خبر طاهر ربيب رسول الله في روايات سيف
وقال سيف في خبر الأخابث من عكّ :

كان أول من انتفض بتهمته العكّ والأشعرون لما بلغهم نبأ وفاة النبي تجمعوا
وأقاموا على الأعلام : طريق الساحل ، فكتب بذلك طاهر إلى أبي بكر ، ثم سار
إليهم مع مسروق العكّي حتى إلتقى بهم ، فاقتتلوا ، فهزمهم الله وقتلهم كل قتلة،
وأنتت السبل لقتلهم ، وكان مقتلهم فتحاً عظيماً .

وأجاب أبو بكر الطاهر - من قبل أن يأتيه كتابه بالفتح - : « بلغني كتابك
تخبرني فيه مسيرك واستنفارك مسروقا وقومه إلى الأخابث بالأعلام ، فقد أصبت ،
فعاجلوا هذا الضرب ولا ترفهوا عنهم ، وأقيموا بالأعلام حتى يأتيكم أمري »
فسميت تلك الجموع ومن تأشب إليهم إلى اليوم الأخابث ، وسمي ذلك الطريق
طريق الأخابث ، وقال في ذلك طاهر بن أبي هالة :

ووالله لولا الله لا شيء غيره
فلم تر عيني مثل يوم رأيت
قتلناهم ما بين قنة خامر
وفئنا بأموال الأخابث عنوة
لما فض بالأجرع جمع العثا
بجنب صحار في جموع الأخابث
إلى القيعه الحمراء ذات النبائث
جهاراً ولم نحفل بتلك الهثا

قال : و عسكر طاهر على طريق الأخابث ، ومعه مسروق في عكّ ينتظر أمر
أبي بكر .

* * *

أدار سيف خبر ردة عكّ والأشعريين على من تخيله طاهر بن أبي هالة ، فمن
هو طاهر في أحاديث سيف ؟

طاهر في أحاديث سيف

تخيل سيف طاهر ابن أبي هالة التميمي من أمّ المؤمنين خديجة و ربيب رسول
الله (ص) و عامله في حياته ، و ذكر من أخباره في عصر أبي بكر إبادته للمرتدين من
عكّ والأشعريين ، و من أحاديث سيف استخرجوا ترجمته و ذكروه في عداد الصحابة
في كل من الاستيعاب و معجم الصحابة و أسد الغابة و تجريد أسماء الصحابة

والاصابة وغيرها ، وكذلك ترجم في معجم الشعراء و سير النبلاء .
 وذكر خبره في تواريخ الطبري وابن الأثير وابن كثير وابن خلدون ومير خواند .
 واعتمد (شرف الدين) على هذه المصادر و ذكر اسم طاهر في عداد أسماء
 الشيعة من أصحاب علي في كتابه (الفصول المهمة) .
 واعتماداً على أخبار سيف ترجم البلدانون الأعلام والأخبار في عداد الأماكن
 مثل الحموي في معجم البلدان و عبد المؤمن في مرصد الاطلاع .
 مناقشة الخبر

روى سيف أخبار طاهر في خمس رواياته في أسنادها خمس رواة اختلقهم
 باسم سهل عن أبيه يوسف السلمي و عبيد بن صخر بن لوذان و جرير بن يزيد
 الجعفي وأبي عمرو مولى طلحة .
 ولم يكن وجود لردة عكّ والأشعريين .
 ولم يخلق الله أرضاً باسم الأعلام والأخبار
 ولا صحابياً شيعياً ربيماً لرسول الله (ص) من أمّ المؤمنين خديجة اسمه طاهر
 بن أبي هالة .

و لم تقع حرب الإبادة لعكّ والأشعريين المرتدين كما تخيله سيف ولا الرواة الذين
 روى عنهم أخبار طاهر و ردة عكّ والأشعريين و الأخبار .
 اختلق سيف الردة و حربها والأراضي والشعر و كتاب أبي بكر والصحابي والرواة
 و وصل من خلالها إلى هدفه أن الناس ارتدوا بعد رسول الله (ص) عامة عدا قريش
 و ثقيف وهكذا حاربهم المسلمون حرب إبادة ، وقد ناقشنا كل هذه الأخبار وأسنادها
 في ترجمة من سماه بطاهر بن أبي هالة في الجزء الأول من كتاب (خمسون ومائة
 صحابي مختلق) .

كانت هذه إحدى حروب الردة التي اختلقها سيف و مما اختلق من حروب الردة
 واختلق أخبارها ، ماسماًها بردة طي و ردة أمّ زمل و ردة أهل عمان والمهرة و ردة اليمن
 الأولى و ردة اليمن الثانية .

اختلق ارتداد تلك القبائل والبلاد و حروبها و حروب ردة أخرى زعم أنها
 وقعت في عصر أبي بكر ، كذب فيها جميعاً . و كذب وافترى في ذكر عدد من قتل في
 تلك المعارك و ذكر تهاويل سؤد بزعمه وجه التاريخ الاسلامي الناصع ، وكذلك فعل
 في أخبار الفتوح حيث ذكر معارك لم تقع ، وقتل وإبادة من قبل جيوش المسلمين لم
 يكن له وجود في التاريخ بتاتاً كالاتي ذكرها .

فتح أليس و تخريب مدينة أمغيشيا في أحاديث سيف

روى الطبري عن سيف في خبر فتح أليس وأمغيشيا من فتوح سواد العراق وقال في خبر أليس :

فاقتلوا قتالا شديداً والمشركون يزيدهم كلباً و شدة ما يتوقعون من قدوم بهمن جاذويه فصابروا المسلمين للذي كان في علم الله أن يصيرهم إليه و حربَ المسلمون عليهم و قال خالد اللهم إن لك عليّ إن منحتنا أكتافهم ألا أستبقي منهم أحداً قدرنا عليه حتى أجري نهرهم بدمائهم ، ثم أن الله عز وجل كشفهم للمسلمين و منحهم أكتافهم فأمر خالد مناديه فنادى في الناس الأسر الأسر لا تقتلوا إلا من امتنع ، فأقبلت الخيول بهم أفواجاً مستأسرين يساقون سوقاً و قد وكل بهم رجالاً يضربون أعناقهم في النهر ففعل ذلك بهم يوماً و ليلة و طلبوهم الغد و بعد الغد حتى انتهوا الى النهرين و مقدار ذلك من كل جوانب أليس ف ضرب أعناقهم و قال له القعقاع و أشباه له لو أنك قتلت أهل الأرض لم تجر دماؤهم إن الدماء لا تزيد على أن تترقق منذ نهيت عن السيلا و نهيت الأرض عن نشف الدماء فأرسل عليها الماء ، تبرّ بيمينك و قد كان صد الماء عن النهر فأعاده فجرى دماً عبيطاً فسمي نهر الدم لذلك الشأن الى اليوم ، و قال آخرون منهم بشير بن الخصاصية قال و بلغنا أن الأرض لما نشفت دم ابن آدم نهيت عن نشف الدماء و نهى الدم عن السيلا إلا مقدار برده .

و قال : كانت على النهر أرحاء فطحنت بالماء وهو أحمر قوت العسكر ثمانية عشر ألفاً أو يزيدون ثلاثة أيام

و قال بعده في خبر هدم مدينة أمغيشيا :

لما فرغ خالد من وقعة أليس نهض فأتى أمغيشيا و قد أعجلهم عما فيها و قد جلا أهلها و تفرقوا في السواد فأمر خالد بهدم أمغيشيا و كل شيء كان في حيزها و كانت مصراً كالحيرة و كانت أليس من مسالحها فأصابوا فيها ما لم يصيبوا مثله قط .

اختلف سيف جميع هذه الأخبار بتفاصيلها مع روايتها و لتأمل في ما وضع واختلف في الخبرين .

نظرة تأمل في رواية سيف عن أليس و مدينة أمغيشيا

قال سيف :

في وقعة أليس إلى خالد أن يجري نهرهم بدمائهم فلما غلب غير مجرى الماء من نهرهم و استأسر فلول الجيش الفارسي والمدنيين من أهل الأرياف من كل جوانب

أليس مسافة يومين وأقبلت الخيول بهم أفواجا مستأسرين و وكل بهم رجالا يضربون أعناقهم على النهر يوما وليلة والدم يتشف فقال له القعقاع - الصحابي الذي اختلقه سيف - وأشباه له لو قتلت أهل الأرض لم تجر دماءهم ، أرسل عليها الماء تبرئ يمينك ، فأرسل عليها الماء فأعاده فجرى النهر دما عبيطا فسمي نهر الدم لذلك الى اليوم . ثم قال ذهب خالد الى أمغيشيا وكانت مصراً كالحيرة فأمر بهدم أمغيشيا وكل شيء كان في حيزها وبلغ عدد قتلاهم سبعين ألفا .

* * *

أما هدم مدينة أمغيشيا التي اختلق سيف المدينة و حيزها وخبر هدمها ، فقد كان له نظير في التاريخ من قبل طغاة مثل هولوكو و جنكيز و كذلك قتل الأسرى غير أن سيفاً نسب إلى خالد ما لم يجر له نظير في تاريخ الحروب وهو أنه أجرى نهرهم بدمائهم وأنه سمي نهر الدم الى اليوم .

اختلق سيف كل هذه الأخبار و اختلق أخبار معارك الشني و المذار و المقر و فم فرات بادقلى و حرب المصيخ و قتلهم الكفار يومذاك حتى امتلأ الفضاء من قتلاهم ، فما شبهوهم إلا بغنم مصرعة و كذلك معركة الشني و الزميل و الفراض و قتل مائة ألف من الروم فيها .

اختلق سيف جميع أخبار هذه الحروب و نظائرها و انتشرت في تواريخ الطبري و ابن الأثير و ابن كثير و ابن خلدون و غيرهم ولا حقيقة لواحدة منها و قد ناقشنا أخبارها و أسنادها في بحث (انتشار الاسلام بالسيف و الدم في حديث سيف) من كتاب عبد الله بن سبأ الجزء الثاني .

ألا يحق لخصوم الاسلام مع هذا التاريخ المزيف أن يقولوا : « ان الاسلام انتشر بحدّ السيف » .

و هل يشكّ أحد بعد هذا من هدف سيف في وضع هذا التاريخ و ما نواه من سوء للاسلام ؟! وما الدافع لسيف إلى كل هذا الدس و الوضع إن لم تكن الزندقة التي وصفه العلماء بها ؟!

وأخيراً هل خفي كلُّ هذا الكذب و الافتراء على إمام المؤرخين الطبري ؟ و علامتهم ابن الأثير ؟ و مكترهم ابن كثير ؟ و فيلسوفهم ابن خلدون ؟ و على عشرات من أمثالهم ؟ كابن عبد البر و ابن عساكر و الذهبي و ابن حجر ؟ كلاً فإنهم هم الذين وصفوه بالكذب و رموه بالزندقة ! وقد ذكر الطبري و ابن الأثير و ابن خلدون في تواريخهم في وقعة ذات السلاسل :

أن ما ذكره سيف فيها خلاف ما يعرفه إهل السير ! إذا فما الذي دعاهم إلى اعتماد روايات سيف دون غيرها مع علمهم بكذبه وزندقته ، إن هو إلا أن سيفاً حلّ مفترياته بإطارٍ من نشر مناقب ذوي السلطة من الصحابة فبذل العلماء وسعهم في نشرها وترويجها . مع علمهم بكذبها ، ففي فتوح العراق - مثلاً - أورد مفترياته تحت شعار مناقب خالد بن الوليد ، فقد وضع على لسان أبي بكر أنه قال : بعد معركة أليس وهدم مدينة أمغيشيا : « يا معشر قريش عدا أسدكم على الأسد فغلبه على خراذيله ، أعجزت النساء أن ينشئن مثل خالد » .

كما زين ما اختلق في معارك الردّة بإطار من مناقب الخليفة أبي بكر ، وكذلك فعل في ما روى واختلق عن فتوح الشام وإيران على عهد عمر ، والفتن في عصر عثمان ، وواقعة الجمل في عصر علي ، فإنه زين جميعها بإطارٍ من مناقب ذوي السلطة والدفاع عنهم في ما انتقدوا عليها وبذلك راجت روايات سيف و شاعت أكاذيبه و نسيت الروايات الصحيحة وأهملت على أنه ليس في ما وضعه سيف واختلق - على الاغلب - فضيلة للصحابة بل فيه مذمة لهم ، ولست أدري كيف خفي على هؤلاء أن جلب خالد عشرات الألوف من البشر و ذبحهم على النهر ليجري نهرهم بدمائهم ليست فضيلة له ، ولا هدمه مدينة أمغيشيا ولا نظائرها إلا على رأي الزنادقة في الحياة من أنها سجن للنور وأنه ينبغي السعي في إنهاء الحياة لانقاذ النور من سجنه^١ ومهما يكن من أمر فإن بضاعة سيف المزجاة إنما راجت لأنه طلائها بطلاء من مناقب الكبراء وإن حرص هؤلاء على نشر فضائل ذوي السلطة والدفاع عنهم أدى بهم إلى نشر ما في ظاهره فضيلة لهم وإن لم تكن لهم في واقعه فضيلة ! والأنكى من ذلك أن سيفاً لم يكتف باختلاق روايات في ظاهرها مناقب للصحابة من ذوي السلطة و يدسّ فيها ما شاء لهدم الاسلام بل اختلق صحابة للرسول لم يخلقهم الله ! ووضع لهم ماشاء من كرامة و فتوح و شعر و مناقب كما شاء ! وذلك معرفة منه بأن هؤلاء يتمسكون بكل ما فيه مناقب لأصحاب الحكم كيف ما كان ، فوضع واختلق ما شاء لهدم الاسلام ! اعتماداً منه على هذا الخلق عند هؤلاء ! وضحكاً منه على ذقون المسلمين ! ولم يخيب هؤلاء ظن سيف ، وإنما روجوا مفترياته زهاء ثلاثة عشر قرناً !

* * *

أوردنا إلى هنا أمثلة مما اختلقها سيف للطعن بالاسلام وأطرها بإطار مناقب كبراء الصحابة والتابعين أي ذوي السلطة منهم ، وفي ما يأتي ندرس أمثلة أخرى منها مما أطرها بإطار حل معضلة مدرسة الخلافة مدى القرون ، كما سيأتي بيانها .

(١) راجع بحث الزندقة و الزنادقة من البحوث التمهيدية من كتابنا خمسون و مائة صحابي مختلق .

كانت شهرة الامام علي بالوصي معضلة مدرسة الخلافة مدى القرون رأينا في ما مر بنا كيف دارت المعركة الكلامية بين المدرستين حول نص الوصية مدى سبعمائة سنة منذ عهد أم المؤمنين عائشة حتى عصر ابن كثير ، لأن نص الوصية كان يُشخص قصد الرسول (ص) في سائر النصوص التي نص بها علي حق آله في الحكم بدءاً من الامام علي إلى الامام المهدي ، مثل حديث الغدير و حديث ان عليا ولي الامر بعد الرسول (ص) و وارثه الى غيرها ، بينما كانت مدرسة الخلفاء تؤول تلك النصوص إلى مدلول الفضيلة لآل الرسول (ص) و مما يوضح ذلك أن علماء أهل الكتاب - مثلاً - عندما كانوا يتكلمون عن وصي خاتم الأنبياء ما كانوا يعنون غير ولي عهده من بعده وإن أنصار الامام علي عندما كانوا يذكرون الوصية في خطبهم وأشعارهم يحتجون بها على حق الامام علي في الحكم مثل أبي ذر على عهد عثمان و مالك الأشتر يوم بيعة الامام علي و محمد بن أبي بكر في كتابه لمعاوية و المهاجرين و الأنصار في أشعارهم في الجمل و صفين و الامام الحسن عندما خطب لبياع له و الامام الحسين عندما خطب على جيش الخلافة بكر بلاء ؛ كلهم كانوا يحتجون بالوصية لأنها كانت تشير الى جميع النصوص التي وردت بحقهم و تشملها فكأنهم في احتجاجهم بالوصية يدلون بجميع تلك النصوص وإن قيام العلويين المطالبين بالحكم لم تنته باستشهاد الامام الحسين وإنما استمرت ثوراتهم على الخلفاء حتى عصر العباسيين و كان في مقدمة ما يضايق مدرسة الخلفاء في كل تلك القرون في المعركة السياسية شهرة الامام علي بأنه وصي النبي لما كان يحتج بها المطالبون بالحكم من العلويين باعتبار أنها تدل كما ذكرنا آنفاً على نص النبي (ص) بحق الامام علي و ولده في الحكم ، و من ثم لما أراد المأمون تهدئة ثورات العلويين تظاهر بالاستدلال بالوصية و ولي الامام الرضا للعهد من بعده و بذلك هدأ العلويون في كل مكان و جلب رؤوسهم الى عاصمته و قضى على جلهم بالسّم و انتصر عليهم . اذا فإن شهرة الامام علي بالوصية كانت معضلة مدرسة الخلفاء مدى القرون فكيف حل سيف هذه المعضلة .

سيف يضع حلاً لمعضلة مدرسة الخلفاء

مر بنا كيف كانت مدرسة الخلفاء تعتمد الى كتمان كل ما فيه ذكر للوصية حذفاً و تحريفاً و طعناً برواة الحديث و المحتجين بها و تأويل للنصوص الصريحة للوصية و لم يبلغ أحدهم شأو سيف في ما وضع من حل لهذه المشكلة العويصة بتحريفه الحقائق الى ما يناقضها في ما اختلقها من روايات نذكرها في ما يأتي :

أ - روى الطبري في أول أخبار سنة خمس وثلاثين للهجرة الرواية الآتية :

عن سيف عن عطية عن يزيد الفقعسي قال : كان عبد الله بن سبأ يهودياً من أهل صنعاء ، أمه سوداء فأسلم زمان عثمان ثم تنقل في بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم فبدأ بالحجاز ثم البصرة ثم الكوفة ثم الشام فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام فأخرجوه حتى أتى مصر فاعتمر فيهم فقال لهم في ما يقول : لعجب ممن يزعم أن عيسى يرجع و يكذب بأن محمدا يرجع و قد قال الله عز و جل : إن الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد ، فمحمدا أحق بالرجوع من عيسى ، قال : فقبل ذلك عنه فوضع لهم الرجعة فتكلموا فيها ثم قال لهم بعد ذلك إنه كان ألف نبي و لكل نبي وصي و كان علي وصي محمدا ، ثم قال محمدا خاتم الأنبياء و علي خاتم الأوصياء ثم قال بعد ذلك من أظلم ممن لم يُجز وصية رسول الله (ص) و وثب على وصي رسول الله (ص) و تناول أمر الأمة ثم قال لهم بعد ذلك إن عثمان أخذها بغير حق و هذا وصي رسول الله (ص) فانهمضوا في هذا الأمر فحركوه وابدؤا بالطعن على أمرائكم و أظهروا الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر تستميلوا الناس و ادعوهم الى هذا الأمر ، فبث دعواته و كاتب من كان استفسد في الأمصار و كاتبوه و دعوا في السر الى ما عليه رأيهم و أظهروا الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و جعلوا يكتبون الى الأمصار بكتب يضعونها في عيوب و لاتهم و يكاتبوهم إخوانهم بمثل ذلك و يكتب أهل كل مصر منهم الى مصر آخر بما يصنعون فيقرأه أولئك في أمصارهم و هؤلاء في أمصارهم حتى تناولوا بذلك المدينة و أوسعوا الأرض إذاعة و هم يريدون غير ما يُظهرون و يسرون غير ما يُبدون فيقول أهل كل مصر إنا لفي عافية مما ابتلى به هؤلاء ، إلا أهل المدينة فإنهم جاءهم ذلك عن جميع الأمصار فقالوا إنا لفي عافية مما فيه الناس و جامعه محمد و طلحة من هذا المكان ، قالوا فأتوا عثمان فقالوا : يا أمير المؤمنين أيأتيك عن الناس الذي يأتينا ، قال لا و الله ما جاءني إلا السلامة ، قالوا فإننا قد أتانا و أخبروه بالذي أسقطوا اليهم ، قال فأنتم شركائي و شهود المؤمنين ، فأشيروا علي ، قالوا نشير عليك أن تبعث رجالا ممن تثق بهم الى الأمصار حتى يرجعوا اليك بأخبارهم ، فدعا محمد بن مسلمة فأرسله الى الكوفة و أرسل أسامة بن زيد الى البصرة و أرسل عمار بن ياسر الى مصر و أرسل عبد الله بن عمر الى الشام و فرق رجالا سواهم ، فرجعوا جميعا قبل عمار فقالوا أيها الناس ما أنكرنا شيئا و لا أنكره أعلام المسلمين و لا عوامهم و قالوا جميعا الأمر أمر المسلمين إلا أن أمراءهم يقسطون بينهم و يقومون عليهم و استبطنوا الناس عمارا حتى ظنوا أنه قد اغتيل فلم يفجأهم إلا كتاب من عبد الله بن سعد بن أبي سرح يخبرهم أن عمارا قد استماله قوم بمصر و قد انقطعوا

إليه ، منهم عبدالله بن السوداء وخالد بن ملجم وسودان بن حمران وكنانة بن بشر .
 ب - روى الذهبي في أوائل ذكره أخبار سنة خمس وثلاثين هجرية الحديثين
 الآتين

أولاً - « قال سيف بن عمر عن عطية عن يزيد الفقعسي قال لما خرج ابن
 السوداء الى مصر نزل على كنانة بن بشر مرة وعلى سودان بن حمران مرة ، وانقطع
 الى الغافقي فشجه الغافقي فكلمه ، وأطاف به خالد بن ملجم وعبد الله بن رزين
 وأشباه لهم فصرف لهم القول فلم يجدهم يُجيبون الى الوصية . . . » الى آخر الحديث
 الطويل .

ثانيا - روى بعد هذا الحديث خبر عمار في مصر كالآتي :

« قال سيف عن مبشر و سهل بن يوسف عن محمد بن سعد بن أبي وقاص ،
 قال قدم عمار بن ياسر من مصر وأبى يسأل ، فبلغه فبعثني إليه أدعوه فقام معي وعليه
 عمامة وسخة وجبة فراء فلما دخل على سعد قال له ويحك يا أبا اليقظان إن كنت فينا
 لمن أهل الخير فما الذي بلغني عنك من سعيك في فساد بين المسلمين والتألب على
 أمير المؤمنين أمعك عقلك أم لا ، فأهوى عمار إلى عمامته وغضب فنزعها وقال خلعت
 عثمان كما خلعت عمامتي هذه ، فقال سعد إننا لله وإننا إليه راجعون ، ويحك حين
 كبرت سنك ورق عظمك ونفد عمرك خلعت ربقة الاسلام من عنقك وخرجت من
 الدين عريانا ، فقام عمار مغضبا موليا وهو يقول أعوذ بربي من فتنة سعد ، فقال سعد
 ألا في الفتنة سقطوا ، اللهم زد عثمان بعفوه وحلمه عندك درجات ، حتى خرج عمار
 من الباب فأقبل عليّ سعد يبكي حتى أخضل لحيته وقال من يأمن الفتنة ، يا بني
 لا يخرجن منك ما سمعت منه فإنه من الأمانة وإنني أكره أن يتعلق به الناس عليه
 يتناولونه وقد قال رسول الله (ص) الحق مع عمار ما لم تغلب عليه ولهة الكبر ، فقد
 وله وخرف . وممن قام على عثمان ، محمد بن أبي بكر الصديق ، فسأل سالم بن عبد
 الله في ما قيل عن سبب خروج محمد ، قال الغضب والطمع وكان من الاسلام
 بمكان وغره أقوام فطمع و كانت له دالة ولزمه حق فأخذه عثمان من ظهره . »

ج - روى الطبري في أخبار سنة ثلاثين أمر أبي ذر كالآتي :

عن سيف عن عطية عن يزيد الفقعسي ، قال لما ورد ابن السوداء الشام لقي
 أبا ذر فقال يا أبا ذر ألا تعجب الى معاوية يقول المال مال الله ، ألا أن كل شيء لله
 كأنه يريد أن يحتججه دون المسلمين ويمحو اسم المسلمين فأتاه أبو ذر فقال ما يدعوك
 إلى أن تُسمي مال المسلمين مال الله؟ قال يرحمك الله يا أبا ذر ألسنا عباد الله والمال
 ماله والخلق خلقه والأمر أمره ، قال فلا تقله ، قال فإنني لأقول إنه ليس لله ولكن

سأقول مال المسلمين ، قال وأتى ابن السوداء أبا الدرداء فقال له من أنت أظنك والله يهودياً فأتى عبادة بن الصامت فتعلق به فأتى به معاوية فقال هذا والله الذي بعث عليك أبا ذرّ، وقام أبو ذرّ بالشام وجعل يقول يا معشر الأغنياء وأسوأ الفقراء ، بشرّ الذين يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِمَكَوٍ مِنْ نَارٍ تُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ فَمَا زَالِ حَتَّى وَلِعَ الْفُقَرَاءُ بِمِثْلِ ذَلِكَ وَأَوْجِبُوهُ عَلَى الْاَغْنِيَاءِ وَحَتَّى شَكَا الْاَغْنِيَاءُ مَا يَلْقَوْنَ مِنَ النَّاسِ ، فكتب معاوية إلى عثمان : إن أبا ذرّ قد أعضل بي وقد كان من أمره كيت وكيت فكتب إليه عثمان إن الفتنة قد أخرجت خطمها وعينها فلم يبق إلا أن تثب فلا تنكأ القرع و جهّز أبا ذرّ إليّ وابعث معه دليلاً وزوده وارفق به وكفكف الناس و نفسك ما استطعت فإنما تمسك ما استمسكت . فبعث بأبي ذرّ ومعه دليل فلما قدم المدينة ورأى المجالس في أصل سلع قال بشرّ أهل المدينة بغارة شعواء وحرب مذكّار ، ودخل على عثمان فقال يا أبا ذرّ ما لأهل الشام يشكون ذرّ بك فأخبره أنه لا ينبغي أن يقال مال الله ولا ينبغي للأغنياء أن يقتنوا مالا ، فقال يا أبا ذرّ عليّ أن أقضي ما عليّ وآخذ ما على الرعية ولا أجبرهم على الزهد وأن أدعوهم إلى الاجتهاد والاقتصاد ، قال فتأذن لي في الخروج فإن المدينة ليست لي بدار ، فقال أو تستبدل بها إلا شراً منها ، قال أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أخرج منها إذا بلغ البناء سلعا قال فانفذ بها أمرك به ، قال فخرج حتى نزل الربذه فخطب بها مسجداً وأقطعه عثمان صرمة من الابل وأعطاه مملوكين وأرسل إليه أن تعاهد المدينة حتى لا ترتد اعرابياً ففعل .

دراسة روايات سيف في أخبار الفتن

اختلف سيف هذه الأخبار ونظائرها في الدفاع عن الخلفاء الأمويين عثمان ومعاوية ومروان والولادة : الوليد وسعد بن أبي سرح وغيرهم من كبراء بني أمية فراجت قصصه المختلقة في أخبار تلك الفتن وانتشرت في مصادر الدراسات الإسلامية انتشار النار في الهشيم كما برهننا على ذلك في أول الجزء الأول من عبد الله بن سبأ ، وأثبتنا الصحيح من أخبار تلك الفتن في فصل « في عصر الصهرين » وفصل « مع معاوية » من كتابنا أحاديث أم المؤمنين عائشة ، ج ١ ، ونشير في ما يأتي إلى أمثلة من أنواع الاختلاق والتحريف في روايات سيف السابقة .

الاختلاق والتحريف في روايات سيف الأنفة الذكر

في أحاديث سيف السابقة أمثلة من أنواع التحريف والاختلاق عند سيف كالآتي :

أولاً أمثلة من الاختلاق في الروايات السابقة :

أ - اختلق سيف رواة الحديث : عطية ومبشر وسهل بن يوسف ويزيد الفقعي

وهذا بيانه :

أما عطية ، فقد تخيله سيف ابن بلال بن أبي بلال ، هلال الضبي واختلق له ابناً سماه الصعب وأسند إليهم رواية بعض مختلقاته من الروايات ؛ تارة يروي الابن منهم عن أبيه ، وتارة يروي عن غيره . درسناهم وأحصينا الروايات التي أسندها سيف إليهم في كتابنا « رواة مختلقون » ، وقارنا بين بعض ما أسند إليهم سيف من روايات في ترجمة القعقاع الصحابي المختلق بكتابنا « خمسون ومائة صحابي مختلق وفي خبر العلاء بن الحضرمي بكتاب عبد الله بن سبأ ج ١ .

وسهل بن يوسف تخيله سيف نسبهم هكذا : سهل بن يوسف بن سهل بن مالك الأنصاري ، وقد ترجمناهم وأحصينا روايات سيف عنهم في كتاب (رواة مختلقون) ودرسنا روايات سيف عنهم في ترجمة القعقاع بكتاب خمسون ومائة صحابي مختلق .

و مبشر تخيله مبشر بن فضيل درسناه ودرسنا رواية سيف عنه في خبر السقيفة بكتابنا عبد الله بن سبأ ، ج ١ .

ويزيد الفقعي لم نجد له ذكراً في مابحثنا من كتب الحديث والسير والتاريخ والأدب والأنساب والطبقات وتراجم الرجال عدا خمس روايات لسيف في تاريخ الطبري ورواية واحدة له في تاريخ الاسلام للذهبي وكأن الله لم يخلقه إلا ليروي سيف عنه ولذلك اعتبرناه من مختلقات سيف من الرواة .

ب - اختلق سيف ، الغافقي وغيره ، في متون الأحاديث السابقة ونترك إحصاء ما اختلق فيها والبرهنة عليها ، لئلا يطول بنا الكلام .

واختلق في متون الأحاديث السابقة أيضاً الأخبار الآتية :

أ - قصة عبد الله بن سبأ في تلك الفتن ويكفي لمعرفة ما اختلقه مقارنتها بالأخبار

الصحيحة التي أوردناها في فصلي (في عصر الصهرين) و (مع معاوية) من كتاب أحاديث عائشة ، ج ١ .

ب - من ضمن هذه الأخبار المختلقة متابعة الصحابين عمار وأبي ذر لعبد الله

بن سبأ الذي تخيله يهودياً من أهل اليمن . . . وألحق بهما في متابعته عبد الله بن سبأ ، صحابة وتابعين آخرين وسمى جميعهم بالسبائية .

ج - اختلق خبر إرسال الخليفة عثمان رجالاً إلى الأمصار لتحقيق ما تصل إليه

من الشكاوى ، وتخيلهم هكذا : محمد بن مسلمة إلى الكوفة وأسامة بن زيد إلى

البصرة وعمّار بن ياسر إلى مصر وعبد الله بن عمر إلى الشام ، وإن جميعهم رجعوا بخبرون عن رضا الناس عن ولايتهم ما عدا عمّار بن ياسر الذي تبع عبد الله بن سبأ لليهودي وبقي في أرض مصر يفسد فيها .

اختلف جميع تلك الأخبار بتفاصيلها سيف ولم يرد ذكر منها عند أيّ واحد من المؤرخين غيره والخبر الصحيح في ذلك ما ذكرناه في أحاديث عائشة عن أنساب الأشراف للبلاذري وغيره .

د - اختلف خبر أبي ذرّ مع معاوية وحرّفه والروايات الصحيحة في خبره - أيضاً - ماوردناه في كتاب أحاديث عائشة .

هـ اختلف غيرها مثل المكاتبات التي تخيل أنها جرت بين الخليفة عثمان وعمله وغير ذلك .

أما التحريف في تلکم الروايات ، فكالاتي :

ثانياً أمثلة من التحريف في الروايات السابقة :

أ - تحريف في الأسماء :

حرّف اسم عبد الرحمن بن ملجم قاتل الامام علي وعبد الله بن وهب السبائي من رؤساء الخوارج في حرب النهروان وسماههما خالد بن ملجم وعبد الله بن سبأ كما برهننا على ذلك في فصل تصحيف وتحريف من كتاب عبد الله بن سبأ ج ٢ .

ب - تحريف في الأخبار مثل :

تحريفه خبر عبادة بن الصامت ومعاوية والصحيح منه ما أوردناه في فصل (مع معاوية) من كتاب أحاديث عائشة .

وتحريفه خبر القول بالرجعة وقوله : إن ابن سبأ اخترعه ، ويطول بنا البحث عن أدلته في الكتاب والسنة ، ونقتصر على ايراد خبر واحد كالاتي :

لما توفي رسول الله (ص) كان الصحابي أبو بكر بمنزله في السنح ، وأخذ الصحابي عمر يقول : إن رجالا من المنافقين يزعمون أن رسول الله توفي . وإن رسول الله مات ولكنه ذهب الى ربّه كما ذهب موسى بن عمران فغاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع بعد أن قيل مات ، والله ليرجعن رسول الله ^١ .

وتحريفه خبر القول بالوصية ونسبته إلى ابن سبأ اليهودي وقد مرّ بنا البحوث عنها في ماسبق .

وتحريفه رواية رسول الله (ص) في حقّ عمّار بقوله : « الحقّ مع عمّار مالم

(١) راجع تفصيل الخبر في فصل وفاة الرسول (ص) من كتاب عبد الله بن سبأ، ج ١ .

تغلب عليه ولهة الكبر» وإنَّ سعداً قال إنَّ عمَّاراً وله وخرف، بينما قال رسول الله (ص) في حقِّه الحديث الآتي:

عن عبد الله بن مسعود، قال قال رسول الله « إذا اختلف الناس كان ابن سمية مع الحقَّ » ١ .

وفي طبقات ابن سعد ٢ : قال الامام علي في رثاء عمَّار : « إنَّ عمَّاراً مع الحقَّ والحقَّ معه ، يدور عمَّار مع الحقَّ أينما دار » .

إنَّ سيف بن عمر حرَّف هذه الأحاديث في حقِّ عمَّار وزاد فيه : « ما لم تغلب عليه ولهة الكبر » .

ومن حديث رسول الله في عمَّار مارواه ابن هشام في خبر بناء مسجد الرسول (ص) أن رجلاً تعرَّض لعمَّار، فقال رسول الله « ما لهم ولعمَّار يدعوهم الى الجنة ويدعونه الى النار، إنَّ عمَّاراً جلدة ما بين عيني وأنفي، فإذا بلغ ذلك من الرجل فلم يستبق فاجتنبوه »، روى الحديث ابن هشام ولم يذكر اسم الرجل الذي تعرَّض لعمَّار. وذكر أبو ذرَّ في شرح سيرة ابن هشام أن هذا الرجل هو عثمان بن عفَّان، وتفصيل الخبر بكتاب أحاديث عائشة، فصل (في عصر الصهرين) .

أما أبو ذرَّ فقد قال رسول الله (ص) فيه : « ما أظلت الخضراء وما أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذرَّ » ٣ .

مقارنة خبر سيف في الفتن بأخبار غيره

قال الذهبي في تاريخه ٤ في خبر الفتن على عهد عثمان :

« عن الزهري قال ولي عثمان فعمل ست سنين لا ينقم عليه الناس شيئاً وإنه لأحب إليهم من عمر لأنَّ عمر كان شديداً عليهم فلما وليهم عثمان لأن لهم ووصلهم، ثم إنه توانى في أمرهم واستعمل أقرباءه وأهل بيته في الست الأواخر وكتب لمروان بخمس مصر أو بخمس أفريقية وآثر أقرباءه بالمال وتأول في ذلك الصلة التي أمر الله بها واتخذ الأموال واستسلف من بيت المال، وقال إنَّ أبا بكر وعمر تركا من ذلك ما هو لهما وإنِّي أخذته فقسمته في أقربائي، فأنكر الناس عليه ذلك. قلت ومما

(١) راجع تاريخ الذهبي، ج ٢/١٧٩ وتاريخ ابن كثير ج ٧/٢٧٠ .

(٢) ط . بيروت، ج ٣/٢٦٢ .

(٣) ابن ماجه، المقدمة، الباب ٢١ . وسنن الترمذي، كتاب المناقب . ومسند أحمد ٢/١٦٣ و ١٧٥ و ٢٢٣

و ٣٥١/٥ و ٣٥٦ و ٤٤٢/٦ . وطبقات ابن سعد، ط . أروبا، ج ٤/١٦٨/١ .

(٤) ج ٢/١٢٢ .

نتموا عليه أنه عزل عمير بن سعد عن حمص وكان صالحاً زاهداً، وجمع الشام لمعاوية، ونزع عمرو بن العاص عن مصر، وأمر ابن أبي سرح عليها، ونزع أبا موسى الأشعري عن البصرة وأمر عليها عبد الله بن عامر، ونزع المغيرة بن شعبة^١ عن الكوفة وأمر عليها سعيد بن العاص « وقال: « دعا عثمان ناساً من الصحابة فيهم عمار فقال إنني سائلكم وأحبُّ أن تُصدّقوني: نشدتكم الله أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يُؤثر قريشاً على سائر الناس ويؤثر بني هاشم على سائر قريش؟ فسكتوا، فقال: لو أن بيدي مفاتيح الجنة لأعطيها بني أمية حتى يدخلوها »^٢

* * *

لايسع المجال لذكر ما فعله الولاة والأمراء من بني أمية في السنوات الست التي ذكروها في مصر والشام والكوفة والبصرة والمدينة وما جرى بينه وبين أبرار الصحابة والتابعين، وإنما نقتصر على ذكر بعض ما كان من أمر أبي ذر خاصة معهم:

أبو ذر في موسم الحج بمنى

عن أبي كثير عن أبيه، « قال: أتيت أبا ذر وهو جالس عند الجمرة الوسطى وقد اجتمع الناس عليه يستفتونه، فأتاه رجل فوقف عليه ثم قال: أو لم تنه عن الفتيا، فرفع رأسه إليه فقال: أرقب أنت علي، لو وضعتم الصمصامة على هذه - وأشار إلى قفاه - ثم ظننت أنني أنفذ كلمة سمعتها من رسول الله (ص) قبل أن تجيزوا علي لأنفذتها »^٣.

اختزل هذا الخبر البخاري في صحيحه وقال:

« قال أبو ذر لو وضعتم الصمصامة على هذه - وأشار إلى قفاه - ثم ظننت أنني أنفذ كلمة سمعتها من النبي (ص) قبل أن تجيزوا علي لأنفذتها »^٤.

وفي شرحه من فتح الباري قال ابن حجر: « إن الذي خاطبه رجل من قريش والذي نهاه عثمان (رض) »^٥

وقال: (ونكر « كلمة »: ليشمل القليل والكثير، والمراد به يُبلغ ما تحمله في كل حال، ولا ينتهي عن ذلك ولو أشرف على القتل). انتهى كلام شارح البخاري وفسر في ما قال كلام أبي ذر بأنه أراد أنه سيبلغ ما سمعه عن رسول الله (ص) وإن كانت

(١) في النسخة: المغيرة بن شعبة خطأ وإنما نزع سعد بن أبي وقاص.

(٢) قال المؤلف: ولكن مفاتيح بيوت أموال المسلمين كانت بيده.

(٣) سنن الدارمي ج ١/١٣٧، وطبقات ابن سعد، ج ٢/٣٥٤.

(٤) كتاب العلم، باب العلم قبل القول والعمل، ج ١/١٦.

(٥) ج ١/١٧٠ - ١٧١.

كلمة واحدة ولا ينتهي عن ذلك ولو أشرف على القتل .
وفي تذكرة الحفاظ للذهبي : « وعلى رأسه فتى من قريش ، فقال : أما نهاك أمير المؤمنين عن الفتيا . . . »^١ الحديث .

أبو ذرّ في بيت الله الحرام
في مستدرک الحاكم^٢ بسنده عن حنش الكناني ، قال سمعت أبا ذرّ يقول وهو أخذ بباب الكعبة : أيها الناس من عرفني فأنا من عرفتم ومن أنكرني فأنا أبو ذرّ ، سمعت رسول الله يقول : « مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق » .

قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط مسلم^٣ .
أبو ذرّ في مسجد الرسول (ص) وغيره
وأورد اليعقوبي تفصيل خبر أبي ذرّ مع السلطة في تاريخه^٤ وقال :
« وبلغ عثمان أنّ أبا ذرّ يقعد في مسجد رسول الله ، ويجتمع إليه الناس ،^٥ فيحدث بما فيه الطعن عليه . وأنه وقف بباب المسجد فقال : أيها الناس من عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني فأنا أبو ذرّ الغفاري ، أنا جندب بن جنادة الرّبذي ، إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض ، والله سميع عليم ، محمّد الصفوة من نوح ، فالآل^٦ من إبراهيم ، والسلالة من اسماعيل ، والعترة الهاذية من محمّد ومحمّد وارث علم آدم وما فضل به النبيون ، وعليّ بن أبي طالب وصيّ محمّد ، ووارث علمه . أيتها الأمة المتحيرة بعد نبيّها ! أما لو قدّمتم من قدّم الله ، وأخرتم من أخر الله ، وأقرّتم الولاية والوراثة في أهل بيت نبيكم لأكلتم من فوق رؤوسكم ومن تحت أقدامكم ، ولما عال ولي الله ، ولا طاش سهم من فرائض الله ، ولا اختلف اثنان في حكم الله ، إلا وجدتم علم ذلك عندهم من كتاب الله وسنة نبيّه ، فأما إذ فعلتم ما فعلتم ، فذوقوا وبال أمركم ، وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون .

(١) ج ١/١٨ .

(٢) ج ٢/٣٤٣ .

(٣) حنش في الاصابة ، رجل من غفار .

(٤) ج ٢/١٧١ .

(٥) يظهر من سياق الخبر أنّ أبا ذرّ كان يفعل ذلك في مسجد الرسول في موسم الحجّ كفعله في منى وبياب الكعبة ، فإنّه لو كان في غير موسم الحجّ لم يكن بحاجة إلى أن يُعرّف نفسه لآخوته الذين كانوا يعاشرّونه في المدينة .

(٦) في النسخة المطبوعة : (فالأول) ، خطأ مطبعي .

وقال اليعقوبي بعده :

« وبلغ عثمان أيضا أن أبا ذر يقع فيه ، ويذكر ما غير وبدل من سنن رسول الله وسنن أبي بكر وعمر ، فسيره الى الشام إلى معاوية ، وكان يجلس في المسجد ، فيقول كما كان يقول ويجتمع إليه الناس حتى كثر من يجتمع إليه ويسمع منه . . . الحديث

وقال اليعقوبي بعد ذلك ما موجزه :

« إن معاوية كتب الى عثمان أنك قد أفسدت الشام على نفسك بأبي ذر فكتب إليه أن احمله على قتب بغير وطاء ، فقدم به المدينة وقد ذهب لحم فخذيته وجرى له مع عثمان ما أدى بعثمان أن ينفيه إلى الرّبذة ، وجرى للوليد والي الكوفة مع ابن مسعود نظير ذلك فجلبه الخليفة إلى المدينة وأمر به فضرب به الأرض وتوفي على أثر ذلك ، وفعل نظير ذلك بعمار»^١

خلاصة خبر الفتن في أخريات عهد عثمان .

أطلق الخليفة عثمان يد الولاية من بني أمية على المسلمين وفي بيوت أموالهم وكلما اشتكى المسلمون إلى الخليفة من ظلم ولاته لم يبال بهم فثاروا عليه وأصبحت بني تيم عندئذ تعارض عثمان وتطمح بالخلافة لطلحة وآل الزبير للزبير ، وكان ماعداهم وما عدا بني أمية جل الأنصار وسائر أصحاب رسول الله (ص) يدعون للامام عليّ وأخيرا قتل الثائرون عثمان ولم ينصره الأنصار وغيرهم ثم تجمهر المهاجرون والأنصار على الامام عليّ فبايعوه وخضع طلحة والزبير للرأي العام وبايعا عليّ في مقدمة من بايعه من صحابة رسول الله (ص) ولما قسم الامام عليّ بيوت الأموال بالسوية ثارت ثائرة الطبقة المتميزة وعلى رأسهم طلحة والزبير فاجتمعوا مع أم المؤمنين عائشة بمكة وجمعوا حولهم بني أمية وأظهروا الطلب بدم عثمان وساروا إلى البصرة وتغلبوا عليها وجهزوا جيشا لقتال الامام عليّ ، فخرج الامام من المدينة والتقى بهم خارج البصرة وركبت أم المؤمنين عائشة جملا وقادت العسكر وقاتلوا جيش الامام عليّ فقتل في المعركة منهم من قتل واستسلم الباقون ، فعفا عنهم الامام عليّ .
هذه خلاصة خبر الفتن في عصر عثمان وبيعة الامام عليّ وحرب الجمل بالبصرة ، ذكرنا أخبارها ومصادر الأخبار في كتاب أحاديث عائشة .

(١) راجع تفصيل أخبارهما بكتاب أحاديث عائشة .

نتيجة البحث المقارن بين روايات سيف المختلقة في الفتن والروايات الصحيحة

روى سيف أن يهودياً من صنعاء اليمن اسمه عبد الله بن سبأ ابن الأمة السوداء تظاهر على عهد عثمان بالاسلام وسار في عواصم البلاد الاسلامية ومدنها: المدينة والشام والكوفة ومصر يدعو إلى القول برجعة الرسول بعد وفاته وأن علياً وصيه وأن عثمان غاصب حق هذا الوصي ، فيجب الوثوب عليه لارجاع الحق إلى أهله فأمن به أبرار صحابة رسول الله (ص) نظراء أبي ذرّ وعمار وحجر بن عدي إلى عشرات أمثالهم ممن سبّاهم بالسبائية وان ابن سبأ اليهودي علم هؤلاء أن يدعو الناس إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن يكتبوا في عيب ولائهم ويثيروا الناس عليهم ففعلوا وأن عمارة كان قد خرف كما أخبر عنه الرسول وكذلك أبو ذرّ فامتل السبائيون الصحابة والتابعون تعليمات ابن سبأ وجلبوا الناس إلى المدينة وقتلوا عثمان في داره وبايعوا علياً وسار طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة للطلب بدم عثمان وسار خلفهم الامام علي والتقوا خارج البصرة وتذاكروا في الصلح وقرّ رأيهم على الصلح فتخوف السبائيون^١ من سوء عاقبتهم واندسوا في الجيشين ليلاً وتراموا بالسهم من الجانبين وأثاروا الحرب بين الجيشين فقامت الحرب بين الطرفين دون أن ينتبه إلى مكيدتهم من الجيشين أحد، لم ينتبهوا هم وقادتهم إلى من يرمي السهم مع أن رماة السهم كانوا مندسين بين صفوفهم .

قال سيف : هكذا وقعت الحرب وانتهت بنصرة جيش الامام علي .

روى سيف هذه الأخبار في مئات من رواياته المختلقة ورواها عنم اختلقهم من الرواة من ضمنهم من ذكر اسمهم في الروايات السابقة ، وقد أشرنا إلى الصحيح من أخبارها في مامضى ، ولم يخف على فطاحل العلم أمثال الطبري وابن الأثير وابن عساكر وابن كثير وابن خلدون وغيرهم .

إن سيف بن عمر متهم بالزندقة وإن علماء الرجال أجمعوا على نعتة بالكذب ولم يوثقه أحد منهم ، بل رأيناهم بأنفسهم يضعفون حديثه كما نقلنا عنهم في كتابنا عبد الله بن سبأ ، وكذلك لم يخف عليهم الروايات الصحيحة في تلك الأخبار وإنما كرهوا ذكرها كما نصوا على ذلك ، فكتموا الأخبار الصحيحة لما قالوا إن العامة لا

(١) السبائيون في روايات سيف هم عمارة وحجر بن عدي وصعصعة بن صوحان ومحمد بن أبي بكر ومالك

الاشتر ونظرانهم .

تحتمل سماعها ، وليتهم اكتفوا بكتمان الأخبار الصحيحة في هذا الشأن كما فعلوا مع كثير من الأخبار الأخرى ولم ينقلوا الأخبار المكذوبة بدلا من الأخبار الصحيحة ولم ينشروا الأخبار المختلقة بين الناس مع علمهم بكذبها ، فإنهم كانوا يعلمون بكذب ما نسبه سيف إلى عمّار وأبي ذرّ وابن مسعود وحجر بن عدي إلى عشرات غيرهم من الصحابة والتابعين في ما افتراه عليهم من أنهم اتبعوا يهوديا أمرهم بالافساد بين المسلمين وإيقاع الفتنة والفساد بينهم حتى قتل بعضهم البعض الآخر وهم لا يدركون ما يعملون !

على عقول من صدق هذه الخرافات . العفا ، كيف يصدّقون أن الخليفة عثمان لم ينتبه إلى هذا اليهودي على حد زعم سيف في إثارة الفتنة ؟ وكيف لم يسأل عمّار وأبو ذرّ الامام عليا عما يدعوه له هذا اليهودي من أنه وصي رسول الله (ص) ؟ وكيف لم يسأله ربيبه محمد بن أبي بكر عن صدق مزعمة هذا اليهودي ؟ لست أدري كيف يصدّقون هذه الأكاذيب ؟ ولست أزعّم أن العلماء صدّقوا بحديث سيف ، كلاً ، فإنهم يعلمون كذب ما اختلقه وافتراه وإنما عجبني من عامة الناس كيف يصدّقون هذه الأساطير الخرافية ، فإن العلماء الذين نشروا أكاذيب سيف كانوا يعلمون كذبه وإنما تقبلوها لأن الزنديق طلائها بطلاء الدفاع عن ذوي السلطة في ما انتقدوا عليه ، مثل ما فعل في ما انتقد عليه خالد على قتله مالك بن نويرة ونكاحه زوجته في ليلته وفي ما رمي به المغيرة بن شعبة زمان إمارته على البصرة وفي خبر درء سعد بن أبي وقاص حدّ شرب الخمر عن أبي محجن وفي خبر الوليد وحده على شرب الخمر . إن سيف بن عمر عالج جميع ما انتقد عليه هؤلاء وغيرهم من الخلفاء والولاة وذويهم ، فلم يهتّم كبار العلماء عندئذ أن ينشروا ما افتراه هذا الزنديق على أبرار الصحابة الفقراء ، أمثال ابن مسعود وأبي ذرّ وعمّار تحت غطاء الدفاع عن أولئك لأن المهّم عندهم كتمان ما يعاب عليه الخلفاء والولاة وذوهم عن عامة الناس ، وبنشر أكاذيب سيف بلغوا غايتهم وبلغ سيف - أيضاً - غايته من تسخيف صحابة النبي الأبرار ونشر الأراجيف السخيفة في التاريخ الاسلامي بدافع الزندقة .

ويظهر من قول الطبري في ذكر سبب قتل عثمان : « فأعرضنا عن ذكر كثير منها لعل دعوت إلى الاعراض عنها » . إن العلل التي دعت إلى كتمان الأخبار الصحيحة ، هي كتمان الأخبار التي يعاب به سلطة الخلافة عن عامة الناس ، كما سبق لنا أن نقلنا منه أنه قال : « ممّا لا يتحمّله عامة الناس » .

وخلاصة القول إنّ في هذا الصنف من الكتمان يحرفون حديث الرسول وسيرته وسيرة أهل بيته وأصحابه وأخبارهم الصحيحة ويبدّلونها بأخبار مختلقة ، كما فعل

سيف ذلك بدافع زندقته وإن العلماء يروجون هذه الروايات المختلقة بدلا من الروايات الصحيحة مع علمهم بأنها غير صحيحة بدافع الدفاع عن السلطة الحاكمة وذويهم من خلفاء وولاة وأمراء !!!
وهذا النوع من الكتمان غير قليل عند علماء مدرسة الخلفاء .

خلاصة بحث أنواع الكتمان بمدرسة الخلفاء

قد رأينا العلماء بمدرسة الخلفاء مجتمعين على كتمان كل رواية أو خبر يسبب توجيه النقد إلى ذوي السلطة في صدر الاسلام، وولاتهم وذويهم محتجين في ذلك بأن أولئك كانوا من صحابة الرسول ولا يصح ذكر ما يسبب انتقادهم، بينما هم نشروا من الروايات المكذوبة ما فيه طعن على أبرار صحابة رسول الله الفقراء أمثال عمّار وأبي ذرّ وابن مسعود .

وفي سبيل الدفاع عن ذوي السلطة، تارة يكتمون كل الرواية والخبر وأحيانا يحذفون من الخبر والرواية بعضها الذي يوجه النقد إلى ذوي السلطة بسببها ويأتون بباقي الرواية مما لا يوجب النقد عليهم، وتارة أخرى يبذلون من الرواية والخبر ما يسبب النقد على الولاة بكلمة مبهمه لا يفهم منها شيء من المراد، وأخرى يحرف بعضهم الخبر والرواية بأنواع التحريف حتى يبلغ الأمر إلى أن يجعل الحليم البار ظالماً سفيهاً، والظالم المتعنت باراً حليماً؛ أي يبذل الشيء إلى نقيضه تماماً ثم يتسابق الآخرون إلى نشر ذلك الخبر المحرف والرواية المختلقة وتوثيقها وإشاعتها في المجتمعات الاسلامية بدّل الخبر الصحيح والرواية الصحيحة التي تسبب النقد على الحكام والأمراء ويتسابقون كذلك ويتعاونون في تضعيف الرواية التي تسبب النقد على ذوي السلطة والطعن براويها وبمؤلف الكتاب الذي أورد الرواية فيه بأنواع الطعون والتضعيف والتسخيف، وإن لم يستطيعوا كل ذلك أولوا الرواية والخبر إلى ما فيه مصلحة ذوي السلطة ويبذل النقد الموجه إليهم إلى مدحهم والثناء عليهم .

ويحترمون من التزم بهذا الاتجاه ويجلّونه على قدر التزامه بالاسلوب المذكور، يوثقون الراوي الملتزم بذلك ويصفون خبره بالصحيح ويصفون تأليف المؤلف الملتزم بهذا النهج بالوثاقة والصحة على قدر التزامها بالمسلك المتفق عليه ويشهرونها ويذكرونها بكل تجلّة واحترام . ومن ثمّ اشتهرت سيرة ابن هشام في مدرسة الخلفاء ومن تابعهم بالوثاقة لالتزامهم بما اتفقوا عليه وأهملت سيرة ابن اسحاق لعدم التزامه بالاسلوب المقبول عندهم وتركوا تدارسها واستنساخها حتى أدى ذلك إلى فقدان سيرة ابن اسحاق في حين أن ابن هشام أخذ جميع ما حوته سيرته من سيرة ابن اسحاق

مع اسقاط (مایسوء الناس ذكره) من سيرة ابن اسحاق حسب تعبيره .
 ومن ثمّ - أيضاً - أصبح تاريخ الطبري أوثق مصادر التاريخ الاسلامي وأكثرها
 شهرة واعتباراً وأصبح مؤلفه الطبري إمام المؤرخين بمدرسة الخلفاء لأنه باتباعه المنهج
 المذكور بثّ روايات سيف التي كان يعلم كذبها ومخالفتها للحقّ والواقع التاريخي
 في أخبار عصر الصحابة أو بالأحرى الخلفاء الأوائل ثمّ تهافت العلماء على أخذ ما ورد
 منها في تاريخ الطبري ونشرها في مصادر الدراسات الاسلامية وأهمّلوا الأخبار
 الصحيحة في مقابلها حتى نسيت وفقدت من المجتمعات الاسلامية .
 ومن ثمّ - أيضاً - أصبح البخاري إمام المحدثين بمدرسة الخلفاء وأصبح
 صحيحه أصحّ كتاب بعد كتاب الله عندهم وأصبحت الأحاديث الصحيحة في غير
 صحيحه وصحيح مسلم غير معتبرة .

منشأ الاختلاف في روايات مصادر الدراسات الاسلامية .
 اذا أمعنا النظر في بحوثنا السابقة وما يأتي في بحوث اجتهادات الخلفاء من الجزء
 الثاني عرفنا منشأ الاختلاف في روايات مصادر الدراسات الاسلامية فقد وجدنا في
 الموردين أحاديث وُضعت موافقة لسياسة السلطات الحاكمة ومصالحتها، مقابل
 الروايات الصحيحة التي كانت تخالف سياستهم ومصالحتهم ومن ثمّ انكشف لنا
 ميزان ثابت لتمييز الحديث القوي من الضعيف فإنّ الضعيف من الأحاديث
 المتعارضة في صحيح البخاري في شأن البكاء على الميت - مثلاً - ما وافق سياسة
 السلطة الحاكمة التي تنهى عن البكاء على الميت وتنسب النهي الى الرسول، والحديث
 القوي ما خالفها مثل حديث أم المؤمنين عائشة وحديث غيرها التي أخبرت بن جواز
 البكاء على الميت وأنها من سنة الرسول (ص) وكذلك الضعيف في حديثي أم المؤمنين
 عائشة المتعارضين في بيان من كان إلى جنب رسول الله (ص) في آخر ساعات حياته
 ما فيه « متى أوصى إليه وقد انخنث ومات في صدري » ، والقوي منها حديثها الآخر
 الذي ورد فيه أنّ الامام عليّ كان إلى جنب الرسول في آخر ساعات حياته لموافقة
 الأول منها لرغبات الحكام ومخالفة الثاني لسياستهم .

وهذا هو الميزان الثابت لمعرفة القوي من الضعيف في أحاديث سنة الرسول
 وسيرة الصحابة والتابعين وسيرة الأنبياء السابقين والأحكام التي اجتهد فيها الخلفاء
 وفقاً لرأيهم وأمثالها .

نتيجة البحوث و حقيقة الأمر

إنَّ الباحث المتتبع يرى أنَّ الميزان الثابت لمعرفة الحقِّ من الباطل بمدرسة الخلفاء إنما هو مصلحة ذوي السلطة وأنَّ كلَّ رواية أو خبر يوجَّه النقد لهم أو يُشِينهم فهو ضعيف وغير صحيح وباطل ، وكلَّ كتاب وكلَّ راوٍ أو مؤلف يروي شيئاً من ذلك فهو ضعيف وغير ثقة ، ويُرْمى بأنواع الطعون وإذا ورد الحديث أو الخبر من راوٍ لا يستطيعون الطعن عليه وعلى مؤلف الكتاب فإنَّهم حينئذٍ يُؤوِّلون الحديث إلى ما يرغبون فيه ، ومن جهة أخرى كلَّ مؤلف أو راوٍ يذكر مناقب ذوي السلطة ويترك ما يوجَّه النقد إليهم فهو ثقة وصدوق ، فإذا استطاع أن يُدافع عنهم في ما يروي ويؤلف فهو الثقة المأمون المصدق وتنتشر رواياته في الكتب وتذاع ، ومن هذا الباب الواسع أدخل سيف الزنديق في سنة رسول الله (ص) سيرته وحديثه بمقتضى زندقته ماشاء ولذلك - أيضاً - انتشرت رواياته في أكثر من سبعين مصدراً من مصادر الدراسات الاسلامية زهاء ثلاثة عشر قرناً .

إنَّ سيف بن عمر أدخل في سنة رسول الله (ص) حديثاً وسيرة ما اختلقه ودرسناه في أبواب (رسل النبي (ص)) و (عمال رسول الله (ص)) و (الوافدون على رسول الله (ص)) و (ربيب رسول الله (ص)) من كتاب خمسون ومائة صحابي مختلق وكتابتنا (رواة مختلقون) وقد مرَّ بنا في ما سبق كيف حرَّف سيف حديث رسول الله (ص) في حقِّ عمَّار .

كان هذا رأينا في سيف ونظائره مثل أبي الحسن البكري مؤلف كتاب الأنوار الذي أدخل أحاديث خرافة في كتاب : سيرة النبي المختار وغيره من كتبه مثل كعب الأخبار الذي أدخل الاسرائيليات في مصادر الدراسات الاسلامية ، وقد درسنا أخبارهم وآثارها في سلسلة (نقش أئمة) . كان هذا شأن هؤلاء عندنا .

أما البخاري وصحيحه وابن هشام وسيرته والطبري وتاريخه وأمثالهم من العلماء الذين ناقشنا اسلوبهم فلهم عندنا شأن آخر فإنَّهم وإن كانوا ينتقدون في شيء من اسلوبهم فإنَّهم مع ذلك قد أوردوا في كتبهم الكثير من سنة رسول الله (ص) الصحيحة سيرة وحديثاً مما نعتمدها ونرويها عنهم ، وكذلك دأب علماء مدرسة أهل البيت مع من يرون خطأ في عملهم العلمي فإنَّهم عندئذٍ ينتقدون أسلوبه أشدَّ الانتقاد رغم أنهم يُجلِّونه ويحترمونه ويأخذون منه غير الذي انتقدوه فيه ، وهذا معني عدم تقليدهم لمن تقدمهم من العلماء لا في الأحكام الفقهية ولا في دراية الحديث ، إنَّ علماء مدرسة أهل البيت يُضعفون الحديث الضعيف في أصول الكافي وصحيح

البخاري معاً ويأخذون - أيضاً - الحديث الصحيح من كليهما وإن المجلسي الكبير (ت ١١١١هـ) عندما شرح كتاب الكافي في كتابه مرآة العقول نبه فيه على آلاف الأحاديث الضعيفة الواردة في أبواب كتاب الكافي وهو أشهر كتاب حديث في مدرسة أهل البيت وهذا الأمر بمدرسة أهل البيت مخالف لما عليه أتباع مدرسة الخلفاء الذين يرون لصحيح البخاري ما يرونه لكتاب الله ويعتقدون أنه ليس فيه حديث غير صحيح ، بل يرون أكثر من ذلك حيث يرون صحة ما ورد في صحيح البخاري ومسلم من سنة الرسول (ص) مما لم يرد في كتاب الله ، ويصعب عليهم أن يتقبلوا صحة سنة الرسول (ص) التي وردت في غير صحيحي مسلم والبخاري ، والكتب الأربعة الأخرى التي سميت جميعها بالصحاح الستة . على أن الكثير من حفظة الحديث بمدرسة الخلفاء غير أولئك الذين ألفوا في الحديث الصحاح والمسانيد والسنن والمصنفات والزوائد وغيرها أمثال :

صحيح ابن حبان (ت ٣٥٤هـ) .

الصحاح الماثورة عن رسول الله (ص) للحافظ أبي علي ابن السكن (ت ٣٥٣هـ) .

مسند الطيالسي (ت ٢٠٤هـ) .

مسند أحمد (ت ٢٤١هـ) .

سنن البيهقي (ت ٤٥٨هـ) .

السنن لأبي بكر الشافعي (ت ٣٤٧هـ) .

المعاجم الثلاثة للطبراني (ت ٣٦٠هـ) .

مصنف بن أبي شيبة (ت ٢٣٥هـ) .

مجمع الزوائد للهيثمي (ت ٨٠٧هـ) .

المستدرک للحاكم (ت ٤٠٥هـ) .

وعشرات الموسوعات الحديثية الأخرى لمحدثين آخرين .

وفي سيرة النبي والصحابة والفتوح ألف أمثال :

خليفة ابن خياط (ت ٢٤٠هـ) الطبقات والتاريخ .

البلاذري (ت ٢٧٩هـ) فتوح البلدان وأنساب الأشراف .

المسعودي (ت ٣٤٥هـ) التنبيه والأشراف ومروج الذهب (هذا ما في أيدينا

من مؤلفاته) .

الواقدي (ت ٢٠٧هـ) المغازي .

ابن سعد (ت ٢٣٠هـ) الطبقات .

وعشرات المؤلفات المعتبرة الأخرى لمؤلفين آخرين .
 لماذا اختصّ بالاهتمام الصحاح الست في الحديث إلى حدّ إهمال غيرها، وفي
 السير والمغازي: سيرة ابن هشام، وفي التاريخ: تاريخ الطبري، مع عدم العناية
 بغيرهما.

وخلاصة القول: أنّ علماء مدرسة الخلفاء يوجّه إليهم النقد في عملهم العلمي
 لأمرين:

أولاً - لأنهم يكتُمون من سنّة رسول الله (ص) سيرةً وحديثاً ومن سائر الأخبار
 ما يخالف سياسة السلطات الحاكمة مدى القرون سواء أكان ذلك ممّا يخصّ سيرة
 الأنبياء السلف أو سيرة خاتم الأنبياء وأهل بيته وصحابته، أو في العقائد الاسلامية
 أو تفسير القرآن كما شاهدنا ذلك من الطبري وابن كثير في تفسير آية « وأنذر عشيرتك
 الأقربين » في كتمانهم لفظ (ووصيّي وخليفتي) في حقّ الامام عليّ وتبديلها ب
 (كذا و كذا)، وكذلك فعلوا مع النصوص التي تُبين سنّة رسول الله (ص) في
 الأحكام الاسلامية التي تخالف اجتهادات الخلفاء كما سيأتي بيانه في بحث مصادر
 الشريعة الاسلامية لدى مدرسة الخلفاء في الجزء الثاني من هذا الكتاب إن شاء الله
 تعالى.

ثانياً - لا ينبغي للمسلمين في هذا اليوم وهم على أبواب نهضة اسلامية شاملة
 أن يبقوا على تقليد أئمة المذاهب الأربعة في الفقه ولا على تقليد أصحاب الصحاح
 الست في تصحيح الحديث وتضعيفه وخاصة البخاري ومسلم وكذلك في الأحكام
 الاسلامية التي اجتهد الخلفاء فيها في مقابل نصوص سنّة رسول الله (ص) حسب
 ما رأوه من المصلحة في عصرهم، بل ينبغي أن يبحثوا عن سنّة رسول الله (ص)
 الصحيحة ويظهروا ما أخفي منها حسب سياسة الخلفاء مدى القرون ثم يجاهدوا في
 سبيل الدعوة لتوحيد كلمة المسلمين والعمل بكتاب الله وسنّة رسوله الصحيحة،
 وبذلك يتيسر توحيد كلمة المسلمين حول كتاب الله وسنّة رسوله المجمع عليها وما
 ذلك من لطف الله على المسلمين ببعيد.

عود على بدء في بحث الوصية

لما كانت النصوص الدالة على حق الامام علي في الحكم بعد النبي (ص) وحق الأئمة من ولده، فيه من أهم ما يوجه النقد لمن ولي الحكم دونهم، لم يأل العلماء بمدرسة الخلفاء جهدا في كتمان تلك النصوص وكان من أهمها بحث علماء أهل الكتاب بعد وفاة رسول الله (ص) عن وصيه وأقوالهم فيه، مثل خبر الراهبين الذين مرّ عليهما الامام علي في طريق صفين. بينما حفظ نظير تلك الأخبار علماء مدرسة أهل البيت في كتبهم^١، مثل خبر مجيء يهوديين في عصر أبي بكر وسؤالهما عن وصي النبي وبعد أن أشار الناس إلى أبي بكر، ولم يجدا أجوبة أسئلتها عنده أرسلوا إلى الامام علي، فحضر وأجاب على أسئلتها، فقالا: أنت وصي خاتم الأنبياء، وأسلمنا. وخبر آخرين من أهل الكتاب جاؤا على عهد عمر وجرى لهم مع عمر وعلي مثل ما سبق ذكره على عهد أبي بكر، وقد مرّ بنا في ما سبق سؤال كعب الأحبار من الخليفة عمر عن أشياء من أحوال رسول الله (ص) وإحالة عمر إياه إلى علي بن أبي طالب، واستمرت أمثال هذه المراجعات من أهل الكتاب وإسلامهم إلى عصور متأخرة، فقد قال ابن كثير في تاريخه^٢ بعد ما نقل من التوراة أن الله بشر ابراهيم باسما عيل وأنه ينميه ويجعل من ذريته اثنا عشر عظيما، ونقل عن ابن تيمية أنه قال: «وهؤلاء المبشر بهم في حديث جابر بن سمرة، ولا تقوم الساعة حتى يوجدوا. قال: وغلط كثير ممن تشرف بالاسلام من اليهود فظنوا أنهم الذين تدعوا إليهم فرقة الرافضة فاتبعوهم».

ياترى ما هي أخبار الكثير من اليهود الذين تشرفوا بالاسلام واتبعوا الرافضة؟ إن العلماء إرتأوا ما قاله الطبري: «لايحتمل سماعها العامة» فأسقطوا أخبار أهل الكتاب الذين أسلموا واتبعوا الرافضة جملة وتفصيلا.

كمية الأخبار والروايات والنصوص التي أسقطوها

إذا قارنا ما رواه ابن كثير في تاريخه من الحديث عن رسول الله (ص) في أمر الخوارج الذين قاتلهم الامام علي (ع) في نهران والذي بلغ سبع عشرة صفحة من كتابه مع النزر اليسير من روايات رسول الله (ص) التي بقيت في الكتب في أمر

(١) راجع أخبارهم في البحار . ط ، طهران، الثانية، ج ١٠/١٠ - ٥٠ .

(٢) ج ٢٥٠/٦ .

الجمل وصفين أو غيرهما مما فيه فضيلة للامام علي يمكننا أن نقدر عظم الخسارة في ما أخفي عن الناس من حديث رسول الله (ص) وإنما أبقوا الروايات التي وردت في شأن الخوارج الذين خرجوا على الامام علي، لأن الخوارج استمر خروجهم على السلطة بعد الامام علي أيضاً وكان في نشر تلكم الأحاديث مصلحة للسلطة، فرووها في جميع كتب الأحاديث وبقيت سالمة إلى يومنا هذا.

ومن أحاديث الرسول التي كانت تخالف سياسة مدرسة الخلفاء وسعوا في كتمانها، أحاديث الرسول في حق الامام علي بأنه وصيه وكذلك فعلوا بها ورد في شأنه في شعر الصحابة أو نثرهم - مثلاً - رأينا أم المؤمنين عائشة أنكرت الوصية وناقشنا الخبر الذي روي عنها في ذلك.

أ- ورأينا بعضهم يحذف من الكلام ما فيه ذكر الوصية دون أن يشير الى ذلك كما فعلوه مع قصيدة النعمان بن عجلان الأنصاري .

ب - وبعضهم يحذف بعض الخبر مع الابهام في القول، كما فعله الطبري وابن كثير في تفسيريهما بلفظ (وصي وخليفتي) في حديث رسول الله (ص) .

ج - وبعضهم يحذف من الخبر لفظ الوصية ويحرف الخبر كما فعله ابن كثير مع خطبة الامام الحسين (ع) .

د - وبعضهم يحذف تمام الخبر الذي فيه ذكر الوصية مع الاشارة إليه كما فعل ذلك الطبري وابن الأثير وابن كثير مع كتاب محمد بن أبي بكر .

هـ - وبعضهم يحذف تمام الخبر الذي فيه ذكر الوصية مع عدم الاشارة إليه كما فعل ذلك ابن هشام في خبر دعوة الرسول (ص) لبني هاشم لما فيه قوله في علي « و وصي وخليفتي فيكم » .

و - وبعضهم يؤول معنى الوصية كما فعل ذلك الطبراني في حديث الرسول وابن أبي الحديد في كلام الامام علي .

ز - وبعضهم غفل عنها وأثبتها في كتاب له وحذفها وأبدلها بقول مبهم في كتاب آخر له، كما فعله الطبري في تاريخه وتفسيره .

ح - وبعضهم أثبتها في الطبعة الاولى من كتابه وحذفها في الطبعة الثانية منها كما فعله محمد حسين هيكل في كتابه حياة محمد .

مابقي من النصوص الواردة عن الرسول في حق آل في الحكم
كنا في صدد إيراد النصوص الواردة عن رسول الله (ص) في حق الأئمة من آل
الرسول (ص) وكان لا بد لنا في هذا السبيل من تقديم البحوث السابقة ليعرف أن

النصوص الواردة عن الرسول في حقهم مُنيّت بأنواع من الكتمان الذي ذكرناه لأنها كانت مخالفة لسياسة الخلفاء مدى القرون ولم يبق منها في كتب مدرسة الخلفاء سوى النزر اليسير الذي غفل العلماء عنها وأوردوها في كتبهم ووقفنا الله تعالى إلى العثور عليها، نوردها في ما يأتي بحوله تعالى مضافاً إلى ما سبق إيرادها من النصوص .

وزير النبي

أ - في القرآن الكريم مع بيانه من سنة الرسول
سيأتي ان شاء الله قول الرسول (ص) للامام علي (أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي) وقد ذكر الله منزلة هارون من موسى في ما حكاه من أمرهما، قال سبحانه في ما حكاه من طلب موسى من ربه: « واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي أشدد به أزري » طه / ٢٩ - ٣١ .
وقال سبحانه في استجابة طلبه « ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه وزيراً » الفرقان / ٣٥ .

ب - متى اتخذ الرسول (ص) علياً وزيراً .
يوم دعا رسول الله (ص) بني عبد المطلب وقال لهم: « أيكم يؤازرنني على هذا الأمر . . . » وأجابه من بينهم الامام علي وحده . اتخذ رسول الله (ص) يومئذ وزيراً في أمره .

وروت أسماء بنت عميس قالت : سمعت رسول الله يقول : « اللهم اجعل لي وزيراً من أهلي » ، دعا رسول الله (ص) ربه وقال : « اللهم إني أقول كما قال أخي موسى اللهم اجعل لي وزيراً من أهلي علياً ، أشدد به أزري »^١ .

وبتفسير آية « واجعل لي وزيراً من أهلي » من تفسير السيوطي لما نزلت هذه الآية دعا رسول الله ربه وقال : اللهم أشدد أزري بأخي علي فأجابه إلى ذلك .

وروى ابن عمر عن رسول الله (ص) أنه قال للامام علي : « أنت أخي ووزير تقضي ديني وتنجز مواعيدي . . . إلى آخر الحديث في فضل الامام علي^٢ .

وأثبت رسول الله (ص) للامام علي (ع) بقوله له : « أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي » جميع ما كان لهارون من موسى عدا النبوة وفي مقدمة ما كان لهارون أنه كان وزير موسى ، وسيأتي ذكر مصادره .

(١) الرياض النضرة، ج ٢/١٦٣، عن مناقب أحمد بن حنبل .

(٢) معجم الزوائد، ج ٩/١٢١، وكنز العمال، ط . الأولى ج ٦/١٥٥، عن الطبراني .

وفي نهج البلاغة ١ : أن رسول الله قال للامام عليّ لكنك وزير.
وجاء في ما نظم على لسان الأشعث في جوابه لكتاب الامام عليّ إليه : « وزير
النبيّ وذو صهره . . . » .

خليفة النبي :

ذكرنا في باب من استخلف النبي (ص) على المدينة في غزواته عن صحيح
البخاري ، باب غزوة تبوك : أن رسول الله لما خرج إلى تبوك واستخلف علياً فقال
أتخلفني في الصبيان والنساء ؟ قال : ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من
موسى إلا أنه ليس نبي بعدي . وقد حكى الله عن خبر هارون في ذلك وقال : « وقال
موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح . . . » الأعراف / ١٤٢ .
وفي لفظ إحدى روايتي أحمد بن حنبل بمسنده ٢ عن خبر دعوة الرسول بني
عبد المطلب ورد قول الرسول في حقّ عليّ « وخليفتي » .

* * *

هذا ما أمكننا إيراداه في الوصي والوزير والخليفة في هذه العجالة . وفي ما يأتي
ماتبقى من النصوص بعد الكتمان بمدرسة الخلفاء .

وليّ المسلمين بعد الرسول صلّى الله عليه وآله :

نص رسول الله صلّى الله عليه وآله على ان الامام علياً ولي امر المسلمين في
أماكن متعددة منها ما في الاحاديث الآتية :

اولاً : حديث الشكوى

في مسند احمد وخصائص النسائي، ومستدرک الحاكم، وغيرها، واللفظ

للاول :

« عن بريدة قال : بعث رسول الله صلّى الله عليه وسلم بعثين الى اليمن ، علي
احدهما علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، وعلي الآخر خالد بن الوليد ، فقال : اذا التقيتم
فعلي على الناس ، وان افرقتما فكل واحد منكما على جنده ، قال : فلقينا بني زيد من اهل
اليمن ، فاقتتلنا ، فظهر المسلمون على المشركين ، فقتلنا مقاتلة وسبينا الذرية ، فاصطفى
علي عليه السلام امرأة من السبي لنفسه ، قال بريدة : فكتب معي خالد بن الوليد الى

(١) الخطبة : ٩٠ .

(٢) ج ١ / ١١١ .

رسول الله صلى الله عليه وآله يخبره بذلك، فلما أتيت النبي صلى الله عليه وآله رفعت الكتاب فقريء عليه، فرأيت الغضب في وجه رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت: يا رسول الله هذا مكان العائذ، بعثتني مع رجل وأمرتني أن أطيعه، ففعلت ما أرسلت به، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لا تقع في علي فانه مني وأنا منه وهو وليكم بعدي، وانه مني وأنا منه وهو وليكم بعدي .

وفي رواية:

«فقلت: يا رسول الله، بالصحة الأبسطت يدك فبايعتني على الاسلام جديدا، قال: فما فارقت حتى بايعته على الاسلام» .

وفي صحيح الترمذي، ومسندي احمد والطيالسي، وغيرها، واللفظ للاول، عن عمران بن حصين:

«أن أربعة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تعاقدوا - في هذه الغزوة - أن يشكوا عليا اذا لقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما قدموا عليه، قام احدهم فقال: يا رسول الله: الم تر الى علي بن ابي طالب صنع كذا وكذا فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم» .

وفعل الثاني منهم والثالث والرابع مثل اولهم، وفي كل مرة يعرض الرسول عن الشاكي . قال:

فأقبل رسول الله صلى الله عليه وآله والغضب يعرف في وجهه، فقال: «ما تريدون من علي؟! ما تريدون من علي؟! ما تريدون من علي؟! ان عليا مني وانا منه، ان عليا مني وانا منه، وهو ولي كل مؤمن بعدي» .

(١) مسند احمد ٣٥٦/٥، وخصائص النسائي ص ٢٤، باختلاف يسير ومستدرک الصحيحين ١١١/٣ مع اختلاف في اللفظ، ومجمع الزوائد ١٢٧/٩، وفي كنز العمال ٢٠٧/١٢ مختصراً عن ابن أبي شيبه، وفي ٢١٠/١٢ منه عن الديلمي؛ وراجع كنوز الحقائق للمناوي ص ١٨٦ .

(٢) مسند احمد ٣٥٠/٥ و ٣٥٨ و ٣٦١، ومجمع الزوائد ١٢٨/٩، عن الطبراني في الاوسط عن بريدة ولفظه: «من كنت وليه فعلي وليه» .

(٣) صحيح الترمذي ١٦٥/١٣ باب مناقب علي بن ابي طالب ومسند احمد ٤٣٧/٤ ومسند الطيالسي ١١١/٣ ح ٨٢٩، ومستدرک الحاكم ١١٠/٣، وخصائص النسائي ص ١٩ و ١٦، وحلية ابي نعيم ٢٩٤/٦، والرياض النضرة ١٧١/٢، وكنز العمال ٢٠٧/١٢ و ١٢٥/١٥ .

شكوى ثانية

في أسد الغابة، ومجمع الزوائد، وغيرهما، واللفظ للاول:
 «عن وهب بن حمزة، صحبت عليا (عليه السلام) من المدينة الى مكة فرأيت
 منه بعض ما اكره فقلت: لئن رجعت الى رسول الله صلى الله عليه وآله لا شكونك اليه
 فلما قدمت لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: رأيت من علي كذا وكذا:
 فقال: لا تقل هذا فهو اولى الناس بكم بعدي.»^١

زمان الشكوى

ذكر المؤرخون وكتاب السير خرجتين للإمام علي الى اليمن، ونراها ثلاث
 خرجات كما يأتي بيانها ان شاء الله تعالى في باب الاجتهاد، وعلى كلا التقديرين، فإن
 آخرها كانت في السنة العاشرة للهجرة، حيث التحق الامام برسول الله صلى الله عليه
 وآله في حجة الوداع قبل يوم التروية، والشكوى المذكورة في خرجاته لليمن ان كانت
 قدمت لرسول الله صلى الله عليه وآله مرتين فإن اولاهما وقعت في المدينة وقبل العام
 العاشر، والثانية في مكة وبعد وصول صحب الإمام الى النبي صلى الله عليه وآله قبل
 يوم التروية، حيث انهم وصلوا مكة قبل ايام الحج، وعلى هذا فقد توهم من العلماء من
 قال: ان قصة الغدير وقعت من أجل هذه الشكوى وذلك لان قصة الغدير وقعت بعد
 الحج وفي الجحفة وبم حضر من جماهير المسلمين، وحديث الرسول صلى الله عليه وآله
 هنا كان مع الشاكن خاصة وفي نفس المجلس وبعد اظهارهم الشكوى مباشرة.
 اما الشكوى الثانية، فصريح الحديث انها كانت بعد رجوعها الى المدينة.

ثانيا: نصوص اخرى لم يعين زمانها

عن ابن عباس:

«ان النبي قال لعلي انت ولي كل مؤمن بعدي»^٢.

وعن علي:

ان النبي قال له: ؟ انك ولي المؤمنين بعدي»^٣.

(١) اسد الغابة ٩٤/٥، ومجمع الزوائد ١٠٩/٩.

(٢) مسند الطيالسي ٣٦٠/١١ ح ٢٧٥٢، والرياض النضرة ٢٠٣/٢.

(٣) تاريخ بغداد للخطيب ٢٣٩/٤، وكنز العمال ١١٤/١٥ و ٢٢١/١٢.

من النصوص على امامته ما وردت في يوم الغدير
كما روى الحاكم الحسكاني:

«عن ابن عباس وجابر قالا: أمر الله محمداً - صلى الله عليه وسلم - أن
ينصب علياً للناس ليخبرهم بولايته، فتخوف رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقولوا
حباباً ابن عمه وأن يطعنوا في ذلك عليه، فوحى الله إليه (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل
إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس) المائدة - ٦٧
فقال رسول الله صلى الله عليه وآله بولايته يوم غدير خم»^١.

وروى عن زياد بن المنذر أنه كان يقول: «كنت عند أبي جعفر محمد بن علي
(عليه السلام) وهو يحدث الناس إذ قام إليه رجل من أهل البصرة يقال له عثمان
الاعشى - كان يروي عن الحسن البصري - فقال له يا ابن رسول الله جعلني الله فداك
إن الحسن يخبرنا أن هذه الآية نزلت بسبب رجل، ولا يخبرنا من الرجل» (يا أيها
الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك...) فقال: لو أراد أن يخبره لا خبره، ولكنه
يخاف، إن جبرئيل هبط إلى النبي صلى الله عليه وآله إلى قوله - فقال: إن الله يأمرك
أن تدل امتك على وليهم على مثل ما دللتهم عليه من صلاتهم وزكاتهم وصيامهم
وحجهم، ليلزمهم الحجة من جميع ذلك، فقال رسول الله: يا رب إن قومي قربوا عهد
بالبجاهلية، وفيهم تنافس وفخر، وما منهم رجل إلا وقد وتره وليهم، وأني أخاف
- أي من تكذيبهم - فأنزل الله تعالى «يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن
لم تفعل فما بلغت رسالته - يريد فما بلغت رسالته - والله يعصمك من الناس» (فلما ضمن
الله له بالعصمة وخوفه أخذ بيد علي...)»^٢.

وروى الحاكم الحسكاني:

«عن ابن عباس في حديث المعراج، أن الله عز اسمه قال لنبيه في ما قال:
وإني لم أبعث نبياً إلا وجعلت له وزيراً، وأنت رسول الله صلى الله عليه وآله وإن علياً
وزيرك».

قال ابن عباس: [فهبط] رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكره أن يحدث

(١) الحافظ عبید الله بن عبد الله بن أحمد المعروف بالحاكم الحسكاني، الخفاء الحنفي النيسابوري، من
اعلام القرن الخامس الهجري، ترجمته في تذكرة الحفاظ ط. الهند ٤/٣٩٠، وط. مصر ٣/١٢٠٠، بآخر الطبقة
١٤ وقد رجعنا إلى كتابه شواهد التنزيل لقواعد التفصيل في الآيات النازلة في أهل البيت، تحقيق محمد باقر
المحمودي ط. بيروت عام ١٣٩٣ هـ والحديث في ج ١/١٩٢ ورقم الحديث ٢٤٩.

(٢) شواهد التنزيل ١/١٩١. (٣) كذا وردت.

الناس بشيء منها اذ كانوا حديثوا العهد بالجاهلية الى قوله: فاحتمل رسول الله حتى اذا كان اليوم الثامن عشر أنزل الله عليه «يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك...» الى قوله: فقال: يا ايها الناس، ان الله أرسلني اليكم برسالة، واني ضقت بها ذرعا، مخافة أن تهموني وتكذبوني، حتى عاتبني ربي فيها بوعيد انزله علي...^١
وروى الحسكاني وابن عساكر:

عن ابي هريرة: أنزل الله عزوجل «يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك - في علي بن ابي طالب - وان لم تفعل فما بلغت رسالته...»^٢
قصد ابو هريرة أن المقصود ان يبلغ ما نزل في علي.
روى الحسكاني:

«عن عبد الله بن أبي أوفى، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم غدیر خم وتلاهذه الآية (يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك...) ثم رفع يديه حتى يرى بياض ابطيه ثم قال: ألا من كنت مولاه...»^٣
وروى الواحدي في اسباب النزول والسيوطي في الدر المنثور عن ابي سعيد الخدري قال:

نزلت هذه الآية في علي بن ابي طالب:

«يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك...»^٤

(١) شواهد التنزيل للحسكاني ١٩٢/١ - ١٩٣ وفي ص ١٨٩ منه نزول الآية فقط.

(٢) شواهد التنزيل للحسكاني ١٨٧/١، ورواها ابن عساكر بترجمة الامام علي من تاريخ دمشق بطرق كثيرة في الحديث ٤٥٢.

(٣) الحسكاني ١٩٠/١، وعبد الله بن أبي أوفى: علقمة بن خالد الحارث الاسلمي، صحابي شهد الحديبية، وعمر بعد النبي صلى الله عليه وآله، مات سنة ست او سبع وثمانين وهو آخر من مات بالكوفة من الصحابة، واخرج حديثه جميع اصحاب الصحاح، ترجمته بتقريب التهذيب ٤٠٢/١، واسباب الغابة ١٢١/٣.

(٤) اسباب النزول ص ١٣٥ والدر المنثور ٢٩٨/٢، وأراه هو الحديث المرقم ٢٤٤ من شواهد التنزيل، وراجع فتح القدير ٥٧/٢، وتفسير النيسابوري ١٩٤/٦.

الواحدي، هو ابو الحسن علي بن احمد الواحدي النيسابوري (ت ٤٦٨ هـ)، ورجعنا الى كتابه اسباب النزول ط. بيروت سنة ١٣٩٥ هـ.

وفي تفسير السيوطي :

«عن ابن مسعود قال كنا نقرأ على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله يا ايها الرسول بلغ ما نزل اليك من ربك — انّ عليا مولى المؤمنين — وان لم تفعل فما بلغت رسالته...» !

قصد ابن مسعود انهم كانوا على عهد رسول الله يقرؤون في تفسير الآية هكذا. وكان نزول هذه الآية في غدير خم وفي مايلي تفصيل الخبر.

خبر يوم الغدير

لما صدر رسول الله من حجة الوداع^٢ نزلت عليه في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة^٣ آية «يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك...»^٤ فنزل غدير خم من الجحفة وكان يتشعب منها طريق المدينة ومصر والشام^٥ ووقف هناك حتى لحقه من بعده ورد من كان تقدم^٦ ونهى اصحابه عن سمرة متفرقات بالبطحاء أن ينزلوا تحتهن، ثم بعث اليهن فضم ما تحتهن من الشوك^٧ ونادى بالصلاة جامعة وعمد اليهن^٨ وظل بثوب على شجرة سمرة من الشمس^٩، فصلى الظهر بهجيرة^{١٠} ثم قام خطيبا فحمد الله واثنى عليه، وذكر ووعظ وقال ما شاء الله ان يقول، ثم قال اني اوشك ان ادعى فاجيب، واني مسؤول وانتم مسؤولون، فاذا أنتم قائلون؟ قالوا نشهد انك بلغت ونصحت فجزاك الله خيرا؛ قال: أليس تشهدون ان لا اله الا الله وان محمدا عبده

(١) الدر المنثور ٢/٢٩٨، ويقصد من «كنا نقرأ» انهم كانوا يقرؤون تفسيرها كذا.

(٢) مجمع الزوائد ٩/١٦٣ - ١٦٥، وانقل عن هذه الصفحات في مايلي.

(٣) رواه الحاكم الحسكاني في ج ١/١٩٢ - ١٩٣.

(٤) سبق ذكر مصادره.

(٥) مجمع الزوائد ٩/١٦٣ - ١٦٥، وابن كثير ٥/٢٠٩ - ٢١٣.

(٦) مادة الجحفة من معجم البلدان.

(٧) بتاريخ ابن كثير ٥/٢١٣.

(٨) مجمع الزوائد، والسمر: نوع من الشجر، وقريب منه لفظ ابن كثير ٥/٢٠٩.

(٩) مسند احمد ٤/٢٨١، وسنن ابن ماجه باب فضل علي وتاريخ ابن كثير ٥/٢٠٩، و ٥/٢١٠.

(١٠) مجمع الزوائد ٩/١٦٣ - ١٦٥.

(١١) مسند احمد ٤/٣٧٢، وابن كثير ٥/٢١٢.

(١٢) مسند احمد ٤/٢٨١، سنن ابن ماجه باب فضل علي، وابن كثير ٥/٢١٢.

ورسوله وان الجنة حق وان النار حق قالوا: بلى نشهد ذلك قال: اللهم اشهد ثم قال
الا تسمعون؟ قالوا: نعم، قال: يا ايها الناس اني فرط وانتم واردون علي الحوض وان
عرضه ما بين بصرى الى صنعاء فيه عدد النجوم قدحان من فضة، واني سائلكم عن
الثقلين فانظروا كيف تخلفوني فيها، فنادى مناد وما الثقلان يا رسول الله؟ قال:
كتاب الله طرف بيد الله وطرف بايديكم فاستمسكوا به لا تضلوا ولا تبدلوا، وعترتي
اهل بيتي وقد نبأني اللطيف الخبير انها لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض سألت ذلك
لهما ربتي، فلا تقدموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنها فتهلكوا، ولا تعلموهما فهم أعلم
منكم!

ثم قال: أستم تعلمون اني اولى بالمؤمنين من انفسهم قالوا: بلى يا رسول الله!^٣
قال: الستم تعلمون او تشهدون اني اولى بكل مؤمن من نفسه قالوا بلى يا رسول
الله!

ثم أخذ بيد علي بن ابي طالب بضبعيه فرفعها حتى نظر الناس الى بياض
ابطيها، ثم قال:

ايها الناس! الله مولاي وانا مولاكم^٦، فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه^٧ اللهم

(١) كانت بصرى اسم لقرية بالقرب من دمشق، واخرى بالقرب من بغداد.

(٢) مجمع الزوائد وبعض الفاظه في روايات الحاكم ١٠٩/٣ - ١١٠، وابن كثير ٢٠٩/٥.

(٣) مسند احمد ١١٨/١ و ١١٩، و ٢٨١/٤، وسنن ابن ماجه ٤٣/١ ح ١١٦، وورد «نعم» في مسند
احمد ٢٨١/٤ و ٣٦٨ و ٣٧٠ و ٣٧٢، وابن كثير ٢٠٩/٥، ولدى ابن كثير ٢١٠/٥: «أست اولى بكل امرئ
من نفسه».

(٤) مسند احمد ٢٨١/٤ و ٣٦٨ و ٣٧٠ و ٣٧٢، وابن كثير ٢٠٩/٥ و ٢١٢.

(٥) في رواية الحاكم الحسكاني ١٩٠/١، فرفع يده حتى يرى بياض ابطيه وفي ص ١٩٣ منه: حتى
بان بياض ابطيها.

(٦) الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ١٩١/١، وعند ابن كثير ٢٠٩/٥: وانا مولى كل مؤمن.

(٧) في جميع المصادر التي ذكرناها الى هنا في جميع روايات الباب.

وال من والاه، وعاد من عاداه^١ وانصر من نصره واخذل من خذله^٢، واحب من احبه وابغض من ابغضه^٣.

ثم قال: اللهم اشهد^٤.

ثم لم يتفرقا - رسول الله وعلي - حتى نزلت هذه الاية «اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً».

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الله اكبر على اكمال الدين واتمام النعمة، ورضا الرب برسالتي والولاية لعلي^٥.

وفي باب ما نزل من القرآن بالمدينة من تاريخ اليعقوبي:

«ان آخر ما نزل عليه «اليوم اكملت...» وهي الرواية الصحيحة الثابتة، وكان نزولها يوم النص على امير المؤمنين علي بن ابي طالب صلوات الله عليه بغدير خم»^٦.

فلقيه عمر بن الخطاب بعد ذلك فقال له: هنيئاً لك يا ابن ابي طالب، اصبحت وامسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة^٧.

وفي رواية قال له: بخ بخ لك يا ابن ابي طالب^٨.

وفي رواية اخرى، هنيئاً لك يا ابن ابي طالب اصبحت وامسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة^٩.

١) مسند احمد ١/١١٨ و ١١٩ و ٢٨١/٤ و ٣٧٠ و ٣٧٢ و ٣٧٣ و ٣٤٧/٥ و ٣٧٠، ومستدرک الحاكم ١٠٩/٣، وسنن ابن ماجة والحاكم الحسكافي ١/١٩٠ و ١٩١، وتاريخ ابن كثير ٥/٢٠٩ و ٢١٠ - ٢١٣، وقال ابن كثير في ٥/٢٠٩: فقلت لزيد هل سمعته من رسول الله؟ فقال: ما كان في الدوحات احد الا رآه بعينه وسمعه باذنيه. ثم قال ابن كثير: قال شيخنا ابو عبد الله الذهبي: وهذا حديث صحيح.

٢) مسند احمد ١/١١٨ و ١١٩، ومجمع الزوائد ٩/١٠٤ و ١٠٥ و ١٠٧، شواهد التنزيل ١/١٩٣، وتاريخ ابن كثير ٥/٢١٠ و ٢١١.

٣) شواهد التنزيل للحسكافي ١/١٩١، وتاريخ ابن كثير ٥/٢١٠.

٤) شواهد التنزيل ١/١٩٠.

٥) رواه الحاكم الحسكافي عن ابي سعيد الخدري ١/١٥٧ - ١٥٨ ح ٢١١ و ٢١٢، وعن ابي هريرة ص ١٥٨ ح ٢١٣، وفي تاريخ ابن كثير ٥/٢١٤ بايجاز.

٦) اليعقوبي ٢/٤٣.

٧) و (٨) شواهد التنزيل ١/١٥٧.

٩) مسند احمد ٤/٢٨١، وسنن ابن ماجة باب فضائل علي والرياض النضرة ٢/١٦٩، ولفظ «بعد ذلك» في تاريخ ابن كثير ٥/٢١٠.

تتويج الامام

وكانت لرسول الله عمامة، تسمى السحاب كساها عليا،^١ وكانت سوداء اللون،^٢ وكان الرسول يلبسها في ايام خاصة،^٣ مثل يوم فتح مكة،^٤ ورووا في كيفية تتويج الامام بها يوم الغدير كما يلي:

عن عبد الاعلى بن عدي البهراني قال:

دعا رسول الله صلى الله عليه وآله عليا يوم غدير خم فعممه وارخى عذبة العمامة من خلفه.^٥

وعن علي عليه السلام قال:

عممني رسول الله صلى الله عليه وآله يوم غدير خم بعمامة سوداء طرفها على منكبي.^٦

وفي مسند الطيالسي وسنن البيهقي قال:

عممني رسول الله صلى الله عليه وآله يوم غدير خم بعمامة سدها خلفي ثم قال: ان الله عز وجل امدني يوم بدر وحنين بملائكة يعتمون هذه العممة... وقال: ان العمامة حاجزة بين المسلمين والمشركين...^٧

وعن علي عليه السلام:

ان النبي صلى الله عليه وآله عممه بيده، فذنب العمامة من ورائه ومن بين يديه، ثم قال له النبي صلى الله عليه وآله: ادبر فادبر، ثم قال له: اقبل فاقبل، واطل على اصحابه فقال النبي صلى الله عليه وآله: هكذا تكون تيجان الملائكة.^٨

(١) في زاد المعاد لابن القيم (فصل في ملابسه) اي الرسول بهامش شرح الزرقاني على المواهب اللدنية

ج ١٢١/١.

(٢) ورد ذكر لون العمامة التي توج بها الامام في رواية عبد الله بن بشر الاتية والامام نفسه.

(٣) اشير الى ذلك في كتب الحديث.

(٤) صحيح مسلم كتاب الحج ح ٤٥١ - ٤٥٢، وسنن ابي داود ٥٤/٤ باب في العمائم، وشرح

المواهب ١٠/٥، عن معرفة الصحابة لابي نعيم.

(٥) الرياض النضرة ٢٨٩/٢ في ذكر تعميجه اياه (ص) بيده، واسد الغابة ١١٤/٣.

(٦) في ترجمة عبد الله بن بشر من الاصابة ٢٧٤/٢ قال: اخرج البغوي.

(٧) كنز العمال ٤٥/٢٠، ومسند الطيالسي ٢٣/١، والبيهقي ١٤/١٠.

(٨) كنز العمال ٤٥/٢٠ عن مشيخة ابن باذان.

وعن ابن عباس قال:

لَمَّا عَمَّم رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلِيًّا بِالسَّحَابِ قَالَ لَهُ: يَا عَلِيُّ الْعِمَامَةُ تَيْجَانُ الْعَرَبِ...^١

وعن عبد الله بن بشر قال:

بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ (يَوْمَ غَدِيرِ خَمٍّ) إِلَى عَلِيٍّ فَعَمَّمَهُ وَاسْدَلَّ الْعِمَامَةَ بَيْنَ كَتْفَيْهِ وَقَالَ وَهَكَذَا أَمَدَنِي رَبِّي يَوْمَ حَنْيْنٍ بِالْمَلَائِكَةِ مَعَمِّمِينَ وَقَدْ اسْدَلُوا الْعِمَامَةَ وَذَلِكَ حِجْزٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ.^٢

المناشدة

جمع علي الناس في رحبة مسجد الكوفة^٣، ثم قال لهم:

«أَنْشَدَ اللَّهُ كُلَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ يَوْمَ غَدِيرِ خَمٍّ مَا سَمِعَ الْإِقَامَ^٤ وَلَا يَقُومُ إِلَّا مَنْ قَدِ رَأَاهُ، فَقَامَ ثَلَاثُونَ مِنَ النَّاسِ — وَفِي رِوَايَةٍ — فَقَامَ نَاسٌ كَثِيرٌ وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: فَقَامَ اثْنَا عَشَرَ بَدْرِيًّا، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَحَدِهِمْ^٥ فَشَهِدُوا حِينَ أَخَذَ سِدَّهُ فَقَالَ لِلنَّاسِ: «اتَّعْلَمُونَ أَنِّي أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ» قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ:

(١) كنز العمال عن الديلمي.

(٢) هكذا رواه ابن طاووس في امان الاخطار، غير أنها في ترجمة عبد الله بن بشر بالاصابة ٢٧٤/٢، رقم الترجمة ٤٥٦٦، ليس فيها لفظ «يوم غدیر ختم».

(٣) تاريخ ابن كثير ٢١١/٥.

(٤) رواه ابو الطفيل، عامر او عمرو بن وائلة الليثي، ولد عام أحد، ورأى النبي وعمر الى أن مات سنة عشر ومائة، وهو آخر من مات من الصحابة، روى عنه جميع اصحاب الصحاح، التهذيب ٣٨٩/١. وروايته بمسند احمد ٣٧٠/٤، وفي ج ١١٨/١ منه بثلاث اسانيد:

(أ) عن ابي الطفيل، عن زيد بن ارقم.

(ب) عن سعيد بن وهب الهمداني الجنواني، وهو كوفي ثقة مخضرم مات سنة خمس اوست وسبعين، ترجمته في تهذيب التهذيب وقد رواها احمد عنه مختصراً في ج ٣٦٦/٥.

(ج) عن زيد بن يشع الهمداني الكوفي، ثقة مخضرم من الطبقة الثانية من الرواة، ترجمته بتهذيب التهذيب ٢٧٧/١.

(٥) في رواية عبد الرحمن بن ابي ليلي الانصاري المدني الكوفي، ثقة من الثانية روى عنه جميع اصحاب الصحاح، ومات سنة نيف وثمانين ترجمته بتقريب التهذيب ٤٩٦/١ والرواية في مسند احمد ١١٩/١ الحديث رقم ٩٦٤.

(٦) مسند احمد ٣٧٠/٤ في حديث ابي الطفيل وابن كثير ٢١٢/٥.

(٧) حديث عبد الرحمن بمسند احمد ج ١/٩٦١، وفي ٣٧٠/٥، وابن كثير ٢١١/٥.

(٨) في مسند احمد ١١٨/١ و ٣٧٠/٤ وابن كثير ٢١١/٥ ومجمع الزوائد ١٠٥/٩.

«من كنت مولاه فهذا مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»^۱، «وانصر من نصره واخذل من خذله»^۲.

قال عبد الرحمن: فقام الاثلاثة لم يقوموا فاصابتهم دعوته^۳.

قال ابوالطفيل: فخرجت و كأن في نفسي شيئاً فلقيت زيد بن ارقم فقلت له: اني سمعت علياً (رض) يقول كذا وكذا، قال: فما تنكره قد سمعت رسول الله يقول ذلك له^۴.

وفي رواية فقام ثلاثون من الناس^۵.

وفي رواية جاء رهط من الانصار الى علي في الرحبة فقالوا: السلام عليك يا مولانا قال: كيف اكون مولاكم وانتم قوم عرب، قالوا سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم ختم يقول من كنت مولاه فان هذا مولاه قال الراوي فلما مضوا تبعهم فسألت من هؤلاء؟ قالوا: نفر من الانصار منهم ابوايوب.

وفي رواية فقال: من القوم. قالوا: مواليك يا أمير المؤمنين^۶.

(۱) في مسند احمد ۱/۱۱۸ و ۱۱۹ و ۳۷۰/۴ و ۳۷۰/۵، وابن كثير ۵/۲۱۱.

(۲) مسند احمد ۱/۱۱۸، وتاريخ ابن كثير ۵/۲۱۰.

(۳) مسند احمد ۱/۱۱۹ الحديث ۹۶۴.

(۴) مسند احمد ۴/۳۷۰.

(۵) مسند احمد ۴/۲۷۰ والرياض النضرة ۲/۱۶۲ وابن كثير ۵/۲۱۲.

(۶) مسند احمد ۵/۴۱۹ وابن كثير ۵/۲۱۲.

الولاية واولو الامر في القرآن الكريم

أ) ولاية عليّ في القرآن الكريم

نصّت الاحاديث السابقة على ولاية الامام عليّ على المؤمنين بعد رسول الله وهذا بعينه ما عنته الاية الكريمة «انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون» الاية ٥٥ من سورة المائدة. ويؤيد ذلك الروايات الآتية:

في تفسير الطبري، واسباب النزول للواحدي وشواهد التنزيل للحاكم الحسكاني وانساب الاشراف للبلاذري وغيرها^١.

عن ابن عباس وابي ذر وانس بن مالك والامام علي وغيرهم ما خلاصته: «ان فقيرا من فقراء المسلمين دخل مسجد الرسول وسأل وكان عليّ راكعا في صلاة غير فريضة^٢، فاجع قلب عليّ كلام السائل، فأوما بيده اليمنى الى خلف ظهره، وكان في اصبعه خاتم عقيق يماني أحمر يلبسه في الصلاة، وأشار الى السائل بنزعه

(١) تفسير الطبري ١٨٦/٦، واسباب النزول للواحدي ص ١٣٣ - ١٣٤، وفي شواهد التنزيل ١٦١/١ - ١٦٤ خمس روايات عن ابن عباس وفي ص ١٦٥ - ١٦٦ روايتان عن انس بن مالك، وست روايات اخرى في ص ١٦٧ - ١٦٩، وانساب الاشراف للبلاذري ح ١٥١ من ترجمة الامام ١ / الورقة ٢٢٥، وغرائب القرآن للنيسابوري بهامش الطبري ١٦٧/٦ - ١٦٨، واخرج السيوطي كثيرا من رواياتها في تفسيره ٢٩٣/٢ - ٢٩٤، وقال في لباب النقول في اسباب النزول ص ٩٠ - ٩١ بعد ايراد الروايات: «فهذه شواهد يقوي بعضها بعضا».

(٢) يستفاد ذلك من رواية انس حيث قال: خرج النبي الى صلاة الظهر فاذا هو بعلي يركع، ونظيرها رواية ابن عباس، وكتلها في شواهد التنزيل ١٦٣/١ - ١٦٤.

فنزعه ودعاه، ومضى فما خرج احد من المسجد حتى نزل جبرئيل عليه السلام بقول عزوجل «انما وليكم الله...» الآية^١، فأنشأ حسان بن ثابت يقول ابياتا منها قوله:

اباحسن تفديك نفسي ومهجتي	وكل بطيء في الهدى ومسارع
فانت الذي اعطيت اذانت راع	فدتك نفوس القوم ياخير راع
فانزل فيك الله خير ولاية	فاثبتها في محكمات الشرائع ^٢

ايراد على دلالة الآية

اورد بعضهم على مفاد الروايات السابقة ان لفظ الآية «والذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون» جمع فكيف يعبر بلفظ الجمع ويراد به الواحد وهو الامام علي؟

قال المؤلف: توهم من قال ذلك فان الذي لا يجوز انما هو استعمال اللفظ المفرد واردة الجمع منه، اما العكس فجايز وشايع في المحاورات وقد ورد نظائرها في موارد متعددة في القرآن الكريم مثل التعابير التي وردت في سورة المنافقين:

«بسم الله الرحمن الرحيم، اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون» الى قوله تعالى «واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم ورأيهم يصدون وهم مستكبرون» الى قوله: «هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا والله خزانة السموات والارض ولكن المنافقين لا يفقهون، يقولون لئن رجعنا الى المدينة لنخرجن الاعز منها الاذل، والله العزة ورسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون. الايات ١-٨.

قال الطبري في تفسير السورة:

انما عني بهذه الايات كلها عبد الله بن ابي سلول... وانزل الله فيه هذه السورة من اولها الى اخرها وبالنحو الذي قلنا، قال اهل التأويل وجاءت الاخبار^٣.

وروى السيوطي بتفسير الايات عن ابن عباس انه قال: وكل شئ أنزله في المنافقين — في هذه السورة — فانما أراد عبد الله بن ابي^٤.

(١) الى هنا اوردنا ملخصة من شواهد التنزيل.

(٢) نقلا عن كفاية الطالب الباب ٦١ ص ٢٢٨، وبقية مصادر الحديث في تاريخ ابن كثير ٣٥٧/٧.

(٣) تفسير الطبري ٢٧٠/٢٨.

(٤) تفسير السيوطي ٢٢٣/٦.

وموجز القصة كما نقلها اهل السير وورد في التفاسير:

«ان اجير عمر بن الخطاب، جهجاه الغفاري، ازدحم بعد غزوة بني المصطلق مع سنان الجهني حليف بني الخزرج على الماء فاقتتلا فصرخ الجهني: يا معشر الانصار!، وصرخ الجهجاه يا معشر المهاجرين! فغضب عبد الله بن أبي ومعه رهط من قومه وفيهم زيد بن أرقم، غلام حديث السن فقال: أقد فعلوها؟ قد نافرنا و كاثرونا في بلادنا، والله ما اعدنا وجلايب قريش هذه الا كما قال القائل: سَمَنَ كلبك يا كلك! أما والله لئن رجعنا الى المدينة لنخرجن الا عزمنا الاذل، ثم أقبل على من حضره من قومه، فقال: هذا ما فعلتم بانفسكم احللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم اموالكم، اما والله لو أمسكتهم عنهم ما بايديكم لتحولوا الى غير بلادكم، فسمع ذلك زيد بن ارقم ومشى به الى رسول الله وأخبره وعنده عمر بن الخطاب»^١.

فقال عمر بن الخطاب: دعني اضرب عنقه يا رسول الله فقال إذا ترعد له آنف كثيرة بيثرب قال عمر فان كرهت يا رسول الله ان يقتله رجل من المهاجرين، فربه سعد بن معاذ ومحمد بن مسلمة فيقتلانه فقال: اني اكره ان يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه^٢.

فذهب عبد الله الى رسول الله، وحلف انه لم يكن شيء من ذلك فلام الانصار زيدا على قوله، وقالوا لعبد الله: لو رأيت رسول الله يستغفر لك فلوى رأسه وقال: أمرتموني ان اومن فامنت وامرتموني ان اعطي زكاة مالي فاعطيت فما بقي لي الا ان اسجد لمحمد، فنزلت السورة فيه وهو المقصود بقوله تعالى: «هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا»^٣.

وهو المقصود من قوله تعالى «واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم...»^٣.

* * *

في هذه السورة عبر الله عن عبد الله بن أبي القائل الواحد، بقوله تعالى: «هم

(١) تفسير الطبري ٧٥/٢٨.

(٢) تفسير الطبري ٧٤/٢٨.

(٣) لخصنا روايات متعددة وردت في تفسير الطبري ٧١/٢٨ فما بعدها وتفسير السيوطي ٢٢٢/٦ فا بعدها الى غير ذلك مما ورد في التفاسير والسير.

الذين يقولون» وبقوله عز اسمه «واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم» القائل والفاعل واحد كما اجمع على ذلك المفسرون وأطبقت الروايات على ذلك وانما اوردنا هذا على سبيل المثال والآ فنظائرهما متعددة في القرآن الكريم مثل قوله تعالى:

«ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن» التوبة: ٦١.

«الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم...» آل عمران: ١٧٣.

«يقولون هل لنا من الامر شيء...» آل عمران: ١٥٤.

هذه الى غيرها مما عُبر فيها بلفظ الجمع وأريد بها الواحد تعدد نظائرها في

القرآن الكريم.

ب) أولو الامر: عليّ والأئمة من ولده

أثبتت الروايات المتظافرة المتواترة السابقة أنّ علياً هو مولى المؤمنين وولي أمرهم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، كما انها تفسر المراد من أولي الأمر في الآية الكريمة:

«يا ايها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم»^١.

ودلت على ذلك أيضا الاحاديث الآتية:

أ) في شواهد التنزيل عن علي أنه سأل رسول الله عن الآية وقال: يا نبي الله من هم؟ قال: انت اولهم.

ب) وعن مجاهد: «وأولي الأمر منكم» قال: علي بن ابي طالب ولاه الله الأمر بعد محمد في حياته حين خلفه رسول الله بالمدينة فأمر الله العباد بطاعته وترك الخلاف عليه.»

ج) وعن أبي بصير، عن ابي جعفر:

«أنه سأله عن قول الله «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم» قال: نزلت في علي بن ابي طالب قلت: انّ الناس يقولون: فما منعه أن يسمي عليا وأهل بيته في كتابه فقال أبو جعفر: قولوا لهم إنّ الله أنزل على رسوله الصلاة ولم يسم ثلاثا ولا اربعا حتى كان رسول الله هو الذي يفسر ذلك، وأنزل الحج فلم ينزل طوفوا أسبوعا

حتى فسر لهم ذلك رسول الله، وأنزل «وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم» فنزلت في علي والحسن والحسين وقال رسول الله صلى الله عليه وآله أوصيكم بكتاب الله وأهل بيتي أني سألت الله ان لا يفرق بينها حتى يردا علي الحوض فأعطاني ذلك.»^١

قول النبي (ص) مثل أهل بيتي كسفينة نوح (ع) و مثل باب حطة في بني اسرائيل

روى من الصحابة و أهل البيت كل من الامام علي و أبو ذر و أبو سعيد الخدري و ابن عباس و أنس بن مالك .
ان رسول الله (ص) قال : « مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا و من تخلف عنها غرق » .

و في ألفاظ بعضهم :

« و مثل باب حطة في بني اسرائيل » .

المصادر :

ذخائر العقبي للمحب الطبري ص : ٢٠ .

مستدرک الحاكم (ج ٢ / ٣٤٣ و ج ٣ / ١٥٠) .

حلية الاولياء لأبي نعيم (ج ٤ / ٣٠٦) .

تاريخ بغداد للخطيب (ج ١٢ / ١٩) .

مجمع الزوائد للهيتمي (ج ٩ / ١٦٨) .

الدر المنثور للسيوطي بتفسير الآية : « و ادخلوا الباب سجدا و قولوا حطة نغفر

لكم خطاياكم » .

كنز العمال ، ط ، الاولى ، (ج ٦ / ١٥٣ و ٢١٦) .

الصواعق لابن حجر ، ص : ٧٥ ، رواها عن الدرقي و الطبراني و ابن

جرير و أحمد بن حنبل و غيرهم .

(١) الاجاديث : أ، ب، ج وردت متواليات في شواهد التنزيل ١٤٨/١ - ١٥٠ .

الائمة علي وبنوه عليهم السلام
مبلغون عن رسول الله صلى الله عليه وآله

حصر القرآن الكريم في عدة آيات وظيفه الرسل في التبليغ مثل قوله تعالى:
«ما على الرسول الا البلاغ»^١. وقوله «وما على الرسول الا البلاغ المبين»^٢ وقوله:
«انما على رسولنا البلاغ المبين»^٣، وقوله «فهل على الرسل الا البلاغ المبين»^٤.

وحصر كذلك وظيفه خاتم الرسل خاصة في التبليغ بقوله تعالى «فانما عليك
البلاغ»^٥، وقوله «ان عليك الا البلاغ»^٦.
وينقسم التبليغ الى تبليغ مباشر وتبليغ بواسطة، والى تبليغ ماحان وقت عمله
وما لم يحن، مثل حكم الطائفتين المتقاتلتين من المؤمنين وواجب المسلمين تجاه الحاكم
الجائر وينقسم ما يبلغه الرسول الى قسمين:

أ) ما اوحى الى الرسول لفظه ومعناه وهو كتاب الله ويسمى في هذه الامة
بالقرآن الكريم قال سبحانه «وأوحى اليّ هذا القرآن لا نذركم به ومن بلغ»^٧.

(١) سورة المائدة: الاية ٩٩.

(٢) سورة النور: الاية ٥٤ وسورة العنكبوت: الاية ١٨.

(٣) سورة المائدة: الاية ٩٢، وسورة التغابن: الاية ١٢.

(٤) سورة النحل: الاية ٣٥.

(٥) سورة آل عمران: الاية ٢٠، وسورة النحل: الاية ٣٥، وسورة الرعد: الاية ١٣.

(٦) سورة الشورى: الاية ٤٨.

(٧) سورة الانعام: الاية ١٩.

(ب) ما أوحى الى الرسول معناه دون لفظه وبلغه الرسول بلفظه الشريف مثل تبليغه تفصيل احكام الشرع، قال الله سبحانه «**شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه**»^١.

انّ الرسول عندما يعين عدد ركعات الصلاة واذكارها ويبين سائر احكامها وسائر احكام الشرع الاسلامي، او يبلغ انباء الامم السابقة والغيوب الاتية في هذه الدنيا او العالم الاخر، انما يبلغ ما اوحى اليه في غير القرآن الكريم وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى ويسمى هذا النوع من التبليغ في هذه الامة بالحديث النبوي الشريف.

* * *

حصرت الايات السابقة وظيفة الرسول بالتبليغ، وعلى هذا فان الصفة المميزة للرسول هي التبليغ، واذا قال الرسول عن شخص (انه متي) يعني انه منه في أمر التبليغ ولا نقول هذا اعتباطا، بل قد وجدنا الرسول يصرح بذلك في قسم من تلك الاحاديث مثل ما ورد في قصة تبليغ آيات البراءة التالية:

قصة تبليغ آيات البراءة

وردت قصة تبليغ سورة البراءة في صحيح الترمذي وتفسير الطبري وخصائص النسائي ومستدرك الصحيحين وغيرها، عن انس وابن عباس وسعد بن أبي وقاص وعبدالله بن عمر وأبي سعيد الخدري وعمر بن ميمون وعلي بن أبي طالب^٢، وأبي بكر، ونختار هنا ذكر رواية ابي بكر الواردة في مسند احمد، الى قوله: قال ابوبكر:

«انّ النبي بعثه ببراءة لاهل مكة، لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الاّ نفس مسلمة، ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم مدة فأجله الى مدة، والله برئ من المشركين ورسوله، قال فسار بها ثلاثا ثم قال لعلي «الحقه فردّ عليّ أبا بكر وبلغها انت» قال: ففعل، فلما قدم على النبي صلى الله

(١) سورة الشورى: الاية ١٣.

(٢) صحيح الترمذي ١٣/١٦٤ - ١٦٥، ومسند احمد ١/١٥١ و ٣٣٠ و ٣/٢٨٣ وراجع ج ١/١٥٠، وخصائص النسائي ص ٢٨ - ٢٩، وتفسير الطبري ١٠/٤٦، ومستدرك الصحيحين ٣/٥١، ومجمع الزوائد ١١٩/٧ و ٢٩/٧.

عليه وسلم ابوبكر بكي وقال: يا رسول الله حدث في شيء؟ قال: «ما حدث فيك الا خيرا، ولكنني امرت ان لا يبلغه الا انا او رجل مني»^١.

وفي رواية عبدالله بن عمر:

«ولكن قيل لي: أنه لا يبلغ عنك الا انت او رجل منك»^٢.

وفي رواية أبي سعيد الخدري:

«لا يبلغ عني غيري او رجل مني»^٣.

تدلنا القرائن الحالية والمقالية في المقام، ان القصد من التبليغ في هذه الروايات وما شابهها تبليغ ما اوحى الله الى رسوله من احكام الى المكلفين بها في بادئ الامر، وهذا ما لا يقوم به الا الرسول او رجل من الرسول.

ويقابل هذا التبليغ الذي يقوم به المكلفون بتلك الاحكام بعد ما بلغوا بها بواسطة الرسول او رجل من الرسول فان لهم عند ذلك ان يقوموا بتبليغها الى غيرهم، ويطرد جواز هذا التبليغ ورجحانه ويتسلسل مع كل من بلغه الحكم الى ابد الدهر.

وواضح أن الرسول عني بقوله «لا يبلغ عني غيري او رجل مني التبليغ من النوع الاول».

ويفسر ايضا لفظ «متي» في احاديث الرسول صلى الله عليه وآله حديث المنزلة الاتي:

علي من النبي بمنزلة هارون من موسى

في صحيح البخاري، ومسلم، ومسند الطيالسي، واحمد، وسنن الترمذي، وابن ماجه وغيرها^٤ واللفظ للأول، ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعلي:

(١) مسند احمد ٣/١ الحديث ٤ من مسند ابي بكر وقال احمد شاكر: «اسناده صحيح» وراجع كنز العمال وذخائر العقبي.

(٢) في مستدرک الصحيحين ٥١/٣.

(٣) في الدر المنثور بتفسير «براءة من الله».

(٤) صحيح البخاري ٢/٢٠٠ باب مناقب علي بن ابي طالب وصحيح مسلم ج ٧/١٢٠ باب من فضائل علي بن ابي طالب والترمذي ج ١٣/١٧١ باب مناقب علي والطيالسي ج ١/٢٨ و٢٩ وح ٢٠٥ و٢٠٩ و٢١٣ وابن ماجه باب فضل علي بن ابي طالب ح ١١٥، ومسند احمد ج ١/١٧٠ و١٧٣ - ١٧٥ و١٧٧.

«انت منّي بمنزلة هارون من موسى الا انه ليس نبي بعدي»
ولفظ مسلم وغيره:
«الا انه لا نبي بعدي».

وفي رواية ابن سعد في الطبقات عن البراء بن عازب وزيد بن ارقم قالوا: لما كان عند غزوة جيش العسرة وهي تبوك قال رسول الله صلى عليه وسلم لعلي بن ابي طالب: انه لا بد من ان اقيم او تقيم، فخلفه، فلما فصل رسول الله صلى عليه وسلم، غازيا قال ناس: ما خلف عليا الا لشيء كرهه منه فبلغ ذلك عليا فاتبع رسول الله صلى عليه وسلم حتى انتهى اليه فقال له: ما جاء بك يا علي؟ قال: لا يا رسول الله الا اني سمعت ناسا يزعمون انك انما خلفتني لشيء كرهته مني، فتضحك رسول الله صلى عليه وسلم، وقال: يا علي اما ترضى ان تكون منّي كهارون من موسى غير انك لست بنبي؟ قال: بلى يا رسول الله، قال فانه كذلك^١ وقد مر بعض الفاظ الحديث في باب من استخلفه النبي صلى الله عليه وآله على المدينة في غزواته.

المراد من لفظ «منّي» في احاديث الرسول صلى الله عليه وآله:

إن لفظ «منّي» في حديث «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى» يوضح المراد من هذا اللفظ في احاديث الرسول الاخرى، وذلك ان هارون لما كان شريك موسى في النبوة ووزيره في التبليغ وكان علي من خاتم الانبياء بمنزلة هارون من موسى باستثناء النبوة يبقى لعلي الوزارة في التبليغ، وعلى هذا فان الرسول فسر لفظ «منّي» في هذه الاحاديث بكل وضوح وجلاء ان القصد منه انه منه في مقام التبليغ عن الله الى المكلفين بلا واسطة، ومن ثم يتضح معنى «منّي» في احاديث اخرى للرسول صلى الله عليه وآله في حق الامام علي والذي ورد فيها غير مفسرة.

١٧٩ و ١٨٢ و ١٨٤ و ١٨٥ و ٣٣٠ و ج ٣٢/٣ و ٣٣٨ و ج ٣٦٩/٦ و ٤٣٨، ومستدرک الحاكم ج ٣٣٧/٢، وطبقات ابن سعد ١٤/١/٣ و ١٥، ومجمع الزوائد ج ١٠٩/٩ - ١١١، ومصادر اخرى كثيرة.
(١) طبقات ابن سعد ج ٣/٣ ق ١٥/١، ومجمع الزوائد للهيتمي ج ١١١/٩ باختلاف يسير.

مثل ما ورد في رواية بريدة في خبر الشكوى ان الرسول صلى الله عليه وآله قال له: «لا تقع في علي فإنه مني و...»^١.
ورواية عمران بن حصين: «ان عليا مني...»^٢.

* * *

في كل هذه الروايات قصد الرسول (ص) أن علياً والائمة (ع) من ولده، من رسول الله صلى الله عليه وآله في حمل أعباء التبليغ الى المكلفين مباشرة وظيفتهم من نوع وظيفته، وعلى هذا فهم منه وهو منهم، يشتركون في التبليغ ويختلفون في أنه يأخذ الاحكام التي يبلغها من الله عن طريق الوحي، وهم يأخذونها عن طريق رسول الله صلى الله عليه وآله فهم مبلغون عن رسول الله الى الامة وقد أعدهم الله ورسوله لحمل أعباء التبليغ وذلك بما عصمهم الله من الرجس وطهرهم تطهيرا كما أخبر سبحانه عن ذلك في آية التطهير، وبما أفاض الرسول على الامام علي خاصة مما أوحى الله اليه ثم ورث الائمة من أبيهم الامام علي ذلك واحدا بعد الاخر كما نصت على ذلك الروايات الالية.

حامل علوم الرسول صلى الله عليه وآله

في تفسير الرازي وكنز العمال قال علي:

«علمني رسول الله صلى الله عليه وآله الف باب من العلم وتشعب لي من كل باب الف باب»^٣.

وفي تفسير الطبري وطبقات ابن سعد وتهذيب التهذيب وكنز العمال وفتح الباري واللفظ للاخير:

عن ابي الطفيل قال: شهدت عليا وهو يخطب وهو يقول: سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء يكون الى يوم القيامة الا حدثتكم به، وسلوني عن كتاب الله فوالله ما من آية الا وأنا أعلم ابليل نزلت أم بنهار أم في سهل أم في جبل...»^٤.
ومن هنا قال في حقه رسول الله صلى الله عليه وآله كما رواه جابر بن عبد الله

١ و ٢) مضي ذكر سندهما في باب: ولي امر المسلمين.

٣) بتفسير الالية «ان الله اصطفى آدم...» وكنز العمال ج ٦/٣٩٢ و ٤٠٥.

٤) تفسير ابن جرير ج ٢٦/١١٦، وطبقات ابن سعد ج ٢/٢: ق: ١٠١/٢، وتهذيب التهذيب

ج ٧/٣٣٧، وفتح الباري ج ١٠/٢٢١، وحلية الاولياء ج ١/٦٧، وكنز العمال ج ١/٢٢٨.

«أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد المدينة فليأت الباب» قال الحاكم هذا حديث صحيح الاسناد^١.

وفي رواية: فمن أراد العلم فليأت الباب^٢.

وفي رواية:

«سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية وهو آخذ بيد علي (عليه السلام) يقول: هذا أمير البررة وقاتل الفجرة، منصور من نصره، مخذول من خذله، — يمدّ بها صوته — أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد البيت فليأت الباب»^٣.
ولفظه في رواية ابن عباس:

«أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد المدينة فليأتها من بابها»^٤.

وفي رواية الامام علي، قال رسول الله (ص):

«أنا دار العلم وعلي بابها»^٥.

وقال في حقّه ايضا كما رواه ابن عباس:

«أنا مدينة الحكمة وعلي بابها فمن اراد الحكمة فليأت الباب»^٦.

وفي رواية الامام علي، قال رسول الله (ص):

«أنا دار الحكمة وعلي بابها»^٧.

وقال في حقّه كما في رواية ابي ذر:

«علي باب علمي ومبين لامتي ما أرسلت به بعدي...»^٨.

(١) مستدرک الصحيحين ج ٣/١٢٦. وفي ص: ١٢٧ منه بطريق اخر، وفي تاريخ بغداد ج ٤/٣٤٨ و ج ٧/١٧٢ و ج ١١/٤٨ وفي ص ٤٩ منه عن يحيى بن معين أنه صحيح وفي أسد الغابة ٤/٢٢ وجمع الزوائد ج ٩/١١٤ وتهذيب التهذيب ٦/٣٢٠ و ٧/٤٢٧، وفي متن فيض القدير ٣/٤٦، وكنز العمال ط ٢، ج ١٢/٢٠١ ح ١١٣٠، والصواعق المحرقة / ٧٣.

(٢) مستدرک الصحيحين ج ٣/١٢٧.

(٣) تاريخ بغداد للخطيب ج ٢/٣٧٧.

(٤) كنز العمال ط ٢، ج ١٢/٢١٢، ح ١٢١٩، وراجع كنوز الحقائق للمناوي.

(٥) الرياض النضرة ج ٢/١٩٣.

(٦) تاريخ بغداد للخطيب ج ١١/٢٠٤، وصحيح الترمذي.

(٧) صحيح الترمذي ج ١٣/١٧١ باب مناقب علي بن ابي طالب، قال وفي الباب عن ابن عباس،

وحلية الاولياء لابي نعمان ج ١/٦٤، وكنز العمال ط. ١، ج ٦/١٥٦.

(٨) كنز العمال ط. ١ ج ٦/١٥٦.

وقال كما في رواية انس بن مالك:

ان النبي (ص) قال لعلي (ع):

«أنت تبين لامتي ما اختلفوا فيه بعدي» قال الحاكم: هذا حديث صحيح على

شرط الشيخين.^١

وفي رواية قال له:

«أنت تؤدي عني وتسمعهم صوتي وتبين لهم ما اختلفوا فيه بعدي»^٢.

وقد يسر الله لخاتم انبيائه أن يترق ابن عمه العلم فيما هيا لهما من الاجتماع في

بيت واحد منذ أن كان الامام علي طفلا كما رواه الحاكم:

«كان من نعم الله على علي بن ابي طالب (ع) ما صنع الله و اراده به من الخير،

أن قريشا اصابتهم أزمة شديدة، وكان ابوطالب في عيال كثير فقال رسول الله (ص):

لعمه العباس - وكان من ايسر بني هاشم - يا ابا الفضل ان أخاك ابا طالب كثير

العيال وقد اصاب الناس ماترى من هذه الازمة فانطلق بنا اليه نخفف عنه من عياله

أخذ أنا من بنيه رجلا وتأخذ أنت رجلا فنكفلها عنه، فقال العباس: نعم، فانطلقا

حتى أتيا ابا طالب، فقالا: انا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى تنكشف عن

الناس ما هم فيه، فقال لهما ابوطالب: اذا تركتما لي عقيلاً فاصنعا ما شئتما. فأخذ رسول

الله (ص) علياً فضمه اليه وأخذ العباس جعفراً فضمه اليه فلم يزل علي (ع) مع رسول

الله (ص) حتى بعثه الله نبيا فاتبعه و صدقه وأخذ العباس جعفراً وضمه اليه ولم يزل

جعفر مع العباس حتى أسلم واستغنى عنه»^٣.

وروى عن زيد بن علي بن الحسين عن أبيه عن جده (ع) قال:

«أشرف رسول الله (ص) من بيت ومعه عمه العباس وحمزة. وعلي وجعفر

وعقيل في أرض يعملون فيها، فقال رسول الله (ص) لعميه: اختارا من هؤلاء، فقال

أحدهما: اخترت جعفراً، وقال الاخر: اخترت عقيلاً، فقال: خيرتكما فاخترتها فاختر

الله لي علياً»^٤.

(١) مستدرک الصحيحین ج ٣/١٢٢ و کنز العمال ط. ١، ج ١٥٦/٦، وراجع المناوي في كنوز

الحقائق ص ١٨٨.

(٢) حلية الاولياء ج ١/٦٣

(٣) مستدرک الصحيحین ج ٣/٥٧٦.

(٤) مستدرک الصحيحین ج ٣/٥٧٦ - ٥٧٧.

وقد أخبر الامام بنفسه عن ذلك وقال:

«وقد علمتم موضعي من رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - بالقربة القريبة، والمنزلة الخبيصة، وضعني في حجره، ويضميني الى صدره، ويكنفني في فراشه ويمسني جسده ويشمني عرفه، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه، وما وجدني كذبة في قول، ولا خطلة في فعل، ولقد قرن الله به، صلى الله عليه وآله، من لدن أن كان فطما أعظم ملك من ملائكته، يسلك به طريق المكارم، ومحاسن اخلاق العالم، ليله ونهاره، ولقد كنت اتبعه اتباع الفصيل اثر أمه يرفع لي في كل يوم من اخلاقه علما، ويأمرني بالافتداء به، ولقد كان يجاورني كل سنة بجراء، فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الاسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله، وخديجة، وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة وأشتم ريح النبوة.

ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه، صلى الله عليه وآله، فقلت يا رسول الله، ما هذه الرنة؟^١ فقال: «هذا الشيطان أيس من عبادته، أنك تسمع ما اسمع، وترى ما أرى، الا إنك لست بنبي، ولكنك وزير، وإنك لعلي خير». ولقد كنت معه، صلى الله عليه وآله، لما أتاه الملائ من قريش، فقالوا له: يا محمد، أنك قد ادعيت عظيما لم يدعه أبائك ولا أحد من بيتك، ونحن نسألك أمرا ان (انت) أجبتنا اليه وأرئتناه علمنا أنك نبي ورسول، وان لم تفعل علمنا أنك ساحر كذاب. فقال صلى الله عليه وآله: وما تسألون؟ قالوا: تدعوا لنا هذه الشجرة حتى تنقلع بعروقها وتقف بين يديك. فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ان الله على كل شيء قدير، فان فعل الله لكم ذلك أتؤمنون وتشهدون بالحق؟ قالوا: نعم، قال: فإني سأريكم ما تطلبون، وأني لأعلم أنكم لا تفيئون الى خيرا^٢، وان فيكم من يطرح في القليب^٣، ومن يحزب الاحزاب، ثم قال صلى الله عليه وآله: يا أيها الشجرة ان كنت تؤمنين بالله واليوم الآخر وتعلمين أني رسول الله فانقلعي بعروقك حتى تقفي بين يدي بأذن الله. والذي بعثه بالحق لا نقلعت بعروقها وجاءت ولهادوي شديد وقصف كقصف أجنحة

(١) الرنة: الصيحة الحزينة.

(٢) لا تفيئون: لا ترجعون.

(٣) القليب - كأمر - البئر، والمراد منه قليب بدر طرح فيه نيف وعشرون من أكابر قريش،

والاحزاب: طوائف متفرقة من القبائل اجتمعوا على حربه صلى الله عليه وآله في وقعة الخندق.

الطيرا، حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله مرفرفة، والقت بغصنها الاعلى على رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، وبيعض أغصانها على منكبي، وكنت عن يمينه صلى الله عليه وآله وسلم، فلما نظر القوم الى ذلك قالوا علوا واستكبارا: فرها فليأتك نصفها ويبقى نصفها، فأمرها بذلك فأقبل اليه نصفها كأعجب اقبال وأشده دوبا، فكادت تلتف برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقالوا كفرا وعتوا: فر هذا النصف فليرجع الى نصفه كما كان، فأمره، صلى الله عليه وآله وسلم، فرجع فقلت أنا: لا اله الا الله، فأني اول مؤمن بك يا رسول الله، واول من أقرب إلى الشجرة فعلت ما فعلت بأمر الله تعالى تصديقا بنبوتك واجلالا لكلمتك، فقال القوم كلهم: بل ساحر كذاب عجيب السحر خفيف فيه، وهل يصدقك في أمرك الا مثل هذا؟ (يعنوني) ٢.

هكذا كان رسول الله (ص) يرفع للامام في صغره كل يوم من أخلاقه علما ويأمره بالاقتداء به، ويزقه العلم زقا في كبره ويخصه بمناجاته.

وقد ورد في صحيح الترمذي وغيره واللفظ للترمذي عن جابر قال:

«دعا رسول الله (ص) عليا (ع) يوم الطائف فانتجاه، فقال الناس: لقد طال نجواه مع ابن عمه فقال رسول الله (ص): ما انتجيته ولكن الله انتجاه» ٣.
وفي رواية:

«لما كان يوم الطائف دعا رسول الله (ص) عليا فنتجاه طويلا فقال بعض اصحابه...» الحديث ٤.

وفي رواية جندب بن ناجية او ناجية بن جندب:

«لما كان يوم غزوة الطائف قام النبي (ص) مع علي (ع) مليا ثم مر، فقال له ابوبكر: يا رسول الله لقد طالت مناجاتك عليا منذ اليوم، فقال: ما انا انتجيته ولكن الله انتجاه» ٥.

(١) القصف: الصوت الشديد. و«ريح قاصف» اي: شديدة. و«رعد قاصف» اي: شديد الصوت.

(٢) الخطبة ١٩٠ من نهج البلاغة، ج ٢ ص ١٨٢ - ١٨٤.

(٣) صحيح الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب علي بن ابي طالب ج ١٣/١٧٣ وتاريخ بغداد

للخطيب ج ٧/٤٠٢.

(٤) أسد الغابة ج ٤/٢٧. (٥) كنز العمال ط ٢ ج ١٢/٢٠٠، ح ١١٢٢، والرياض النضرة ٢/٢٦٥.

وكان الامام علي حريصاً على أن يتلقى من رسول الله (ص) ولما نزلت «يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة»^١.
قال الطبري:

«نهوا عن مناجات النبي (ص) حتى يتصدقوا فلم يناجه أحد الاعلي بن ابي طالب»^٢.

وفي اسباب النزول للواحدي وغيره عن الامام علي:
«كان لي دينار فبعته و كنت اذا ناجيت الرسول (ص) تصدقت بدرهم حتى نفذ»^٣.

وفي رواية:
«كان عندي دينار فصرفته بعشرة دراهم فكنت اذا جئت الى النبي (ص)»^٤.

وروى الزمخشري في تفسير الاية:
«أنه تصدق في عشر كلمات سألهن رسول الله (ص)».
وفي رواية عن الامام:
ان في كتاب الله لاية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي:
آية النجوى: «يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم...» الاية^١، كان عندي دينار... الى قوله: ثم نسخت فلم يعمل بها أحد فنزلت «أأشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات...»^٥.

هكذا كان مع رسول الله (ص) ولم يفارقه حتى آخر لحظة من حياته.
قالت عائشة:

قال رسول الله (ص): لما حضرته الوفاة: «ادعوا لي حبيبي، فدعوا له ابا بكر، فنظر اليه ثم وضع رأسه ثم قال: ادعوا لي حبيبي، فدعوا له عمر فلما نظر اليه، وضع رأسه، ثم قال ادعوا لي حبيبي، فدعوا له عليا (ع) فلما رآه ادخله في الثوب الذي كان

(١) سورة المجادلة: الاية ١٢، تفسير السيوطي ١٨٥/٦.

(٢) تفسير الطبري ج ١٤/٢٨، والدر المنثور ١٨٥/٦.

(٣) اسباب النزول للواحدي ص ٣٠٨، الطبري في تفسير الاية.

(٤) تفسير الاية في الدر المنثور ١٨٥/٦، والرياض النضرة ٢٦٥/٢.

(٥) سورة المجادلة: الاية ١٣. وتفسير السيوطي ١٨٥/٦، والرياض النضرة ٢٦٥/٢.

عليه فلم يزل يحتضنه حتى قبض ويده عليه»^١.

وعن ابن عباس:

«انّ النبي ثقل وعنده عائشة وحفصة اذ دخل علي (ع) فلما راه النبي (ص) رفع رأسه ثم قال: ادن مني، ادن مني فاسنده فلم يزل عنده حتى توفي»^٢.

وعن ام سلمة قالت:

«والذي أحلف به ان كان علي (ع) لا قرب الناس عهدا برسول الله (ص) عدنا رسول الله (ص) غداة وهو يقول: جاء عليّ؟ جاء عليّ؟ مرارا فقالت فاطمة: كأنك بعثته في حاجة، قالت فجاء بعد، قالت أم سلمة فظننت أن له اليه حاجة فخرجنا من البيت فقعدنا عند الباب و كنت من ادناهم الى الباب، فأكب عليه رسول الله (ص) وجعل يساره ويناجيه ثم قبض رسول الله من يومه ذلك، فكان عليّ أقرب الناس عهدا. (قال الحاكم: هذا حديث صحيح الاسناد)»^٣.

* * *

عن ابن عباس، قال: قال رسول الله (ص):

«من سره أن يحيى حياتي ويموت مماتي ويسكن جنة عدن غرسها ربي، فليوال عليا من بعدي، وليوال وليه، وليقتد بالائمة من بعدي فانهم عترتي خلقوا من طينتي، رزقوا فهما وعلما، وويل للمكذّبين بفضلهم من امتي، القاطعين فيهم صلتي لا أنالهم الله شفاعتي»^٤.

(١) الرياض النضرة ١٨٠/٢، وذخائر العقبى ص ٧٢.

(٢) مجمع الزوائد ج ٩/٣٦.

(٣) مسند احمد ج ٦/٣٠٠، وخصائص النسائي ص ٤٠ ومستدرک الصحيحين ج ٣/١٣٨ - ١٣٩.

(٤) حلية ابي نعيم ٨٦/١.

ما ورد في حق سبطي رسول الله صلّى الله عليه وآله

ذكرنا في ما سبق شيئاً ممّا ورد في حقّ الامام الاول علي بن ابي طالب وفي ماياتي نذكر ماورد في حق سبطي رسول الله منها قوله هذان مني وقد عرفنا معنى متي في البحث السابق.

الحسن والحسين من رسول الله وسبطاه

في مسند احمد عن المقدم بن معدي كرب:

ان رسول الله وضع الحسن في حجره وقال: «هذا متي...»^١.

وعن البراء بن عازب قال:

قال النبي (ص) للحسن او الحسين «هذا متي»^٢.

وروى البخاري والترمذي وابن ماجه واحمد والحاكم عن يعلى بن مرة ان

رسول الله (ص) قال:

«حسين متي وانا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً، حسين سبط من

الاسباط»^٣.

(١) كنز العمال ج ١٦/٢٧٠.

(٢) مسند احمد ج ٤/١٣٢ و كنز العمال ج ١٣/٩٩ و ١٠٠ و ج ١٦/٢٦٢ و منتخب الكنز ج ٥/١٠٦

والجامع الصغير بشرح فيض القدير ج ٣/١٤٥.

(٣) البخاري في الادب المفرد باب معانقة الصبي ح - ٣٦٤، والترمذي ج ١٣/١٩٥ في باب مناقب

الحسن والحسين وابن ماجه المقدمة باب ١١، ح - ١٤٤، ومسند احمد ج ٤/١٧٢، ومستدرک الحاكم

ج ٣/١٧٧، ووصف هو والذهبي الحديث بأنه صحيح، وأسد الغابة ج ٢/١٩ و ج ٥/١٣٠.

وفي رواية:

«الحسن والحسين سبطان من الاسباط»^١.

وعن ابي رمثة قال رسول الله (ص):

«حسين مني وأنا منه هو سبط من الاسباط»^٢.

وفي رواية:

«الحسن والحسين سبطان من الاسباط»^٣.

وعن البراء بن عازب قال: قال رسول الله (ص):

«حسين مني وأنا منه أحب الله من أحبه، الحسن والحسين سبطان من

الاسباط»^٤.

ان قول رسول الله (ص): «مني» في هذه الروايات بحق الحسين نظير قوله

بحق أبيها الامام علي، أراد في جميعها، انهم منه في مقام تبليغ احكام الاسلام.

وكذلك نرى ان قوله في حقها انها سبطان من الاسباط، لا يعني أنها حفيدان

كما ان جميع البشر ما عداهما حفدة، فهذا هذر من القول حاشا رسول الله (ص) منه، بل

ان الالف واللام في الاسباط للعهد الذهني من القرآن الكريم، اي انها من الاسباط

المذكورين في كتاب الله في قوله تعالى:

«قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق

ويعقوب والاسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين

احد منهم ونحن له مسلمون»^٥.

وقوله تعالى:

«ام تقولون ان ابراهيم واسماعيل ويعقوب والاسباط كانوا هودا او

نصارى...»^٦.

وقوله تعالى:

(١) كنز العمال ج ١٦/٢٧٠.

(٢) كنز العمال ج ١٣/١٠٦.

(٣) كنز العمال ج ١٣/١٠١ و ١٠٥.

(٤) كنز العمال ج ١٦/٢٧٠.

(٥) سورة البقرة: الآية ١٣٦.

(٦) سورة البقرة: الآية ١٤.

«قل آمنّا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط...»^۱.

وقوله تعالى:

«انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبين من بعده واوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان...»^۲.

وعليه فإنّ الالف واللام في «الاسباط» في حديث رسول الله (ص) بحقّ الحسين للعهد الذهني عند المسلمين من هذه الايات، وأنّ قول رسول الله (ص) في حقّها نظير قوله في حقّ ابيهما: أنه منه بمنزلة هارون من موسى وقد شرح الله سبحانه تلك المنزلة فيما حكى عن موسى أنه قال:

«واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي أشدد به أزري واشركه في أمري كي نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً أنك كنت بنا بصيراً قال: قد أوتيت سؤالك يا موسى...»^۳.

وقوله تعالى:

«وأخي هارون هو أفصح مني لساناً فأرسله معي ردءاً يصدقني إني أخاف أن يكذبون، قال سنشدّ عضدك بأخيك...»^۴.

وقوله تعالى:

«وقال موسى لآخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين...»^۵.

وفيا أخبر سبحانه عنها وقال:

«ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيراً...»^۶.

وقال:

(۱) سورة آل عمران ۸۴.

(۲) سورة النساء ۱۶۳.

(۳) سورة طه: الايات ۲۹ - ۳۶.

(۴) سورة القصص: الاية ۳۳.

(۵) سورة الاعراف: الاية ۱۴۲.

(۶) سورة الفرقان: الاية ۳۵.

«ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا وسلطان مبين...»^١.
 في هذه الايات جعل الله هارون رداءً لموسى ووزيراً وشريكاً في النبوة
 استخلفه موسى في قومه، فلما نصّ خاتم الانبياء أنّ علياً منه بمنزلة هارون من موسى
 واستثنى من كل ذلك النبوة وأنه لاني بعده، بقي منها للامام علي رداء ووزارة
 ومشاركة في التبليغ على عهد الرسول (ص)، ومن بعده الخلافة في قومه وحمل أعباء
 التبليغ، وكذلك الامر مع ولديه الحسين ونسبني النبوة مما كان للاسباط لانه لاني
 بعد خاتم الانبياء، ويبقى لهما حمل مسؤولية تبليغ الاحكام الاسلامية عن الله.

بشارات النبي صلى الله عليه وآله بظهور المهدي عليه السلام في آخر الزمان

المهدي عليه السلام يواطىء اسمه اسم النبي صلى الله عليه وآله
صحيح الترمذي في باب ما جاء في المهدي عليه السلام وابدواود في كتاب
المهدي وغيرهما قال رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم:
« لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من اهل بيتي يواطىء اسمه
اسمي »^١.

في مستدرک الصحيحين ومسنده احمد وغيرهما عن ابي سعيد الخدري قال: قال
رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم:
« لا تقوم الساعة حتى تملأ الارض ظلما وجورا وعدوانا ثم يخرج من اهل بيتي
من يملأها قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وعدوانا »^٢.

ان المهدي عليه السلام من اهل بيت النبي صلى الله عليه وآله
في صحيح ابن ماجه في ابواب الجهاد عن ابي هريرة قال: قال رسول الله صلى

(١) صحيح الترمذي ج ٩ ص ٧٤، ورواه ابدواود في صحبته في كتاب المهدي ج ٢ ص ٧، وطبعة دار
إحياء السنة النبوية (د-ت) ج ٤/١٠٦ - ١٠٧، ح ٤٢٨٢، وابونعيم في حليته ٧٥/٥، واحمد بن حنبل في
مسنده ج ١ ص ٣٧٦، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ج ٤ ص ٣٨٨ وكنز العمال (ط. الاولى) ج ٧/١٨٨
بزيادة « وخلقته خلقي ». والسيوطي في تفسير سورة محمد صلى الله عليه وآله في تفسير الآية « فهل ينظرون الا
الساعة... » الدر المنثور ج ٦/٥٨.

(٢) مستدرک الصحيحين ج ٤/٥٥٧، ورواه ابونعيم في حليته ج ٣ ص ١٠١ باختلاف يسير في اللفظ
واحمد بن حنبل في مسنده ج ٣ ص ٣٦ وغيرهم. والسيوطي في تفسير الآية « فهل ينظرون الا الساعة... » من
سورة محمد صلى الله عليه وآله ج ٦/٥٨.

الله عليه (وآله) وسلم: «لولا ما بقي من الدنيا إلا يوم لطوله الله عز وجل حتى يملك رجل من اهل بيتي، يملك جبل الديلم والقسطنطينية».

وفي صحيح ابن ماجه - ايضا - في ابواب الفتن في باب خروج المهدي ومسنند احمد وغيرهما، عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم: «المهدي منا اهل البيت يصلحه الله في ليلة» ورواه آخرون ايضا^١.

وفي مستدرك الصحيحين قال: عن ابي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم انه قال: «المهدي منا اهل البيت، اشم الانف اقنى اجلى يملا الارض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما يعيش هكذا - وبسط يساره واصبعين يمينه المسبحة والابهام وعقد ثلاثة» - قال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه ورواه ابوداود ايضا^٢.

المهدي من ولد فاطمة

وفي صحيح ابي داود عن ام سلمة قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم يقول: «المهدي من عترتي من ولد فاطمة»^٣.

وفي كنز العمال قال: عن علي عليه السلام قال: «المهدي رجل منا من ولد فاطمة»^٤.

(١) رواه ابونعيم في حليته ج ٣ ص ١٧٧ وزاد فقال: في يومين، ورواه احمد بن حنبل ايضا ج ١ ص ٨٤، وذكر السيوطي في الدر المنثور ج ٦/٥٨ في تفسير سورة محمد (ص) الآية «فهل ينظرون الا الساعة» وقال اخرجه ابن ابي شيبة واحمد وابن ماجه عن علي عليه السلام. كتاب الفتن، باب خروج المهدي ج ٤٠٨٥. (٢) مستدرك الصحيحين ج ٤ ص ٥٥٧، وراه ابوداود في صحيحه ج ٦ ص ١٣٦، كتاب المهدي من سنن ابي داود ج ٤٢٨٥ ج ٤/١٠٧.

(٣) كتاب المهدي، ح ٤٢٨٤ ج ٧/٤ باب خروج المهدي من كتاب الفتن ج ٢/١٣٦٨، صحيح ابي داود ج ٧ ص ١٣٤، ورواه ابن ماجه في صحيحه في ابواب الفتن في باب خروج المهدي وقال: المهدي من ولد فاطمة، ورواه الحاكم ايضا في مستدرك الصحيحين ج ٤ ص ٥٥٧ وقال: هو حق - يعني المهدي عليه السلام - وهو من بني فاطمة وذكره الذهبي في ميزان الاعتدال ج ٢ ص ٢٤ وقال: المهدي من ولد فاطمة، وذكره السيوطي في الدر المنثور في تفسير سورة محمد (ص) من تفسير الآية فهل ينظرون الا الساعة، ج ٦/٥٨ وقال: اخرجه ابوداود وابن ماجه والطبراني والحاكم عن ام سلمة.

(٤) كنز العمال ط. الاولى ج ٧ ص ٢٦١.

المهدي من ولد الحسين

وفي ذخائر العقبي عن ابي ايوب الانصاري قال: قال رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم: «يولد منها - يعني الحسن والحسين عليهما السلام - مهدي هذه الامة»^١.

وفي ذخائر العقبي - ايضا - قال: عن حذيفة ان النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم قال: «لو لم يبق من الدنيا الا يوم واحد لطول ذلك اليوم حتى يبعث الله رجلا من ولدي اسمه كاسمي، فقال سلمان من ابي ولدك يا رسول الله؟ قال من ولدي هذا وضرب بيده على الحسين عليه السلام».

* * *

أكد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في رواياته على امامة الامام الاول علي بن ابي طالب (ع) اكثر من سائر الائمة وعلى البشارة باخترهم المهدي وعلى أن عددهم اثناعشر لانه اذا ثبت الاول والآخر والعدد لا يبقى مجال للتشكيك من هم الائمة الذين عددهم اثناعشر واولهم الامام علي واخترهم المهدي سلام الله عليهم أجمعين.

نصوص على امامة ائمة اهل البيت

النصوص الواردة عن رسول الله (ص) على امامة اهل البيت على الامة من بعده كثيرة، منها ما ورد في حق جميع ائمة اهل البيت، واخرى تخص بعضهم، وما ورد في عامتهم حديث الثقلين.

حديث الثقلين (أ) في حجة الوداع

روى الترمذى عن جابر قال:

رأيت رسول الله في حجته يوم عرفة وهو على ناقته القصواء يخطب فسمعتة يقول:

«يا ايها الناس اني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي اهل بيتي».

قال الترمذى وفي الباب عن ابي سعيد وزيد بن ارقم وحذيفة بن اسيد.

(ب) في غدیر خم

في صحيح مسلم ومسنند احمد وسنن الدارمي والبيهقي وغيرها واللفظ للاول عن زيد بن ارقم قال:

«إن رسول الله قام خطيبا بماء يدعى خما بين مكة والمدينة... ثم قال:

(١) الترمذى ١٩٩/١٣ باب مناقب اهل بيت النبي وراجع كنز العمال ٤٨/١.

«الا يا ايها الناس فانما انا بشريوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، واني تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به... وأهل بيتي...»^١.

وفي صحيح الترمذى ومسنند احمد واللفظ للاول:

«أني تارك فيكم ما ان تمسكنم به لن تضلوا بعدى، احدهما اعظم من الاخر: كتاب الله جبل ممدود من السماء الى الارض، وعترتي أهل بيتي ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيها»^٢.

وفي مستدرك الصحيحين:

«كأني قد دعيت فأجبت، اني تركت فيكم الثقلين احدهما اكبر من الاخر كتاب الله وعترتي فانظروا كيف تخلفوني فيها، فانها لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض...»^٣.

وفي رواية: ايها الناس اني تارك فيكم أمرين لن تضلوا إن اتبعتموهما، وهما كتاب الله وأهل بيتي عترتي... .

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين^٤.

وقد ورد هذا الحديث بألفاظ أخرى في مسند احمد وحلية الاولياء وغيرهما^٥ عن زيد بن ثابت.

* * *

في الحديث السابق اخبر الرسول في آخر سنة من حياته: أنه بشر، أو شك أن

(١) صحيح مسلم باب فضائل علي بن ابي طالب ومسنند احمد ٣٦٦/٤، وسنن الدارمي ٤٣١/٢ باختصار، وسنن البيهقي ١٤٨/٢ و ٣٠/٧ منه باختلاف يسير في اللفظ. وراجع الطحاوى في مشكل الآثار ٣٦٨/٤.

(٢) الترمذى ٢٠١/١٣، واسد الغابة ١٢/٢ في ترجمة الامام الحسن، والدر المنثور في تفسير آية المودة من سورة الشورى.

(٣) مستدرك الصحيحين وتلخيصه ١٠٩/٣، وخصائص النسائي ص ٣٠، وفي مسند احمد ١٧/٣: «أني اوشك ان ادعى فأجيب وفي ص ١٤ و ٢٦ و ٥٩ منه أكثر تفصيلاً، وطبقات ابن سعد ٢/٢ ق ٢ و كز العمال ٤٧/١ و ٤٨ وفي ٩٧ موجزاً.

(٤) مستدرك الصحيحين ١٠٩/٣ بطريقتين وقريب منه ما في ١٤٨/٣.

(٥) مسند احمد ٣٦٧/٤ و ٣٧١ وفي ١٨١/٥، وتاريخ بغداد للخطيب ٤٤٢/٨، وحلية الاولياء ٣٥٥/١ و ٦٤/٩، واسد الغابة ١٤٧/٣، ومجمع الزوائد للهيثي ١٦٣/٩ و ١٦٤.

يأتيه رسول ربه، ويدعى فيجيب ويلتحق بربه، وقال: «أني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الأرض وعترتي أهل بيتي ولن يتفرقا حتى يرد اعلي الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيها.»

قاله مرة في عرفة واخرى في غدیر خم، وهذا النص من رسول الله في تعيين مرجع الأمة من بعده عم جميع الائمة من عترته، وفي الروايات التالية:

نص الرسول (ص) على عدددهم:

حديث عدد الائمة:

أخبر الرسول أن عدد الائمة الذين يلون من بعده اثنا عشر كما روى عنه ذلك اصحاب الصحاح والمسانيد الاتية:

(أ) روى مسلم عن جابر بن سمرة أنه سمع النبي يقول: «لا يزال الدين قائما حتى تقوم الساعة أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم من قریش.»

وفي رواية: «لا يزال أمر الناس ماضيا...».

وفي حديثين منها: «الى اثني عشر خليفة...».

وفي سنن أبي داود «حتى يكون عليكم اثنا عشر خليفة».

وفي حديث: «الى اثني عشر»^١.

وفي البخاري، قال: «سمعت النبي (ص) يقول: يكون اثنا عشر اميرا فقال

كلمة لم اسمعها. فقال أبي، قال: كلهم من قریش.»

وفي رواية: «ثم تكلم النبي (ص) بكلمة خفيت علي فسألت أبي ماذا قال

(١) صحيح مسلم ج ٣/٦ - ٤ بباب (الناس تبع لقریش من كتاب الامارة) واخترنا هذا اللفظ من الرواية لأن جابر كان قد كتبها، وفي صحيح البخاري ج ٤/١٦٥، كتاب الاحكام، وصحيح الترمذي باب ما جاء في الخلفاء من ابواب الفتن، وسنن أبي داود ج ٣/١٠٦، كتاب المهدي، ومسند الطيالسي الحديث ٧٦٧ و١٢٧٨، ومسند احمد ج ٥/٨٦ - ٩٠ و٩٢ - ١٠١ و١٠٦ - ١٠٨، وكنز العمال ٢٦/١٣ - ٢٧، وحلية أبي نعیم ٣٣٣/٤ وجابر بن سمرة بن جنادة العامري ثم السوائي، ابن اخت سعد بن أبي وقاص، وحليفهم مات بالكوفة بعد السبعين، وروى عنه اصحاب الصحاح ١٤٦ حديثا، ترجمته بأسد الغابة وتقريب التهذيب وجوامع السيرة، ص ٢٧٧.

رسول الله (ص)؟ فقال: كلهم من قريش.^١

وفي رواية: «لا تضرهم عداوة من عاداهم»^٢.

(ب) وفي رواية: «لا تزال هذه الأمة مستقيما أمرها، ظاهرة على عدوها، حتى يمضي منهم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش، ثم يكون المرج أو الهرج»^٣.

(ج) وفي رواية: «يكون لهذه الأمة اثنا عشر قيما لا يضرهم من خذلهم كلهم من قريش»^٤.

(د) «لا يزال أمر الناس ماضيا ما وليهم اثنا عشر رجلا»^٥.

(هـ) وعن أنس: «لن يزال هذا الدين قائما الى اثني عشر من قريش فاذا هلكوا ماجت الارض باهلها»^٦.

(و) وفي رواية: «لا يزال أمر هذه الأمة ظاهرا حتى يقوم اثنا عشر كلهم من قريش»^٧.

(ز) وروى احمد والحاكم وغيرهم واللفظ للاول عن مسروق قال: «كنا جلوسا ليلة عند عبد الله (ابن مسعود) يقرئنا القرآن، فسأله رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن هل سألتم رسول الله (ص) كم يملك هذه الأمة من خليفة؟ فقال عبد الله: ما سألتني عن هذا أحد منذ قدمت العراق قبلك، قال: سألتناه فقال: اثنا عشر عدّة نقيب بني اسرائيل»^٨.

(١) فتح الباري ٣٣٨/١٦، ومستدرک الصحيحين ٦١٧/٣.

(٢) فتح الباري ٣٣٨/١٦.

(٣) منتخب الكنز ٣١٢/٥، تاريخ ابن كثير ٢٤٩/٦، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٠، كنز العمال ٢٦/١٣، الصواعق المحرقة ص ٢٨.

(٤) كنز العمال ٢٧/١٣، ومنتخبه ٣١٢/٥.

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي ٢٠٢/١٢، الصواعق المحرقة ص ١٨، وتاريخ الإسلام للسيوطي ص ١٠.

(٦) كنز العمال ٢٧/١٣. (٧) كنز العمال ٢٧/١٣ عن ابن النجار.

(٨) مسند احمد ٣٩٨/١ و٤٠٦ قال احمد شاكر في هامش الاول اسناده صحيح ومستدرک الحاكم وتلخيصه للذهبي ٥٠١/٤ وفتح الباري ٣٣٩/١٦ مختصرا، ومجمع الزوائد ١٩٠/٥، والصواعق المحرقة لابن حجر ص ١٢، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٠، والجامع الصغير له ٧٥/١، وكنز العمال للمتقي ج ٢٧/١٣، وقال اخرج الطبراني ونعيم بن حتماد في الفتن، وفيض القدير في شرح الجامع الصغير للمناوي ٤٥٨/٢، واورد الخبرين ابن كثير في تاريخه عن ابن مسعود باب ذكر الائمة الاثني عشر الذين كلهم من قريش ٢٤٨/٦ - ٢٥٠.

(ح) وفي رواية قال ابن مسعود قال رسول الله:

«يكون بعدى من الخلفاء عدة اصحاب موسى»^١.

قال ابن كثير: «وقد روى مثل هذا عن عبد الله بن عمرو وحذيفة وابن عباس»^٢. ولست أدري هل قصد من رواية ابن عباس ما رواه الحاكم الحسكاني عن ابن عباس أو غيره.

نصت الروليات الآنفه أن عدد الولاة اثنا عشر وأنهم من قريش، وقد بين الامام علي في كلامه المقصود من قريش وقال:

«ان الائمة من قريش في هذا البطن من هاشم لا تصلح على سواهم ولا يصلح الولاة من غيرهم»^٣. وقال:

«اللهم بلى لا تخلو الارض من قائم لله بحجة اما ظاهرا مشهورا أو خائفا مغمورا لئلا تبطل حجج الله وبيئاته...»^٤.

وقال ابن كثير:

«وفي التوراة التي بأيدي أهل الكتاب ما معناه: أن الله تعالى بشر ابراهيم باسما عيل وأنه ينميه ويكثره ويجعل من ذريته اثني عشر عظيما».

وقال: «قال ابن تيمية: وهؤلاء المبشر بهم في حديث جابر بن سمرة وقرّر أنهم يكونون مفرقين في الأمة ولا تقوم الساعة حتى يوجدوا».

وغلط كثير ممن تشرف بالاسلام من اليهود فظنوا أنهم الذين تدعو اليهم فرقة الرافضة فأتبعوهم^٥.

قال المؤلف:

والبشارة المذكورة، أعلاه في سفر التكوين الاصحاح (١٧) / الرقم:

(١٨ - ٢٠).

(١) ابن كثير ٦/٢٤٨، وكنز العمال ١٣/٢٧، وراجع شواهد التنزيل للحسكاني ج ١/٤٥٥، ح ٦٢٦.

(٢) ابن كثير ٦/٢٤٨.

(٣) نهج البلاغة الخطبة ١٤٢.

(٤) ينابيع المودة للشيخ سليمان الحنفي في الباب المائة ص ٥٢٣، وراجع احياء العلوم للقرابي

ج ١/٥٤، وفي حلية الاولياء ١/٨٠ بايجاز.

(٥) تاريخ ابن كثير ٦/٢٤٩ - ٢٥٠.

خلاصة الاحاديث الآنفه

نستخلص مما سبق ونستنتج: أن عدد الائمة في هذه الامة اثنا عشر على التوالي، وأن بعد الثاني عشر منهم ينتهي عمر هذه الدنيا. فقد ورد في الحديث الاوّل:

«لا يزال هذا الدين قائماً حتى تقوم الساعة او يكون عليكم اثنا عشر خليفة...».

فان هذا الحديث يعين مدة قيام الدين ويحددها بقيام الساعة ويعين عدد الائمة في هذه الامة باثني عشر شخصاً. وفي الحديث الخامس:

«لن يزال هذا الدين قائماً الى اثني عشر من قريش فاذا هلكوا ماجت الارض بأهلها».

ويدل هذا الحديث على تأبيد وجود الدين بامتداد الاثني عشر وأن بعدهم تموج الارض».

وفي الحديث الثامن: حصر عددهم باثني عشر بقوله:

«يكون بعدى من الخلفاء عدّة اصحاب موسى».

ويدل هذا الحديث على أنه لا خليفة بعد الرسول عدا الاثني عشر.

وأنّ الفاظ هذه الروايات المصرحة بحصر عدد الخلفاء بالاثني عشر وأن بعدهم

يكون المهرج وتموج الارض وقيام الساعة تبين الفاظ الاحاديث الاخرى التي قد لا يفهم من الفاظها هذا التصريح.

وبناءً على هذا لا بد ان يكون عمر احدهم طويلاً خارقاً للعادة في اعمار البشر

كما وقع فعلاً في مدة عمر الثاني عشر من الائمة أوصياء النبي (ص).

حيرتهم في تفسير الحديث

لقد حار علماء مدرسة الخلفاء في بيان المقصود من الاثني عشر في الروايات

المذكورة وتضاربت اقوالهم.

فقد قال ابن العربي في شرح سنن الترمذي:

«فعددنا بعد رسول الله (ص) اثني عشر اميرا فوجدنا ابا بكر. عمر. عثمان. علي. الحسن. معاوية. يزيد. معاوية بن يزيد. مروان. عبد الملك بن مروان. الوليد. سليمان. عمر بن عبد العزيز. يزيد بن عبد الملك. مروان بن محمد بن مروان. السفاح...».

ثم عدّ بعده سبعا وعشرين خليفة من العباسيين الى عصره، ثم قال: «واذا عددنا منهم اثني عشر انتهى العدد بالصورة الى سليمان واذا عددناهم بالمعنى كان معنا منهم خمسة، الخلفاء الأربعة وعمر بن عبد العزيز ولم أعلم للحديث معنى.»^١.

وقال القاضي عياض في جواب القول: أنه ولي اكثر من هذا العدد: «هذا اعتراض باطل، لأنه (ص) لم يقل: لايلي الا اثنا عشر، وقد ولي هذا العدد، ولا يمنع ذلك من الزيادة عليهم»^٢.

ونقل السيوطي في الجواب: «أن المراد: وجود اثني عشر خليفة في جميع مدة الاسلام الى القيامة يعملون بالحق وان لم يتوالوا.»^٣.

وفي فتح الباري: «وقد مضى منهم الخلفاء الاربعة ولا بد من تمام العدة قبل قيام الساعة»^٤. وقال ابن الجوزي: «وعلى هذا فالمراد من (ثم يكون الهرج): الفتن المؤذنة بقيام الساعة من خروج الدجال وما بعده»^٥.

قال السيوطي: «وقد وجد من الاثني عشر الخلفاء الاربعة والحسن ومعاوية وابن الزبير وعمر بن عبد العزيز، هؤلاء ثمانية، ويحتمل ان يضم اليهم المهدي العباسي لانه في العباسيين كعمر بن عبد العزيز في الامويين، والطاهر العباسي ايضا لما أوتيه من العدل ويبقى

(١) شرح ابن العربي على صحيح الترمذي ٦٨/٩ - ٦٩.

(٢) شرح النووي على مسلم ٢٠١/١٢ - ٢٠٢ وفتح الباري ٣٣٩/١٦ واللفظ منه وكرره في

ص ٣٤١.

(٣) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٢.

(٤ و ٥) فتح الباري ٣٤١/١٦، وتاريخ السيوطي ص ١٢.

الاثنان المنتظران احدهما المهدي لانه من أهل البيت»^١.

وقيل:

«المراد: ان يكون الاثنا عشر في مدة عزة الخلافة وقوة الاسلام واستقامة

اموره، ممن يعز الاسلام في زمنه، ويجتمع المسلمون عليه»^٢.

وقال البيهقي:

«وقد وجد هذا العدد بالصفة المذكورة الى وقت الوليد بن يزيد بن عبد الملك

ثم وقع الهرج والفتنة العظيمة ثم ظهر ملك العباسية، وانما يزيدون على العدد المذكور

في الخبر، اذا تركت الصفة المذكورة فيه، أو عدّ منهم من كان بعد الهرج المذكور»^٣.

وقالوا:

والذين اجتمعوا عليه: الخلفاء الثلاثة ثم علي الى ان وقع امر الحكيمين في

صفين فتسمى معاوية يومئذ بالخلافة، ثم اجتمعوا على معاوية عند صلح الحسن، ثم

اجتمعوا على ولده يزيد ولم ينتظم للحسين أمر بل قتل قبل ذلك، ثم لما مات يزيد

اختلفوا الى أن اجتمعوا على عبد الملك بن مروان بعد قتل ابن الزبير، ثم اجتمعوا على

اولاده الاربعة: الوليد ثم سليمان ثم يزيد، ثم هشام، وتخلل بين سليمان ويزيد عمر

بن عبد العزيز، والثاني عشر هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك اجتمع الناس عليه بعد

هشام تولى اربع سنين^٤.

بناء على هذا فان خلافة هؤلاء الاثني عشر كانت صحيحة لاجماع المسلمين

عليهم وكان الرسول قد بشر المسلمين بخلافتهم له في حمل الاسلام الى الناس.

قال ابن حجر عن هذا الوجه: «انه أرجح الوجوه».

وقال ابن كثير:

«ان الذي سلكه البيهقي ووافقه عليه جماعة من أن المراد هم الخلفاء المتتابعون

الى زمن الوليد بن يزيد بن عبد الملك الفاسق الذي قدمنا الحديث فيه بالذم والوعيد فانه

(١) الصواعق المحرقة ص ١٩، وتاريخ السيوطي ص ١٢. وعلى هذا يكون لاتباع مدرسة الخلفاء،

امامان منتظران احدهما المهدي في مقابل منتظر واحد لاتباع مدرسة أهل البيت.

(٢) اشار اليه النووي في شرح مسلم ٢٠٢/١٢ - ٢٠٣، وذكره ابن حجر في فتح الباري ٣٣٨/١٦ -

٣٤١ والسيوطي في تاريخه ص ١٢.

(٣) نقله ابن كثير في تاريخه ٢٤٩/٦ عن البيهقي.

(٤) تاريخ الخلفاء ص ١١، والصواعق ص ١٩، وفتح الباري ٣٤١/١٦.

مسلك فيه نظر، وبيان ذلك أنّ الخلفاء الى زمن الوليد بن يزيد هذا اكثر من اثني عشر على كلّ تقدير، وبرهانه انّ الخلفاء الاربعة، ابوبكر وعمر وعثمان وعلي خلافتهم محققة... ثمّ بعدهم الحسن بن علي كما وقع لانّ عليا أوصى اليه، وبايعه أهل العراق... حتّى اصطلح هو ومعاوية... ثمّ ابنه يزيد بن معاوية ثمّ ابنه معاوية بن يزيد، ثمّ مروان بن الحكم ثمّ ابنه عبد الملك بن مروان ثمّ ابنه الوليد بن عبد الملك، ثمّ سليمان بن عبد الملك، ثمّ عمر بن عبد العزيز، ثمّ يزيد بن عبد الملك، ثمّ هشام بن عبد الملك، فهؤلاء خمسة عشر، ثمّ الوليد بن يزيد بن عبد الملك، فان اعتبرنا ولاية ابن الزبير قبل عبد الملك صاروا ستة عشر، وعلى كلّ تقدير فهم اثنا عشر قبل عمر بن عبد العزيز، وعلى هذا التقدير يدخل في الاثني عشر يزيد بن معاوية ويخرج عمر بن عبد العزيز، الذي اطبق الائمة على شكره وعلى مدحه وعدوه من الخلفاء الراشدين، واجمع الناس قاطبة على عدله، وانّ ايامه كانت من أعدل الايام حتّى الرافضة يعترفون بذلك، فان قال: أنا لا اعتبر الآ من اجتمعت الامة عليه لزمه على هذا القول ان لا يعدّ علي بن ابي طالب ولا ابنه، لانّ الناس لم يجتمعوا عليها وذلك انّ أهل الشام بكما لم يبايعوهما.

وذكر:

أنّ بعضهم عدّ معاوية وابنه يزيد وابن ابنه معاوية بن يزيد، ولم يقيد بأيام مروان ولا ابن الزبير، لأنّ الامة لم تجتمع على واحد منها، فعلى هذا نقول في مسلكه هذا عاد للخلفاء الثلاثة، ثمّ معاوية، ثمّ يزيد، ثمّ عبد الملك، ثمّ الوليد بن سليمان، ثمّ عمر بن عبد العزيز، ثمّ يزيد، ثمّ هشام، فهؤلاء عشرة، ثمّ من بعدهم الوليد بن يزيد بن عبد الملك الفاسق، ويلزمه منه اخراج علي وابنه الحسن وهو خلاف ما نصّ عليه أئمة السنة بل الشيعة^١.

ونقل ابن الجوزي في «كشف المشكل» وجهين في الجواب:

اولا:

«أنه (ص) اشار في حديثه الى ما يكون بعده وبعد اصحابه، وان حكم اصحابه مرتبط بحكمه، فأخبر عن الولايات الواقعة بعدهم فكأنه اشار بذلك الى عدد الخلفاء من بني امية، وكأنّ قوله: «لا يزال الدين» اي الولاية الى أن يلي اثنا عشر

(١) تاريخ ابن كثير ٦/٢٤٩ - ٢٥٠.

خليفة، ثم ينتقل الى صفة أخرى أشد من الاولى، واوّل بني أمية يزيد بن معاوية و آخرهم مروان الحمار، وعدتهم ثلاثة عشر، ولا يعد عثمان ومعاوية ولا ابن الزبير لكونهم صحابة، فاذا أسقطنا منهم مروان بن الحكم للاختلاف في صحبته، أو لانه كان متغلبا بعد ان اجتمع الناس على عبد الله بن الزبير صحت العدة، وعند خروج الخلافة من بني أمية وقعت الفتن العظيمة والملاحم الكثيرة حتى استقرت دولة بني العباس، فتغيرت الاحوال عما كانت عليه تغييراً بيّناً^١.

وقد ردّ ابن حجر في «فتح الباري» على هذا الاستدلال.

ونقل ابن الجوزي الوجه الثاني عن الجزء الذي جمعه ابو الحسين بن المنادي في المهدي، وأنه قال:

«يحتمل أن يكون هذا بعد المهدي الذي يخرج في آخر الزمان، فقد وجدت في كتاب دانيال: اذا مات المهدي ملك بعده خمسة رجال من ولد السبط الاكبر، ثم خمسة من ولد السبط الاصغر، ثم يوصي آخرهم بالخلافة لرجل من ولد السبط الاكبر، ثم يملك بعده ولده فيتم بذلك اثنا عشر ملكاً كل واحد منهم امام مهدي، قال: وفي رواية... ثم يلي الامر بعده اثنا عشر رجلاً: ستة من ولد الحسن وخمسة من ولد الحسين، وآخر من غيرهم، ثم يموت فيفسد الزمان.»

علق ابن حجر على الحديث الاخير في صواعقه وقال:

«انّ هذه الرواية واهية جداً فلا يعول عليها.»^٢

وقال قوم:

«يغلب على الظن انه عليه الصلاة والسلام اخبر - في هذا الحديث - باعاجيب تكون بعده من الفتن حتى يفترق الناس في وقت واحد على اثني عشر أميراً، ولو اراد غير هذا لقال: يكون اثنا عشر أميراً يفعلون كذا فلما أعراهم عن الخبر عرفنا أنه أراد انهم يكونون في زمن واحد...»^٣.

قالوا:

«وقد وقع في المائة الخامسة، فانه كان في الاندلس وحدها ستة أنفس كلهم

(١) فتح الباري ١٦/٣٤٠.

(٢) فتح الباري ١٦/٣٤١، والصواعق المحرقة لابن حجر ص ١٩.

(٣) فتح الباري ١٦/٣٣٨.

يتسمى بالخلافة ومعهم صاحب مصر والعباسية ببغداد الى من كان يدعى الخلافة في
اقطار الارض من العلوية والخورج»^١.

قال ابن حجر:

«وهو كلام من لم يقف على شيء من طرق الحديث غير الرواية التي وقعت في
البخاري هكذا مختصرة...»^٢.

وقال:

«ان وجودهم في عصر واحد يوجد عين الافتراق فلا يصح ان يكون المراد»^٣.

* * *

في الاحاديث السابقة ونظائرها نص رسول الله على مرجع الامة من بعده
وانهم عترته اهل بيته وان عددهم اثنا عشر.

هكذا لم يتفقوا على رأي في تفسير الحديث ولست ادري لم لم يقل واحد منهم
ان مدرسة اهل البيت (ع) ترى مصداق هذا الحديث و اكمال العدد في الائمة الاثنى
عشر من ال بيت رسول الله (ص) ، و لا يتحقق هذا العدد في غيرهم كما رأينا ذلك
انفا.

الفصل الرابع

(١) شرح النووي ٢٠٢/١٢، وفتح الباري ٣٣٩/١٦، واللفظ للاخير.

(٢) فتح الباري ٣٣٨/١٦.

(٣) فتح الباري ٣٣٩/١٦.

معالم المدرستين - القسم الاول

البحث الثاني

الفصل الرابع

خلاصة بحث الامامة لدى المدرستين

الواقع التاريخي لاقامة الخلافة في صدر الاسلام

ينبغي أن ندرس الواقع التاريخي لاقامة الخلافة قبل البدء بعرض آراء المدرستين في الخلافة والامامة.

بداية الامر:

عقد رسول الله في مرض وفاته لواء بيده لمولاه أسامة بن زيد وأمره على جيش فيه المهاجرون والانصار، مثل أبي بكر وعمر وأبي عبيدة وسعد بن أبي وقاص، فعسكر بالجرف وغضب عليهم لما تكلموا في تأميره أسامة عليهم وقال: انه لخليق بالامارة، فذهبوا الى معسكرهم وثقل رسول الله فجاء أسامة وودعه، وقال الرسول انفذوا بعث أسامة، وفي ما هموا بالرحيل يوم الاثنين جاءهم الخبر أن الرسول قد حضر، فأقبلوا الى المدينة، وحضروا في بيت الرسول فقال هلموا أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا. فقال عمر إن النبي غلبه الوجع وعندكم كتاب الله، فحسبنا كتاب الله، فلما أكثروا اللغظ والاختلاف قال: قوموا عني، لا ينبغي عند نبي التنازع.

قال ابن عباس: فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي التنازع، فقالوا هجر رسول الله، وبكى ابن عباس حتى خضب دمه الحصباء.

موقف الخليفة عمر:

توفي الرسول وأبو بكر غائب بالسنع فأخذ عمر يقول: ما هات رسول الله

(١) خيرة: حضره الموت.

ولكنه ذهب الى ربه كما ذهب موسى وغاب عن قومه أربعين ليلة، والله ليرجعن رسول الله فليقطعن أيدي رجال يزعمون انه مات. وقال: من قال انه مات علوت رأسه بسيفي، فتلوا عليه الآية «وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات او قتل انقلبتم على أعقابكم».

وقال له العباس: ان رسول الله قد مات، هل عند أحدكم عهد من رسول الله في وفاته فليحدثنا.

لم ينته عمر من كلامه وتهديده حتى ازبد شذقاه، ولما أقبل الخليفة أبو بكر وتلا الآية سكت عمر.

سقيفة بني ساعدة وبيعة أبي بكر

اجتمعت الانصار في سقيفة بني ساعدة وجثمان رسول الله (ص) بين أهله يفسلون، وأخرجوا سعد بن عبادَةَ — وكان مريضاً — فذكر سابقة الانصار وقال: استبدوا بهذا الأمر، فأجابوا قد وفقنا في الرأي ولن نعدو ما رأيت، نوليك هذا الأمر، فسمع بذلك أبو بكر وعمر فأسرعاً مع جماعتهم الى السقيفة، وذكر أبو بكر سابقة المهاجرين وقال: هم أولياؤه وعشيرته وأحق الناس بهذا الأمر من بعده ولا ينازعهم ذلك الا ظالم.

فقال الحباب بن المنذر: يا معشر الأنصار أملكوا عليكم أمركم، فان الناس في فيثكم ولن يجترىء مجترىء على خلافكم فان أبي هؤلاء الا ما سمعتم، فنا أمير ومنهم أمير.

فقال عمر: هيات لا يجتمع اثنان في قرن... لا ترضى العرب أن يؤمروكم ونبيها من غيركم.

وهدد أحدهما الآخر بالقتل.

فقالت الأنصار أو بعض الأنصار: لا نباع الا علياً، فتخوف عمر من الاختلاف وقال لأبي بكر ابسط يدك أبايعك وسبقه بشير بن سعد وباع فناده الحباب بن المنذر عقت عقاق أنفست على ابن عمك الامارة؟

وباع عمر وأبو عبيدة، وقالت الأوس لئن وليتها الخرج مرة لازالت لهم الفضيلة عليكم وما جعلوا لكم فيها نصيباً، فبايعوا أبا بكر، فانكسر على سعد بن عبادَةَ

والخزرج و كادوا يطؤون سعد بن عبادة، فقال أصحابه اتقوا سعدا لا تطؤوه.
فقال عمر: اقتلوه قتله الله.

ثم قام على رأسه فقال لقد هممت أن أطأك حتى تندرا عَضُوك فأخذ قيس بن سعد بلحية عمر فقال والله لو حصصت منه شعرة ما رجعت وفي فيك واضحة.
فقال أبوبكر: مهلا يا عمر الرفق هاهنا أبلغ، فأعرض عنه عمر.
فحمل سعد الى بيته.

وأخرج أبوبكر من السقيفة، وجاءت قبيلة أسلم فبايعت فانتصر بهم أبوبكر، وأقبلت الجماعة تزفه الى مسجد رسول الله فصعد المنبر، وشغلوا عن دفن رسول الله حتى كان يوم الثلاثاء، فجاءوا الى المسجد ثانية فجلس أبوبكر على منبر رسول الله ووقف عمر وقال: ان قوله بالامس لم يكن من كتاب الله ولا عهدا من رسوله ولكته كان يرى أن الرسول صلى الله عليه وآله سيدبر أمرهم ويكون آخرهم، وان الله أبقى فيهم القرآن يهتدون به وقد جمع أمركم على صاحب رسول الله، قوموا فبايعوه، فبايعه الناس عندئذ بعد بيعة السقيفة ثم خطب أبوبكر فقال قد وليت عليكم ولست بخيركم فان أحسنت فأعينوني...

شغلوا عن رسول الله بقية الاثنين وليلة الثلاثاء ويوم الثلاثاء، وصلى المسلمون على رسول الله زمرا زمرا، وخلي أصحاب رسول الله بين جثمانه وبين أهله، فولوا أجنانه^٢ ولم يشهد أبوبكر وعمر غسل الرسول صلى الله عليه وآله وتكفينه ودفنه.
قالت عائشة: ما علمنا بدفن الرسول حتى سمعنا صوت المساحي من جوف الليل.

وتخلف عن بيعة أبي بكر قوم من المهاجرين والانصار وبني هاشم ومالوا مع علي بن أبي طالب.

فذهبوا الى العباس ليستميلوه فجابههم بالرد.

وتحصن في دار فاطمة جماعة من بني هاشم وجمع من المهاجرين والانصار فبعث اليهم أبوبكر عمر بن الخطاب ليخرجهم من بيت فاطمة وقال له: ان أنبوا فقاتلهم. فأقبل بقبس نار على أن يضرم عليهم الدار، فلقيتهم فاطمة فقالت يا بن

(١) تندر عضوك : حتى تسقط اعضاؤك .

(٢) تولوا دفته .

الخطاب أجتت لتحرق دارنا؟ قال: نعم أو تدخلوا في ما دخلت فيه الامة.

واليه أشار أبو بكر في مرض موته حين قال:

«أما اني لا آسي على شىء في الدنيا الا على ثلاث فعلتهن وددت اني لم

أفعلنهن... فوددت أني لم أكشف عن بيت فاطمة ولو أغلق على حرب...»

ثم ان علياً حمل فاطمة ليلا الى بيوت الانصار يسألهم النصره وتسألهم فاطمة

الانتصار له، فكانوا يقولون: يا بنت رسول الله مضت بيعتنا لهذا الرجل ولو كان ابن

عمك سبق الينا أبابكر ما عدلنا به، فيقول علي: أفكنت أترك رسول الله (ص) في بيته

لم أجهزه وأخرج الى الناس أنازعهم في سلطانه؟ وتقول فاطمة ما صنع أبو الحسن الا

ما كان ينبغي له، ولقد صنعوا ما الله حسبهم.

وكان معاوية يعير أمير المؤمنين علياً بهذا الموقف ويقول: «وأعهدك أمس

تحمل قعيدة بيتك ليلا على حمار ويداك في يدي ابنك الحسن والحسين يوم بويح أبو بكر

الصديق، فلم تدع أحدا من أهل بدر والسوابق الا دعوتهم الى نفسك ومشيت اليهم

بامرأتك وأدلت اليهم بابنيك واستنصرتهم على صاحب رسول الله... فلم يجيبك منهم

الا أربعة أو خمسة... ومهما نسيت فلا أنسى قولك لا بي سفيان لما حركك وهتجك: لو

وجدت أربعين ذوي عزم لناهضتهم.

وروى البخاري ما دار بين ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله وأبي بكر وقال:

فهجرته فاطمة فلم تكلمه حتى توفيت بعد ستة أشهر، ودفنها زوجها ولم يؤذن

بها أبابكر، وكان لعلي من الناس وجه حياة فاطمة فلما توفيت انصرفت وجوه الناس

عن علي فلم يبايع علي ستة أشهر ولا أحد من بني هاشم حتى بايعه علي، فلما رأى علي

انصراف وجوه الناس عنه ضرع الى مصالحة أبي بكر.

وقال البلاذري ولم يخرج أحد الى قتال العدو قبل أن يبايع علي.

ومن تخلف عن بيعة أبي بكر: فروة بن عمرو، وخالد وأبان وعمر بنوسعيه

الاموي، فلما بايع بنو هاشم بايعوا.

وسعد بن عباد لم يبايع، وأشار الانصار أن يتركوه فانه لا يبايع حتى يقتل

وليس بمقتول حتى يقتل معه ولده وأهل بيته وطائفة من عشيرته فتركوه، فقال له عمر

في أول خلافته من كره جوار جار تحول عنه، فذهب الى الشام، فبعث عمر رجلا،

فقال: ادعه الى البيعة واحتل له فان أبي فاستعن الله عليه، فذهب الرجل الى الشام

ووجد سعدا بجوارين من قرى حلب فدعاه الى البيعة فأبي فرماه بسهم فقتله.

بيعة عمر

لما حضرا أبوبكر دعا عثمان خاليا فقال: اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد به أبوبكر بن أبي قحافة الى المسلمين، أما بعد - فأغمي عليه - فكتب عثمان: فاني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب ولم آلكم خيرا، ثم أفاق أبوبكر فقرأها عليه فأقرها أبوبكر.

ثم جاء عمر مع الكتاب الى مسجد الرسول (ص) وقال للناس: اسمعوا وأطيعوا قول خليفة رسول الله (ص) انه يقول: اني لم آلكم نصحا. وهكذا بايع الناس عمر.

الشورى وبيعة عثمان

لما طعن عمر قيل له: لو استخلفت، قال: لو كان سالم حيا لاستخلفته، ولو كان أبو عبيدة حيا لاستخلفته، ثم قال: لا جعلنها شورى بين ستة، وعينهم من قريش، وولى أبوظلحة زيد بن سهل الخزرجي على خمسين من الانصار، وأمر صهيبا أن يصلي بالناس ثلاثة أيام، فاذا انتهت الايام الثلاثة واتفقوا على واحد فليضرب أبوظلحة عنق الذي يخالف، وان اجتمع ثلاثة على رجل وثلاثة على رجل كانوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف، وان صفق عبد الرحمن باحدى يديه على الاخرى، عليهم أن يتبعوه ومن أبى ضربوا عنقه، فلما توفي الخليفة قال عبد الرحمن: اني أخرج نفسي منها وسعدا على أن أختار أحدكم فأجابوا الا عليا وأحلف عبد الرحمن أن لا يميل الى هوى وأن يؤثر الحق وأن لا يجابي ذا قرابة، فحلف له فقال: اختر مسددا.

ثم اجتمعوا في مسجد الرسول فمد يده الى علي وقال:

امدد يدك أبايعك على كتاب الله وسنة رسوله وسيرة الشيخين، فقال: أسير فيكم بكتاب الله وسنة نبيه ما استطعت.

ثم مديده الى عثمان فوافق على ذلك.

ثم مديده الى علي فقال مثل مقالته الاولي فأجابه مثل الجواب الاول.

ثم قال لعثمان مثل المقالة الاولي فأجابه مثل ما كان أجابه، ثم اتجه الى علي

(١) حضر: حضرته الوفاة.

فقال له مثل المقالة الاولى.

فقال الامام علي ان كتاب الله وسنة نبيه لا يحتاج معهما الى طريقة أحد، أنت مجتهد أن تزوي هذا الامر عني.

فاتجه عبد الرحمن الى عثمان وأعاد عليه القول فأجاب به مثل ذلك الجواب، فصفق على يده وبايعه، فقال الامام علي لعبد الرحمن حبوة حبوة دهر، ليس هذا أول يوم تظاهرت فيه علينا، فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون، والله ما وليت عثمان الا ليرد الامر اليك، والله كل يوم في شأن.

وبايع أصحاب الشورى عثمان، وكان علي قائما فخرج مغضبا فقال له عبد الرحمن بايع والا ضربت عنقك، ولم يكن يومئذ سيف مع أحد، ولحقه أصحاب الشورى فقالوا: بايع والا جاهدناك، فأقبل معهم حتى بايع عثمان.

بيعة الامام علي

لما قتل عثمان ورجع الى المسلمين أمرهم وانحلوا من كل بيعة سابقة تهافتوا على الامام علي، اجتمع المهاجرون والانصار فيهم طلحة والزبير فاتوا عليا فقالوا: هلم نبايعك فقال: لا حاجة لي في امركم انا معكم، إن اخترتم فقد رضيت به فقالوا: والله ما نختار غيرك فاختلفوا اليه مرارا ثم أتوه في آخر ذلك فقالوا: انه لا يصلح الناس الا بامرة وقد طال الامر «لا والله ما نحن بفاعلين حتى نبايعك، قال ففي المسجد فان بيعتي لا تكون خفيا ولا تكون الا عن رضى المسلمين، فاجتمعوا في المسجد يهرعون اليه، واول من صعد اليه فبايعه طلحة ثم تتابع المهاجرون والانصار ثم سائر الناس فبايعوا عليا.

* * *

بعد هذا العرض ندرس في ما يأتي اراء المدرستين في امر الامامة والخلافة.

أقوال مدرسة الخلفاء في أمر الخلافة

اولا - الخليفة ابوبكر، قال يوم السقيفة: لن يعرف هذا الامر الا لهذا الحي من قريش هم اوسط العرب نسبا ودارا وقال: رضيت لكم عمر وأبا عبيدة فبايعوا ايها شتم^١.

وفي رواية قال:

هم اولياؤه وعشيرته واحق الناس بهذا الامر من بعده ولا ينازعهم ذلك الا ظالم^٢.

ثانيا - قال عمر في السقيفة مخاطبا للانصار:

«والله لا ترضى العرب ان يؤمروكم ونبيها من غيركم، ولكن العرب لا تمتنع ان تولي امرها من كانت النبوة فيهم وولي امورهم منهم، ولنا بذلك على من ابى الحجة الظاهرة والسلطان المبين، من ذا ينازعنا سلطان محمد وامارته ونحن اولياؤه وعشيرته الا مدل بباطل او متجانف لاثم او متورط في هلكة؟^٣»

وقال في آخر شهر من عمره عندما بلغه ان احدهم يقول:

لو قد مات امير المؤمنين بايعت فلانا.

(١) البخاري، كتاب الحدود، باب: رجم الجبلي، ٤/١٢٠.

(٢) تاريخ الطبري، ط / اوروبا، ج ١/١٨٤٠.

(٣) تاريخ الطبري، ط / اوروبا، ج ١/١٨٤١.

فقال عمر:

«من بايع رجلاً من المسلمين على غير مشورة من المسلمين فلا يتابع هو ولا الذي بايعه تغرة أن يقتلا»^١.

وقال عند ما طعن وعين الستة للشورى:

لو أدركني أحد رجلين فجعلت هذا الأمر اليه لوثقت به، سالم مولى أبي حذيفة، وأبي عبيدة الجراح^٢.

وقال:

لو كان سالم حياً ما جعلتها شورى^٣.

ثالثاً - أتباع مدرسة الخلفاء قالوا:

تنعقد الإمامة بعهد الامام من قبل لان أبا بكر عهد بها لعمر ولم تتوقف على رضا الصحابة، وتنعقد أيضاً باختيار أهل الحل والعقد واختلفوا في عددهم، فمن قائل تنعقد ببيعة خمسة لان الذين بايعوا أبا بكر ايضاً كانوا خمسة، ولان عمر جعلها في ستة لبايع خمسة منهم السادس.

وقال الاكثر منهم تنعقد بواحد، لان العباس قال لعلي امدد يدك أبايع ولانه حكم، وحكم حاكم واحد نافذ.

وقالوا:

«ومن غلب عليهم بالسيف حتى صار خليفة وسمي أمير المؤمنين فلا يحل لاحد يؤمن بالله واليوم الاخر ان يبیت ولا يراه اماماً برا كان أو فاجراً فهو أمير المؤمنين.

وروا أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: تسمع وتطيع للامير وان ضرب ظهرك وأخذ مالك.

وان الخليفة لا ينعزل بالفسق والظلم وتعطيل الحقوق ولا يخلع ولا يجوز الخروج عليه بذلك بل يجب وعظه وتخفيفه للاحاديث الواردة بذلك.

كانت هذه آراء أتباع مدرسة الخلافة وينبغي لنا أن ندرس المصطلحات التي

(١) البخاري، باب رجم الحبلى، ١٢٠/٤.

(٢) طبقات ابن سعد ٣/٣٤٣.

(٣) بترجمة سالم من الاستيعاب واسب الغابة ٢/٢٤٦.

تدور في هذا البحث أولا ثم نناقش الآراء المذكورة.

تعريف المصطلحات

أولا : الشورى

التشاور والمشاورة في لغة العرب: استخراج الرأي بمراجعة البعض البعض الآخر وبهذا المعنى ورد في قوله تعالى «وأمرهم شورى بينهم» أي يتشاورون في أمورهم فالكلمة ليست مصطلحا شرعيا.

ثانيا : البيعة

أ) البيعة في لغة العرب: الصفقة على إيجاب البيع، وصدق يده وعلى يده بالبيعة والبيع: ضرب بيده على يده عند وجوب البيع، وتصافقوا: تبايعوا. وكانت العرب تعقد الحلف والعهد بأساليب مختلفة، مثل أنهم كانوا يضعون أيديهم في جفنة مملوءة طيبا ويتعاهدون على أمر، أو في جفنة مملوءة دما.

ب) البيعة في الإسلام علامة على معاهدة المبايع المبايع له أن يبذل له الطاعة في ما تقر بينهما ويقال بايعه عليه مبايعة أي عاهده عليه، قال الله تعالى «ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم...».

وأول بيعة أخذها رسول الله من المسلمين في العقبة الاولى كانت على الاسلام.

والثانية: البيعة الثانية الكبرى أيضا بالعقبة بايعهم على الحرب لاقامة المجتمع الاسلامي، وسميت البيعة الاولى بيعة النساء لان البيعة كانت على الاسلام دونما قتال.

والبيعة الثالثة: أخذها تحت الشجرة في الحديبية عندما ندب الناس الى العمرة، فخرجوا محرمين للعمرة، ولما صدتهم قريش عن البيت وتهيأت للقتال، تبدلت السفارة من العمرة الى القتال وكانت الحالة الثانية مخالفة لما انتدبهم اليها فاقترضت الحالة أن يأخذ منهم البيعة على العمل الجديد وغير المعهود، وفعل ذلك وأعطت البيعة ثمرها في اربعاب أهل مكة، وعلى ما ذكرنا قامت البيعة الاولى على الاسلام دونما قتال، والثانية على اقامة الدولة الاسلامية والقتال من أجلها، والثالثة البيعة على

القتال في تلك السفارة، هذا ما كان في سيرة رسول الله من أمر البيعة. ووورد في حديثه (ص) أنه كان يأخذ البيعة على الطاعة في ما يستطيعون ولم يكن يبايع الغلام غير البالغ شرعا.

ويتضح لنا من دراسة سيرة الرسول صلى الله عليه وآله أن للبيعة ثلاثة أركان:

(أ) المبايع.

(ب) المبايع له.

(ج) المعاهدة على الطاعة.

وتقوم البيعة على تفهم ما يطلب الطاعة بالقيام به ثم تنعقد المعاهدة بضرب المبايع على يد المبايع له والبيعة على هذا مصطلح شرعى وشروط تحقق البيعة وفق الشرع الاسلامي غير واضحة للكثير من المسلمين وهي:

(أ) أن يكون المبايع ممن تصح منه البيعة فلا تصح من صبي أو من مجنون لأنها غير مكلفين شرعا، وأن يكون مختارا لان البيعة كالبيع لا ينعقد بأخذ المال من صاحبه قهرا ودفع الثمن له، ولا تنعقد البيعة بأخذها بالجبر وبجد السيف.

(ب) أن لا يكون المبايع له من المتجاهرين بالمعصية لان الرسول (ص) قال «لا طاعة لمن عصى الله تبارك وتعالى»^١.

(ج) لا تصح البيعة للقيام بما نهى الله عنه وخلافا لاوامره وأوامر الرسول لان الرسول قال «فاذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»^٢.

ثالثا ورابعا : الخليفة وأمير المؤمنين

(أ) الخلافة في لغة العرب: النيابة عن الغير، والخليفة: من يقوم مقام الغير ويسد مسده.

وبهذا المعنى ورد في القرآن الكريم مثل: «يا داود إنا جعلناك خليفة في الارض» وفي حديث الرسول: «اللهم ارحم خلفائي» وقال في تعريف الخلفاء: «الذين يأتون بعدي يروون حديثي وسنتي».

إذا فالخليفة في القرآن والحديث ليست اسما للذي يحكم باسم النيابة عن

رسول الله (ص)، وكذلك كان الامر الى زمان الخليفة عمر حيث كان يقال له: خليفة خليفة رسول الله، ثم قيل له: أمير المؤمنين، وبقي الامر كذلك الى عصر العباسيين وعلى عهدهم كانوا يصفونهم بخليفة الله الى جنب تسميتهم بأمر المؤمنين وفي عصر العثمانيين سمو الحاكم الاسلامي الاعلى بالخليفة وبقيت هذه التسمية متداولة بين المسلمين حتى اليوم.

اذا فان لفظ الخليفة من مصطلحات المسلمين وليست مصطلحا شرعيا وكذلك أمير المؤمنين.

خامسا: الامام

الامام في اللغة: من يأتم به الناس، وبهذا المعنى ورد في القرآن الكريم غير أنه قيد الامامة بشروط ذكرها في قوله تعالى لابراهيم: «انا جعلناك للناس اماما» وقوله «لاينال عهدي الظالمين».

اذا فالامامة جعل من الله وعهد لايناله من اتصف بالظلم سواء أكان ظالما لنفسه أو لغيره وبذلك أصبح «الامام» مصطلحا شرعيا وتسمية اسلامية.

سادسا: الأمر واولوا الأمر

ان الأمر استعمل في لغة العرب وعرف المسلمين والنصوص الاسلامية بمعنى الولاية على الناس والحكم. اما اولوا الأمر فيصح اعتباره مصطلحا اسلاميا لوروده في القرآن بمعنى الولاية على الناس في قوله تعالى: «اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الأمر منكم»^١ وتختلف المدرستان في تشخيص اولى الأمر وولي الأمر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، فان مدرسة أهل البيت ترى أن تعيين الامام وولي الأمر بعد الرسول إلى الله، يعين من يشاء ويبلغ الرسول امته بذلك وترى مدرسة الخلافة انه يتعين بالبيعة وبالاستيلاء على الحكم بالقهر والغلبة، وبعد استيلائه على الحكم كيف ما كان يجب طاعته. ومن ثم أطاعوا الخليفة يزيد وقتلوا وسبوا ذريته الرسول وأباحوا مدينة الرسول وقتلوا البقية من أصحابه والتابعين ورموا الكعبة بالمنجنيق، وبعد كل تلك الافعال لا يزالون يسمونه بأمر المؤمنين إلى عصرنا الحاضر.

مناقشة آراء مدرسة الخلفاء في امر الخلافة والامامة

أولاً: الشورى

ان اول من ذكر الشورى لاقامة الخلافة هو الخليفة عمر بن الخطاب، ولم يستند في ذلك الى دليل من الكتاب والسنة بل اعتمد اجتهاده الخاص فن اتخذ سيرة الصحابة واقوالهم في عداد كتاب الله وسنة رسوله من مصادر الشريعة الاسلامية فله ان يتخذ من السنة العمرية هذه سنداً لهذا الحكم في اقامة الخلافة. على ان سنته هذه مخالفة لسنته وسنة الخليفة الاول ابي بكر في اقامة حكم الخليفة الاول ابي بكر فانها كانت فلتة حسب تعبير الخليفة عمر وتقييمه لها و كذلك مخالفة - ايضاً - لسنتها في اقامة حكم الخليفة الثاني عمر بن الخطاب فان الخليفة الاول ولي الخليفة عمر على المسلمين من بعده وكلاهما لم يستشيرا المسلمين في كلا المقامين؛ ومخالفة - ايضاً - لقول الخليفة عمر: لو كان ابو عبيدة حياً لاستخلفته ولو كان سالم مولى ابي حذيفة حياً لاستخلفته، فان هذا القول يخالف الالتزام بالشورى!

وعلى فرض صحة اقامة الخلافة على اساس الشورى العمرية، فكيف ينبغي ان تكون الشورى؛ وكم ينبغي ان يكون عدد المشاورين في الاغلب قالوا ينحصر عدد المشاورين في ستة، يبايع خمسة منهم السادس، أضف الى ما سبق السؤال عن المبرر لاعطاء عبد الرحمن بن عوف خاصة حق اتخاذ القرار النهائي من دون الآخرين في تلك الشورى ثم ما المبرر لقتل من خالف قرار عبد الرحمن ورأيه! ثم من الذي كان يخشى منه المخالفة لرأي عبد الرحمن من دون الآخرين واخيراً هل اتبعت مدرسة الخلافة الشورى

العمرية مرة واحدة واقامت الخلافة كذلك لواحد من الخلفاء طوال القرون.
هذه اسئلة تتوارد على الشورى العمرية.

اما ما استدَل بها اتباع مدرسة الخلفاء في هذا الصدد فما كان من استدلالهم
بالآية الكريمة: «وأمرهم شورى بينهم» فإنه لا يستفاد منها اكثر من رجحان التشاور
بين المؤمنين في امورهم، فان سبحانه وتعالى لو أراد الوجوب في هذا الأمر لقال: كتب
الله على المؤمنين او قال: فرض عليهم الى ما شابهها من الالفاظ الدالة على وجوب
الفعل على المؤمنين.

وما كان من استدلالهم بآية «وشاورهم في الأمر» فقد اوضحنا في ما سبق
بان الآية في مقام توجيه الرسول ان يدعو المسلمين الى القتال باسلوب المشاورة؛ وليس
باسلوب الملوك الجبابة الذين يلقون اوامرهم الى الناس بقولهم مثلاً: اصدرنا امرنا
الملكى بكذا. وقد صرح الجليل سبحانه بعد هذه الجملة بأن رأى المسلمين ليس ملزماً
لرسول الله صلى الله عليه وآله حيث قال: «واذا عزم فتوكل» اذاً فالقيام بالعمل
يكون على اساس عزم الرسول وليس على ما يرتأيه المؤمنون ويوضح ذلك بجلاء الامثلة
التي ذكرناها من مشاورة الرسول مع المسلمين في موارد كانت عاقبة الأمر معلومة لرسول
الله مسبقاً مثل مشاورته اياهم للقتال في غزوة بدر.

ثم ان مشاوراته (ص وآله) كانت في مقام استجلاء رأى المسلمين في كيفية
تنفيذ الاحكام الاسلامية وليست في مقام استنباط الحكم الشرعى بالتشاور، أضف
الى كل ذلك ان الله تعالى قال: «وما كان لمؤمن ولا لمؤمنة اذا قضى الله ورسوله امراً
ان يكون لهم الخيرة من امرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً» اذاً فان
رجحان المشاورة ينحصر بمورد لم يقض الله ورسوله فيه أمراً وفي ما قضى الله ورسوله فيه
امراً تكون المشاورة معصية لله ورسوله وضلالاً مبيناً.

ثانياً : البيعة

عرفنا مما سبق: ان البيعة لا تنعقد للقيام بمعصية الخالق ولا لمتجاهر بمعصية
الخالق ولا بالاكراه وخذ السيف.

اما اصحاب مدرسة الخلافة فانهم قالوا: تنعقد الخلافة ببيعة خمسة وقال
بعضهم: تنعقد ببيعة واحد وحضور شاهدين، واستدلوا بعمل الصحابة.

ثالثا : عمل الصحابة

يصح الاستدلال بعمل الصحابة في ما اذا اعتقدنا ان سيرة الصحابة مثل كتاب الله وسنة رسوله مصدر للتشريع الاسلامي ، ثم ان عمل الصحابة يخالف بعضه البعض الآخر كما رأينا في ما سبق ومن ثم وقع الخلاف في آراء اتباع مدرسة الخلافة كما شاهدنا في ما سبق وعلى هذا بعمل اي من الصحابة نفتدى وقول من منهم ومن الاتباع نأخذ!؟

الاستدلال بكلام الامام علي:

اما ما استدلووا به من كلام للامام علي فانه كان في مقام الاحتجاج على معاوية وجماعته بما التزموا به. على ان اجماع الصحابة بما فيهم الامام علي وسبطا الرسول الحسن والحسين حجة. وهذا هو مفهوم كلام الامام المذكور.

وجوب طاعة الحاكم وعدم عزله بالفسق واعلان المعصية:

قالوا: لا ينزل الحاكم الذي ستموه بالامام بالفسق والفجور واعلان المعصية. وقالوا: على المسلم السمع والطاعة للامام الفاسق وان ضرب ظهره واخذ ماله، ولا يجوز الخروج عليه.

وقالوا: ان يزيد بن معاوية المتجاهر بالفسق والفجور بالبيعة أصبح أمير المؤمنين، ونتيجة لاعتقادهم بصحة بيعته استطاع ان يجهز جيشا من المعتقدين بصحة بيعته ويقتل بهم ذرية الرسول بكر بلاء ويسبيهم ويسير بهم اسرى من كربلاء الى عاصمة ملكه الشام.

وبنتيجة تلك البيعة استطاع ان يجهز جيشا آخر من المعتقدين بصحة بيعته ويغزو بهم مدينة الرسول ويبيحها لجيشه ثلاثة ايام فقتلوا جمعا من اصحاب الرسول وتابعيهم وأخذوا البيعة من الآخرين على انهم عبيد لقنان ليزيد وهتكوا أعراضهم وفعّلوا ما شاءوا من جرائم لم يشهد المسلمون نظيرها في تاريخهم الطويل ثم غزا بهم مكة فضربوا بيت الله الحرام والكعبة بالمنجنيق. وبعد كل تلك الجرائم يلقبونه بامير المؤمنين حتى اليوم ويكتبون في مدحه الكتب وينشرون وانا الله وانا إليه راجعون.

الامامة لدى مدرسة اهل البيت (ع)

كانت تلكم اراء مدرسة الخلفاء في الامامة والخلافة واذلتهم، اما مدرسة اهل البيت فانها تستدل بخطاب الله لابراهيم وقوله له: «انا جعلناك للناس اماما» وجواب الله لطلب ابراهيم حين قال «ومن ذريتي قال لا ينال عهدى الظالمين» على ان الامامة عهد من الله لا يناله الظالم لنفسه أو لغيره وتستدل بقوله تعالى في حق اهل البيت «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا» على عصمة اهل البيت محمد واهل بيته صلوات الله عليهم اجمعين من الذنوب، وكذلك تستشهد بسيرة اهل البيت التي لم يسجل منهم في التاريخ امر مخالف للعصمة. اما الادلة على امامتهم فاننا اذا درسنا سيرة الرسول في أمر تعيين ولي الأمر من بعده نجد انه لم يغب عن بال الرسول ومن حوله امر الامامة من بعده فان بعضهم طلب من الرسول ان يكون لهم الأمر من بعده فاجابه الرسول: الأمر الى الله يضعه حيث يشاء واخذ منهم البيعة في اقامة المجتمع الاسلامي «ان لا ينازعوا الأمر أهله» وعين الامام عليا في اول يوم دعا الى الاسلام وزيرا له وخليفة من بعده وشاهدناه - ايضا - يستخلف على المدينة كلما غاب عنها لأمرها وان كانت المسافة ميلا او اقل من ذلك.

و كذلك لم يترك امته هملا ابد الدهر بل عين ولي الأمر من بعده في اماكن مختلفة وازمنة متعددة باقوال تواترت عنه مثل قوله صلى الله عليه وآله:

علي ولي كل مؤمن بعدي.

علي وليكم من بعدي.

علي منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي.
 وفي غدير خم لما امره الله ان يعين ولي الأمر من بعده ونزلت آية «يا أيها
 الرسول بلغ ما انزل اليك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس» صعد
 منبراً من احداج الابل ورفع علياً وقال: الله مولاي وانا مولاكم فمن كنت مولاه فهذا
 عليّ مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وتوَجَّ عليّاً بعمامته السحاب فنزلت
 آية «اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً».
 ونزلت فيه «انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة
 ويؤتون الزكاة وهم راكعون».

وقال في حق الحسنين:

هذا ان مني.

وقال:

الحسن والحسين سبطان من الاسباط.

وفي حق الأئمة من بعده: الامام علي والاحد عشر بنيه:

اخبر الرسول انهم اولوالأمر في آية «يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا
 الرسول واولى الأمر منكم».

وفيهم قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

مثل اهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق.

وجعلهم اعدال القران وقال:

«اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي ما ان تمسكتم بهما لن

تضلوا من بعدي وقد انبأني اللطيف الخبير انها لا يفترقان حتى يردا عليّ الحوض».

ويظهر من قول الرسول هذا: أن احد الائمة لا بد ان يطول عمره ويبقى مع القرآن

الى يوم القيامة.

وعين عدددهم في قوله:

لا يزال هذا الدين قائماً حتى تقوم الساعة او يكون عليكم اثنا عشر.

وفي رواية:

لا يزال امر الناس ماضياً الى اثني عشر.

وفي رواية بعدها: «ثم يكون المرح والمهرج».

وفي رواية:

فاذا هلكوا ماجت الارض بأهلها.

وفي رواية قال عن عددهم أنهم اثنا عشر عدّة نقباء بني اسرائيل.

ولا تصدق هذه الروايات على غير الأئمة الاثني عشر من اهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله الذي طال عمر آخرهم وبعدهم يكون فناء الدنيا وبما ان علماء مدرسة الخلافة لم يرتضوا ائمة اهل البيت حاروا في تفسير هذه الروايات الصحيحة ولم يستطيعوا تأويلها بما يرضون به انفسهم.

اتجاه السلطة الحاكمة زهاء ثلاثة عشر قرناً

اقتصرنا في ما أوردنا من الأدلة على امامة ائمة اهل البيت الاثني عشر عليهم السلام في ما سبق بما ورد في اوثق مصادر الدراسات الاسلامية بمدرسة الخلفاء وبالإضافة الى ذلك قد ورد في مصادر الدراسات الاسلامية بمدرسة اهل البيت النصوص الكثيرة المتواترة الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وآله في النص على امامة الاثني عشر عليهم السلام بأسمائهم وصفاتهم ومشخصاتهم.

ويقول اتباع مدرسة اهل البيت (ع) ينبغي ان لا يغرب عن بالنا ان صحة خلافة الخلفاء امويين وعباسيين وعثمانيين وغيرهم من الخلفاء ومن تبعهم من الامراء والولاة والقضاة وائمة الجمعة والجماعة في البلاد الاسلامية زهاء ثلاثة عشر قرناً كانت متوقفة على كتمان ماورد في امامة الامام علي بن ابي طالب وائمة من ولده عليهم السلام.

فانه مثلاً في زمن الخلفية هارون الرشيد اصبح ابو يوسف قاضي قضاة المسلمين بتعيين الخليفة هارون الرشيد ومشروعية منصبه متوقفة على صحة خلافة هارون الرشيد وصحة خلافة الرشيد متوقفة على عدم وجود نص على امامة الاثني عشر وكذلك الامر بالنسبة الى وزارة البرامكة فانهم اصبحوا وزراء لخليفة المسلمين بسبب صحة خلافة هارون وكذلك جميع امراء جيوش المسلمين في عصره اصبحوا امراء لجيوش المسلمين بتعيين خليفة المسلمين هارون الرشيد وكذلك شأن ولاة الخليفة على البلاد فان امير صنعاء وامير مكة وامير المدينة والكوفة والشام والاسكندرية والري وخراسان وسائر البلاد الاسلامية في جميع الاقاليم وكذلك ائمة

الجمعة والجماعة في جميع البلاد الاسلامية من اقصى بلاد افريقيا الى ما وراء خراسان وبلاد الحجاز واليمن والشام والعراق الى غيرها من البلاد الاسلامية. كل اولئك اصبحوا في مناصبهم يعيشون معيشة المترفين بشرعية خلافة هارون الرشيد وشرعية خلافة هارون الرشيد متوقفة على عدم وجود امامة معينة منصوبة من قبل الله ومنصوصة عليها من قبل رسول الله صلى الله عليه وآله في ذلك العصر وهو الامام موسى بن جعفر (ع) ولا في امامة سائر الائمة عليهم السلام قبله.

وهذا الامر كان جاريا وساريا في زمن يزيد ومعاوية وعثمان وغيرهم الى آخر خلفاء العثمانيين فان كل اولئك المنتفعين بخلافة الخلفاء جلّ العصور انما انتفعوا بمناصبهم ومعايشهم لعدم وجود نصّ على امامة أي امام غير الخلفاء ومع كل ذلك بقيت النصوص السابقة في امامة الائمة من اهل البيت (ع) منتشرة في مصادر الدراسات الاسلامية بمدرسة الخلفاء الى اليوم وذلك لانّ الله شاء ان يتم الحجة على الناس مدى العصور وما شاء الله كان.

* * *

بعد الانتهاء من دراسة رأي المدرستين في الصحابة والامامة نستعين الله وندرس في ما يأتي رأي المدرستين في مصادر الشريعة الاسلامية وكيفية استفادة كل منها منها، إن شاء الله تعالى.

الفهرست

٥	الاهداء
٧	مقدمة الطبعة الثانية
٩	مخطط بحوث الكتاب

بحوث تمهيدية

١٣	(١)
١٩	(٢) بعض ما شاهدت من آثار الخلاف بين أبناء الامة الاسلامية
١٩	في السفارة الاولى
٢٠	في السفارة الثانية
٢٥	(٣) بعض صفات الله جل اسمه ومنشأ الخلاف حولها
٢٧	حول رؤيته
٢٨	في الجنة
٢٩	الخلاف على تأويل تلكم الاحاديث
٣١	منشأ الخلاف حول بعض صفات الله ورؤيته
٣٣	(٤) الخلاف في صفات الأنبياء وما خصهم الله بها ومنشؤها
٣٣	التبرك بآثار الأنبياء
٣٣	التبرك ببصاق النبي (ص)
٣٤	التبرك بوضوء النبي (ص)
٣٤	التبرك بنخامة النبي (ص)
٣٤	التبرك بشعر النبي (ص)
٣٦	التبرك بسهم النبي (ص)

- التبرك بموضع كفت النبي (ص) ٣٦
- الإستشفاع برسول الله (ص) ٣٧
- أ - التوسل بالنبي قبل أن يخلق ٣٧
- ب - التوسل بالنبي في حياته ٣٨
- ج - التوسل بالنبي بعد وفاته ٣٨
- الاستشفاع بالعباس عم النبي (ص) ٣٩
- منشأ الخلاف حول صفات رسول الله (ص) ٣٩
- (٥) الخلاف حول الاحتفال بذكرى الأنبياء وذكرى عباد الله الصالحين ٤٦
- انتشار البركة من آدم (ع) والاحتفال بذكره ٤٨
- انتشار الشؤم إلى المكان من المكين ٤٩
- منشأ الشؤم والبركة في المكان ٤٩
- بركة يوم الجمعة ٤٩
- البركة في شهر رمضان ٥٠
- (٦) الخلاف حول البناء على قبور الأنبياء واتخاذها محلاً للعبادة ٥١
- أدلة من رأى جواز اتخاذ مقابر الأنبياء محلاً للعبادة ٥٣
- (٧) الاختلاف في البكاء على الميت ومنشؤه ٥٥
- بكاء الرسول (ص) على ابنه إبراهيم ٥٥
- بكاء الرسول (ص) على حفيده ٥٦
- ندب الرسول (ص) إلى البكاء على عمه حمزة ٥٦
- بكى الرسول على قبر أمه وأبكى من حوله ٥٧
- امر الرسول بارسال الطعام لأهل المصاب ٥٧
- عين الرسول أيام الحداد على الميت ٥٧
- منشأ الخلاف حول البكاء على الميت ٥٨
- (٨) آيات من كتاب الله نشأ الخلاف حول تأويلها ٦١
- حكم غير الله ودعاء غير الله ٦١
- جواب مخالفهم في المسألتين ٦٣
- صفة الملك لله ٦٤
- الخالق والمحيي ٦٤
- الولي والشفيع ٦٥
- من يتوفى الانفس ٦٧

٦٧ دعوة الرسول والتوسل به إلى الله
٦٨ الباعث الحقيقي لما نشأ من خلاف بادي ذي بدء
٦٨ في عصر خاتم الأنبياء
٦٩ في الامم السابقة
٧١ (٩) خلاصة وخاتمة

القسم الاول في العقيدة اسلاقية وأحكامها

٧٧ منشأ الخلاف
٧٩ اللغة العربية والمصطلحات الاسلامية
٧٩ اولاً: تعريف المصطلحات
٧٩ (أ) لغة العرب
٨٠ (ب) المصطلح الشرعي أو المصطلح الاسلامي
٨٠ (ج) مصطلح المتشعبة أو تسمية المسلمين
٨١ (د) الحقيقة والمجاز
٨٢ ثانياً: كيفية تأليف مجاميع اللغة العربية
٨٣ البحث الاول: بحوث المدرستين في الصحبة والصحابة
٨٥ الفصل الاول: تعريف الصحابي لدى المدرستين
٨٧ تعريف الصحابي في مدرسة الخلفاء
٨٨ تعريف الصحابي بمدرسة أهل البيت عليهم السلام
٨٨ ضابطةم لمعرفة الصحابي ومناقشتها
٨٩ مناقشة ضابطة معرفة الصحابي
٩٣ الفصل الثاني: عدالة الصحابة لدى المدرستين
٩٥ رأي مدرسة الخلفاء في عدالة الصحابة
٩٧ رأي مدرسة أهل البيت عليهم السلام في عدالة الصحابة
٩٩ ضابطة لمعرفة المؤمن والمنافق
١٠٣ الفصل الثالث: خلاصة بحث الصحابة لدى المدرستين
١٠٥ الصحابي وعدالته في مدرسة الخلفاء
١٠٥ الصحابي في مدرسة أهل البيت عليهم السلام
١٠٧ البحث الثاني: بحوث المدرستين في الامامة
١٠٩ الفصل الاول: الواقع التاريخي للخلافة في صدر الاسلام

- ١٥٥ (٣) بيعة الرضوان أو بيعة الشجرة
- ١٥٨ ثالثاً: الخلافة والخليفة في لغة العرب
- ١٦٠ رابعاً: أمير المؤمنين
- ٩٤ خامساً: الامام
- ١٦١ سادساً: الامر واولوا الامر
- ١٦١ (أ) في لغة العرب
- ١٦٣ (ب) في عرف المسلمين
- ١٦٣ (ج) في النصوص الاسلامية
- ١٦٤ سابعاً: الوصي والوصية
- ١٦٦ دراسة رأي مدرسة الخلفاء
- ١٦٦ رأي مدرسة الخلافة وما استدلو به
- ١٦٦ مناقشة الاستدلالات
- ١٦٨ أولاً: مناقشة الاستدلال بالشورى
- ١٦٨ الاستدلال بالشورى بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله
- ١٦٨ أولاً: الاستدلال بآية «وأمرهم شورى»
- ١٦٩ ثانياً: الاستدلال بآية «وشاورهم في الامر»
- ١٦٩ ثالثاً: الاستدلال بمشاورة الرسول مع أصحابه
- ١٦٩ مشاورته صلى الله عليه وآله معهم في غزوة بدر
- ١٧٣ غزوة الخندق
- ١٧٥ ثانياً: مناقشة الاستدلال بالبيعة
- ١٧٩ ثالثاً: مناقشة الاستدلال بعمل الصحابة
- ١٨٦ رابعاً: مناقشة الاستدلال بأن الخلافة تقام بالقهر والغلبة
- ١٩٠ إطاعة الامام الجائر المخالف لسنة الرسول (ص)
- ١٩١ خلاصة البحث
- ١٩٣ الفصل الثالث: بحوث مدرسة أهل البيت عليهم السلام في الامامة
- ١٩٦ عصمة أهل البيت عليهم السلام
- ٢٠٢ إهتمام الرسول صلى الله عليه وآله بأمر تعيين اولى الامر من بعده
- ٢٠٦ باب ذكر من استخلف الرسول صلى الله عليه وآله على المدينة في غزواته
- ٢١٢ النص الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وآله في تعيين ولي الامر من بعده
- ٢١٢ الوصية في الامم السابقة

- أ - خبر وصية آدم لشيث ٢١٣
- ب - خبر يوشع بن نون وصي موسى ٢١٣
- وجه الشبه بين وصي خاتم الانبياء ووصي موسى ٢١٤
- ج - خبر شمعون وصي عيسى ٢١٥
- وزير الرسول (ص) ووصيه وولي عهده وخليفته من بعده ٢١٦
- الوصي في أحاديث الرسول (ص) ٢١٦
- الوصية في كتب الامم السابقة ٢١٧
- الوصية في حديث الاشرع عند مابويج الامام علي (ع) ٢١٩
- الوصية في كتاب محمد بن أبي بكر ٢١٩
- الوصية في كتاب عمرو بن العاص ٢٢١
- الوصية في كلام الامام علي (ع) واحتجاجه ٢٢١
- الوصية في خطب الامام علي (ع) ٢٢١
- الوصية في خطبة الامام الحسن (ع) ٢٢٢
- الوصية في خطبة الامام الحسين (ع) ٢٢٢
- عبدالله بن علي عم الخليفة العباسي السفاح يحتج بالوصية ٢٢٢
- شهرة لقب وصي النبي (ص) للإمام علي (ع) ٢٢٤
- الوصية في الأشعار التي قيلت في حرب الجمل ٢٢٥
- الوصية في الأشعار التي قيلت بصفين ٢٢٧
- الوصية في شعر المأمون ٢٣٠
- حديث عائشة يدل على أن علياً (ع) كان وصي الرسول (ص) ٢٣١
- أم المؤمنين تظهر السرور بقتل الامام علي (ع) ٢٣٣
- مقارنة أحاديث عائشة بأحاديث غيرها ٢٣٤
- مناقشة أحاديث أم المؤمنين عائشة ٢٣٦
- مقارنة بين حديث أم المؤمنين عائشة وحديث الامام علي (ع) ٢٣٧
- حديثان متعارضان من أم المؤمنين عائشة ٢٣٨
- موقفان مختلفان تجاه الامام علي (ع) ٢٣٩
- دراسة عمل مدرسة الخلفاء بنصوص سنة الرسول (ص) التي تخالف اتجاهها ٢٤٣
- انكار الوصية ٢٤٣
- أ - حذف بعض الحديث من سنة الرسول (ص) وتبديلها بكلمة مبهمه .

- ب - حذف تمام الخبر من سيرة الصحابة مع الاشارة إلى الحذف ... ٢٤٦
- ج - تأويل معنى الحديث من سنة الرسول (ص) ٢٤٧
- نظرة تأمل في مارووا في باب من لعنه النبي (ص) ٢٤٨
- عود على بدء ٢٤٩
- نظرة تأمل ودراسة للحديث النبوي وتأويل الطبراني إياه ٢٤٩
- حيرة عالم آخر في تأويل معنى الوصية ٢٥٠
- د - حذف بعض من أقوال الصحابة مع عدم الاشارة إليه ٢٥١
- هـ - حذف تمام الرواية من سنة الرسول (ص) مع عدم الاشارة إليه .. ٢٥٣
- و - النهي عن كتابة سنة الرسول (ص) ٢٥٤
- ز - تضعيف الروايات ورواية سنة الرسول (ص) والكتب التي تنتقص السلطان وقتل المخالفين أحياناً ٢٥٥
- ح - حرق الكتب والمكتبات ٢٦٠
- حرق مكتبة إسلامية ببغداد ٢٦١
- ط - حذف بعض الخبر من سيرة الصحابة وتحريفه ٢٦٢
- ي - وضع الروايات والأخبار المختلفة بدلاً من الروايات الصحيحة .. ٢٦٥
- أولاً - قصة الأسود العنسي ٢٦٨
- دراسة خبر الأسود العنسي ٢٦٩
- ثانياً - خبر مناجاة كسرى مع الرسول عند الله ٢٦٩
- دراسة خبر مناجاة كسرى مع الرسول ٢٧٠
- اشاعة الزنديق أن الاسلام انتشر بالسيف واراقة الدماء ٢٧١
- كانت شهرة الامام علي بالوصي معضلة مدرسة الخلافة مدى القرون ٢٧٧
- سيف يضع حلاً لمعضلة مدرسة الخلفاء ٢٧٧
- دراسة روايات سيف في أخبار الفتن ٢٨٠
- خلاصة بحث أنواع الكتمان بمدرسة الخلفاء ٢٨٩
- نتيجة البحث وحقيقة الامر ٢٩١
- عود على بدء في بحث الوصية ٢٩٤
- كمية الأخبار والروايات والنصوص التي أسقطوها ٢٩٤
- مابقي من النصوص الواردة عن الرسول في حق آله في الحكم ٢٩٥
- وزير النبي (ص) ٢٩٦

- ٢٩٧ خليفة النبي (ص)
- ٢٩٧ ولي المسلمين بعد الرسول صلى الله عليه وآله
- ٢٩٧ أولاً: حديث الشكوى
- ٢٩٩ شكوى ثانية
- ٢٩٩ زمان الشكوى
- ٢٩٩ ثانياً: نصوص اخرى لم يعين زمانها
- ٣٠٠ من النصوص على إمامته ماوردت في يوم الغدير
- ٣٠٢ خبر يوم الغدير
- ٣٠٥ تتويج الامام
- ٣٠٦ المناشدة
- ٣٠٨ الولاية واولوا الامر في القرآن الكريم
- ٣٠٨ أ) ولاية علي في القرآن الكريم
- ٣٠٩ ايراد على دلالة الآية
- ٣١١ ب) اولوا الامر علي والائمة من ولده عليهم السلام
- ٣١٢ قول النبي (ص) مثل أهل بيتي كسفينة نوح ومثل باب حطة
- ٣١٣ الائمة علي وبنوه عليهم السلام مبلغون عن رسول الله صلى الله عليه وآله
- ٣١٤ قصة تبليغ آيات البراءة
- ٣١٥ علي من النبي بمنزلة هارون من موسى
- ٣١٦ المراد من لفظ «متى» في أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله
- ٣١٧ حامل علوم الرسول صلى الله عليه وآله
- ٣٢٤ ماورد في حق سبطي رسول الله صلى الله عليه وآله
- ٣٢٨ بشارات النبي صلى الله عليه وآله بظهور المهدي عليه السلام في آخر الزمان
- ٣٢٨ المهدي عليه السلام يواطئ اسمه اسم النبي صلى الله عليه وآله
- ٣٢٨ إن المهدي عليه السلام من أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله
- ٣٢٩ المهدي عليه السلام من ولد فاطمة سلام الله عليها
- ٣٣٠ المهدي عليه السلام من ولد الحسين عليه السلام
- ٣٣١ نصوص على إمامة أئمة أهل البيت عليهم السلام
- ٣٣١ حديث الثقلين
- ٣٣١ أ) في حجة الوداع
- ٣٣١ ب) في غدير خم

٣٣٣ نص الرسول صلى الله عليه وآله على عددهم
٣٣٣ حديث عدد الاثمة
٣٣٦ خلاصة الاحاديث الآنفه
٣٣٦ حيرتهم في تفسير الحديث
٣٤٣ الفصل الرابع: خلاصة بحث الامامة لدى المدرستين
٣٤٥ الواقع التاريخي لاقامة الخلافة في صدر الاسلام
٣٤٥ بداية الامر
٣٤٥ موقف الخليفة عمر
٣٤٦ سقيفة بني ساعدة وبيعة أبي بكر
٣٤٩ بيعة عمر
٣٤٩ الشورى وبيعة عثمان
٣٥٠ بيعة الامام علي عليه السلام
٣٥١ أقوال مدرسة الخلفاء في أمر الخلافة
٣٥٣ تعريف المصطلحات
٣٥٣ أولاً: الشورى
٣٥٣ ثانياً: البيعة
٣٥٤ ثالثاً ورابعاً: الخليفة وأمير المؤمنين
٣٥٥ خامساً: الامام
٣٥٥ سادساً: الامر واولوا الامر
٣٥٦ مناقشة مدرسة الخلفاء في أمر الخلافة والامامة
٣٥٦ أولاً: الشورى
٣٥٧ ثانياً: البيعة
٣٥٨ ثالثاً: عمل الصحابة
٣٥٨ الاستدلال بكلام الامام علي عليه السلام
٣٥٨ وجوب طاعة الحاكم وعدم عزله بالفسق وإعلان المعصية
٣٥٩ الامامة لدى مدرسة أهل البيت عليهم السلام
٣٦١ اتجاه السلطة الحاكمة زهاء ثلاثة عشر قرناً

نداء ودعوة لتجديد حياة أمة وتوحيد كلمة المسلمين

إلى رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة والحوارات العلمية في النجف الأشرف وحراسان وقم وأصفهان والجامع الأزهر في القاهرة وجامعة الزيتونة والقيروان في تونس وجامعة القرويين بالمغرب إلى مفكري العالم الإسلامي وعلمائه وكتابه إلى المحاهدين المخلصين في سبيل إعادة حياة الأمة للمسلمين في كل مكان. إن المصلحين الغياري الساعين لتوحيد كلمة المسلمين. اليكم جميعاً أقدم بكل إخلاص واحترام واحسان النظر في الطلبين الآتيين :

أ- إن العالم الإسلامي نداءً يهتف لتجديد حياة أمة، وللوصول إلى هذا الهدف الخليل تلزم دراسة موضوعاتنا ما ورنه جمع المسلمين من مصادر سنة الرسول سيرة وحديثنا وعدم البقاء على تقليد السلف الصالح في استنساخ الأحكام الشرعية ولا في دراية الحديث وبذلك يتحقق للوصول إلى معرفة الإسلام من الكتاب والسنة وتوحيد كلمة المسلمين خوف تجديد حياة أمة، والتها ادعوا جميع المسلمين منها.

ب- اليكم جميعاً أقدم مرة ثانية بكل إخلاص واحترام واحسان النظر بتجرد علمي خالص في نخوت هذا الكتاب التي نظمت للوصول إلى الهدف المذكور أعلاه، ونسبني على الأخطاء التي تلزم غير المعصوم.

فإن هذه سبيل أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المبشرين.

المؤلف

منشورات قسم الدراسات الإسلامية
توزيع: مؤسسة البعثة (بنيادبعث)

إيران - طهران - شارع سمیه

تليفون: ۸۲۱۱۵۹